

ديوان المحدث الثاني

للأمام البغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخة الأمامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود السنيطين
مع مقابلة الشكل بنسخة المتحف البريطاني

مكتبة القدسي
القاهرة

ديوان المصطفى الثاني

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الأول

مكتبة القديس

(كلمة عن حياة المؤلف)

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبى العباس الأبيوردى
رحمه الله بهمدان عنه فأنى عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) ممأ ، وقال كان يتبرز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو فى سؤاله عن - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر، وله فى اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين
صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد
المقرئ إملاء . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تماطاك شباب وتفشاك مشيب^١
فأنى ما ليس يمضى ومضى ما لا يؤوب^٢
فتأهب^٣ لسقام ليس يشفيه طبيب^٤
لاتوهمه^٥ بعيداً إنما الآتى قريب^٦

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستتر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) فى نسخة « الفقة » مكان « الفقه » . (٢) سيزكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ المعجم وحالى فيكم حالٌ من حاكٍ أوحجم
 فأين انتفاعى بالأصالة والحجا وما ربحت كفى على العلم والحكم
 ومن ذا الذى فى الناس^(١) يصيرُ حالى فلا يلعنُ القرطاسَ والخبرَ والقلم
 ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتسתר قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
 أنشدنا أبو هلال العسكرى لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأناجمَ قرودُ
 ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
 وتهجوهمُ غنى رثاءةٍ كسوتى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
 ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
 المظفر بن طاهر بن الجراح الاسترأباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
 ابن سهل اللغوى العسكرى لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلى صامَ وجهى لمقلتيه وصلى
 لستُ أدري أطلالَ ليلٍ أم لا كيفَ يدرى بذاك من يتقلى
 لو تفرَّغتُ لاستطالةٍ ليلى ولرعى النجوم كنتُ مخلى
 هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدري أطلال ليلى أم لا *
 والبيت الذى بعده رأيت فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
 هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكرى .
 وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثاءة ملبسى)

(٣) لعل الغلط من الزاوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فلهله اطلع عليه .

وكتاب جمهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ماتلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نواذر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال باقوت : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أنني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخط العسكري أبي هلال
فلو أنني جعلتُ أمير جيش لما قاتلتُ إلا بالسؤال
فإن الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطراف الموالى
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :
فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوى وأتاني السرورُ من كل نحرٍ
إن روحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى من حرورٍ تشوى الوجوه وتكوى
بردَ الماءِ والهواءِ كأن قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلوى
ريحهُ تلمسُ الصدورَ فتشقى وغماماته تصوبُ فتروى
لستُ أنسى منه دُمائةً دجن ثم من بعده نضارة صحورٍ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقَطْرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببرو
وغيوماً مطرزاتِ الحواشي بوميضٍ من البروقِ وخفوي
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرِ بينَ سُفلٍ وعلو
وهي تعطيكِ حينَ هبتُ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقةٌ جَوٌّ
وترى الأرضَ في ملاءةٍ تلج مثلَ ريطٍ لبسته فوقَ فرو

فاستعار العراء ^(١) منها لباساً	سوف يخبى من الرياح بنضو
فكان الكافور موضع تربية	وكان الجمان موضع قرو—
وليل اطلب مدة درسي	مثلاً قد مددني في عمر لهوى
مر لي بعضها ببقه وبعض	بين شعر اخذت فيه ونحو
وحديث كأنه عقد رياء	بت أرويه للرجال وتروى
في حديث الرجال روضة أنس	بات يرعى بأهل نبل وسرو ^(٢)
ومن شعره في ارتفاع السفلى:	
لا يغرنكم علوه لثيم	فعلوه لا يستحق سقال
فارتفاع الغريق فيه فضوح	وارتفاع المصلوب فيه نكال

(١) في الأصل « العراء ». (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما تعدت فيه طورك عندي فبحر منه ما بين طير
 وحدثني ابراهيم عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو عامر الشاعر
 قال كتبت العنايف الى مالك بن طوف يستزيده ويستبدله ويدعوه
 الى صلة الرحم والقراءة بينه وبينه وكان ما كتبت ان قرأتك من
 قرب منك خيرة وان ابراهيم من عم نفعه وان عسر نكس
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك امدام بالمنفعة
 عليك وان اهدام الى مودتك من اهدى اليك ولذا اقول
 ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القراءة لا تقرب قاطعا واذا المودة اقرب الانساب
قال ابو هلال رحمه الله

هذا اخر ما رايت في هذه الخات وبالله التوفيق
 والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته .
قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبديع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواديها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهمل رخو ولا متجمد فج ، وهذا نوع من النكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الخافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وصيه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السنين على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علما .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطانته فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقى ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فند عند
 خاطرك حُداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أبقيتُ بعمى قوافي تُعجبُ الممثلينا
 لذبات المقاطم محكات لو أن الشعرَ يلبسُ لارتدينا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُحمانَ الثناء المنخلا
 تخالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 ألدَّ من السلوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأثقلَ قيمةً وأقصرَ في سمع الجليس وأطولاً
 ويُزهي به قومٌ ولم يدحوا بها إذا مثل الراوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مديراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كافي شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعى لم تزل مثل النظام^(١) إذا أصاب فريدا
 هي جوهر^٢ نثر^٣ فان ألغته بالشعر صار قلائداً وعُقودا
 في كل معترك وكل مقامة يأخذن منها ذمّةً وعهودا
 فإذا القصائد لم تكن خفراءها لم ترض منها مشهداً مشهودا
 من أجل ذلك كانت العرب الألى يدعون ذلك^(٢) سُودَداً محدودا
 ونند عندهم الملا الأعلى التي جعلت لها مُرَرُ القريض^(٣) قيودا
 قال وبقى الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء .
 وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص^(٤) ، وكانت بعثته
 ليقبّس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فمثر فتبدد الجرف فقال
 تعست العجلة فقالت فيه :

بعثتك قابساً فلبثت حولا متى يأتي غياثك من تغيث
 وقال الشاعر : مارأينا لغراب^(٥) مثلاً إذ بعثناه لحمل المشاة^(٦)
 غير فند أرسبـلوه قابساً فتوى حولا وسب العجلة
 فتعثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
 السرعة فقليل أسرع من حداجة^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شميل^(٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
 المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
 بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إنسم رجل . (٦) المشاة كساء تجمع فيه
 المقدحة بالآلاتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
 (٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
 والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعة من
 البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا الكشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال لا ولكنك كشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عَوَز » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عَوَز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا نحن قال ويحك أتلهجنني قلت إنما نحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسدوت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتي أضاعوا ليوم كريهة وسداد تغر
قال قبح الله من لا أدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قالت العرب
قلت حمزة بن ببيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) الكشف : رثاء الهیئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام المخزومي أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم إلى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ و « ببيض » بكسر الباء الموحدة وسكوني

وتقول لي

يقولون لي والميئون هازغة
أى الوجوه انتجعت قلت لها
متى يقل صاحب سراقه
قد كنت أسلمت فيك مقبلا

فقال أحسن ما شاء ، أنشدني أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدني
حيث يقول :

إني وإن كان ابن عمي واغراً
وممّده بصرى وإن كان امراً
وأكون والى سره فأصونه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه^(١)
وإذا دعا باسمي لتركب مركبا
وإذا رأيت له رداءً ناضراً
لمزاحم من خلفه وورائه
مستزحزحاً فى أرضه وسماؤه
حتى يحين على وقت أدائه
قُرنت صبيحتنا الى جربائه
صعباً قعدت له على سيسائه^(٢)
لم يلفنى متمنياً لردائه

فقال أحسن ما شاء ، أنشدني أقنع بيت للعرب قلت الراعى^(٣) حيث يقول :
أطلب ما يطلب الكريم من الرزق لنفسي فأجمل الطلب
وأحلب الذرة الصفاء ولا
إني رأيت الفتى الكريم إذا
والنذل لا يطلب العلاء ولا
مثل الحمار الموقع السولا
ولم أجد غرة الخلائق الا الدين لما اعتبرت والحسبا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافي بالوفيات
والتاج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الابل . (٢) السيساء
بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركة ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
(٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعى النيرى ، من معاصري جرير والفرزدق .

قَبْدِ رُزْقِ الْخَافِقِ الْمَقِيمِ وَمَا شَدَّ بَعِيثِ رَحَلًا وَلَا قَبَا
وَيُحْرَمُ الرُّزْقُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالسَّرْحِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَبِرًا
فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، مَا مَالِكَ يَا نَضْر ؟ قُلْتَ أَرِيضُ لِي بِمَرُوءَاتِهَا وَأَتَمَدُّهَا قَالَ
أَلَا ^(١) نَفِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَالًا ؟ قُلْتَ إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرْطَاسَ وَكَتَبَ
وَلَا أَدْرِي مَا كَتَبَ ، قَالَ كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتَرَبَّ ؟ قُلْتَ أَتَرَبُّهُ ،
قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتَ مَتَرَبُّ ، قَالَ فَمِنْ الطِّينِ ؟ قُلْتَ طِنُهُ ، قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتَ مَطِينٌ ،
قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ أَتَرَبُّهُ وَطِنُهُ ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا الْعِشَاءَ ثُمَّ قَالَ
لِخَادِمِهِ تَبْلُغْ مَعِيَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ . فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ يَا نَضْرُ إِنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ لَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَمَا كَانَ السَّبَبَ فَأَخْبَرْتَهُ وَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ
لَحَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتَ كَلَّا أَمَّا الْحَنُّ هَشِيمٌ وَكَانَ لِحَانَةً فَتَبِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَفْظُهُ
وَقَدْ تَبِعَ الْعُقَهَاءَ ، فَأَمَرَ لِيَ الْفَضْلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَخَذْتُ ثَمَانِينَ أَلْفًا بِحَرْفِ اسْتِفَادَةٍ مِنِّي .
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَخْبَرَنَا الصُّوْلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ
فَأَمَرْتُ أَنْ يُسْأَلَ أَبُو عَجْلَمٍ عَنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ فَسُئِلَ بَعْدَ أَنْ أَحْضَرَ فَقَالَ أَحْسَنُهُ
قَوْلُ حَكِيمٍ وَهُوَ شَاعِرُ عَصْرِهِ النَّمِرُ بْنُ تَوَلَبِ الْعُكْلِيِّ ^(٢) :

وَفِتْيَةٌ كَالسِّيُوفِ أَحْصَرَهُمْ لَا أَحْصَرَ فِيهِمْ . وَلَا بَخْلٌ
بَيْضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِّهِ وَبَلُّوا ^(٣)
لَا يَتَأَرَّوْنَ ^(٤) فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُنَادٌ أَنْ انْزِلُوا نَزَلُوا
لَا يَمْتَرِي شَرِبْنَا اللَّجَاءَ وَقَدْ تَوَهَّبَ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحُلَلُ

فَاسْتَحْسَنَ الْوَائِقُ الْأُيَاتِ وَوَهَبَ ^(٥) أَبَا عَجْلَمٍ .

(١) فِي نَسْخَةٍ « أَفَلَا » . (٢) مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ كَبِيرًا ،
وَكَانَ وَجِيهًا جَوَادًا . (٣) الْوَبْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . (٤) تَأَرَّى بِالْمَكَانِ : اخْتَبَسَ .
(٥) فِي نَسْخَةٍ « وَوَصَلَ » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقتة اليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة اليه هذه الحاجة فوقعت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام اليه حتى تهذب وتشقف وتشذب وتدان انت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيما إذا كان الغرض الذي
ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه
ويدونه أورياسة أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواقي المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسُوهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقسام فاعلم لها صعداء مطلقها طويل
وقيل : ان السيادة والرياسة والعلى أعباؤهن كما علمت فقال
وقيل : وإن جسيمات الأمور منوطة بمستودعات في بطون الأساود
وقلت : * إن الأمور مريحها في التعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَتَى دَرَكُ الْعُلَا إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَعَّبِ

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
بعيد على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا اني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوي ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعف
الصحف غير مقنع يشقى الراغب ويكفى الطالب فجمعتها هنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب .. (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجري معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ، وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج لا يتعداه والاقتصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهناني والمديح والافتخار .
الباب الثاني : في الخصال .

الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب وما يجري مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجري مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجري مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجري مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة سائر الحيوانات .

الباب الحادي عشر : في ذكر الشباب والمشيب والعلل والموت والمرأى والتعازي والزهد .

الباب الثاني عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خَلقه وخُلِقَ وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حينَ تَخْبُرُ أمرَه معايبٌ حتى البدر أكلَفُ أسفَعُ
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قاله العرب قول النابغة الذبياني ^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكٍ دونها يتدبذب ^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شيب بزوجته ، ثم عنا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتدبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملوكُ^(١) كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملوك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأً لى جانب من الأرض فيه مُستَرادٌ ومَذْهَبٌ
مُلُوكٌ^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحَكَّم في أموالهم وأقرب
لِحَكْمك في قوم أراك اصطفيتهم^(٣) فلم ترهم في شُكر ذلك أذنبوا
يقول لا تلمني على شكري وقد أحسنوا إلي إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلي قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أني
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُسْتَبْقٍ أَخاً لَاتِلُهُ على شَعَثِ أَى الرجالِ المهذب
فإن أكُ مظلوماً فعبد ظلمته وإن يك ذا عُتْبِي فمثلك يعتب
يقول مثلك بعفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفصل ذلك ولك
العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم ترَ أن الله أعطاك سُورة ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب
بأنك شمسٌ والملوك كواكب إذا طَلَعَت لم يَبْدُ منهم كوكب
يقول ما صلحت لى أنت فاني لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة

المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذي في

ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم » .

الشمس لم يحتج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن يثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عَصْبَةً وَهُوَ حَاتِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملك كواكب
وقالت صفيه الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكٍ رَيْبُ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجَبِمْ لَيْلٍ يَنْفُخُنَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ يَدَيْنَا الْقَمَرُ
ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَانَ بَنِي نَهْشَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّتْ مِنْ يَدَيْنِهَا الْبَدْرُ
وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكُوكَبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضَى الْكُوكَبُ
ومثل قول النابغة . * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع (١) :
لَا تَعْذِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يَتَزَحَّضُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكِئٍ مِنَ الْأَجْلَالِ
وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمَتَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قنبر بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فأنت كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فتسا لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نبطويه يذكر عن الفراء . قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مفاتيح اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوالزوائد الحطيم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا ^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلدته فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطابقه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عذرك وأصنع لقدرك هناك ثم أمر نفلح عليه خلع الرضا وكُنَّ حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملوك والشعر تقبله الأئمة عند السكر فان يبلغ لي فلق المجد عن غررموا هبه فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ماتني عنايتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) : الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحرار عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر الكلبي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا ان زياداً يقول ان قدرك فوق النعام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا ان زياداً يقول ان من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه وقد المستعين ، وناحيته من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكرآ يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكرآ - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فماذا لك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأني الأمور ^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ثم قال واللات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى فائش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمهلاً وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لا أنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فانتصب بين يدي النعمان وحياء بتحية الملك ثم قال أيقا خرك - أبيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات لا مسك أبهى من يومه ولقذالك .

(١) في نسخة « يتأني للأمر » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمين

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوفائش . أحد أذواء اليمين ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشي ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أجمع من يمينه ولعمرك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من وفده ولهزلك أصوب من
جده ولفترتك أبسط من شبره ولأملك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أَخْلَقُ بِحَمْدِكَ جَلَّتْ مَالَهَا حَصْرُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
مُتَوَجِّعٌ بِالْمَعَالِ فَوْقَ مَفْرَقِهِ وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
قَالَ فَتَهَلَّلْ وَجْهَ النِّعَمَانِ بِالسُّرُورِ وَأَمْرٍ فَخِشِي فِيهِ دُرّاً ، وَقَالَ لِمِثْلِ هَذَا تَرْتَاحُ الْقُلُوبُ
وَبِمِثْلِهِ تَمْدَحُ الْمُلُوكَ ، ثُمَّ قَالَ الْخَلِيلُ أَفِيحَسَنَ زَهْرٍ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ يُونُسُ
لِلْعَبَّاسِ إِنِّي لَا تُعْجِبُ مِمَّا حَدَّثَ عَنْ قِصَّةِ النَّابِغَةِ وَشَعْرِهِ قَوْلُهُ :

* وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ *

أَجُودُ شَيْءٌ قِيلَ فِي الْحَسَنِ مَعَ الشَّجَاعَةِ مِنْ شَعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَمِنْ شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ
قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ^(١) يَمْدَحُ الرَّشِيدَ وَوَلَدَهُ :

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ بَيْنَ سَرِيرِهِ فَخِيرٌ قِيَامَ حَوْلِهِ وَقُمُودُ
يُقَلِّبُ الْحَاضِرَ الْمَهَابَةَ يَدْنُهُمْ عُيُونُ ظُبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُودِ
وَأَخَذَهُ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ * كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا *
وَقُلْتُ : فَتَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ رَصْدٌ يَصْدَهُ أَنْ نَطَقَ الشَّيْنُ وَالذَّامَا ^(٢)
مَازَالَ يَغْنَمُ مَالًا ثُمَّ يَغْرُمُهُ مَازَالَ لِلْمَالِ غَنَامًا وَغَرَّامَا
أَغْرَ أَرْبَعٍ يَحْكِي الْغَيْثَ مَكْرُمَةً وَالنَّجْمَ مَنْزِلَةً وَالطُّودَ أَحْلَامَا
تَجَلَّه ^(٣) حِينَ يَبْدُو أَنْ يَقُولَ لَهُ كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامَا
وَقَدْ تَدَاوَلَ النَّاسُ مَعْنَى قَوْلِهِ * كَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمي المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الزام : العيب . (٣) في الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لـكـنت كشيء أدركته مفادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يتمتع منه
بأشياء ، والليل لا يتمتع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مبتوتا حباثله والدهر لاملجأ منه ولا هرب
ولو ملكك عنان الريح أصرقه في كل ناحية ما فاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإن أمير المؤمنين وفعله كالدهر لاغاد بما فعل الدهر
وهو أيضا مأخوذ من قول النابغة : وأخذ أبو تمام فقال :
خشعوا لصوتك التي هي عندهم كلموت يأتي ليس فيه عاد
فالقول همس والنداء إشارة خوف اتقاكم والحديث سراد
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :
ومالامرى حاولته منك مهرب ولو رفعت في السماء المطالم
يلي هارب لا يهتدى لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح لأمع
وقال البحتري ^(٤) :

- (١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملك الأمويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير : مات سنة ٩٠ .
- (٢) يقول ابن خلسكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .
- (٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة إلى جد اسمه بحتري - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن
ولجدم من خوف بأسك مهرب
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطمجان ^(١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتابه

ومثله قول الخطيئة ^(٢) ما غوت
نمشى على قول أحساب أضاءت لنا كما أضاءت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدلجين أعتشوا ^(٣) بها صد عن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال بعض الأعراب في رجل : مادفعته في سواد إلا بحاء ولا قابلت به مدأ

إلا كفاء . ومثل قوله * صد عن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس لجين يشق الدجى
وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجائن

أنت أشعر من أنشدنى وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسى فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى
القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو
حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً فى رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى
(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاؤا .

كأنما النجم حين قابله . قبيعة ^(١) في نصاب مرآة
وقلت : بليل كما ترقو الغزاة أسود
كواكب زهر وصفر كأنها
وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى
ففيه ظلام بالصباح مقنع
ولكنها عن وجهه تتفرج
وفيه ظلام بالصباح متوج
وقول أبي الطمخان مولى ابن أبي السمط :

فتى لا يبالي المدجون بنوره
له حاجب عن كل أمر يشينه
إلى ما به ألا تضيء الكواكب
وليس له عن طالب العرف حاجب
وقول الآخر :

من البيض الوجوه بنى سنان
وقول الآخر :

غلام رماه الله بالحسين يافعا
كان الثريا علقبت في جبينه
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه
إذا قيلت العوراء غض كأنه
وقول الآخر ^(٢) :

إختر فناء بنى عمرو فانهم
إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا
وإن توددتهم لانوا وإن شتموا
هينون لينون أيسار ذوو يسر
من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم
أولو فضول وأقدار وأخطار
فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
كشفت أذمار سر غير أسرار
أرباب مكرمة أبناء إيسار
مثل النجوم التي يهدى بها السارى

(١) قبيعة السيف كسفيئة : ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد .

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتى .

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأنشدنا أبو أحمد لميسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن ^(١) :

إلى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسُودد تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوُلُ
مدَحَتكَ بالحق الذي أنتَ أهله ومن مدَحِ الأقوامِ حقٌّ وباطل
يميشُ النَّدى ما دمتَ حيًّا فإن تَمت فليس لحيٍّ بعد موتك طائل
وما لامرئٍ عندي مُخَيِّلَةٌ نعمة سِوَاكَ وقد جادَت عليَّ مخايل
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فَتَى لو ينادي الشمسَ أَلتِ قَنَاعَهَا أو القمرَ الساري لألقى المَقَالِدَا

وهذا وقول أبي الطمحان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ما هما عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل ^(٢) :

أنتَ ابنُ مُسلَّطِ البطاحِ ولم يضرب عليك الحنى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والـمـوج عليه كالمضرب يمتلج
لارتدَّ أوساخٌ أو لكانَ له في جانبِ الأرضِ عنك مُنمرَج
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هية ولا مخافة ، والعرب تقول أجراً من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراءة وترك الهمز من الجري ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُؤمِّنُ أبي اسحقَ طالت يدُ العلا وقامت قناةُ الدينِ واشتدَّ كاهله

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المروى الأمير ولي خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالنسبة في مدحه .

هو البحر من أي النواحي آتيته قلبته المعروف والجود ساحله
 نعود بسط الكف حتى لوانه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف يبيت الجار منك على صدى وكفك بحر لجية البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطئون المعنى ان
 أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا يجمعون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سألت الوردى عن كل مكرمة لم تلف نسبته إلا الى الهوى
 فتى جواداً أعاد النيل نائله فالتفيل يشكر منه كثرة النيل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموت يرهب أن يلقى نيتته في شدة عند لف الخيل بالخيل
 لو طارض الشمس ألقى الشمس ظلمة أو زاحم الغيم أجاها الى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجم ان نابتة نائبة وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

هلم الغيث الندى حتى إذا ما حكام عالم البأس الأسد
 فله الغيث مقر بالندى وله الليث مقر بالجنل

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه الممدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن طائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهونا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبل
والجبل أوعر ألا قلت كما قال أيمن بن خزيم في فاتك في بني هاشم :
تَهَارَكُمُ مَكَابِدَةٌ وَصُومٌ وَلَيْلِكُمْ صَلَاةٌ وَاقْتِرَاءُ
أَجْفَلِكُمْ وَأَقْوَامًا سَوَاءٌ وَيَيْنَكُمُ وَيْنُهُمُ الْهَوَاءُ
وَهُمْ أَرْضٌ لَا رَجْلَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا عَيْنَهُمْ وَأَرْؤُسُهُمْ سَمَاءُ
وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
ابن جدهان ^(٢) :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمٌّ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُفِيرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْخَلْقِ الْكَرِيمِ وَلَا الْمَسَاءُ
وَأَرْضُكَ أَرْضٌ مَكْرُمَةٌ بِنْتِهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهُمْ سَمَاءُ
ونحوه قوله :

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَأَنْتَ الرَّأْسُ يَقْدُمُ كُلُّ هَادِي
وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قَوْمٌ يَحُلُونَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ وَمِنْ غَنَاءٍ مَحَلُّ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ ^(٤)
حَلَوْا مَحَلَّهُمَا مِنْ كُلِّ جُجْمَةٍ نَفْعًا وَرَفْعًا وَإِطْلَالًا عَلَى الرَّتَبِ

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شعره » عاش
إلى أن أدرك وقعة بدر ورثى من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،
يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم المعجب ، كان شعره غير مرتب
فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان بسبب
موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فدرس
عليه ما كُلا مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثِّلُ بين الرأس والذنب
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض وأنت من فوقهم سماء
وقلت : أبشر فأنك رأس والعلاجسد والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم بك الأيام منقبة تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر بإسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يأمر المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهايت فقال الأخطل وما قالت يأمر
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كفى أمرى متناول بها المجد إلا حيث ما نلت أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولو أطلبوا إلا الذي فيك أفضل
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون

قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرف وانقطع الندى من الناس إلا في قليل مصرّد^(١)
وردت أكف السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلاف مجد
وليس بحسن عندي أن يقال للمدح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن جرير :
إذا مت لم توصل بعرف قرابة ولم يبق في الدنيا رجاء لنا ئل
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به المدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة ^(١) :

لَوْلَا أَبُو دُلْفٍ لَمْ تَحْيِ عَارِفَةٌ
يا ابن الأكارم من عدنان قد علموا
وَلَمْ يَتَوَثَّرْ مَأْمُولٌ بِأَمَالٍ
وناقِلُ النَّاسِ مِنْ عُدْمٍ إِلَى جِدَّةٍ
وَتَابَلَدُ الْمَجْدِ بَيْنَ الْعَمِّ وَالْخَالِ
أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَنْزِلَهَا
وَصَارَفُ الدَّهْرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أَحَدٍ
وَتُمْسِكُ الْأَرْضَ عَنْ خَسْفٍ وَزِلْزَالٍ
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أَحَدٍ
إِلَّا قَضَيْتَ بِآجَالٍ وَأَمَالٍ ^(٢)
تَزُورُ سَخَطًا فَتَمْسِي الْبَيْضَ رَاضِيَةً
وَتَسْتَهْلُ فَتَبْكِي أَوْجُهُ الْمَالِ

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفة الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أَحَلَّكَ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ ^(٣)
إِنْ أَخْلَفَ الْقَطْرُ لَمْ يُخْلَفْ مَخَالِيهِ أَوْ ضَاقَ أَمْرُهُ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَّسِعُ
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللِّيثُ وَالصَّمَامَةُ الذِّكْرُ

قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :
أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيًّا لَا أُنَيْسَ لَهُ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطَرُ

-
- (١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف
البجلي ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .
(٢) في شذرات الذهب « إلاقضيت بأرزاق وآجال » .
(٣) سياقي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجود ويحمي عن ذمارهم وذا تعيش به الأنعام والشجر
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزل للورى ثلاث شمس وجهك المستضى والقمران
وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول زهير ^(١) :

تراه إذا ماجئته منهلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جمل المملوح فرحا بعرض يناله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولئن فرحت بما ينيلك إنه لما ينيلك من نداء أفرح
ما زال يعطيني ناطقاً أوسا كنت حتى ظننت أبا عقيل يمزح
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائل نصر لا تسله فانه أحن إلى الأرفاد منك إلى الرشد
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لأياس بن معاوية أى الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائي في خلاف ما قال زهير :
فتى لا يرى سوق المهور غرابة ولا غاليات المال حلياً على نحر
فتى كان مكراماً لنفس كريمة مهيناً لدنيا غير مأمونة الغدر
وعندى أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ونعم أبدع في ذلك
البحترى في قوله :

سلام وإن كان السلام تحية فوجهك دون الرد يكنى المسلما
ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سلمى المضرى ، قال ابن
الأعرابي : كان زهير في الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخيه الخنساء شاعرة .

كَأَنَّمَا الْقَطَرُ مِنْ نَدَى يَدِهِ وَالْبَرْقُ مِنْ بَشْرِهِ وَمِنْ ضَحْكِهِ
وَقَوْلُ أَبِي الْأَسَدِ :

وَلَا تُحْمَلُ لَا مَتَكَ يَا فَيْسُ فِي النَّدَى قُلْتُ لَهَانُ يَقْدَحُ اللُّومُ فِي الْبَحْرِ
أَرَادَتْ لَتْنِي الْقَبْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتْنِي السَّحَابَ عَنْ الْقَطَرِ
إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّعَتْ عَلَيْهِ مَصَايِحُ الطَّلَاقَةِ وَالْبَشْرِ
لَهُ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

بِعَمْدِي بِهِمْ تَسْتَنْبِزُ الْأَرْضُ إِنْ تَزَلُّوا فِيهَا وَتَجْتَمِعُ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعُوا
وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِقَةٍ كَانَ أَيَّامُهُمْ مِنْ أَنْسَاهَا جُمُعُ
وَقُلْتُ : إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ فِدْلًا إِلَيْهِ تَجِدُهُ الْبَشَرُ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ
وَقُلْتُ : كَأَنَّكَ فِي خَدِّ الزَّمَانِ تَوْرِدُ وَفِي فَمِهِ ضَحْكُ وَفِي وَجْهِهِ بَشَرُ
فَمِنْ يَكُ مَمْدُوحًا يَنْظُمُ يَصُوغُهُ فَانْكَ مَمْدُوحٌ بِكَ النِّظْمُ وَالنَّثَرُ
وَقَالَ الْبَحْرِيُّ :

وَتَوَاضَعُ لَوْلَا التَّكْرُمُ حَاقَةٌ عَنْهُ عُلُوٌّ لَمْ يَنْسَلُهُ الْفَرْقَدُ
وَقُتُوَّةٌ جَمْعُ التَّقَى أَطْرَافُهَا وَنَدَى أَحَاطَ بِجَانِبَيْهِ السَّوْدَدُ^(١)
وَشَبِيهَةٌ فِيهَا الْنَهْيُ فَإِذَا بَدَتْ لَذَوِي التَّوَسُّمِ فَهِيَ^(٢) شَيْبٌ أَسْوَدُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ مَالُهُ^(٣) جَمْعُ الْعِصَلِ فَيَا يَفِيدُ وَيَنْفَدُ
جَذْلَانُ^(٤) يَطْرَبُ لِلسَّوَالِ كَأَنَّمَا غَنَاءُ مَالِكٍ طَى أَوْ مَعْبَسُ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ويدي أحاطهما بماء السَّوْدَدِ » .
وهو تحريف (٢) في الأصل « التَّيْسَمُ فَهُوَ » . (٣) كَذَا فِي النِّسْخِ ، وَالَّذِي فِي
الديوان المطبوع « خَضَلُ الْيَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ فِي النَّدَى » . (٤) فِي الدِّيَوَانِ
المطبوع « نَشْوَانٌ » مَكَانَ « جَذْلَانِ » .

أغرَّ أبلج يكسو نفسه حُللاً من المحامد لا تبلى على الحقب
 تلقاه من نهضة للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صبيب
 كأنه وهو مستولٌ وممدَحٌ غناه إسحق والأوتار في صخب
 يهتز عطفاه عند الحمد يسمعه من هزة المجد لا من هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) ييفاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطوب
 وقلت: وقد يؤنس الزوار منك إذا التقوا سخاء عليه للطلاقة شاهد
 وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجئته متعباً كأنك بالمشقاش تنف شارب

وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنى حاولت تنف الشعر من أنا فيهم
 قم فاسقنيها بالكبر وغننى ذهب الدين يعاش في أكنافهم
 وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول جرير^(٢) :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليس الله بعزيز ذي انتقام) (أليس الله بأحكم الحاكمين) (أليس الله بكاف عبده) وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن يموت الشعر أربعة المديح والمهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(١) في الديوان المطبوع « موكلاً » : (٢) هو جرير بن عطية الخطمي ، قال

ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الا سلام مثله ومثل الفرزدق والأخطان ، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال : لا أعلم أني قتل اليقاع بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء:

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كِبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ غَضَابًا

وقال في الغزل :

إِنَّ الْغَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا شَمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
يَصْرُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَوْفَى خَلَقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى :

فَكَلَّمَا أَزْدَادَتِ قَوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَقَدْ غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ يَغْضُتْهَا ذُبَابًا

وقالوا امدح بيت قالته العرب قول حسان^(٢) :

يَغْشُونَ حَتَّى مَانِهِمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبِلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصورة طارض بها الدريدية ، كما حكاه ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحارث :

اتَّهَجَوْهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفَاءٍ فَشَرَكَا لِحَيْرِكَا الْفِدَاءِ

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة اكرائهم بهم ولثقتهم بيسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم^١ لآية حربٍ أولائي مكان
وقال ابن هرمة^(١) في أثر الكلب بالضيف :

ومستببح تستكشط^٢ الريح^٣ قوبه ليسقط عنهم وهو بالشوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أوليفزع^٤ نوم^٥
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له عند أقيان المهبين مطهم^٦
يكاد إذا ما أبصر الضيف^٧ مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم^٨

وقال عمران بن عصام ، ويروي لنصيب :

لعبد العزيز على قوميه وغيرهم من غامره
فبابك ألين^١ أبوايهم ودارك مأهولة^٢ عامره
وكلبك آنس^٣ بالمعتفين من الأم^٤ بابتسها الزاثره
وكفك^٥ حين ترى السائلين أندى من الليلة المسطره
فمنك العطاء ومنك البناء لكل^٦ مخبرة^٧ ساره

وقال الخطيئة في خلاف ذلك :

ملوا قراه وهرته^١ كلابهم^٢ وضرّسوه^٣ بأنياب وأضراس

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سقى الله^١ القباب وتل عيدي وبالشرفين أيام^٢ القباب
وأيام لنا قصرت^٣ وطالت على فرعان^٤ نائمة الكلاب
وقال آخر : ومايك^٥ في من عيب فاني جبان^٦ الكلب مهزول^٧ الفصيل

معناه أن الكلب يضرب إذا نبج الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو ابراهيم بن علي السكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تمّ فيه مايسرُّ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاحاديا
 وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كمل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضرّةٌ ومنافع وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءهم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضرروا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضرّ فأما يُراد الفتى كما يضرُّ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوسٌ في مجالسهم رزان وإن ضيف ألمّ فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا فأنهم حتوف
 وقال آخر : فذلّ أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل

وقال محمد بن بشر الأزدي :
 فتى وقف الأيام بالعتب والرضا على بذل مال أو على حدٍّ منصل
 وما إن له من نظرة ليس تحتها غمامةٌ غيث أو ضبابةٌ قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه فنى بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
 فلا من بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الشجاعُ أخضل جوده وطارت حواشي برقه فقلها
 إذا ماتلطي في وغي أضعق المدى وإن فاض في أكرومة^(١) غمر الربا
 رزينٌ إذا ما القوم خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرومة »

حياتك أن يلقاك بالجود راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مضيا
 حرون إذا طارزته في مله فان جئته من جانب الذل أصحبا
 إذا هم لم يقعد به المعجز مقعدا وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في نفي الخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلهم الحسوار فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بني الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة فظننته شيخا يضر وينفع
 فاذا زياد في الديار كأنه مشط يقلبه خصي أصلع

وقد أحسن البحري في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للبأس والتقى^(٢) فله تقواه والمجد سائره
 له البأس يخشى والسماحة ترجى فلا الغيث ثانيه ولا الليث طائره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصولته لا يستطاع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صغارها
 وكان ترى في البرمكيين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به المعجز مقعدا وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلا » .

طبيب^ه بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناق^ه فأنت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :
فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد^ه فما يبقى من المال باقيا
أشم طوال الساعدين شمر دل^(٢) إذا لم يروح للمجد أصبح غاديا
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :
أشم طوال الساعدين شمر دل إذا لم يروح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح للمعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب
اللفظة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :
فان يك باقي أفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف^ه خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعون فيكم فباقي عصا موسى بكف^ه خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعرني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العمانى الراجز في
صفة الفرس :

كان^ه أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلماً محرفاً
فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان
ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الإسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمر دل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفتن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتعجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قالت له العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوفِ من الطراز الأولِ
يغشونَ حتى ماهرٌ كلابهم لا يسألون عن السوادِ المقبلِ
وقبله : لله در عصابة نادمهم يوماً بخلق في الزمانِ الأولِ
أولاد جفنة حول قبرايبهم قبر ابن مارية الكريم المفضلِ
ثم قال : فلبثتُ أزماناً طويلاً فيهم ثم ادكرتُ كأنني لم أفعلِ
وفتي يحب المجدَ يجمُلُ ماله من دون والده وإن لم يسألِ

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون بيهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجد وغيرهما من خلال الخير لأن الإنسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغرو واضح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فهن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل^(١)
وقال السموءل : وأيامنا مشهورة في عدونا لها غررٌ معروفةٌ وحجولٌ
أراد بالغرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم * فقال :
سودُ الوجوه لثيمةٌ أحسابهم فطسُ الأنوفِ من الطراز الآخرِ
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

يا قمرأ أبصرت في مآثم يندب شجواً بين أترابِ
يبكي فيندري الدر من نرجس ويلطم الوجه^(٢) بعنابِ
فقال : وأعور أبصرت في مآثم يندبُ شجواً بتخاليطِ

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يبسكى فينرى البعر من كوة . ويلطم الشوك يملوط
 وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأننى لم أفعل * من قول أبى كبير :
 فأذن . وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شئ^ه كأن لم يفعل
 وقال ابن شبرمة أمدح مناقبت العرب قول الخطيئة :

أولئك قوم^ه ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
 وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
 أقولوا عليهم لا أبأ لا أيكم من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
 ويمدلتى أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد
 يسوسون أختلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد
 ولعمري ان معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلاً وكل من تناو لها فأنما
 استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال اللدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
 - وروى الجند - وللدح من قولك حد السيف وحد السنان ، والجند خلاف
 الهزل والختار الحد بالحاء . يقول الخطيئة في بنى لآي بن شماس من قريع ، وكان
 الزبرقان بن بدر لقي الخطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
 فقال له الزبرقان أنى أريد وجهاً فصر الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
 الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمته فحسده بنو عمه وهم بنو لآي فهدسوا الى الخطيئة
 وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة غاقة ونشد^ه الى كل طنب من أطناب بيتك
 حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
 فقدح ذلك في نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
 عنه فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا فأخذ في مدحهم وهجوا الزبرقان فقال :

أزمت^ه يأساً مبيناً من نوالكم ولا ترى طارداً لأحر^ه كالياس
 دح المكارم لا ترحل^ه لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب^ه العرف بين الله والناس

فاستعدي الزبرقان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجاء ولكن سلج
عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولاشجر
ألقيت كاسبهم في قصر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسي وأخذ شفرة وأوممه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال اني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أُمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأُمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤيتني وأبا بنيك فساءني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى نيم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأُمي خاصة :

تنمحي فاجاسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
وقلت لامرأتى خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع
وقلت لنفسى :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلاماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لي وجهاً قبح^(٢) الله خلقه قبح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تمط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى سبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل » . (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتاً يضر ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرض البخل فلم يخف شتعى وأصبح آمناً لا يجزع
وكان الخطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أبخل الناس اعترضه رجل وهو
يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
وقالوا أبخل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
وقال لعل ان حملت عليه لأموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
لكل جديد لذة غير أنتى رأيتُ جديد الموت غير لذيذ
وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
ولا تَمسكُ بالعهد الذى عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايلُ
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الخطيئة عمر :

مهاريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الحضرات
عظام مقيل الهام غلب رقابها تباكر ورد الماء فى السبرات
يزيل القتاد جذبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
وكان هجاقومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
لكم دقرٌ مثل التيوس ونسوة ^(٣) مماجين مثل الآتن التعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيت ابن خطاب تجهل بعدما رأيت له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قبيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهمل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بني عمرو فانهم أولو فضول وأقدار وأخطار
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهلوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أسرار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قبيلت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء فى أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الأنبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطامة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت الفضل الضبي يقول أنا فى رسول المهدي
 فقال أجب فها أنا ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده على بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرنى بأمدح بيت
 قالته العرب فتحيرت ثم جرى على لسانى قول الخنساء :

وإن صخرأ لمولانا وسيدنا وإن صخرأ اذا يشو لنحار
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا على قلت يأمر المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتنى أبيات ابن مطير الاسدي :

وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) فى النسخ «فناء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود

هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تسكدر عيشه^١ وأخرى صفا بعد اكدرار غدیرها^٢
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تقى ويبقى سریرها^٣
 ثم قال حدثني يا مفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 ما رضيت ان جعلت أخاها جبلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الوري خيار الناس كلهم وشرهم لشرار الناس سوار^٤
 منبه الذکر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدته كالشمس لا تخفى بكل مكان
 وقال بشار : أنا المرعث لأخفى على أحد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني
 وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم نداه أول والغيث ثانی
 ويجري والمجرة في عناب فلا يخفى على ناء ودان
 تصور في القلوب فليس ينأى على نأى المحلة والمكان
 إذا عبس الزمان فل اليه تجده البشر في وجه الزمان
 وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للأذى وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع
 فتى بأسه كالدهر مأمین ملجأ ولا فيه إقصاء ولا عنه مرجع
 أغر شهر في البلاد كأنما به البدر يعلو أو سني الصبح يسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنان
لهم شمس النهار إذا استقلت
لو أنك تستضيء بهم أضوا
ونور لا يفتيه العماء
هم حلوا من الشرف المعلي
ومن حسب العشرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد
ومكرمة دنت لهم السماء
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول الخطيئة :

متى تأتاه تمشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد
وقالوا أمدح المدح ما يكون بالفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان
أكرم من فلان ، ومن أجود ماجاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى
أحسنما صفدى ولكن كنت لي
لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
مثل الريح حيا وكان خريفا
وكلاهما اقتعد الملا فركبتها
وقال : كواكب مجدي يعلم المجد أنها
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم
وقلت: نصرت على الأعداء فليهنك النصر
كأنها ميلة الاسلام في الملل
ودانت لك الدنيا وذل لك الدهر
فأنت كاقبال الشبية والصبا
وليس كرام الناس إلا كواكبا
وفي الناس أجواد كثير وإنما
فان أظلم الأحداث واسود ليها
تطيب بك الدنيا وينعمر العمر
على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
أولئك أئساد وأنت لهم بحر
فهم شفق فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى
لما جرى وجريت كان قطوفا
(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخرًا على المجد والعلا . فان العلا روض^ه وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماء مظلة^ه لها أنجم^ه من زهر أخلاقكم زهر^ه
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤ^ه من تعطه اليوم نائلًا . بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
تري الجود لا يدني من المرء خفة . كما البخل للإنسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلي الاخيلية في توبة^(١) :

فلا يبعدنك الله^ه ياتوب إنها لقاء المنايا دارعًا مثل حاسر
فنعمة فتى الدنيا وان كان فاجرًا وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى كان أحيًا من فتاة خريذة وأشجع من ليث بخفاق خاذز
فتى ينهل الحاجات ثم يعلمها فيطلعها عنه ثنايا المصادر
يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع^ه حاجة بلبان أخرى كذاك الحاج^ه ترضع^ه باللبان
يقول فبرفمها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجم :

فأقسم أبكى بعد توبة هالكًا وأفعل من نالت صروف^ه المقادر
وكان بيت الأعشى :

تشب^ه لمقرورين يصطليانها . وبات على النار الندى والمخلق^ه
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تاته تشو إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلت له أقبل فانك راشد^ه وإن^ه على النار الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلي الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعدا للنساء .
وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :
 - أمر مالك قاصر^ه فقره على نفسه ومشيع^ه غناه^ه
 - فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم معاً سادتها عدوه بالخنصر
 ألبسه الله ثياب العلاء فلم تطل عنه ولم تقصر
 فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :
 أعدد ثلاث^ه خلال قد عرفن له هل سب من أحد أو سب^ه أوبخلا
 فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاضني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
 الذي لم يؤت مثله :

لله در^ه أبي المغيث فانه حسن^ه الفعال ضعيف^ه خبط^ه الدرهم
 وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
 * فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحت سليمان المقلب مدحة . تجاوز حد الحسن لو كان يشكر^ه
 فعمى عنها ناظراه^ه كأنما بعوراء عيني جده كان ينظر
 سبغت عليه حلية ليس عيبها سوى أنها ظلت تطول وتقصر
 بهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :
 قوم سنان أبوهم^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
 لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم^ه بعزهم أوجدهم قصدوا
 محسدون على ما كان من نعم لا ينزع^ه الله عنهم ماله^ه حسدوا
 فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .
 ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل للحاسدِ النعمى على المحسود
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ ما كان يُعرفُ طيبُ عرف العود
وقال البحتري :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة إذا أنت لم تدل عليها بحاسد
وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبت أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً من عاشَ في الناسِ يوماً غير محسود
وسمعه يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت في
عبد الله بن جدهان ^(١) :

عطاؤك زينٌ لا مريءٍ إن حبوته يندل ^(٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
وليس بشينٍ لا مريءٍ بذلٌ وجهه اليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عِلاتِه هَرِمًا يلقَ السباحةَ منه والندى خلقا
لو نال حَيٍّ من الدنيا بمكرمة ^(٣) أفقَ السماءِ لنالت كفه الألقا
قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طرقا
وروى بعض الرواة للنابغة وروى لسعيد :

واللهِ واللهِ لنعمَ الفتى إلا عرجٌ لا النكس ^(٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر الممحروب والمرجل والجمال ^(٥)
والطاعنُ الطعنة يومَ الوغى ينهل منها الأسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرحل والحامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله يمرع^(١) منه البلد الماحل
والغافر الذنب لأهل الحجا والقاطع الأقران والواصل
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :
خُلقت أنا ملة لقائم مرهف
يلقى الرماح بوجهه ويصلده
ويقول للطرف اضطرب لشبا القنا
واذا تأمل شخص ضيف مقبل
أوما إلى الكرماء هذا طارق
وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي
حفصة^(٢) في معن بن زائدة الشيباني^(٣) :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل
هم المانعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السما كين منزل
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن كأوهم في الجاهلية أول
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ثلاث^٣ بأمثال الجبال حياهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل
ولا يستطيع الفاعلون فعالمهم وإن أحسنوا في النائبات وأجلوا
ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثله الزاء مراعاة : أكلاء، والمرع : الخصيب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لأمده بقصيدته

السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعم المناخُ لراغبٍ أوراها ^١ ممن تصيبُ جوائحُ الأزمانِ
معن بن زائدة الذي زيدت به ^٢ شرقاً إلى شرف بنو شيبانِ
مطر أبوك أبو الالهة والذي بالسيف حاز هجائن النعمانِ
نفسى فداءً أبي الوليد إذا علا ^٣ رهج السنايك والرماح دوانى
فقال يحى أنت لا تعلم ما قيل في أميك أين أنت عن قوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خفان اشبلُ
وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابه يوماء علينا فأشكلا فما نحن ندرى أى يوميه أفضلُ
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن علي عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا
أبو يوسف القاضي - وكان عدل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد
أبيات ^١ فزبره (١) وقال ألم أنهم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحوني
بمثل قول القائل * بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
يوسف فقلت له فيمن قلت ؟ قال في أب هذا الشاب الذي يسير في ظل القبة
فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت
شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندي من الدنيا بهذا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر (٢) وقال لو استعمل الانصاف
لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يحمداً الجودان البحر والمطرُ
وإن أضاعت لنا أنوار غرته تضاءل النيران الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حده عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر

(١) الزبر : الانتهاز والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبي طاهر ، قال هذا
الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافي جني الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

من لم يكن حذراً من حدّ صوته لم يدر ما المزيجان الخوف والحذر
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته فان أمرٌ فخلوٌ عنده الصبر
 سهل الخلائق إلا أنه خشنٌ كَينُ المهزة إلا أنه حجر
 لاحيةٌ ذكرٌ في مثلِ صوته ان صال يوماً ولا الصمصامةُ الذِكرُ
 إذا الرجالُ طغت أراؤهم وعموا بالأمرِ ردٌّ إليه الرأى والنظر
 الجودُ منه عيانٌ لا ارتيابَ به إذ جودٌ كلُّ جوادٍ عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأفوه :

أوفوا من المجدِ والعليا في قُلُوبِ تُشيمُ قواعدهنَّ البأس والجودُ
 سببط اللقاء إذا شمت مخائلهم بُسلُ اللقاء إذا صيد الصناديدُ
 مُحسدون ومن يعلق بحبلهم من البرية يُصبح وهو محسود

وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحةٌ بيضاءٌ بندي بنانها قليل إذا اعتل البخیل اعتلاها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه وُعِدْتَ غداً عادت عليك شمالها

ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم يُنسبُ
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من نذهبُ

وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكم بقية حبي قيسٍ ومضبته التي فوق المضابِ
 تبارون الرياح إذا تبارت وتمثلون أفعال السحابِ
 يد كرنى مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشبابِ

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول على بن جبلة المعروف بالمكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداء ومختصره

فإذا ولي أبو دلف موّلت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه لدمايته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة غنى وما أظلم من استبرأ فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردّها بأعجاز قال ما اشتطت ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

ريمت لمنشور على مقرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كركته فلما رجع دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف^(١) ثم قال :

أشرقن في أسود أزرين به . كان دُجاء لهوى البيض سبب^(٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتنهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً محتوى وكالشباب الغض ظلاً يُستلب

كان الشباب لمّة أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري واثباً في غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمرن بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربوبَ عن أطفاله
 مطرد يرتج في أقطاره
 تحسبه أقعد في استقباله
 وهو على إرهاقه وطيه
 تقول فيه جنب إذا انثنى
 يخطو على عوج يناهين الثرى
 تحسبها نائمة حين خطا
 يرتاد بالصيد فعارضنا به
 لا يبلغ الجهد به راكبه
 إذا تظنينا به صدقنا
 ثم انقضى ذاك كأن لم تبقه
 وخلف الدهر على أعقابه
 فحمل الدهر ابن غيسى قاسما
 كرونق السيف انبلاجا بالندى
 لاوسنت عين رأت غرته
 لولا الأمير لغدونا هلا
 ولم يقم بيأس يوم وندى
 تكاد تبدى الأرض ما أضمره
 ويستهل أملا وخيفة
 وهو وان كان ابن فرعى وائل
 وبعلاه وعلا آباءه
 يا واحد الدنيا ويا باب الندى
 بأعوحى دنهى المنسب
 كلاء جالت فيه ريح فاضطرب
 حتى إذا استدبرته قلت أكب
 يقصر عنه الخزمان واللبب
 وهو كمثل القدح مافيه جنب
 لم يتواكل عن شظا ولا عصب
 كأنها واطئة على نكب
 أو ابد الوحش فأجدى واكتسب
 ويبلغ الرياح به حين طلب
 وإن تظنى فوته الطرف لزب
 وكل بقيا فالى يوم عطب
 فى القدح فيه وارتجاع ما وهب
 ينهض به فراج هم وكرب
 أو كغراريه على أهل الريب
 واستيقظت نبوته من النوب
 لم يمثل مجد ولم يرع حسب^(١)
 ولا تلاقى سبب إلى سبب
 إذا تداعى خيله هلا وهب
 إذا استهل وجهه وإن قطب
 فبسماعيه ترقى فى الحسب
 تحوى غداة السبى أخطار القصب
 ويا مجير الرعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أونسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قریش^١ عرفت ولا العرب
 خذها امتحاناً من ملئ بالحبا لكنه غير ملئ بالنشب
 وقر^٢ بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب
 قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف^(١) إليه حتى مست ركبته ركبته فلما
 بلغ قوله * لكنه غير ملئ بالنشب * قال لا ملأني الله إن لم أملاك يا غلام كم في
 بيت المال ؟ قال ما قبضته من حامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
 له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهرائي قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك غنى والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه على .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كفى القبائل^٣ معنى كل معضلة يحمى بها الدين أو يرعى بها الحسب^٤
 كنز المحامد والتقوى ذخائره وليس من كنزه^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهاب الذي يرمى العدو به فيستنير^٥ وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرز القصب
 ان الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهل الخلوم وأهل الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذي يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفوت والطلب
 قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشدّه
 اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بعدهم قوم^٦ لكي يدركوهم^٧ فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح^(٣) :

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) في الاصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفي ، أكثر شعره في مدح خليفه الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفئك الله بالتكرم والتسقيى فتعلو وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو تعرضَ سُوددٌ تسامى له ضخمُ الهمومِ مُهمام
إذا اهتزَّ للهبجاءِ فهو مُهندٌ أواهتزَّ للافضالِ فهو غمام
تواضعَ وهو النجمُ عزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواحِ وهو شمام^(١)
ارجيه يوماً أو الأقيسِ ساعةً فيخصب لي عامٌ ويمر عام
يريدونَ منه أن يضمنَ وإنما أرادوا جودَ الغيمِ وهو ركام
ولا عيبَ فيه غير أن ذوى الندى خساسٌ إذا قيسوا به ولثام
باغتَ من العلياءِ ما قاتهم معا كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فمن مُبلغ عني الاكلامَ انهم اذا استيقظوا للمكرمات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميش^(٢) في عبد الله بن طاهر^(٣)
قالت ركعتَ فقلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر يركع
وعهدتني أمضى لشأى مطلقاً فليتُ بمدك بالنسا والأجدع
يا من يؤملُ أن تكون خِلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورة والذى حجَّ الحبيجُ اليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبد الله بن طاهر
الخراساني الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانه
كتب فاختار منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
قالبه ^(١) فأتى بما لا ينطق ^(٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحتري :
ذات حنين لو استزادت من الحُسن اليه لما أصابت مزيدا
فهى الشمس بهجة والقضيب السلدن ^(٣) لنا والريم طرفاً وجيدا
وقال في هذه القصيدة :

واذا ما عدت يحيى وعمرأ وإياساً ^(٤) وطامراً ووليداً
وعبيداً ومسهرأ ^(٥) وجدياً وثدولاً وبجترأ وعثوداً
لم أدع من مناقب المجد ما يقنع من هم أن يكون مجيداً
وقلت في المديح :

حليف علاء ومجد وفخر وبأس وجود وخير وخير
أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدور
وقلت في المديح أيضاً :

من الفرّ لآحوا شمساً ومضوا ظي وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا
ومن المديح البليغ قول الأول :
متبذل في الحى وهو مبجل متواضع في القوم وهو معظم
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعنه «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
ديوان البحتري «الغض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحتري
«أبانا» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسهرأ» والتصحيح
من ديوان البحتري المطبوع .

إذا أحسن الاقوام أن يتناولوا بلا منة أحسنت أن تتطولا
 فعظمت عن ذاك التعميم منهم وأوصاك نبيل القدر أن تتنبلا
 وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :
 دنوت تواضعا^(١) وعلوت قدرا فإلاك انحدار^(٢) وارتفاع^(٣)
 كذلك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع
 فأثيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ كأنحط ضوء البدر وارتفع البدر
 وأجود ما قيل في صفة الرجل الحازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر^(٤) :
 فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٥) مضطلعا
 لا مترقا أن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا
 ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
 لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه^(٦) هم يكاد حشاه يحطم الضلعا
 حتى استمر على شذر مريرته مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا
 ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
 وقول دريد بن الصمة^(٧)

ينازل أخدان الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزد^(٨)
 ويخرج من العزاء الشدة مصدقا^(٩) وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعا» وهو خطأ (٢) الذى في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعا وبعدت قدرا فشأنك انحدار وارتفاع

(٣) الأيادى شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتليها الجرما» .

(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله

من هوازن ، كان شجاعا من الأبطال الشعراء ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه صرة القر جيزة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :
 كيشُ الأزار خارجٌ نصفُ ساقه ضبورٌ على العزاء^(١) طلاعُ انجد
 قليلُ التشكى لمصيباتٍ حافظٌ من اليوم أعقابُ الأحاديث في غد
 إذا سارَ بالارضِ الفضاءِ تزينت لرؤيته كالماتم المتبدد
 فلا يبعدنك الله حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الارض يبعد
 موضع هذه الايات من باب المرائى وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 لمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
 ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا
 قطب الخشونة والليان بنفسه^(٢) فغدا جليلاً فى العيون لطيفا
 هزته معضلةُ الأمور وهزها وأخيفَ فى ذات الآله وخيفا
 يقظان أحصدت التجارب جزمه^(٣) شزراً وثقف عزمه تثقيفا
 وسلكن من أترابه الشمل التى^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة
 عاياه وهو قوله فى مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيماً
 وبلايل لو أنهن ما كل لم تخطىء الغسلين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما
 ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :
 مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) لعله « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) فى الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشمل التوب » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدي غارة ومُعيدا
أيقنت أن من السماح شجاعة تدمى وان من السماح جوداً
ومكارماً عتق النجار تليدة إن كان هضب عمايتين تليداً
متوقدٌ منه الزمانُ وربما كان الزمانُ بآخرين بليداً

وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وسماحه ظهر^ه عليه ما يخيب وشافم^ه
ولما جرى للمجد والقوم خلفه تغول أقصى جهدهم وهو وادع
وهل يشكفا الناس شتى خلاهم وما يتكفى في اليدين الأصابع
إذا ارتدَّ صمتا فالرؤس نواكس^ه وإن قال فالأعناق صور خواضع
وأغلب ما ينفك^ه من يقظاته ربايا على أعدائه وطلائع
جنان^ه على ما جرت الحرب جامع^ه وصدر^ه لما يأتي من^(١) الدهر واسع
جدير^ه بأن ينشق عن ضوء وجهه ضبابه^ه تقع تحته الموت ناقع
تذود^ه الدنيا عنه نفس^ه أبية وعزم كصدر^(٢) الهندواني قاطع
بعيد^ه مقيل السر لا يدرك^ه التي يحاولها منه الأريب الخادع
ومنكم^ه التدبير ليس بظاهر على طرف^ه الرأي الذي هو تابع
ولا يعلم^ه الأعداء من فرط عزمه متى هو مصبوب^ه عليهم فواقع
لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب^ه الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الآيات ولا أعرف أحداً
يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحهم إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطرية :

إذا جدَّ عند الجد أرضاك جد^ه وذو باطل إن شئت أهلك باطله^ه

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كعد) .

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُضِيكُ ظَالِمًا وَكُلُّ الذِّى حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَّرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى فى هارون :
إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لِهَارُونَ إِلَّا مَامِ نَظِيرُ
فضله على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبى نواس :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكُنْ
فَجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواءً فى الخلق والخلق .
وبعد بيت النمرى أبيات جواد منها قوله :

مَنَعَ الْحِمَى لَكِنْ أَعْنَقَ مَالَهُ بَظَلِ النَّدى يَسْطُو بِهَا وَيَسُورُ
كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ :

غُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لَضَحَكْتَهُ رِقَابُ الْمَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِكَمَا فَإِذَا النَّدى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذِّلِّ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
بِرُوحٍ وَيَغْدُو سَاجِيًّا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرُ
وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَّتْ بِمَكْرَثٍ لَكِنْ لَهْنٌ قَهُورُ
يَرَى مَا كُنَّ الْأَوْصَالُ بِاسْطِجْهَدَ يَرِيكَ الْهَوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ
ولا أعرف فى هذا المعنى أجود من هذا البيت :

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى فى هارون :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَّةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصير « خليفة الله إن الجود أودية » .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :

أتاك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
تركت فيك التي ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أنعدو بمستن العيون مخيما وأنتَ بعيب العالمين موكل
وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحكم الرأي مُستغن بوحده عن الرجال بريب الدهر مضطلم
يقرى العدو المنايا والقناة ندى من كل ذاك القرى أحواضه ترع
إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نمخشع
لما أخذتُ بكفى حبل طاعته أيقنت أنى من الأحداث ممتنع
ان الخليفة هارون الذى امتلأت منه القلوب وجارت تحته ترع
ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاق أمر ذكرناه فيتسع
أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولى عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
إلى العتابي طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك
أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاق أمر ذكرناه فيتسع

فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسعى أمم
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست تم
إذا عرضَ لهم في صدره لها بالعطاء وضرب البهم

(١) هوزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين .

فقل للخليفة إن جِسْتَهُ
إذا أيقظتك جِسامُ الأمور
فتى لا يبيتُ على رَمَقِهِ
يحبُّ العطاءَ وسفك الدماءِ
نصيحاً ولاخيراً في المتهم
فنبه لها عمراً ثم ثم
ولا يشربُ الماءَ إلا بدم
فيغدو على نعيم أو نِقَمِ

وقال البحتري :

إذا المتهدي بالله عُدَّتْ خِلَالُهُ
وقلت : كم غاية لكم تقاصرُ كونها
يعلو كرام العالمين وإنما
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
أمن المكارم أن يُبددَ شملها
ذلت له نوبُ الزمان وأصبحت
حسبت السماء كائنتك نجومها
من رامها فكأنه مارامها
يعلو كرام العالمين لثامها
نالوا مناسمها ونلت سنامها
لما زانتك نظامه ونظامها
في عقوته جبالها آكامها

وقال البحتري :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرضُ ابتدوها كأنما
ودون علاحهم للمسامين برزخ
بتدبير مأمونٍ على الأمر رأيهُ
وفوها جس لا يحجبُ الغيبُ دونه
أما كنها قلت النجوم قبورها
اليهم حياها أو عليهم نشورها
إذا كلفته العير طال مسيرُها
ذ كير وأمضى المرفعات ذكورها
تريه بطون المشكلات ظهورها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن عبد الله بن الحسن عن البحتري قال سمعت إبراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفاً إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أيوب التيمي شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

تري ظاهر المأمون أحسن ظاهر
يناجي له نفساً ترسع بهمة
وأحسن مما قد (١) أمر وأضمر
إلى كل معروف وقلباً مطهر

ويخشع إجلالاً له كل ناظر
ويأبى الخوف الله أن يتكبرا
طويل نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
رقل إذا ما السلم رقل ذيله وان ثمرت يوماً له الحرب شمرا
فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما شبه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبيّة : أخبرنا
أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية
الرصفاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر قطبني
السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت على الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهت إلى بني شيبان
ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر راية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
ورمح مرمح مرمح مرمح سنانة قزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردّ
على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور بعيون كهيون أخشاف
الظباء فقالت إحداهن اطمئن يا حضري فقلت وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن
المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبة دون أن يأوي إلى جبل
يعصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحى
سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان اخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحى
في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا
وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبيّة حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمانى
وفى بهم حلاً وجوداً وسودداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجه القمران
أغرأبر ابني نزار ويعرب وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلامهم فعلاً بكل مكان
وأخربهم بالسيف من دون جاره وأطعمهم من دونه بسنان
كان العطايا والمنايا بكفه سحابان مقرونان مؤتلفان
فقلت الآن ذهبت عنى الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت يا جارية
أخرجى فنادى مولاك فخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
فى جمع من بنى عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واختط طارضه
وخشن جانبه فقال أى المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى
ذمتك وقد ضمنا له ما يضمنه مثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ ييدى وجلس
وجلس ثم قال يا بنى أبى وذوى رحى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى
فمن أرادته فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الهم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سمنح
لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم^(٢) وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارجه بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجوم يستضاء بهم إذا احتبى الليل فى ظلماته زهروا

قوم إذا شومسوا لج الشماس بهم ذات الأباء وان ياسرتهم يسروا

(١) فى الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا

وقد ألبوا من جمعهم ما تألوا
لما شاء منهم طائعين تحببوا

وقال البحتري :

حرونٌ إذا عاززته في مُلمة
ونحوه : كريمٌ يَنْضُ الطرفَ فضلُ حياته

فان جثته من جانب الذل أصحبا
ويدنو وأطرافُ الرماح دواني

وكالسيفِ ان لا ينثه لانَ مَتْنُهُ

وحداه ان خاشنته خَشَنانِ

ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجعم :
إذا غاب عنا الفجرُ خُضْنَا بوجهه دُجى الليلِ حتى يَسْتَنِيرَ لنا الفجرُ

وقال خارجة أيضا :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله

سبيل المطايا بالوجوه السوافر

وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة

وافى الرضا بين أيديها بأقياد

لها أمامك نورٌ تستضيء به

ومن رجائك في أعقابها حادى

لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها

عن الرتوع^(١) وتلهينا عن الزاد

ولا أعرف في معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهمهم

كفى خابطَ الظلماءِ ضوءُ المصابيح

وان نابَ خطبٌ أو ألت مُلمةٌ

فكم ثمَّ من آسى جراحٍ وجراح

ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدِّينورى :

ولأمة لا أمتك يا قيسُ في الندى

فقلتُ لها لن يقدحَ اللومُ في البحر

أرادت لتثنى الفيضَ عن عادة الندى

ومن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر^(١)
ولا أعرف في معناها مثلاً . وقلت :

تقضى مآربه من كل فائدة لكن من المجد ماتقضى مآربه -
أفاده العز آباء ذوو كرم وزاده الخلق المخضر جانبه
لقد فضلت كرام الناس كلهم فهم مناسم مَجْد أنت غاربه
يألت شعري هل يستطيع شكركم دهر^٢ نساعيك فيه مناقبه
وحين أرضيتكم كنتم نوافله وأنتم حين أسخطتم نوائبه
منكم على الدهر عين^٣ لا تناومه وللحوادث قرن لا تغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

يروم^٤ الملوك جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع^٥
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفع^٦ الناس من حظه ولا يضع الناس من يرفع^٧
رأيت^٨ الملوك تغض^٩ العيون إذا ما بدا الملك^{١٠} الاتلع
بديته^{١١} مثل^{١٢} تديره متى هجته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسعهم في الغنى » من قول الأول :

له نار^{١٣} تشب^{١٤} بكل أرض إذا النيران جللت القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرحبهم ذراعاً

(١) يكرر المصنف بعض الآيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورث الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خير منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى الله خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتاني وأهلى بالعراق ندامهم كما صاب غيث من تهامة في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام مجدكم بعندي
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمي
حمص إلى منبج فقال :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد
هم حضروني والمهامه بيننا كما أرفض غيث من تهامة في نجد
إلا أن قوله * هم حضروني والمهامه بيننا * أبداع وأحسن من قول
نهشل * أتاني وأهلى بالعراق ندامهم * وأخذه ابن المولى فقال :
فرحتُ بجمفر لما أتانا كما سُرَّ المسافرُ بالأياب
كمطورٍ يبلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :
لعمري لنعم الغيث غيثُ أصابنا ببغداد من أرض الجزيرة وأبله
ونعم الفتى والسد بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبح الغيث داره ولم يحتمل أظمانه وجهائله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستهطع سيراً لمدحة خالد فجلتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلن إليك نائلُ خالد وليكفينَّ رواحلي الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توبة :

نفسى فداء أبي العباس من رجل لم ينسني قط في ناي ولا كشب

يقرى وبالرقة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من عجم ومن عرب
أغنيته عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النشب
وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأثاه نعيه فقال جرير يرثيه :
بنفسي امراً والشام بيني وبينه أتتني يبشرى برده ورسائله
قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمن البيضاء بعدك فاتتني على العظم حتى ماتقوم حوافله
فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
فيوم تحيط المسلمين جواده ويوم عطاء ما يفرح نائله
ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس :
أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
يعلم إلا بعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده مماطان من وجوه الناس
إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكأله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحتته كربة
وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمعار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمته
به أعداؤه فناه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولا ولا جازي
نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في

جنى الجنة في تمييز نوعي الثنتين للمحيي .

أسرته ولا تضع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتي فعل فقال
ابن هبيرة ممن الزجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره بيتُ المجد والعزِّ فيهم فزاره قيسٌ حسب قيسٍ فعالها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذي بناه لقيسٍ في القديم رجاءُها
وهل أحدٌ ان مَدَّ يوماً بأنفه إلى الشمسِ في جَوْ السماءِ يقالها
لهيئات ما عيا القرون التي مضت ما أثر قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من جذابة بيتك فكم
أنت لك ؟ قال تسع وعشرين - فلعن الفتي - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقك ، شبيهه بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتي ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيئته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لسكان الانسان كالبهيمة المهمة
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدي ما يقول من الفيم
وكأنَّ ترى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسانُ الفتي نصف ونصف فؤاده فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم

ومن بارع المديح :

إلى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه وأنتَ امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهرَ موعدا
وعودتني ان لا تزال تُظلني يدُ منك قد قدَّمتَ من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الإكراه : الحراث . (٣) في الأصل «يخلف» .

فلو أن مجدداً أوندى أو فضيلةً تخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلداً
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصُّولى عن أبي العيناء عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرْكُ أى جنة خائف ومتاع دُنيا أنتَ في الحسدِ ثان
متخبط يطأ الرحال غلبةً ^(١) وطأ الفنيق ^(٢) دوارح القردان
وتفرج الباب الشديد وتأنجه حتى يكونَ كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتبك الاحسابُ أى حياة وحيا أزمة وحية واد
طابق معتقٌ من اللوم ^(٣) إلا من مقاساة مغرم أو نجاد
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومذهب الألفاظ منطقهُ مافيه من سُخطٍ ولا مَينِ
ماشئت من ظرفٍ ومن شيم مافى محاسنهن من شين
ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيبٍ يوقيه من العين
قد أحسن وظرف ولم يقصر في تفليل الحز واصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كامل الآداب مُنفردَ العلا والمكرمات ويا كثير الحاسدِ
شخصَ الانام إلى كمالك فاستعد من شر أعينهم بعيبٍ واحدِ
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتنقص حادثٌ وأبى لك التكميلُ أن تزيدا
وكأنى بك قد نحت محمد في النائبات كما دعوت محمداً
ذ'امت كالسيف الحسام مجرداً للحق أو مثل الهلال مجدداً

(١) المتخبط : القهار الغلاب . والغلبة بضم التين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المزم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى ان الزمان مبيض ماسودا

ومثله قول الآخر :

فما كنت إلا السيف جرد في الوغي وأخمد في الهيجا ورد إلى الغمد

ومن أبلغ المديح :

بديته وفكرته سواء إذا مانابه الخطب الكبير

وصدر فيه لهم اتساع إذا ضاقت من الهم الصدور

ومن أبلغ المديح قول البحترى :

أخذوا النبوة والخلافة وانثنوا بالمكرمات كثيرها وقليلها

وإذا قرش فاضلتك فضلتها بأبي خلافتها وعم رسولها

وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن كريمها^(١) ونيلها ابن نيلها

لو سارت الأيام في مسعاتهم لتناهلها لتقطعت في طولها

رفعهم الآيات في تنزيلها وقضت لهم بالفضل في تأويلها

وإذا انشعبت أخذت خير فروعها وأذا رجعت أخذت خير أصولها

وقلت : لئن قل أرباب المكارم والعلا ليحي كثير في العلا والمكارم

يذكرني جود النائم جوده وشكرى له شكر الثرى للنائم

تخال به بدرأ مع الليل باهراً يلوح على عرف من الليل فاحم

يديل من الأيام والدهر منصف بعزم على الأيام والدهر حاكم

يبرز من الانجاد كل مساور ويعلو من الانجاد كل مكارم

بخلق كتن الصخر في كف لاس وطور كجرى الماء في عين حاتم

ورأى كصدر الراغية شارع وعزم كحد المشرفة صارم

على بلدة يسقى الضراغم ماؤها ويسقى بها إلى دماء الضراغم

ومن بارع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكريمها ابن كريمها» .

رأيت لعياشٍ خلائفَ لم تكن له كرمٌ لو كان في الماء لم يفيض
 أخو عزّ مات بذله بذلٌ مُحسنٌ يهولُك أن تلقاه في صدرٍ مُحفلٍ
 وماضيقُ أخطارِ البلادِ أضائقُ وهذي ثيابُ المدحِ فاجررِ ذبولها
 وقد أحسن التنوخي في أبيات له منها :

وفتية من حميرٍ حميرٍ الظبي بيض العطايا حين يسودُّ الأمل
 شمسٌ مجد في سمواتٍ علا وأسدموت بين غاباتٍ أسل
 وقلت : ما المجدُ إلا سماءٌ أنت كوكبها والجود إلا غمامٌ أنت سلسله
 فكل سابقٍ قوم أنت سابقه وكل فاضلٍ حزب أنت تفضله
 بالعقد تحكّمه والأمر تبرمه والعرض تمنّعه والمال تبذله
 وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيلمنا مصقولةً أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ
 مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
 ابن خاتم الكلبي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
 الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
 أهلٍ وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
 الهواء قليلة الأدواء قال كيف ليها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك
 طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
 خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
 أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه لنار الهوم
وقال ابن الرومي * كأن أيامهن كالسكر * وقلت :
أيامنا في جواره بكرٌ وليلنا في فئائه سحر
ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصيبُ وهذه مصرٌ فقدفقا فكلّا كما بحر
وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد
وقوله : قتي يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ
فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصير
وقول أبي العتاهية :

أنته الخلالةُ منقادةٌ إليه تجرُّ أذيالها
ولم تكُ تصلحُ إلاَّ له ولم يكُ يصلحُ إلاَّ لها
ولو رامها أحدٌ غيره لزلتِ الأرضُ زلزالها

وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وأي واسماعيل يومَ وفاته لكانم يدوم الروح فارقة النصل
فان أغش قومًا بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيه من الأنس المحل
الأنس جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :
أنتَ الجواد ومنك الجودُ أوله فان مُقدتَ فما جودٌ لموجود
أضحت يمينك من جودٍ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود
من نور وجهك تضحى الأرض مشرقةً ومن ثنائك يجري الماءُ في العود

وقول البحتري :

وقد قلتُ للمعلّى إلى المجد طرفةُ ديع المجدَ فالفتحُ بنُ خاقان شاغله
صفت مثل ما تصفو المدامُ خلاله ورقّت كما رق النسيمُ شمائله
والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعي تزال إلى الوغى
 من المطربين الأولى ليس ينجلي
 جعلت نظام المكرمات فلم تدر
 إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
 ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :
 نسب^٢ كأن عليه من شمس الضحى
 عريان لا يكبو دليل^٣ من عى
 شرف على أولى الزمان وإنما
 لو لم تكن من نبعة نجمية
 مطر أبوك أبو أهلة . وابل
 ورثوا الأبوّة والحظوظ فأصبحوا
 أكفأة تلد^٤ الرجال . وإنما
 أخذه السرى فقال في المهلبى :
 نسب^٥ أضاء عمود^٦ في رفعه
 وشمائل^٧ شهد العدو بفضلها
 وهذا من قول البحترى :
 لا أدعى لأبى العلام فضيلة
 وقلت : قد نلت بالرأي والتميز منزلة
 وبالتكرم والافضال مرتبة
 قالوا أي مطر^٨ من محل ألم^٩ به
 مال يسدده في جمع مكرمة
 كروضة أخذت بالغيث زخر^{١٠} فيها
 رأيتهم^{١١} رجلى كأنهم ركب^{١٢}
 بغيرهم للدهر خرف^{١٣} ولا كرب^(٢)
 رجا سودد^{١٤} إلا وأنت لها قطب
 مجنبتى مجد وأنت لها قلب
 نوراً ومن فلق الصباح عموداً
 فيه ولا يبعى عليه شهوداً
 خلق^{١٥} المناسب ما يكون جديداً
 علوية لظننت^{١٦} عودك عوداً
 ملاً البسيطة عدة وعديداً
 جمعوا جدوداً في العلا وجدوداً
 ولد الختوف أسوداً وأسوداً
 كالصبح فيه ترفع^{١٧} وضياء^{١٨}
 والفضل ماشدت به الأعداء
 حتى يسلمها إليه عداه^{١٩}
 مانالها أخواك البحر والمطر^{٢٠}
 لم يعطها خادماك السيف والقدر^{٢١}
 فقلت قد تمطر الانهار والقدر^{٢٢}
 فالجد^{٢٣} مجتمع^{٢٤} والماء منتشر^{٢٥}
 فالروض منتظم^{٢٦} والغيث منتشر^{٢٧}

(١) في ديوان البحترى «نكة إذا» . (٢) في نسخة «لرب» وهي الشدائد .

مناقب^١ ما يكاد الدهر^٢ يهدمها
 فابشر فانك رأس^٣ والعلا جسد
 لولاك لم تك للأيام منقبة^٤
 وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامه
 والسيف^٥ أرهف^٦ للمضاء^٧ غراره
 أنت الريح^٨ الغض^٩ رق^{١٠} نسيمه
 خلق كنشر^{١١} الروض^{١٢} ظل نباته
 للأولياء^{١٣} رخاؤه ورخاؤه
 يامن أدل على الزمان زمانه
 يدنو فيغمر^{١٤} كل^{١٥} شيء^{١٦} فضله
 ما ان يزال من المآثر^{١٧} والاعلا
 عال^{١٨} تسور^{١٩} فوق قمة^{٢٠} سودد
 يبدو فيبدي الصبح^{٢١} غرة^{٢٢} وجهه
 سبق الجياد^{٢٣} فما يشق^{٢٤} غبار^{٢٥}
 ولئن أبر^{٢٦} على الحسام^{٢٧} عزيمة^{٢٨}
 وكأنا^{٢٩} أعلامه^{٣٠} أسيافه^{٣١}
 ما للمجد^{٣٢} إلا العقد^{٣٣} جودك^{٣٤} شذره^(١)
 والجود^{٣٥} في يدك^{٣٦} اليمين^{٣٧} عنانه^{٣٨}
 مازال فوتك^{٣٩} في اللواء^{٤٠} موليا
 فاعمر^{٤١} على زمن^{٤٢} أغر^{٤٣} محجل
 وقال آخر وأحسن :

(١) الشذر : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل

بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكلؤهم

وقال أبو يعقوب الخزيمي :

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأتعبت من جرى
ويبذل دنياه ويمنع دينه
وقلت : وقفت على يحيى رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ماسمت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا
فتى لم تزنه بالقوافي وإنما
من الغر لا حوا أشمسا ومضواظي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت : في فتية أخلاقهم وفعالهم
حل السرور حباهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أوقيل تلف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس^{هـ} والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى من الأيدي جميعا والأمانى

كذلك فوارض الثرات تدنو لجانيها فتمكن كل جاني

وأخبرنا أبو أحمد عن الغبشي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب

ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا جمع المادح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضل نصيب من العلا ورأس العلا طراً عقيد الندى وهب
وما ضرَّ وهباً عيب من جحد الندى كما لا يضر البدر ينبحه الكلب
فتنى له الوسادة وهشَّ إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البخترى ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رفد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من عاثر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن المسامات لكل حي وقيت به من الحداث محيا
وقال خلف بن خليفة :

إن استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أوتخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ماتكموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا فضائل آباء تلها فضائله
فماز طريف المجد بعد تليده رفيع يطول النجم حين يطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشمائله
وما هو إلا المزن تصفو خلاله ويملو مبواه ويكره هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قالوا أنفخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة اليه فأنشده :

فإن كان مني ما كرهت فأنني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بنو شيبان قدماً بفعلهم وعودنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسين عمرو في الذي كان بيننا فإن عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :
فغض الطرف أنك من غير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت قفاح بنى تميم على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنفخر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال فما أغزل بيت قالته العرب قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يمين قتلنا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة لنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بمحضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم ترَ أنَّ جِعْثَنَ وَسَطَ سَعْدٍ تُسَمَّى بَعْدَ قِضَتِهَا الرِّحَابَا ^(١)
تري برصاً بأسفل ^(٢) إسكتيها كعنقفة الفرزدق حين شابا

قال فما أهجن بيت قيل قال قول جرير :

طرقك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمي بسلام
قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أرَ شعراً
أرق في الوزن ولا أملاً للفم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في
هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليامة أن ينصف
من خصم تظلم منه .

وقد قال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأثنيتم جاهداً وان عدتم أثنيتم والعود أحسن ^(٣)
وقال ابن المعتز أو غيره :

خيلى قد طاب الشراب المبرد وقد عدت بعد النسك والعود أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

من الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائص .

(٢) في النقائص (بجمع) مكان (بأسفل) . (٣) لعله «أحمد» .

ثياب بني عوف طهاري نقيه وأوجههم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
فلا وأبيك ما ظلمت قريح بأن يبنوا المكارم حيث شاؤا
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الدنيا
قال اجلس لاجلست والله لقد خفت أن تفخر علي .
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

تري الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الإشارة إلى خلف
والإيماء إلى قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجميل في قصيدته التي يقول فيها :
وكانت تحيد الأسد عنا مخافة فهل يقتلي ذو بنان بطرف
لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف
إذا انتهب الأقوام مجداً فاننا لنا مغرماً بمجد وللناس مغرماً
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف تنوفيه إذا الناس طغفوا
تري الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى الشعاعون به كي يلمسوه ^(١) وأين اللمس من زحل
وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وأسلم من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم
قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصر دونه قيارب مظنون به الخير يخلف
وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كل من تهواه يهواك قلبه وما كل من أنصفته لك منصف

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العيسى عن العيسى قال من أحسن مامدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي بمنهم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي عند جناية ولا خائف مولاي من شر ما أجنبي
وإن فؤادي بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلي في الشعر والللب أني أقول على غلم وأعلم ما أغني
فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لسكين الدارمي :

ورب أمور قد برئت لحالها وقومت من أصلاها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فإن خفت من دار هوانا تركتها
وأصلح جل المال حتى حسبتني بخيلاً وإن حق عراني أهنتها
ولست بولاج البيوت لفاقة ولكن إذا استغنيت عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مددت لها باعاً طويلاً فنتتها
وعوراء من قبل امرئ ذي عداوة تصاممت عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غدا أن يعطف الود بيننا ومظلمة مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجه في اللثام ولا يد ولكن وجهي في الكرام عريض
أصبح^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيت اللثام مريض
وقلت في معناه :

وخل الجهول وبغضى له فاني ليب أحب الليبيا
بصادفتي الضيف طلقاً ضحوكا وإن كنت لم أر بدما عجيبا
وأستعمل الحلم مالم أكن أضبت من الذل فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لفائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الدل فيه ضروباً
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هذان * فان تسألني عنا فانا حلي العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلي العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمرى لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكـل
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه له حلية من نفسه وهو عاقل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فان تلك أثوابي تمزق عن بلي فاني كمثـل السيف في خلق الغمد
ولا ثي هذان أيضاً :

تعجبت دُرٌّ من شبي قلـتُ لها لانعجي من بياض الصبح في السدف
وزادها عجباً ان رحت في سَمَلٍ^(٢) وما درت دُرٌّ أن الدر في الصدف
فرايت في هذا المعنى تكلفاً قلـت :

غيرتني ان رحت في سَمَلٍ والدر لا ترى به الصدف
وله أيضاً في هذا المعنى :

يُصيرني غري رجالٌ سفاهةً فعزيت نفسي مصدراً ثم مورداً
بأني مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو جردا
في الفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مسلولاً *
ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قل لزهر إن شمت سراتنا فلسنا بشتامين * للثشم
ولكننا نأبي الظلام وننصى بكل رقيق الشفرتين مصمص
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب معمولاً : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن زرارة :

أغرّم أنى بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحشِ أخرق
وانك قد سايبتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أنجذق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزدق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى مَعيشة كفاً ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مؤثّل وقد يُدرك المجدُ المؤثّل أمثالى
قيل له فأيهما أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقِيبةِ الرجل
قال فأيهما أرق قال قوله :

وما ذرفت عيناكِ إلا ليضربى بسهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مَقتل
قال فأيهما أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

وبيترِ بدرٍ اذ يَرُدُّ وجوهكم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعانِ وطامرٌ واذا جَزِ عنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا أُعلوا لم يَضجروا يومَ اللقا واذا أُعلوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رافتي واحاطتى وقد يشتكى منى العداةُ الأبعادُ
وذى تِرَةٍ أوجعتهُ وسبقته فقصر عني سَعِيهِ وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألُنِي هَوَازِنُ أَيْنَ مَالِي وَمَالِي غَيْرَ مَا أَنْفَقْتُ مَال
 فَقُلْتُ لَهَا هَوَازِنُ أَنَّ مَالِي أَضَرَّ بِهِ الْمَلَأَتُ الثَّقَالُ
 أَضَرَّ بِهِ نَعَمَ وَنَعَمَ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَبَالَ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا وَلَا تَغِيبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
 وقول أبي جندب :

فَلَوْ تَزَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ تَزِدْ وَلَوْ فَقَدْنَا مِثْلَهُمْ لَمْ نَفْتَقِدْ
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجاً في الجاهلية
 فإذا أنا بشاب حسن العينين وضياء وبشيخ يسأله قال فسبه الفتى ثم إن الشيخ
 غيره بأن أمه من بني الأصفر فخزي الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل أرقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سَأَلْتُ وَخَلَلْتُ فِي إِيَادِ بْنِ مَعْدٍ هَلْ كَانَتْ الرُّومُ عُبِيدًا لِأَحَدٍ
 هُمُ الرِّبِيعُ وَالسَّنَامُ الْمُعْتَمِدُ وَالذُّرُوءُ الْعُلَيَاءُ وَالرَّكْنُ الْأَشَدُّ
 وَأَنْتَ حَرَمِي لَيْمٌ الْمُسْتَنْدُ عُصَارَةُ اللَّؤْمِ الَّتِي فِيهَا تَلَدُ
 فسألت عن الشيخ فقبل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقبل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتيت منى فإذا رجل على جمل عظيم لا يمر
 بفوم إلا هجاهم لأنه مربى لأوس والخزرج فهاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرفى الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرن بن تميم من هذيل فأمرها وقال :
 هَلْ هَهُنَا مِنْ وَلَدِ قَرْدٍ مِنْ أَحَدٍ أَعْطَاهُمْ مِنْ رَجَزِي الْيَوْمَ وَغَدَ

نخرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهمٌ جلدٌ عند
ينفرن من وقع المعنى والتعدد
وابن هذيل وابن أشياخ معد
فلو نزاد ألف ألف لم نزد
فارجم إلى معزك تيساً ذاجيد
أوفى على رأس يقاع فصيح
قال فخلفت أنى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تتعخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الأكثرين حصي
والأطيبين ثرى * واحتج السؤال لقلة العدد فأحسن :

تُعيرُنَا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها إن الكرام قليلٌ
وما قلٌّ من كانت بقاياهم مثلنا شبابٌ تسمى للعلا وكهولٌ
وما ضُرْنَا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلٌ
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جواهرٌ لو خالط الأرض أصبحت
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
إذا زينة الدنيا من المال أعرضت
ليفتخر بجود من أراد فانه
جرى حاتمٌ في حلبة منه لو جرى
فتى دخر الدنيا أناس ولم يزل
ومنها : كرامة إذا طل الكرامة لدى الوغى
بخيل لزيد الخيل فيها فوارس
طوى بطنها الآساد حتى لوانه
وبطنانها منه وظهرانها تبرٌ
وأمردنا كهلٌ وأشيننا حبرٌ
فأزين منها عندنا الحمد والشكر
عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكر
بها القطر يوماً قيل أيهما القطر
لها باذلاً فانظر لمن بقى الدخر
وأرماحهم حمرٌ وألوانهم صفر
إذا نطقوا في مسهب خرس الدهر
بدالك ماشككت في أنه ظهر

صبيته ما أنت تحدثُ نفسها
 فإن ذممتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
 مناع يضل الشعر في طرق وصفها
 وقوله : مضوا وكأن المكرمات لديهم
 بهاليل لو طابت فيض أكفهم
 وأي يدي في المجد مدت فلم تكن
 أصارت لهم أرض العدو قطائعا
 إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
 فيعطى الذي يمطيهم الجود والقنا
 يمدون بالبيض القواطع أيديا
 بما خلفها مادام قدامها وتر
 فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر
 فما يهتدي إلا لأصفرها الشعر
 لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
 لا يفتن أن الرزق في الأرض واسع
 لها راحة من جودهم وأصابع
 نفوس لحد المرهفات قطائع
 أغارت عليهم فاحتوته الصنائع
 أكف لارث المكرمات موانع
 وهن سواء والسيوف القواطع

وقلما تجد في الافتخار شعراً يداني هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي باع الدهر بالعرف ضيق
 وواقع نعماء عن الحر طائر
 متى ما يصبني بالقوارع طرفه
 وهماث مثلي للخطوب جوالب
 تريك إشتعالاً بالنجوم طوالع
 وتزري على البيض الطوالع ان مضت
 تخافني الأيام فهي تخيفني
 ولو كن في عيني لما قذيت بها
 أطلع منها في ديارى طوالع
 يقارع مني بأسلاً ذا حفيظة
 فتى بآتم الفضل ليس بمانع
 فما صحبتته للأثام صنيعة
 على كل ذي عقل وبالنكر واسع
 وطائر بلواه على الحر واقع
 أصابته همتي وهن قوارع
 كما أنهن للخطوب دوافع
 وهن إذا لاحت نجوم طوالع
 وهن على العلات ييض قواطع
 وللنكس تهديد إذا ريع رائع
 فكيف ترى أنى إذا صلب خاشع
 بسوء وهماث عليها طلائع
 يقوم أزاء النصر حين يقارع
 ولكن بأدنى بلغة العيش قانع
 ويصبحهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع في مصادة منة
له شرف في آل ساسان باذخ^ه
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره^ه
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه^ه
ومثلي مخضوع له غير أنه^ه
ومثلي متبوع على كل حالة^ه
وقال ديك الجن^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكنب خير من ولدت
وعيرتنا وما انت طل را؟
غلاة مودة والاشراك مكتهل^ه
ان تعبى لدم منا هريق بها
أقدم وقم طالما انت لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى؟
كم عرّضوا أيدياً بيضاً مكرمة^ه
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم
وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وحطت مساعينا على حطط الفخر
وقال ابن المعتز:

فقرى فتى وشبابي كهل^ه وكل فضل لي عليه فضل^ه
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير^(١) الخبلى^(٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوفا وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لفيته مخيلة ولا تمحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلبينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق^(٣) من صفاقة الدهر حجر^(٤) بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي يعد الوهم فهما وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رعاية الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدور وللتألف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشري وفي مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذي يجلى به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف بهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وإن أحست منه بجفوة أجذبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجدته في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاهة العيش باعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحتها السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفضل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الجبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس

المعالي الأمير الأديب المنشئ . (٣) اعلمها مقجمة (٤) في نسخه « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجنان البروق اللوامع وقطع أنسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الإنسان وكل
العيون بصور الغيلان وأثبت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومناينة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بجبل كان بهما لا شية به ومن لم يأو منه إلى ظل
ظليل ظل صريعاً لا عصمة له ولم لا يسترد حازب الرأي فيعلم أنه ما لم يعاود الصلاة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه إن أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء غنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكثف بماله وعرضه و متمرز بسمائه وأرضه ولا يشعر أن كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافي وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحي على سيدي مستعيداً وصاله ومستصلحاً بالالحاف خصاله وغدى عليه
هذه المعائب لاستماتته من جانب إلى جانب لا تأتي بمن يرغب في راغب عن وصلته
أو ينزع إلى نازع عن خلته أو مؤئل حالاً عند من ينحت أثله^(١) ومقبل بوده على من
لا يجمله قبلته فأنى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمي لما وضعت عليها
جانبا وإن السماء لا تتوق إلى تقبيل هامتي لما رفعت إليها طرفاً ولكني أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحمد ويجنب جنبه أكليل المجد ويظل وجهه الوقاء بقبضه
على يده مسوداً وركن الإخاء بفته في عضده منهداً ولا يعجبني أن يكسوه ضوء مكارمه
تكلف الخمول ويأذن لطواله بمعالیه بالا قول فان فضل سيدي الخلود على الوجود والعدم
على الوجود وتزل من شامخ إلى خفض ومن حالق إلى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال إلى الملل ولم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خنصري وشغل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
وفي الناس ان رمت حبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي متحول^٢
وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا اني أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٣ حسامه^٤ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٥
وقال ابن المعتز^(١) :

سألتكما بالله ما تعلماني ولا تكتمان شيئاً فعندكما خبري
أأرفع نيران القرى لعفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغر
وأسال^٦ نيلاً لا يُجَادُ بمثله فيفتحهُ بشري ويختنه عذري
ويارب يوم ما توارى نجومه مددت^٧ إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقمت الى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا

وأنشدنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت فيه اللين والقطعا
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه . ولا يضيق به ذرعي إذا وقعا
كلاً لبست فلا النماء تبطرنى ولا تخشعت من لأوائها جزعا

وسألني بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت

قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأبى عليّ يسير^٨

فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي التشناس :

على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بينك ان لا بد أنك راسبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أواع بالشعر

ونيف فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تستصعبُ الأمرَ لا ترى منه مُبدا
بادر وخسلٌ الهوبنا وجدَّ كما تجدا
فلن تلاقى جدًّا حتى تلاقى كدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا السيفُ أسوى وقعهِ من لسانيا
وهي من قول حسان * ويبلغ ما لا يبلغُ السيفُ مذودي *
وقلت : ولي لسانٌ إذا أطلقتهُ عرضاً سعى مساعيَ ضرغامٍ وثمان
وقد نمتني أمجادٌ ججاججةٌ من نجل سامان تزهو نجل سامان
هم الكواكبُ في أطرافِ داجيةٍ أو العنان على أثباج أعنانِ
قومٌ إذا ما أتوا بالسوءِ ما اعتذروا ولا يمنونَ إن منوا باحسانِ
وقلت : من يكن صائلاً بمثلِ لساني لم يضرهُ أن لم يصلُ بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لو كانت هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصروا أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغداً لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علأ فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً تحل به السحاب في كل مغدى ومآب ، ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشامي :

ألم تعلمي يا عمرُ الله أنني كريمٌ على حين الكرام قليل
واني لا أخزي إذا قيل مُسَلَّقٌ جوادٌ وأخزي أن يُقالَ بخيلٌ
فان لم يكن عظمى طويلاً فانتني له بالخصال الصالحات وصول
وإن أك قصداً في الرجال فانتني إذا حلَّ أمرٌ ساحتني للليل

إذا كنتُ في قومٍ طوالٍ فضلتهم بعارفةٍ حتى يُقالَ طويل
ولا خيراً في طولِ الجسومِ وعرضها إذا لم تزنْ طولَ الجسومِ عقول
ولم أرَ كالمعروفِ أمّا مذاقه فخلوّه وأما وجهه فجميل
وقلت : غنّى غنى نفسى ومالى قناعى وكنزى آدابى وزى عفايا
ونخريّ إسلامى وذخرى أمانى وجندى أشعارى وسيفى لسانيا
ولى عزماتٍ كالسيوفِ قواضيا إذا عنّ خطبٌ والحتوفِ قواضيا
وتغشى صدورَ النائباتِ صدورُها كما غشيت سُمرُ العوالى التراقيا
ألا لا يذمّ الدهرُ من كان عاجزاً ولا يمدلُ الاقدارُ من كان دانيا
فمن لم تبلغهُ المعالى نفسه فغير جديرٍ أن ينالَ المعاليا
ولا أعرفُ فى افتخارِ الجاهليةِ أجود ولا أبلغُ من قولِ عمرو بنِ كلثوم^(١) :
ونحنُ الحاكمونَ إذا أُطعنا ونحنُ العانفونَ إذا عصينا
ونحنُ التاركونَ لما سخطنا ونحنُ الآخذونَ لما رطينا

وقد أحسن إبراهيم بن العباس فى قوله :

إمّا ترينى أمامَ القومِ متبعاً فقد أرى من وراء^(٢) الخيل أتبع
يوماً أنيخُ فلا أدعى على نسب واستبيحُ فلا أبقى ولا أدعُ
لا تسألى القومَ عن حىّ صحبتهم ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
وقال : أميلُ مع البمامِ على ابن عمى وأقضى للصديقِ على الشقيقِ
أفرقُ بين معروفى وبنى وأجمع بين مالى والحقوقِ
فأما تلقى حُرّاً مطاماً فانك واجدى عبدَ الصديقِ

وهذا من قول الأول :

(١) فى الأصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب
المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام
بنحو نصف قرن . (٢) فى الأصل « ورأى » .

وإني لعبدُ الضيفِ مادامَ ثاوياً وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :
أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضباً
قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما يسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والأسروا الفكاهة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوماً فقال : ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا . وقال أبو دلف للعجلي :
وكن على الدهر فارساً بطلا فأنما الدهر فارسٌ بطلٌ
لأبدٍ للخيل أن تحولَ بنا والخيلُ أرحامنا التي نصلُ
فرّةً بالبحين ننقلها ومرةً بالدماء تنقل
حتى ترى الموت تحت رايتنا تطفأ نيرانها وتشتعل

(الباب الثالث من الباب الأول في التهاني)

لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
النابعة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحتري فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النابعة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهناني ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبي الصلت الثقفي يذكرك سيف بن ذي يزن واتيانه بالفرس
ومحاربتهم بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقفاً في رأس غمدان دار منك محاللاً
تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبت بماء فعادت بعد أبو الـ^(٢)

أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقفاً في شاذ مهروءع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هوزة بن علي وابن ذي يزن
ولست أختار من التهناني بالأعياد على أيات أشجع شيئاً :

لازلت مبشر أعياد وتطويها تمضي بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم في لياليها
العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لا تقى وتغنيها
ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصر والأيام مقبلة إليك بالفتح معقود نواصيها
أبست هرقة تدمي من جوانبها وناصر الملك والاسلام مدميها
إن الخليفة سيف لا يجرده إلا الذي يملك الدنيا وما فيها
ما قارع الدين والدنيا عدوهما بمثل هارون راعيته وراعيتها
وقلت : ما لليالي والأيام منقبة غراء تسمو بها إلا مساعيك
ربي يقيقك ماتهوى على فرح كما يقيقك ماتهوى ويعليكا
لألف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبليه وينميكا
ولا تزال لك الأيام موطاة تمضي قضايك منها في أمانيك

(١) في الاصل « ينتسب » . (٢) في الاصل « شيب بماء فعادت بعد أبو الـ » .

(٣) في النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنية بالنوروز قول هارون بن
عليّ لعل بن محمد الحواري :

عليّ ياذا الجود والمعالي يامعدن الانعام والافضال
يامن به نيطت عُرى الآمال فحكم الآمال في الاموال
جود بلا من ولا اعتلال مبتدأ يُغنى عن السؤال
قابله النوروز بالاقبال ونعم تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوال شبك في تصرف الاحوال
فليله أزهر ذو اشتعال كأنه وجهك في الجمال
وصبحه بالمال ذو انهمال يحكي ندى كفك ذا الأسيال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قول غدا يوفي على الأقوال كمثل ما توفي على الرجال
فاشتبه الأجواد بالبخال وعدت^(١) مسرورا رضى البال
في نعمة ضافية الاذبال بعز ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجبهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجري لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتائبهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدهم منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه و كل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكة
وما يحويه ملكه وتبائه مقدرة وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهمل من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتى مع
الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك آياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لا زالت من الله نعمة تجدّها الأيام عندك والدهر
ولا زالت الأعياد تمضى وتنقضى وتبقى لنا أيامك الغرر الزهر
فأنك . الدنيا جمال وزينة وإنك للأحرار دخر هو الدخر
رأيت الهدايا كلها دون قدره وليس شيء عند مقداره قدر
فلا فضل إلا وهو من فضل جوده ولا ير إلا دونه ذلك البر
فأهديت من حلى المديح جواهرأ منصلة يزهي بها النظم والنثر
مدائح تبقى بعد مانفد الدهر وتبهي بها الأيام ما اتصل العمر
شكرت لاسماعيل حسن بلائه وأفضل ما تجزى به النعم الشكر

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمر بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى إلى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كمهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه
بشكرك وفرغت إلى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وإني ان جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً ألتبس بها ما أعتد به في مجازاتك الا وجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك السبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهدى نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخير
او أهدى مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهدى شكري فهو ممرتهن^{هـ} بجميل فعلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضيء بسمة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظيراً في رقة معانيها وحسن تخريجها، ورسالة سعيد بن حميداً أكثرهما معاني. وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سبط ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بالطفاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق^{هـ} فهو لاشك فاعله^{هـ} وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله^{هـ} وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى للقليل بقدره^{هـ} تقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله^{هـ} وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزداد : النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سبتنه^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسألك» . (٢) في النسخ مهملة من النقط .

في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقصرنا على هدية
تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن
قللت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل
الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المولى بن أيوب للمعتصم : النفس لأمر المؤمنين
والمال منه وليس فيما أوجبه الحق تقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقية من كلام
أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لعلى بن عبيدة الريماني لم يزد سعيد بن
حميد فيه شيئا .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله
الأمر بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطول له وملاه من العز أمده
وأكمله وألبسه من الأنعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع
له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التهنيت قليلة النظير منها
ما كتب يهنئ بالوزارة : أنا أهني أطال الله بقاء سيدي الوزارة بالقائها إلى فضله
مقاداتها وبلوغها في ظله إرادتها وأنحيازها إلى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من
كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر
إليها حتى قرت لديه قرارها وأثقت يديه نهارها بعد أن هنا قلبها إشفاقا من
استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحدث إحلاس الجهل بها ولا غرو
فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخط خطه وعاهدت لا برحت ساحتها فالحمد لله الذي
أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون في ذيول الخيبة ويتسقطون
في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه
فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر إلى ولينه بحقين قديم
وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والا زمان محسودة بانحيازها الى امضائه وتديره فما اكسى الدهر حلة أبهى من حصول عِنايه في يديه ومشوله من جملة العبيد لديه لازال آمراً ناهياً سامياً عالياً تنهياً الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فغيثه بتشبه بكفه واعتداله مضاه خلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهاداة بما يحضر ما خلا الكتب التى لا يترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه موروداً بالعلم ومتحملاً عنه بالغنى .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشرًا حله التى استعارها من شيمته ومبدياً حليه التى أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سمادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والا أمل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهنأ سيدي الموهبة التى ساقم اليه ومدروا قها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لاتسكون كذلك وقد صدرت عن ملائكة الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتبائه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وخلت من سيدي محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرقه الله ميامن أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقد ولد له ابنان توأمان: وصل كتاب الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن تسنح موحدة حتى تسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن وطلع من النجيبين أبي القاسم وأبي كالنجار أدام الله عزها طالعا ملك ونجما سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأملت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف المسكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتنفتني من السرور مافسح مناهج الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزججت قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتهام ما أدناه من الاميرين السيدين من معادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود وتعلو به الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .

وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن أنسها الله وحرسها بذكر ما لقاها كرم مولانا وورقاها اليه من مراتب تشریف لا تكمل القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تتسع الخواطر لالتماسها واقتضاؤها فحمدت الله ولي الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسألته أن يطيل بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة ما درعه من شرف لا حل مقيم ولا يتعيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الغرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن سماع المسكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بضيرة ولا من ترك التهاك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلاً إلى خبر البشري فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتر يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته ومقيم نهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتر بشري بينت فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملكك مخبر بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النعماء فيك ممتعا (١) بملو همته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه وترى الكهول الشيب من أولاده
وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه للز قرب والسمك نديم
فلا أمره التميم (٢) كيف تصرف حالاته ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقه حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بمائه حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً ومهد سد الليل وهو بهم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتحت خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا هله شرف به متوطد ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عيناً فان خلاله تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النعماء فيه ممتعا » . (٢) في الاصل مهملة

ولحده التصميم حين تلاحت أقرانه . ولشاده التقسيم
ومن أعجب ما جاء في التهئة والتمزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولي قال قيل للرشد ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشد
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لا تُمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشد : أهذا الذي زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت في تهئة بمولود :

فاستقبل الخير في نجيب	عما يعيبُ الوري نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ	يملكُ أبصارَ ناظريه
علاها ^(١) بهجة إذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقه كاملاً سويّاً	تكثرُ علات عائبه
جنى لذيذ المذاق حلوً	يقربُ من كفٍّ محتنيه
وعن قليلٍ يصيرُ شهماً	يشقى به جد كاشحيه
ألا فعش في ضمانٍ خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت في تهئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه فانك قد فصلت بالتبر جوهرها
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً وطيرتهُ في الأفق نشرّاً معطراً
هو الينُ لم يعدمك محبوبةً دنت ومكروهة شطت وصعباً تيسراً
ومر عجائب المعاني تهئة لأبي اسحق الصابي مشوبة بالعقد ^(٢) لرجل زوج أمة:
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والبرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة في محظوراته فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) في الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) في الأصل « بالعقبة » .

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجشمتها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنببت وأنبت والسلام. قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوادثهم في تصارييف نشوهم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتفاء والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السعي والهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاهما قبل بلوغ أدواته منتهاها يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه والله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ما جلاك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى الالب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن بصحبه حافظاً وجمالاً بما جمل
من صورتك وكل من اداتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجراهم في المشاهد الجامعة مشهوراً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نطقت
 آمناً من انصراف الأَبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالمحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منك من رفق يمدده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليده اليه من ترك ابقائه في السطوة عليه ولو كان طارياً من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاها منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها في جمال غشاك وكمال
 أتك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاء لحق الله عليك
 واستدراً للمزيد في احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وتمزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله في شيخك رحمه الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل في زمرة الأموات والله يأسو كلمك
 ويسد ثلمك وقد فعل ذاك بأن أتاح الله لك بعد أيك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإشاراً لك وبراً وقد لعمرى وفقت حين وصلت بحبك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله لئلا تفقد من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعاً بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاها
 وزادها محاسن ترفل في حللها وتبخت في حليها واكتنفها بيا من يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة السكامة في

ثَقْرِب رِكَاب مَوْلَانَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَكَبَتْ أَعْدَاءُهُ وَكَبَّ حَسَادُهُ وَزَادَ هَمُّ رِغْمًا
بِزِيَادَتِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ فَعَمَّا لَا يَرْحَلُ مَقِيمَهَا وَلَا يَتَحَيَّفُ عَيْبَهَا مَا اخْتَلَفَ الْعَصْرَانِ وَتَعَاقَبَ
النِّيرَانِ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ فِي وَقْدَتِهِ مَا يَنْقَادُ لَهُ أَقْصَرُ الْأَسَارِ وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ غَايَاتِ
الِاخْتِيَارِ بِمَنْزِلِهِ وَجُودِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا يَبْلُغُ نِدَاءَهُ وَلَا يَنْفَصِلُ أَخْرَاجُهُ مِنْ أَوْلَادِهِ حَتَّى يَسْتَفْرِقَ نِعْمَهُ
وَيَسْتَوْفِيَ فَوَاضِلَهُ وَقَسَمَهُ وَأَنَّى ذَلِكَ وَهِيَ مَتَطَرِفَةٌ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ وَمَمْدُودَةٌ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ
لَا يَتَخَطَّى إِلَى شُكْرِ بَعْضِهَا إِلَّا بِتَجَدُّدِ أَمْثَالِهِ مِنْ جَمَلَتِهَا وَتَرَادُفِ نَظَائِرِهِ مِنْ جَمَاعَتِهَا
وَأَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى كَثِيرًا وَقَبْلَ مِنَ الشُّكْرِ قَلِيلًا وَأَوْجِبَ بِهِ مَزِيدًا وَالصَّلَاةَ
عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

﴿كِتَابُ الْمَبَالِغَةِ﴾

فِي أَوْصَافِ خِصَالِ الْإِنْسَانِ الْمَحْمُودَةِ مِنَ الْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ
وَالْحَزْمِ وَالْعَقْلِ وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ وَهُوَ :

﴿الْبَابُ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ دِيْوَانِ الْمَعَانِي﴾

سَمِعْتُ الشَّيْخَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُونَ أَجُودُ يَتِ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلَ مُسْلِمٍ
ابْنِ الْوَلِيدِ ^(١) :

(١) هُوَ الْمَلَقَبُ بِصَرِيحِ الْغَوَانِي، تَأَدَّبَ فِي الْكُوفَةِ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ فِي الشُّعْرِ، مَاتَ بِبَجْرَجَانَ .

يجودُ بالنفس إن حُضِنَ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ

وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة : ^(١)

تجودُ بنفسٍ لا يجادُ بمثلها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله

عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه

وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم ^(٢) :

طلبت هديةً لك باحتيالي على ما كان من حسي ونسي

فلا لم أجدُ شيئاً نفسياً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي

وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم

بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة

له كيد وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفه من ماله وقد

بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذلته وخدمته . وقال أبو تمام :

ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتيق الله سائله

وقد أنكر خلف بن خليفة إهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف

الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشدُ الركبا

قلتُ له هل جئنا بهدية فقال بنفسي قلتُ أنحف ^(٣)

هي النفسُ لا آسى عليها إذا نأت ولا أتمنى ما حيتُ لها قربا

إذا هي وافت من ثمانين قامة فلا السهل أقمها الآله ولا الرحبا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ في غداة وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ

ولعله سقط « بها التزبا » أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزائن .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذي أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمد قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن السحابةَ لم تزل معقولةً حتى حلتَ براحتيك عقالها
وإذا الملوكُ تسيرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنتم هلالها
فلم يثبه فقال :

هزرتك هزة السيف المحلى فلما ان ضربت بك اثنت
فهيها مدحة ذهب ضياءاً كذبت عليك فيها وافترت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فمر أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرفدُ
ألا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردُّ وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية الأسود

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتهل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرّ إلى الله من لؤمهم فإني أرى الناس قد أصلدوا
 وإني أرى الناس قد أبرقوا بلؤم الفعّال وقد أرعدوا
 ثم مضى فقبل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أيك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي الغتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول علي بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوته وباطنه خلوة من الخير أخرب
 أبا دلف يا كذب الناس كلهم سواي فإني في مديحك أ كذب
 وأخذ البحتري قوله * كانوا كوا كبها وكنت هلالها * فقال في المتوكل :
 اذا غبت عن أرض ويمت غيرها فقد غاب عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاق البلاد خصيبة وهل تحمل الدنيا وأنت ثمالها (١)
 فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال في عينه الحية الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجه ليل مظلم وحفيف نافحة وكلب موسد
 وأخوك محتمل عليك ضغينة وخسيف قومك لا ثم لا يحمّد
 والضيف عندك مثل أسود صالح لا بل . أحبهما إليك الأسود
 ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامساك
 قول ديك الجن :

قالوا السلام عليك يا أطلال قلت السلام على المحيل محال
 حاج الشقي مراده دمن البلى ومراد عيني قلة وحبال
 لا ناد من (٢) الراج وهي زلال ولا طرقن البيت فيه غزال
 ولا تركن حليلها وبقلبه حرق وحشو فؤاده بكبال

(١) في الأصل «ثمارها» . (٢) في الأصل (لأفاد من) .

وليشفين^(١) حي فم وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسلم الأوكال وهى مواكل
 ورجال هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمعه
 ولم يكن لك مال يوم تكسبه
 تحب من أجله الدنيا وتورثها
 سترته عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه فى نوائبه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال امرئ
 فليس على الجود والمكرمات
 هو المال ان أنت لم تخترب
 أباح لك الدهر ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشمنى يا ابن ورد فأنى
 ومن يؤثر الحق النؤوب يكن به
 تعود على مالى الحقوق العوائد
 خصاصة جسم وهو طيان ماجد
 وقال عبد الملك بن مروان ماودت ان أحدا من العرب ولدنى إلقائل
 هذه الأبيات .

(١) فى الأصل (ولايشفى) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال

عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسعقنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نُحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم آثمها ودع أمرنا ان المهم المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدوح أهم له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحتري :
سحاب عدا في جوده وهو هامر وبحر خطاني فيضه وهو مفعم
وبرق أضواء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلى منه أسود مظلم .
ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

له هم لا ينتهي لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده هم ملء فؤاد الزمان إحداها
وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
أحدى هممه ملء فؤاد الزمان فإذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .
ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلعتين عجيبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتهما لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطؤي في
الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
فاستخر اللهَ وخذُ مرهفًا وافتك بأهل الشرق والغربِ
ولا تمت ان حضرت ميتةً حتى نمت السيفَ بالضربِ

ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيله أعلم منه بحذاءِ أهله ^(١)
قد امت أيدى النوى بشمله متمماً مضطجعاً بحمله
منصلاً كالسيفِ عند سله مولودةً همته من قبله
قد دان ذو الفضل له بفضلِهِ كالصابِ من يذقه لا يستحلِهِ
إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال : همةٌ تنطجُ النجومَ وجدُّهُ ألف للحضيضِ فهو حضيضُ

أبلغ ما قيل في يمن النقية ^(٢) قول الأعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً ينبع لأوريت نارا
الحصاة مع النبع لا توري قال فانت من يمن نقيبتك لو قدحت بهما لأوريت .
وقال بعض الأعراب :

يذكرني سعداً دماءً بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعداً إلى الماءِ سرى

من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعسين وراء شأوه إلى العلى والمكرماتِ مطرح
قد شح بالعرض وجاد بالهوى فحوى المجد بما جاد وشح
فاذا همَّ بأمرٍ ناله فسواءٌ جدٌّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقية : النفس ، يقال فلان ميمون النقية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقت ومك بادىء المزن غير معقب
ولما يفرره تقلب دهره فقلت لعل الدهر لم يتقلب
ويدنو له المطلوب حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :
سأشكرُ عمراً إن تراخت منيتي أيادى لم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسه ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا
قذيت عينه صرف الهمّة إلى نقذتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من
حيث يخفى مكانها » أباح لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :
إذا ليلةً نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتململُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طُرقت به دونى فعينى تهمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس البجلي (١) :
أشدُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تتبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنتر (٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأننى مستهلكُ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمي

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبل
الفتح وكان ممن ذم الجحور في الجاهلية .

(٢) هو عنتر بن شداد العبسي من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على
شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركت مجندلاً تمكو قريصته كشدق الأعلم
 هلاً سألت الخليل بابنة مالك إن كنت جاهلة بما لا تعلمي
 يخبرك من شهد الواقعة أنني أخشى الوغى وأعف عند المنعم
 ومدجج كره الكفاة نزاله لا ممن هرباً ولا مستسلم
 سبقت يدائ له بعاجل طعنة ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر مخيلة لنفس المنعم
 ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم عنها ولكن تضايق مقدي
 قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنتره هجيناً أمه
 أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ
 سلاحاً وصنع مهراً فأغارت طيء على عيس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع
 القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
 أباه وأمهم ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيراني فكر عليهم فقتل
 منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد
 الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلجقة
 أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنتره يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
 تسمى زيبدة وقال النبي ﷺ « ما سمعت بأعرابي فاشتيت أن أراه إلا عنتره » .
 والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمع رجلي بها حفر الموت وإني لفرور
 ولقد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت هرير
 كل ماء لك متي خلق وبكل أنا في الروح جدير
 فقال « وإني لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » باللقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك مني خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال الفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه إذا علم أنه إذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهاك وإنما الشأن في أن يمدح بإقدامه وفي قريب من ذلك قوله :
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العيشي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعين بخالد بن الصعقب فحماة عليه فطعنته فأردبته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بحديث فاسمع فأما زهب هؤلاء المعدي . مسترعين أي متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أي قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أي لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الفيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :
وادهم حبيت ^(١) حلبابه فيا جارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضعها فاثنت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قيل (حبيت) .

وكنت إذا ما همتُ اعتزمتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعل
وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ماتقضت رسائله
له نسبُ الانسى يعرفُ نخله وللجنِّ منه خلقه وشماله
وقال عبید بن أيوب :

فله درُّ القولِ أي رفيقه لصاحب قفرٍ خائف متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبني وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الاشعري في أي كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أبياتاً قلتها :
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركبُ حدَّ السيف من أن تضيمه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمر ك ما أدري واني لأوجل *
حتى صار إلى البيتین فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه علي معاوية فقال ما علمت ابنك فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فانه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة ولقد رأيتني ليلة صفين وما يجبسنني إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عتي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الربيع

واعطائي على المكروه مالي وضربي هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحى بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صاف ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشد على الكتيبة لأبالي أحتفي كان فيها أوسواها

وهذا على مذهب بن ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والثبات

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت منغمس إذا تأتي على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بعثر يصطادُ الرجالَ إذا مالم يثُ كذبُ عن أقرانه صدقا
 يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابن حمام^(١) :

تأخرتُ أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلُّومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت يموت به شريفاً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتي الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بحر شواء بالعصا غير منضج
 دعوت إلى مانابني فأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزج^(٢)
 فتي يملأ الشيزي^(٣) ويروى سنانهُ ويضربُ في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :
 نصلُ السيوفَ إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيفاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .

وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :
 خطو ترى الصارمَ الهندي متصراً به من المارن الخطي متصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه أدرك الإسلام .

(٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزي بالكسر

خشب أسود للقصاع أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثليها أقلى شكوكا إنني غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُروعاً مالهـا زردُ
نأى عن المصرح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد

وأجود ما قيل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أومسترخى الطولِ
حاط الخلافةَ سيفٌ من بنى مطر أقام قائمهُ من كلِّ ذا ميل
سيد الثغورَ يزيد بعد ما انفرجت بقائمِ السيف لا بالختل والهيل
موف على مهج في يوم ذى رهجٍ كأنه أجلُّ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما بيعا الرجالُ به كلوتٍ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوف نفوس^(١) النبا كثرين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يغدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناس بالأجل
قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مرحل
إذا انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالكَ الموتِ في الأبدان والقال
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفٌ الخيف وأمنٌ الخائفِ الوجل
كبيرُهم لا تقومُ الراسياتُ له حملاً وطفلهم في هدى مكتهـا
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سلمت ولا في الدين من خال

(١) في هامش نسخة « دباء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانخر فمالك في شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل^١
 وقوله : سل الخليفة سيفاً من بني مطر
 كالدهر لا ينتهي عماهم^٢ به
 تظلم المال والاعداء من يده
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك
 تمضي المنايا لما تمضي أسننته
 وله أيضاً :

يلقي المنية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بجلود
 كالليث بل مثله الليث المصور إذا غنى الحديد غناء غير تغريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بل في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخصك الحشر^٣
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه عليه الحفاظ المرء والخلق الوعر^٤
 غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
 أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبتغي اللحد ولا أبتغي الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحري :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم على أن ذاك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء عداء^(١) أم لقاء حبايب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها على أرواس الاقران خمس سحائب

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الأصمعي أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الخطيب :
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال المحدث في معناه * ماضاع عرفوان أوليته حبراً * وقال الافوه (١) :
والخير تزداد منه ما كفيت (٢) به والشر يكفئك منه قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله البرصي :
الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث مأويعت من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبي هريرة قال قال رسول
الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا
إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن
عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه
يعني من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فيرى منه فلما جلس مع القوم
وابيد ينشدهم * ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال عثمان صدقت ثم أنشد
لبيد رأس البيت * وكل نعيم لا محالة زائل فقال عثمان كذبت فأسكت القوم
ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال
لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزا رجل من قريش فلطم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الأودي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها

وساداتها وفرسانها . (٢) وفي رواية « لقيت » .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت غيثك غنيا
 فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
 فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :
 ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
 حبالُهُ مبثوثةٌ بسبيله ويغنى إذا ما أخطأتهُ الجبالُ
 إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ حاملُ
 وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نروحُ ونغدو لحاجتنا وحاجةُ من عاش لا تنقضي
 وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته
 العرب قال الناس يقولون : كل امرئ في شأنه ساعى ، وأنا أقول :
 كأن مُقلاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقى من الناس مذنبُ
 وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الأُكرومتين فأنما يسودُ الفتى من حيثُ يسخو ويشجعُ
 زرعُ رجاءٍ في ذراكٍ مُبكراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ
 أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بأُيها
 وإن قرابَ البطنِ يُغنيكَ ملؤه ويكفيكَ سواَتِ الأمورِ اجتنابها
 أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوةِ
 فكل ماشئت يغنيكَ عن العذبةِ والحلوةِ
 وطأمن شئت يغنيكَ عن الخناء في الذروةِ
 فكم أنساك ما نهوا هُئيلُ الشئِ لم تهوهِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعٌ يوماً غزاني غزوتُهُ . كئائب ناسٍ كَرَّها واطرادها
أمصُّ ثمادى والمياه كثيرة . أعالج منها حضرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه . هو الرأى أن ترضى النفوس ثمادها
وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبته . وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع

وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً . دون ما ترضى بأدنى مالديك
وذمَّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا نكير
دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به . إلا الأذلَّان غير الحى والوتدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمته . وإذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللئيمُ مطّاً حاجبيه . وذادَ عن حريمٍ درهميه
فأترك عنانَ البخل في يديه . وقم إلى السيف ^(١) وشفرتيه
واستنزل الرزقَ بمضريه . إن قعدَ الدهرُ فقم إليه
وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردني . إلى جانب منها يلينُ ويسهل ^(٢)
وأقنعُ لا أن القناعة لي هوى . ولسكنَّ صونَ العرض بالحرأجل
وقال ديك الجن :

لا تقم للزمانِ في منزلِ الضيمِ ولا ترتبطك رقةٌ حالٍ
وإذا خفتَ أن يراهقك العدُّمُ فعذِّ بالثقات العوالى
وأهن نفسك الكريمةَ للموتِ وقحم بها على الأحوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموت أجمل بالحر من العيش ضارعا للرجال
 أى ماء يجول في وجهك الحر إذا ما امتهته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفت الدهر بأهل الندى وأهل النوال
 قليل من الورى من تراه يرتجى أن يصون عرضا بمال
 وفى المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدنى أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاسترأت رحلى سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعل المنية قبل القبول
 لعمر التى وعدتك الثراء بجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب الرام واستجملت لك غير الجميل
 ساقى العفاف وأغنى الكمال فليس غنى النفس جود الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعد لدم البخيل
 وأعلم أن بنات الرجاء تحل العزب محل الدليل
 وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيت نبي الشعر. وقال البصير :

قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفل ولم أكد
 لا تجمعوا اب تهنونى وأكرمكم ولا تمدوا الى نيل اللثام بدى
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم فى يومكم لغد
 قرب ملتصق مالىس يدركه ومدركه مائنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليربح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فتهاه دريد فينماها كذلك رأوا غيرة

(١) فى الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ فى البصرة.

فقالوا ارقبهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزاره ولا بأس ثم رأوا غيرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا مضى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزية أن غوت غويتُ وإن ترشد غزية أرشد
وأسر دريد ثم نجى ففزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة وروى غيره :

وذى ودٍ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميعاً
أطافَ بغيهِ ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الامرَ الفظيعاً
أردتُ رشادَهُ جَهدي فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزى :
تنخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولا هشٍ
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسعته من زور قول ومن غشٍ
وقال آخر :

ألم تعلم يا ابنى رجاجة أنى أغش إذا ما النصيح لم يُتقبل
ومن جيد ما قيل في النصيحة قول مخيس بن أرطاة :
عرضتُ نصيحةً منى ليحي فقال غششتنى والنصحُ مرُ
ومابى أن أكون أعيب يحيى ويحي طاهرُ الاخلاق برُ
ولكن قد أتانى أن يحيى يُقالُ عليه فى نقباء شرُ

فقلت له تجنب كل شيء يُقال عليك إن الحر حر

ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إن أخا الصدق الذي إن يخذلك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا صرف زمان صدعك شئت شمل نفسه ليجمعك
وإن غدوت ظالما غدا معك

فسروه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الآيات لا يقتضيه وإنما
أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »
وقال ابن ميارة في النصيحة :

نصحتك يارباح بأمر حزم فقلت عشيمة من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قریش على محبوبكة الأصلاب جرد
ووجدت ما وجدت على رباح وما أغنيت شيئا غير وجدى
وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيت منافسا في نيل مكرمة فكنه
إن الصديق هو الذي يراك حين تغيب عنه
وإذا كشفت غطاءه أحمدت ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا اتضا ه أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسعى له كرما وإن لم تستعنه
ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من صحبة زيد أربى فتي إذا نهته لم يفضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرض بالمتاع المحب
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى ما لم يبذل لمسجد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلِ ما لم يحمل فمزَّ في عيني حين ذلَّ لي
إن جمال الحرِّ في التجميل وقد يكونُ العزُّ في التذلل
والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :
وليس أخوك الدائم العهد بالذي يلومك إن ولي ويرضيك مُقبلا
ولكنه النَّائى إذا كنت آمنا وصاحبك الأدنى إذا أمرُ أعضلا
أبلغ ما قيل في النَّائى وأجوده وأشدّه اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسى :
تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إنَّ هذا الدينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ
يَرْفِقْ فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهى شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطَّ بها كوار خوص لواغب يقلُّ ! كثار الذميل ذميلها
نقض عبدة حلَّ الفراق عقالها وأقلقَ هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيم على الدار يسقى ظهن طولها
ومن المشهور في النَّائى قول القطامي :

قد يُدركُ المتأني بعض حاجته وقد يكونُ مع المستعجل الزللُ
وقال غيره :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدِهِ ولم يدر ما يلقاه حين يُبادرُ
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفا مردودا وكثيرا ما يقع « كل » في
الشعر قلق المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

فيا لائى دعنى أغالى بقيمتى فقيمة كلِّ الناس ما يحسنونه

ولا أعرف أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلمت عُتْبَةً أَنِّي منها على أجل مطل

وشكوتُ ما ألقى إليها والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتُ بما أشكوكا يشكو الأذل

قالت فأى الناسِ تعسرفُ ما تقولُ فقلتُ كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فمطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

وأول الأبيات :

رأتنا أم عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلغُ بُخترىُّ

وانى حين تختلفُ^(١) العوالى الى الابطال أكيس قسورىُّ

كلبنى للندى والبأسِ انى بكل بسالة وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم اذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر تقياً) معناه اختر من شئت فجد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الزومي فقال :

(١) في الأصل «يختلف».

دعني الى فضل معروفكم وجوه^ه مناظرها معجبه
 فأخلقتم^م ما نوسمته وقل^ل حميد^ه على التجربة
 وكم لمة خلتها روضة^ة فألفتها دمنة^ة معشبه
 ظلمتكم لا تطيب^ب الفروع^ع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عني على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذروني كعذريكم بأن^ن أصولكم المذنبه
 جزيت^ت موازينكم بالسواء وعذرت^ت بعذر فلا معتبه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر : لا تحمدن^ن امرأ^ة
 حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد
 * الشكر كغزو النعمة . ولا أطرف من قول البحتري . الشكر نسيم النعمة :
 وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد
 وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر
 قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

حلفت برب^ب العيس تهوى بركبها الى حرم^م ماعنه للركب معدل^ل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية^ة تفضل^ل إلا غاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة^ة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء^{اء} منه على المرء إلا منه الشكر أثقل
 فمن شكر المعروف يوماً فقد آتى أخا العرف من جنس^س (١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

(١) في نسخة « حسن » مكان « جنس »

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتَ بِي فَقَصَرْتَ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
قَوْلُهُ وَإِنِّي لَشَاكِرٌ مَعَ قَوْلِهِ مَغْلُوبًا حَسَنَ الْمَوْقِعِ ، وَهُوَ مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ :
فِرَاقٌ حَبِيبٌ لَمْ يَبْنَ وَهُوَ بِلْتَنٌ
لَأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً
فَارْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بِلْتَنِي
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مُنْبِتِ شَعْرَةٍ
لَسَانًا يَتْلُو الشُّكْرَ فَيْكَ لَقَصْرًا
وَقَوْلِ دَعْبِل :

هَجَرْتُكَ لَاعِنَ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ
وَالِكُنْفَى لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاغِبًا
فَمَلَانَ (١) لَا آتِيكَ إِلَّا مَعْذِرًا
فَإِنْ زِدْتَ فِي بَرٍّ تَزَايَدْتُ جَفْوَةً
وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسَ :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا
أَنْتَ أَمْرٌ قُلْدَتْنِي نَعْمًا
لَا تُسَدِّدُنِي إِلَى عَارِفَةٍ
مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرِفَا
أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي وَقَدْ ضَعُفَا
حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَتَى بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَحَدُ أَدْوَاءِ
الْكَلَامِ فَضْلُ الْفَاعِلِ عَلَى مَعَانِيهِ . وَقَالَ الْبَحْثَرِيُّ :

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ إِسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ
أَدَابَتْ شُكْرِي فَأَمْسَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ
لَأَقْبِلُ الدَّهْرَ نِيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ
لَمَّا سَأَلْتُكَ وَأَفَانِي نَدَاكَ عَلَى
مِنْ الْعَمَلِ وَالْعَمَلِ مِنْهُمْ فِي تَعَبٍ
أَقْصَرَ فَمَالِي فِي جَدْوَالِكَ مِنْ أَرْبٍ
شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مُسَدِّدِي إِلَى أَبِي
أَضْعَافَ شُكْرِي فَلَمْ أَظْفِرْ وَلَمْ أُخِبْ

(١) أَصْلُهُ « فَمِنْ الْآنَ » . (٢) فِي الْأَصْلِ « نَكْتَفِي » .

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءه باعُ شكري قصورَ الزجَّ عن زلقِ اللسان
وآسى أن تطولَ يداي منه إلى ما لا يطاولُه لسانى
كأن ندى يديه عناقُ بين فليس يسرُّنى إلا شجائى
لهجتُ بذكره لأبين عنه فضاقَ بوصفه ذرعُ البيان
حنانى ثقله ولو أن قوساً تلقى منكبي لما حنانى
فها أنا منه مفتقرٌ وغاب وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحرى :

إنى هجرتك إذ هجرتك وحشة لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
أخجلتنى بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتنى بالجودِ حتى أنى متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت فى الناسِ وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركبٌ شعرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما تمت لك النعماء
فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيدِ بى وتظل تحسدنى بك الشعراء
وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرنى سوء رأيك فى فما أهتدى
لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تفطنى من حسن رأيك
فأضوى ولا تسقطنى عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحرى
مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ ومكافاةٍ ما أنالَ واسدى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى له أياديه عبداً
سمعت عم أبى يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسار: ما أدرى النعمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عنى فجعل ما منعه
نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم فى المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا أعرف لها متعللا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فجبر تقيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا والهمة سامية تمشح وجه النجم وتقبل طارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جرده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلي بصدق مخياته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتي خطوته وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعم في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بحقوق الأنواء إذا تحلى بيواقيت الأنوار والآلئاء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الأصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حجاباً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بال وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظم ومن زرع مبيخة حصد الفقر إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفات بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .
وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيح بما أوليت من حسن وكل ماتدعيه غير مردود
كل هجاء وقتلي لا يحمل لكم فما يداويكم مني سوى الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما جرى في باب الشكر وهو من أبدع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنت في القول مرة فمنك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت غصناً من حناي لغارسي

٦. أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الأصمعي :
لا تُشكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جل وعز بشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه
وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المكارم ضخمة غادرت فيها ماملكت قتيلا
فرايت أكثر ما بذلت من اللهى تورا وأصغر ما شكرت جزيلا

وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرت عنك إلى الرجا ل فكان عرفهم كنكرك
ورجعت من كذب اليك مفرغاً نفسي لشكرك
ولما أروم بما أقم ل زيادة في رفيع ذكرك
لكنه حق أوفسيه عوانك بعد بكرك

كم نعمة لك ملء فكـرى لا تلاحظها بفكرك
(أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقول أراه بعد عروة لاهيا وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبي أني تناميت عهد ولكن صبري يأيمم جميل
وبعده : ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خيلاً صفاً مالك وعقيل

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضع
حتى كآني للحوادث مروة بصفا المشعر كل يوم تفرع
وقوله : وإني صبرت النفس بعد ابن عنبس وقد لج من ماء الشؤون لجوج
لأحسب جلدًا أو لينبأ شامت وللشر بعد القارعات فروج
وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب
رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أرى الصبر محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب
هناك يحق الصبر والصبر واجب وما كان منه كالضرورة أوجب
فشد أمرؤ بالصبر كفاً فانه له عصمة أسبابها لا تقضب
هو المهرب المنجى لمن أهدت به مكاره دهر ليس عنهن مهرب
لبوس جمال جنة من شماتة شفاء أسى يثنى به ويشوب
فيا عجباً للشئ هذى خلاله وتارك ما فيه من الحظ أعجب
وقد يتظنى الناس أن أساهم وصبرهم فيه طباع مركب
وانهما ليسا كشئ مصرف يصرفه ذو نكبة حين ينكب
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسمى وإن شاء صبراً جاءه الصبر يجلب

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش الى زمن عمر .

وليس كما ظنوها بل كلاهما لكل لبيب مستطاع^١ مسبب
 يصرفه المختار منها فتارة يراد فيأتي أوزاد فيذهب
 إذا احتج محتج^٢ على النفس لم ينكد على قدر ما يعني له يتعتب
 وساعدها الصبر الجميل فأقبات إليها له طوعاً جنائب تحب
 وإن هو مناها الأباطيل لم تزل تقاثل بالغيب القضاء فتقلب
 فتضحى جزوعاً أن أصابت مصيبة وتسمى هلوغاً إذ تعذر مطلب
 فلا يعذر^٣ التارك الصبر نفسه بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داء^٤ دفين^٥ لا دواء له يبرى الصدور إذا ما جمره^٦ حرثا
 فاستشف منه بصفح أو معاتبة قائما يبرى المصدور ما نفثا
 واجعل طلابك بالآوتار ماعظمت ولا تكن لصغير الأمر مكثرا
 ثم قال يمدحه :

وخير سجايات الرجال سجية^٧ توفيك ما تسدى من القرض والقرض
 وما الحقد إلا توأم^٨ الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
 فحيث ترى حقداً على ذى اساءة فثم ترى شكراً على حسن القرض
 ولولا الحقود المستكنات لم يكن لينقض وتراً آخر الدهر ذو نقض

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
 الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
 عم أبي يقول : الصبر شرية^(١) تشمرارية^(١) وقال * نفرج أيام الكريهة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزع^٩ يجدى على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعله أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الحنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرت جلادةً لكن لثقل حيلتي أتصبر
وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذي
ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل الكركرة حتى يدميه . ويقولون :
أصبر من عود بجنيبه جلب قد أثر البطان فيه والحقب
قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عينة بن حصن :
أصبر من ذي ضاغط ممرك ألقى يواني صدره للمبرك
ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف والييس . وقالوا حيلة من
لاحيلة له الصبر . وسمعت والذي يقول لعن الله الصبر فان مضرت حاجلة ومنفعته
آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في العاقبة ولعلها تفوتك
لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته
بعد ذلك وقلت :

الصبر عن تحبه صبر ونفع من لام في الهوى ضرر
من كان دون المراد مصطبراً فليست دون المراد أصطبر
منفعة الصبر غير حاجلة وربما حال دونها الغير
فقم بنا نلتبس ما ربنا أقام أولم يقم بنا القدر
ان لنا أنفساً تسودنا أعانهن ^(١) الزمان أو يذر
وابغ من العيش مأسر به ان عذل الناس فيه أو عذروا
وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الحلیم
ذليل عزيز وذلك أن صورة الحلیم صورة الذليل الذي لا انتصار له واحتمال السفه
والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحلیم مطية الجهول لاحتمال
جهله وتركه الاتصاف منه . وقال الأول :

(١) في الاصل «أعانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتم الحلم للمرء راضياً إذا كان عند السخط لا يتعلم
 كما لا يتم الجود للمرء موسراً إذا كان عند العسر لا يتكرم
 ولهذا قال شيخ من الأعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي يصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لا أقوام
 ويشتموا فتري الألوان مسفرةً لا صفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام
 وسمعتة يقول الحلم عقاب الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وإن أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :

وتخرج نفس المرء عن وقع شتمةٍ ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر
 ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله أنى لأرفع نفسي أن
 يكون ذنب أوروته من حلمي وما غضبي على من أملك أو ما غضبي على من لأملك .
 يريد أنى إذا كنت مالكاً للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم ألزم نفسي
 الغضب وإن لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
 ولا أضره . وقال الشاعر في الحلم والاعضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مفض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبي فقال له إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن حريذ أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنبٍ وإن كثرت منه على الجرائم
 وما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ ومقاوم
 فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم
 وأما الذي مثلي فاب زلٌّ أو هفا تفضلت إن الفضل بالعز حاكم
 وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لامَ لائم

قسم هذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روي في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى : قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤ لا يعترى خلقي دَنَسٌ يغيرُهُ ولا أفنٌ

من منقر في بيت مكرمة والفرع ينبت فوقه الفصن

خطباء حين يقول قائلهم بيضُ الوجوه مصاقعُ لسن

لا يفتنون لعيب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة (١) :

ثلاثٌ بأمثال الجبال حياهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حليماً قال المتلس :

لدى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسان إلا ليعلم

ومن أشرف نعوت الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً

وطالماً ومضطرباً محتسباً وعفوّاً وصالحاً ومحتملاً وكافئاً ، وهذه شرائف الاخلاق

وكرائم السجاياء والخصال . وقد خولف هؤلاء فقيل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبح الجهل بالفتى وللحلم أحياناً من الجهل أقبح

إذا كان حلم المرء عوناً عدوه عليه فإن الجهل أعنى وأروح

وقال غيره :

قليل الأذى إلا عن القرن في الوغى كثير الأيادي واسع الذرع بالفضل

ويحلم ما لم يجلب الحلم ذلةً ويجهل ما شدت قوى الحلم بالجهل

وقال غيره :

ترفعتُ عن شتم العشيرة انى رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى
 حلیمٌ إذا ما الحلمُ كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهل أحزم * وقالوا ليس شيء خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لأنخ لى لرأيت تغمدته والصفح عنه
 إجلالاً لقدر مولاه واعظاً لما لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .

وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفكُ من سعدٍ إلينا قطوعُ الرحمِ باديةً^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم ينفلوها وطولُ العفو أدرُبُ^(٢) للظلوم

أجود ما قيل فى المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمي قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله فى
 أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها فى أبى مسلم ، أولها :

أبا جعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ
 على الملك الجبارٍ يقتحمُ الردى ويصرُّعه فى المأزقِ المتلاحمِ
 كأنك لم تسمع بقتل متوجٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأعاجمِ
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلامِ نائمِ
 وقد ترد الأيام عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائمِ
 ومروان قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليل الجرائمِ
 وأصبحت تجرى سادراً فى طريقهم ولا تتقى أشباه تلك الفقائمِ
 تجردت للإسلام تعفو رسومه وتعزى مطايا لليوث الضراغمِ
 فما زلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارمِ

لحى الله قوماً رأسوك عليهم ومازات مروءاً خيث المطاعم
أقول لبسام عليه جلالة غداً أريحياً عاشقاً للمكارم
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم
سراج لعين المستضى وتارة يكون ظلاماً للعبد المراحم
إذا بلغ رأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غصاصة فان الخوافي قوة للقوادم
وما خير كيف أمسك الغل اختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحزم ليس بناثم
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم

هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :
فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم
فانك لا تستطرذ الهيم بالني ولا تباع العلياً بغير المكارم
وما قارع الأقوام مثل مشيع أريب ولا جلى العمى مثل عالم
وما خير كف البيت . قال أبو بكر فحدثني الجمحي قال سمعت المازني
يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشار هذه أحب إلى من ميميتي جرير والفرزدق .
وقيل لبشار ما أحسن أيمانك في المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بشمرته
أو خطأ يشارك في مكروهه ف قيل له هذا والله أحسن من شرك . ومن الأفراد
التي لاشبيه لها قول عبد الملك بن صالح في ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا انكبر
على وتصاغرت له ودخلتني الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل في العيون
مهيب في الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت
بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يفنه
عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاءه . فذم المشورة كما ترى وهي ممدوحة بكل لسان .
وقال رومي لغارسي نحن لانملك من يشاور فقال الفارسي نحن لانملك من

لا يشاور، وقد أجمع الناس أن الفرس أعقل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت مللت . ويقولون
الطمع طمع، والطمع الدنس وأنشد :

لا خيرَ في طمع يدعو إلى طمع وُغفَةٌ من قوام العيش تكفيني
والغفَةُ القوت وأصلها الفأرة ^(١) وميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة ^(٢) :
ألا نمتي عميرة أن رأيتي عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلمة سمعتها عن العرب قولهم « إن ترد الماء يماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلتقي ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلك لا تناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
ممسكاً ساقاً » أي لا يترك مفتعداً إلا إذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أني أتبع لها حرباء تنضبة ^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً
أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :
ومخرقٌ عنه القميص تخالهُ بين البيوت من الحياء سقياً
حتى إذا رفع اللواء رايتهُ تحت اللواء على الخنيس زعيماً
أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناق والقمم
إذا غدا المسك يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خرايبان سنة ١٠٢ هـ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الأصل (ثابت بن قطنه) .

(٣) في أمثال الميداني « بليت ياشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يغضُّ الطرفَ فضلُ حياؤه ويدنو وأطرافُ الرمحِ دوان
وكالسيفِ إن لا ينته لآن مسه وتداه إن خاشيته خشان

وقال أبو دهب :

تزرُّ الكلام من الحياءِ تحاله صمتاً وليس بجسمه سقم
عقم النساءُ فلا يلدن شبيهه إن النساءَ بمثله عقم
غيره : انى كأتى أرى من لحياء له ولا أمانة بين الناس عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والخبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول :

ومالبُ اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قوم وهيهاتَ الحظوظُ من العقول
والعرب تقول « اسع بجَدٍّ أودع » .

أجود ما قيل في التزهد والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطالع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت تافت الى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومنتظر سؤالك بالمطايا وأفضل من عطاياها السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتزهد عنه مال

وما أحسب انى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إن القناعة خيرُ مال لدى كريم يروح بغير مال
وان تصبر فإن الصبر أولى بمن عثرت به نوب الليالى
تجمل إن بليت بسوء حال فإن من التجمل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأى والفتنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا ينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت مارأيت . وقلت :

أما نك مصروف إلى كل راهب
تبشرت الدنيا بجذواك واكتفت
تبسم منك الدهر عن زائن^(١) له
بصير له دون العواقب فكرة^٢
ليشكرك مجد لا تزال تحوطه^٣
كأنى إذا أمسكت منك بعروة
وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أبى تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا
لأمر عليهم ان تتم صدوره^٤
على مثلها والليل تسطو غياهبه
وليس عليهم أت تتم عواقبه

مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تفحمها فأودى
وكان على الفتى الاقدام فيها
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به
بأنك لما استبخل الأمر^(١) واكتسى
تجلتته بالرأى حتى أربته
سلات له سيفين رأيا ومنصلا^٢
وكنت متى تهزز لخطب تغشه^(٣)
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا
وخان بلادته الزمن الخؤون
وليس عايه ماجنت المنون
يُصان رداء الملك من كل جانب
أهأبى سيفى فى وجوه التجارب
به ملء عينيه مكان العواقب
وكل لنجم فى الدجنة ثاقب
ضرائب أمضى من رفاق المضارب
عزائم كانت كالقنا والقنابل

(١) فى هامش النسخة (راقب له) إشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازيمى ^(١) على قلب حازم
أواخى رجالاً لست أطلع ^(٢) بعضهم
وقال الآخر : سأ كتمه سرى وأحفظ سره
عليم فينسى أوجهول يذيعه
كتوم لما ضمت عليه أصابعه
على سرّ بعض ان قلبى واسعه ^(٣)
ولا غرنى أنى عليه كريم
وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذا ضاف صدر المرء عن سرّ نفسه
فصدر الذى يستودع السر أضيق

أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضل قسم الله للمرء عقله
إذا كمل الرحمن للمرء عقله
يعيش الفتى بالعقل في الناس انه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتى في الناس صحة عقله
ويزرى الفتى ^(٤) في الناس قلة عقله
ونحوه قول الآخر :

ولم أر مثلاً للفقر أوضع للفتى
ولم أر من عدم أضرب على الفتى

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قيس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه ^(٥) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حيازيمى) . (٢) في النسخ (ينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن المعجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى مافيهما فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمية وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرعى من ابن تقي وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الأعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصنفدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حمهم دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق . ويخرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه ، وقال له عبد الملك إن الرجل لا يكون طاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقد ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بحدافيره وجمعه بزوبيره . ومن المعجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بيب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدب لا نضاف مال إلى علمي وآدبي
قمَّ جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
عز الكمال فلا يحظى به أحدٌ فكلُّ خلقٍ وإن لم يدرك ذوطاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعرافه يجرى المذكي وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل عليّ رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيته يلبس السكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانته مقبلاً على شأنه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتُ عمراً بعضَ ما في جوانحي وجرعتُ من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدَّ من شكوي إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرار نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :
إذا ضيعت أولَ كلِّ أمرٍ أبتَ اعجازهُ إلا التواءُ
وإن حملتَ أمرك كلَّ وغد^(٢) ضعيف كان أمركما سواءُ
وإن داويتَ دنيا بالتناسي وبالليان أخطأت الدواءُ
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتلك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحري أن تنالَ جسيهها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو لغيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يفضي حياءً ويفضي من مهابته فما يكلمُ إلا حين يبتسمُ
جعله مهيباً في السكون والاغضاء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق بكافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء

هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يراجعُ هيبَةً والسائلونَ نواكسُ الاذقان

هدى التقى وعزُّ سلطانِ النهى وهو المهيبُ وليس ذا سلطان

ومن أحسن تشبيهه جاء في الهيبة قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب

تسكن جوارحه فكأن على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :

أضمرُ في القلبِ عتياً له فان بدا أنسيتُ من هيبته

ومثل هذا في النسيب كثير وشبيهه قول الأول :

أهاؤك إجلالاً وما بك قُدرةٌ على ولكن ملءُ عينٍ حبيبها

وما هجرتك النفسُ أنك عندها قليلٌ ولأن قلَّ منك نصيبها

لا ترى أجود من قوله « ملءُ عينٍ حبيبها » ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك

لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال

« وتملأ عين الناظر المتوسم » وقال ابن الرومي :

في فتيةٍ من ولدِ المنصورِ أملأ للعين من البدورِ

وقال آخر « إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم » وقد أجاد أبو تمام في صفة

الهية والخافة فقال :

تَبَّتْ المقامِ يرى القبيلةَ واحداً ويُرى فتحسبهُ القبيلُ قبيلاً

وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هيبَةً^(١) بطلت لديها سورةُ الأبطال

لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال

ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدتُ وحيداً ووحيد في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزِّ يملو قبائلاً وواحدكم في المجدِ يكثر معشرا

وقال الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي المعونة :

شدَّ الخطامَ بأنفٍ كلِّ مخالفٍ حتى استقامَ له الذي لم يخطم

لا يصلح السلطان إلا هيبه تلقى البريء بفضلِ جرم المجرم

منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالشئِ تكرهه وإن لم تعلم

ونهجت من حزم السياسة منهجاً فهمت مذاهبه الذي لم يفهم

وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبد شمي عن المبرد :

وأثيت حياً في الحروب محاهم والجيش باسم أيهم يستهزم

يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :

ليبك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السمر

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيف والجياذ بهم تجري

ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي لها

وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا

فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .

ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عمِّ محمد رعدان ضوء الصبح والاضلام

فاذا تنبه رعته وإذا غفا^(١) ملت عليه سيوفك الاحلام

فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيتُ فيه الهموم والأطما وصرتُ فيه بين الورى علما

أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمتُ كان لي حلما

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ « نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ » وما وصف أحد هيبة صاحب السلطان اذا بدا كما وصفها البحتري في قوله :

اذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت
يقومون من بُعد اذا أبصروا به
ويدعون بالاسماء مثنى وموحداً
وان سار كف اللحظ عن كل منظر
فلست ترى إلا إفاضة شاخص
وقوله: تراءؤك من أقصى الساطق قصر
ولما قضوا صدر السلام تهافتوا
إذا أسرعوا في خطبة قطعهم
إذا نكسوا أبصارهم من مهابة
رؤس الرجال عن أشم سميدع
لأبليج موقور الجمالة أروع
إذا حضروا باب الرواق المرفع
سواء وغض الصوت عن كل مسمع
اليه بعين أو بشير بأصبع
خطاهم وقد جازوا الستور وهم عجول
على يد بسام سجيته رسل
جلالة طلق الوجه جانبه السهل
ومالوا بلحظ خلت انهم قبل

وقال أبو بكر الصولي وهو من البليغ :

اذا ما بدا والقوم فوق سروجهم
تناثرت الاشراف منهم على الارض
وقال البحتري :

ومبجل وسط الرجال خفوفهم
فالله يكلؤه لنا ويحوطه
لقيامه وقيامهم لقيوده
ويعزه ويزيد في تأييده

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول علي رضي الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولا أعرف في مدح العلم وعد خصاله أبلغ من كلامه رضي الله تعالى عنه خاطب به
كما بن زياد أثبتته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن ارياء حدثنا علي بن حكيم الاذري حدثنا الربيع بن عبد الله المدني حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن علي عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي
رضي الله تعالى عنه فلما أصبحنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم جوعاء
أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق
يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تسكتسب به الطاعة في
حياتك وجميل الاحدثة بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
مات خزان المال والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة هاهنا ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً^(١) غير مأمون
يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لجملة الحق .
لابصيرة له في اجنائه فيقدح الشك في قلبه عند أول طرض من شبهة ، أولاً
ولاً فمتهوم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
الدين أقرب شياً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة
إما ظاهر وإما خائف لئلا تبطل حجة الله وتبينه وكم وأين أولئك الأقلون عدداً
الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها
في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلنوا
ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
والدعاة الى دينه هاهنا شوقاً الى رؤيتهم .

ومما حدث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت
بسفينتك سبح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالقريحة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضيته صحف الضمائر » كان

(١) اللقن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً وبئسَ مُستودعُ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناءً عن جهولٍ مغمَرٍ دفاتر تلقى في الظروفِ وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضيةٍ وكائن رأينا من نفيسٍ بضيع
ومن المختار في ملاقاة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لى ولم يثن اللسان على هجر
يصرِّفُ بالقولِ اللسانَ كما اتحنى وينظرُ في اعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خيرَ في حشو الكلام م إذا اهديت الى عيوبه
وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
وبعجبني زى الفتى وجماله ويسقط من عيني ساعة يلحنُ
على أن للأعرابِ حداً وربما سمعت من الأعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنباري عن أبيه :

شفاء العيِّ في طولِ السؤالِ وعدلك في المقالِ وفي الفهمِ
وبحثك في الأمورِ عن المعاني وتخرج المقالِ من المقالِ
وقولك بالصواب إذا أنبت شواهدُ ورفضك للجدالِ
وصمتك حينَ تسمعُ من حكيم ليفهمك الصحيحَ من المحالِ

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يزد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعزيرد الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحورث المودة وحاصد يذهب بالضغين وممل يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخى وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموى قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيرونى قال تحدثنا بباب الأوزاعى وفينا أعرابى من بنى عليم بن ضاب لا يتكلم فقل له بحق ما سميتم خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعى فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموى حدثني اسماعيل

ابن عبيد الله قال قال جدي : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام الا يقظة ولا يقظة إلا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجزع على ذلك مدة حتى صرت إلى ما ترى . وصحى البيان سحرًا لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن لا هتم أخبرني عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله يارسول الله أنه لزم المروءة ضيق العطن أحق الوالد لثيم الخال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة) وإنما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأى وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

وما يدخل في باب ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد الباهلي قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له ما تقول في أخوالي قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيئاً وأطعمهم طعاماً وأوفاهم ذمناً وأبعدهم همماً هم الجزرة في الحرب والرقد في الجلب
والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت
فزاد أخواله في الفخر فتعجب أبو العباس لأعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى
أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من
بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملككتهم
امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت
عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع
معانيهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المذهب سنة لكان قليلاً
فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل
المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف طاقته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأي جسد بلغ المازح

ومثله : صارَ جـداً مافرحت به رَبُّ جـدٍ جَرَّه لَعِبُ .

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه .

أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري يوصي ولده وقومه

وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعائنته وقال

يا بني أوصيكم بتقوى الله ويعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق

الكبير وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه نابكم الذي عنه تعبرون وبجنتكم الذي

به تستجرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن

يوسف فإنه الذي وطأ لكم المغابر وذال لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر

وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يمدد

حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو شحق وبطش أيّد
 عزت ولم تكسروا إن هي بددت قالوهن والتكسير للمتبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر مائتان فان كان في نفوسكما شيء من بيعة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئتما قالوا بل رضىنا أكل الناس لها وأقوامهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلنا لما قبلنا ثم رفع طرف فراشه فإذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفك
 إذا أنامت تنصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا. ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكناه وهل بالموت بالناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكن بنينا قورم تهدهما
 فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التميمي :

إذا سيدنا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسلة الصبيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سفره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذي رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه
إذا سُمتُهُ وصلَ القرابةِ سامي
وأسعى لكي أبني ويهدم مصالحي
يحاولُ رغمي لا يحاولُ غيرهُ
فإن أتصر منه أكن مثلَ رائش
فبادر متى النأي والمرءُ قادرُ
فإن أعفُ عنه أغض جفناً على القذى
حفظتُ الذي قد كان بيني وبينه
فما زلتُ في لينٍ له وتعطف
لاستل منه الضغنَ حتى سلته
فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الآيات فما أحسنها وأرضاها قال معن

ابن أوس المزني .

ومن أجمع ما قيل في المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرني
عم أبي عن أبيه قال قال العتابي كنت واقفاً بباب المأمون أتظر من يستأذنه لي
فأقبل يحيى بن أكرم فقامت إليه فقلت استأذن لي على أمير المؤمنين فقال است
بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بي غير سبيل قلت
إن الله قد أتخفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة إن شكرت وبالنقصان إن كفرت
وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو إلى ازدياد نعمتك وتأيي على ولي كل
شيء زكاة وزكاة الجاه ردد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
فضلُ جاهك تعود به على من لا جاه له) فقامت ودخل فما لبث أن خرج
الحاجب يسأل عني فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن مفيان بن عيينة عن
ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
ﷺ علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ما أضاعه جهود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فإذا عجلته هنأته وإذا صغره عظمتها وإذا سترته بتمته ان بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناؤه ونخره فهما أتيت من معروف فأنما أتيتك لنفسك . وقال عمران لكل شيء أنفأ وأنف المعروف السراح : فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أتم » فقالوا تتذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وان كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فإنك كنت روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نعفيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيورها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الإخوان فيها فانتجعتك وأنا بالتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استخى من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبداً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عزته	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم	تدري على سعة لم يظهر الجود

بثَّ النِّوَالَ ولا يَمْنَعُكَ قَلْبُهُ فكل ماسدٌ فقراً فهو محمود
قال فشاطرهُ ماله حتى بعث إليه قِيعَةً نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ما جاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثلُ المعلى	وجدتُ عدوك التُّربُ الذليلُ
رأيت المظلَّ ميداناً طويلاً	يروضُ طباعه فيه البخيلُ
فما هذا المظالُّ فدتك نفسى	وباعك بالندى باع طويلُ
أظنك حينَ تقدرُ لى نوالاً	يقُلُّ لديك لى منه الجزيلُ
فلا تقدر بقدرك لى نوالاً	ولا قدرى فيحقرُ ماتنيلُ
وأطلق ما تهمُّ به عساهُ	كفانى أيها الرجلُ النبيلُ
وإلا فالسلامُ عليك منى	نبت دارُ فاسرعَ بى الرحيلُ
إذا ضاقت على أمل بلادُ	فما سدت على عزم سبيلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى ولكنهُ خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب المعانى فى عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلابى على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتنى فقال قدأمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أماما سألتك بوجهى فأقبله منك وأما ما ابتدأتنى
به فلا حاجة لى فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لا أنى رأيت الذى
أخذت منى بمسألتى إياك بوجهى أكثر مما نالتى من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقوقك على ما رأيتنى أهله من انزال الحاجة بى لإقبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل
ومى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لا ترى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لا ترى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :
فأنك لا تدري إذا جاء سائل^ت أنت بما تعطيه أم هو أسعد^ت
عسى سائل^ت ذو حاجة أن منعه^ت من اليوم سؤلاً أن يكون له غد^ت

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بصر ناسب الحمد ووقفنا على طرق الدم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نعم العبد إنَّه أوَّاب)
ووصف من مقتله فقال (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِفَعِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَتِيمٍ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ) فدم قوله وفعله وعاب شيمته وخلقه وهتك
بالشتم عرضه وسود بالدم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميمة الفعل ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراقٌ جميلٌ خيرٌ من صُحبةٍ على دَخْنٍ » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (علي دخل) ومن قديم ما جاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تريدنَ كما تجمعينِ وخالداً وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمدٍ
يقول لأم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو
- وقيل وهب بن جابر - هو بها فامتنعت عليه فخرج يوماً يتصيد فختل ظبية فلما
أخذها أنشد :

فمالكِ يا شبيهةً أمِّ عمرو إذا طابتنا لا تأمنينا
فمينك عينا اذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا
وساقك ساقها^(٢) ولا أمِّ عمرو خدجلة يضيقُ بها البرينا
ورأسك أزعر ولا أمِّ عمرو غداً يُثغرفن وينشينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما
أبنع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الأصل ، (٢) (ساقها) غير موجودة في الأصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم ^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركته أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفستك فاحفظها ولا تُبد ^(٢) للعدى من السر ما يطوى عليه ضميرها
رعى خالد سرى ليالى نفسه توالى على قصد السبيل أمورها
فلما تراماه الشباب وغيه وفي النفس منه غيرة ونحورها ^(٣)
لوى رأسه غنى ومال بودة أفا نبج خود كان فينا يزورها
تعلقه منها دلال ومقلة تظل لأصحاب الشقاء تديرها
وما أنفس الفتيان إلا قرائن تبين ويبقى ^(٤) هامها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدن الله حلمك اذ غزا وسافر والاحلام جم عثورها
لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلاً شامئ تستخيرها ^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها
وهذا جواب لا ترى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فان السى فينا زعمت ومثلها لفيك ولكنى أراك تجوزها ^(٦)

-
- (١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على ما في ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرز من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مفلح ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة « تفش » .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب « فتنة وفجورها » . (٤) في الأصل (ويثني) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تحببك . (٦) تجوزها أي تبدل عنها . وفي الديوان (تجورها) .

ألم تنقذها من ابنِ عُويمر وأنت صفيُّ نفسه وسجيرها
فإن يك يشكو من قريب مخانة ^(١) فتلك الجوازي عقبها ونُصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب :

يُرى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكينٌ على الخلقِ حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمر وعلانيتهما
وخلالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمر ومعهما على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه :

لعمر وأبي الطيرِ المربة غدوة على خالدٍ إن قد وقعن على لحم
كلية وربى لن تعودى بمثله عشيةً لآفته المنية بالردم
فأنك لو أبصرت مصرعَ خالدٍ منعت ^(٢) الستارَ بين أظلم فالحزم
علمت بأن البابَ ليست ؟ ولا البكر لاضمت يداك على غنم
ضروب لهامات الرجالِ بسيفه إذا التفت الأبطالُ مجتمع الحزم
ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل :

لحي الله من لا ينفعُ الودُّ عنده ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذولونين ليس بدائم على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العينِ أما لقاءه فحلوه وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب : لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عاتبتك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تمكيت ولا توقيف
ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقائله فيه متتبع وأشبه البر بالعقوب ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الآيات استدرجناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة :

عليه النفوس : وقد قال الشاعر :

ونيس بمن في المودة شافع^١ إذا لم يكن بين الضلوع شافع^٢
وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تباغادوا^٣ إليك ورواحا حتى ملني البكور
وسمى التهجير وشكائي الطريق ولحائي الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ود^٤ امرئ متكاه^٥ عليك ولا في صاحب لا توافقه
وهذا ذره^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملني الانسان إلا ملته^٦ ولا فاني شيء فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاء دائم^٧ ولست إذا مال الصديق على حرف^٨
إذا أنا لم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كنى^٩
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتي وليك وسعديك داعياً مستجاباً له وعائباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت ولكني
أسأحك ولا أشأحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى^{١٠}
مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١) أتيناكم نعودكم^{١١} وتذنبون^{١٢} فنأتيكم ونستدر^{١٣}
ولا ترى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضي الوفاء بكثرة الالحاح فأثقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذره من خير : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقي العتاب » . وقلت :

أمنماً إذا جئتكم أستعيرُ فكيف إذا جئتُ أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشرٍ فللعزَّ عندهم منك
يُقرَّب مثلي إذا ما نأى ويكرِّم مثلي إذا يقرب
عتبتك للودِّ لا للقلبي وواصلُ صديقاً مانعاً

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبِ الأرضِ أوطاني
فإن صدَّدتُ وجهي كي أكافتهُ فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم لياليَ عودكم حلوا المذاقِ وفيكمُ مستعتبُ
فالآن اذ ظهرَ التعتبُ منكمُ ذهبَ العتابُ وليس غنكم مذهب

ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برٌّ ينفعُ
واعلمُ بأنى لأمرٌ بحاجةٍ إلا وفي عمرى بها مستمتع

ومن جيد المعانيات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملكُ النَّائى بغرَّتِه^(١) وجوده لمرجى^(٢) جوده كُشِبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لى أملاً أن السماء تُرجى حين نحتجب
مادونَ بابك لى بابِ ألوذُ به وما وراءك لى مثوى ومطلب

وقوله في أبي سعيد :

لعمرِك لليأسُ غيرُ المريثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
وللريبُ تحصره بالنجاح خيرٌ من الأمل الخائب

وقال يمانب موسى بن ابراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الاصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « لمرعى » .

سأقطع أرسان العتاب بمنطق
وان أمراً ضنت يدها على امرئ
أخذه من قول مسلم :

وأحببت من حبها الباخلين
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
يفار على المال فعل الجواد
وقول أبي تمام :

لا ل وهب أكف كلما اجتديت
قوم تراهم غيارى دون مجدهم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدم أزرى يبهجته
وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقوم إستمعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر
فان أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقف المذخور مني بمنزل
هي النفس إما أن تعيش عزيزة
عفاء على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاء على الدنيا إذا مستحقها

بغايا ولن يرجي لديه منوعها
وسأل بعض الزهراء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخل بالقرطاس والخط عن نخ
وكفاك أندى في العطايا من المزن

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤلؤ حمراً وسوداً» . (٢) في الديوان «أن يجوداً» .

قصير عناء الفكر فيه بطول
بنيل يد من غيره لبخيل

حتى رمت ابن سلم سعيداً
ثياباً من البخل صفراً وسوداً^(١)
وتأبى خلاثقه أن يسوداً^(٢)

فعلن في الحل مالم تفعل الديم
حتى كأن المعالي عندهم عرم
وآخر الحيوان الموت والهزم
لبس الملا طلالا يزرى به القدم
نبال العدى عنى فكنتم نصالها
على حين خذلان اليمين شمالها
ذمماً فكونوا لاعليها ولا لها
وخلوا نبالي للعدى ونبالها
وإلا فغنم أن تزول زوالها
على المرء إلا رفقها وسماها

فلا يكن المبذول للوم^(١) سمي وقرطاسه^٢ بين الصبابة والحزن

وهي طويلة. وقال جمحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر^٣ والحر^٤ للفعل الجميل شكور
 لكن رأيت^٥ يباب دارك جفوة^٦ فيها لصفو صنعة تكدير
 ما بال دارك حين تدخل^٧ جنة^٨ ويباب دارك منكرو^٩ ونكير
 غيره^{١٠} : سأترك هذا الباب مادام^{١١} إذنه على ما أرى حتى يلين قلبا
 إذا لم أجد يوماً إلى الأذن سلماً وجدت^{١٢} إلى ترك^{١٣} الحجى سبيلا
 وقول أبي تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأول :
 وإنى لا أرجوكم على بطء^{١٤} سعيكم كما في بطون^{١٥} الحاملات رجاء
 وقد أحسن أبو تمام في معاتبته ابن أبي دؤاد واستبطائه إياه في قوله :
 رأيت^{١٦} العلا معمورة^{١٧} منك دارها إذا اجتمعت^{١٨} يوماً^{١٩} وقر^{٢٠} قرارها
 وكم نكبة^{٢١} ظلماء^{٢٢} تحسب^{٢٣} ليلة^{٢٤} تجلى لنا من راحتك نهارها
 فلا جارك العافي تناول^{٢٥} محلها ولا عرضك الوافي تناول^{٢٦} فارها
 فلا تمكن^{٢٧} المطل من ذمة^{٢٨} الندى فبئس أخوال^{٢٩} أيدي الكبار^{٣٠} وجارها
 فان الأيادي الصالحات كبارها إذا وقعت^{٣١} تحت^{٣٢} المطال صغارها
 وما نفع من قدبات^{٣٣} بالأمس^{٣٤} صادياً^{٣٥} إذا ما ساء^{٣٦} اليوم طال^{٣٧} انهـارها
 وخير^{٣٨} عدات^{٣٩} المرء^{٤٠} محتضراتها^{٤١} كما أن^{٤٢} خيرات^{٤٣} الليالى قصارها
 وما العرف^{٤٤} بالتسوية^{٤٥} الا كخلة^{٤٦} تسليت^{٤٧} عنها حين شط^{٤٨} مزارها

(١) (للوم) ساقطة من الأصل فاستدر كنها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبي العميثل ، وفيه (ينحف) مكان (يلين) و (اللقاء)

في موضع (الحجى) . (٣) في ديوان أبي تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبي تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .

(٦) في ديوان أبي تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً لمالك بن طوق وقد حجبته :
 قل لابن طوق وحاسم إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماً وكيسها علماً ودغلها
 مالي أرى الحجرة الفيحاء ^(١) مقفلة . غني وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عمل زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته ..

وكتب الصاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبه
 يطير من يدي خلفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقبال وليس
 عندي أنك تمل صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجو نظاماً ولا عندي أنك تقل وبحر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقللت فتسامني كما
 سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأجب أن تطالعي بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت طابت الصديق ولم يكن يودك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرق البلاد مسوامة وغريبها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلال بآجن من الماء تخبث ما تطيب مشاربه
 وكتبت : أياً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من دني الخطاب ووضع الدعاء

(١) في ديوان بني تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وهجبت كيف حططت الدماء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تردد تقيرا وأنا في درجتي لم أنقص قطيرا فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك
 وكفاك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر إلهلال بدراً ولا الشبل لثاً ولا الفصن
 ساقاً ولا القطوف معتاقاً . والعرب تسمى الكبريتها وهو الخيرة لأن صاحبها لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولو لم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلي بقبح سمته
 ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليفاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفعك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الإخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

ما يال من أوله نطفةً وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض بني هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولرب مولى لا يغضُ جاحهٌ طولُ العتابِ ولا عناءُ العذلِ

يطغى عليك وانت تلامُ شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل

ضاق الزمان فضاق فيه قلبي والماء يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازلون محله ؟ فنزلكم للحمد والشكر منزلُ

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد يسألوك فوق ما كان يسأل

وقصر عن مسعاكم كل آخر وما فاتكم ممن تقدم أول

بلغت الذي قد كنت أمله لكم
ومالي حق واجب غير أنني
قلت أنتم أنعمتم وبررتم
وان كنتم أوليتموني تفضلاً
وكم ملحف قد نال منكم رغبة
وعودتموني قبل أن أسأل الفنى
وقال ابن الرومى :

من الحيف تخسيس^(١) النوال ومنظله
وكن نخلة تلوى وتسنى عطاءها
وقال : ياشبيه البدر فى الحسن
جذ قد تنفجر الصخرة بالماء الزلال
وله فى المعانيات مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذى تمت وزارته
ان كنت أحسنت فى وصفى ما ثمركم
وإن أكن قلت مالا أستحق به^(٢)
ان المديح اذا ماسار منفرداً
فقد بعز بليغ فى بلاغته
أسهبت فيكم لكنى أعلى فطاطانى
ان السلايم لا تبنى أطاولها
لكن ليصعد انجاداً تشرفه
وقد هبطت بما شيدته لكم
لا تجمعن على العار والنار
فأثروا فى بالاحسان آثارا
منكم ثواباً فردوه وماسارا
من الثواب كسى من قاله عازا
وقد يظن سوى المختار مختارا
تقصيركم بى فقد أزمعت إقصارا
يوماً ليهبط بانين اغوارا
حتى يمد اليها^(٣) الناس أبصارا
من حالى ولعل الله قد خارا

(١) فى الأصل « تطيف » وفى ديوان ابن الرومى « تخسيس » .

(٢) فى الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) فى الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١) وغائر منجد من بعد ماغارا
 ثقلت في كفة الميزان فانكد رت تهوى وشال خفاف الناس^(٢) أقدارا
 صبرا فكم ناهض من بعد وقته يوما وكم واقع من بعد ماطارا
 لابنى سمير^(٣) صروف غير غافلة يحسن نقضا كما أحسن امرارا
 وقال : وتابع بعد الفتح قوما سبقتهم فلم أنا في نماك ردف وهم صدر
 ولم يصف من شيء صفا طويتي فلم شربهم صفو ولم مشربي كدر
 وما جاء مدح مثل مدح فيكم فلم كسبهم مدح ولم مكسي جزر
 ومالي لا أنفك أنى مسندا ولي منكم ظهر وما مثلكم ظهر
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر لتجبر من مالي وقد أمكن الجبر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله فقلت له غنيت لو ساعد الزمر
 وقلت : قد كنت توليت الحسنى وتكرمني وكنت أشكر ما أتاني من الحسن
 فما بدا لك في جود ومكرمة تجري من المجد مجرى الروح في البدن
 ارجع الى الحالة الأولى فإنا شكرا يكون لها من أوفر الثمن
 وحسن أحدوثه لو كنت تبصرها حسبته غرة في جبهة الزمن
 أزي من المسك في أصدغ غانية كأنها قرأ أوفى على غصن
 وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فمناها :
 سيشهد أبناء الفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يزعزعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيدا أن يزعزع لعل
 وقد طرف البحتري في قوله يستبطى محمد بن العباس الكلبي :
 المئة الدينار منسية في عدة أشبعها خلقا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفي

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته) . (٢) في الديوان (القوم) .

(٣) ابنا سمير : الليل والنهار لأنه يسر فيهما أى يتحدث — كما في جنى الجنيتين .

ان كنت لاتنوي نجاحاً لها فكيف لا تجعلها ألفاً
وقوله : عمرت أبا اسحق مصلح العمر ولا زال مزهواً بآبائك^(١) الدهر
فأنت ندى نحيباً به حيث لا ندى وقطره يرجى جوده حيث لا قطر
على أننى بعد الرضا متسخط ومستعجب من خطة سهلها وعر
وقد أوحشتنى ردة لم أكن بها بأهل ولا عندى بتأويلها خبر
فلم جئت طوع الشوق من بعد غايتى الى غير مشتاق ولم ردنى بشر
وما بالله يأبى دخولى وقد رأى خروجى من أبوابه ويدي صفر
ومن جيد ما قيل فى حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عوفى على المر وتقاضيته بترك التقاضى
وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
وفى خلاف ذلك قول بعضهم : ثقتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك
يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
أنت أمضى من أن تحرك للمجد ولكن شراة الشعراء
وفى خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو بنحوكم فى حوائجى فأصبح منها غدوة كالذى أمسى
وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى فقد صرت أرضي أن أشفع فى نفسى
وقول الآخر : ألموت خير من حياة زهيدة وألمنع خير من عطاء مكدر
ومن مליح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامسا كي ليس
باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامسا كي ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى
الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطيبين وطعم فى من لا يدفع عن نفسه :
فان كنت ما كولا فكن خير آكل وإلا فأدركنى ولما أمزق
ومما جاء فى ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

(١) فى ديوان البحترى « بأيامك » .

السلوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن الحاجة والحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك أخوانك ببعض العتاب لئلا
يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ما تنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلبة
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبائك وانتقل عنه قبل
أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في
المحمود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرَّفه ما أرَّفه في التقاضى	وليسَ لديك غيرُ المطلِ تقدُّ
خلا وعد مددت إليه كفى ^(١)	فأعرضَ دونه مطلٌ يمدُّ
إذا إنجازٌ وعسك كان وعداً	فيكفينى من الوعدين وعد
وقال: سألتُ قفيزين من حنطة	فجئتَ بكرٍّ من المنع واف
وأتبعته منعك لى بالمجاب	مهلاً مُهديتَ فى المنع كاف
كأنى سألتك حبَّ القلوب	ذاك الذى من وراء الشفاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول:	

وكنْ عندَ ما ترجوه منك فائنا	جميعاً لما أوليتَ من حسنِ أهل
ولا تعتذرْ بالشغل عنا فائنا	تناطُ بك الآمالُ ما أقصَل الشغل

(١) فى ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت إليه عيني».

﴿الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء﴾

قالوا أمجى بيت قالته العرب قول جرير :

ففضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم افتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمير النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعبة بن سعدٍ ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إني لألبس العمامة الصفيفة فيخيل لي أن شعر قفاي قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

ففضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا افتديناها بأملأ كنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما رماح بني نميرٍ الصدور ولا قصار ؟

فو الله ما يسرنا به حمير النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغليُّ إذا تنحنح للقرى حكَّ استه وتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر بتبعية قاتلي أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الإسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في استه لم يحكما .

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدى عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة ببني
نمير فتغامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلَّهِ مَنِينَ يَفْضَحُوا مِنْ أَنْبَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فغض الطرف إنك من نمير * فخبجوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبد القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجوم لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرقى بيتن خائضا
وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمى ولم يمت - وعنه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عفيف وأنت عاهر وأنا وفى وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربعة .
فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرسلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يطبخها الخاكم ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بعلقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاء
لسان رمح عامر أذكرك في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأسنة وأمه كبشة
بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحياء وأمك من

النخع وكانت أمه مهيرة وأم ثلاثة^(١) من النخع ، ثم خلا بعامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أهل ابن عوف بن الأخوص أعف بن عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عاقر مشؤوم أما كان لك رأى يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحد آمن
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أنما كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه توأرى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنما كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضراً . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفنى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أعيانهم نحو
عكاظ فلقبهم الأعشى منهجراً من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى حبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر ابنكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكتموه ففضى بينكم	أبلغ مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه	ولا يبالي غبن ^(٢) الخاسر
علقم ما أنت ^(٣) الى عامر	الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا	ثار عجاج الكيه الثائر
ساد وألفى رهطه سادة	وكابرآ سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فمقروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد

علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :

أتانى وعيد الخوص من آل جعفر فيا عبد عمر ولونبيت الأخوصا

(١) بياض فى الأصل ، وذ كر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) « غبن »

ساقطة من الأصل فاستدر كنها من بلوغ الأرب . (٣) فى الأصل « لانت » .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمكم وبحرك ساج لا يوارى الدَّامِصا
 كلا أبويكم كانَ فرع دمامةٍ ولكنهم زادوا وأصبحتَ ناقصا
 تبيتونَ في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتنَ خائِصا
 يراقبن من جوع خلالَ مخافةٍ نجومَ العشاء القائماتِ القوامِصا
 رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواماً عليكِ مراهِصا
 فعضٌ حديد الأرض ان كنتِ ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواهِصا
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تميز
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ لنحنُ أغلظُ أكباداً من الابل
 وقال جرير :

بكى دوالٌ لا يرفأ الله دمعهُ ألا إنما يبكى من الذلِّ دوالٌ
 وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الخطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريتهُ أمم
 جاريت قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣) ولا يبيتُ على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكماء في الفصل بعدما ^(٤) بدا واضمح ذو غرةٍ وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجحى (وكان الخطيئة مع علقمة بن علاثة
 حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
 جاريت قرماً أجاد الأحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
 والأحوصان : الأخوص بن جعفر بن كلاب - وأمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمرو بن الأخوص ، كافي جنى الجنتين في الثنين للمحبي .

(٣) في طبقات الجحى وديوان الخطيئة (إلا ريث يركبه) .

(٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة :

وها تان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى * علقم لالنت الى عامر * فر على ألسنتهم وسقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتف المصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يا بني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرنى أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
ولى الدنيا بمخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعترهم ^(٥) وعند المقلين السماحة والبذل
هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا تترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إلياس ويحيى
ابن زياد وحماد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصحيحناه
من الامالى والمقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (لفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الاغانى « رزق من يعترهم » .
(٦) في الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءة ولكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجري :

ما زال فينا رباط الخيل معلة وفي كليب رباط اللؤم والعار
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمرهم بولى على النار
قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أمرهم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها أن تطفئها بيولها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قلتها كانت تطفئها بيولها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحان غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألست كليباً إذا سيم سوءة أقر كقرار الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن في طبقته لحكم على جميع
ما في معناه . وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوئت

ولو جمعت يوماً تميم جوعها على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن يرغوثة يرفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل في الخول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قوم^٢ أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة^٣ الوند^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :
 ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
 قوم^٢ إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني المجلان :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد^٤ عن كل منهل
 فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :
 إذا الله طادى أهل لؤم ورقة فمادى بني المجلان رهط ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال لبت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد^٤ عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من النقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ماحر جانيهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب
 « النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكأك - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
 تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كلن من عوف وكعب ونهشل
 قال أحيا^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
 وما سُميَ العجلان إلا لقليلهم مُخَذِ القعبَ واحلب أيها العبدُ واعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هباجم ولكن
 سلح عليهم فهدد النجاشي وقال ان عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى المساء بابله ومثل قوله :
 * تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحترى :

ورد دُبُّ العتاب عليك حتى سُمْتُ وآخر الودِّ العتابُ
 وهان عليك سخطي حين تغدوا بمرض ليس يأكله الكلابُ
 ومن التناهي في الاختقار والحقول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالققع بالقاع لا أصل ولا ورق
 ان الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا
 لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا
 وقول الآخر لو يحلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخفى على الباري القديم
 وقول أبي الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالي أراك عن الندى معزولا
 إني أقول مقالة تجري بها لو كنت من كرم كنت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلي حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) في الأصل «أحياة» (٢) نسبت في العقد باختلاف في بعض الألفاظ لزيادة العجم .

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجاباً ما بال لا شيء عليه حجاب
وقال: وأنت أنزر من لا شيء في العدد *

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشعار قول الأول:
قلو أنى بليت بهاشمي خولته بنو عبد الداني
صبرت على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني
وشكار جل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فاك دخل في العدد وخرج من العدد،
يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل، وهو من قول القائل:
خرجنا الغداة إلى نزهة وفينا زياد أبو صمصمه
فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة
وقلت في معناه:

أنظر إليهم ولا تعجيك كثرتهم فانما الناس قلوا كلما زادوا
ولا يهولنك من دهائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد
عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد
ومن التناهي في صفة الخول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد:
سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون ومن ثمالة
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهالة
ومن الاستحقار الشديد قول مسلم:

أمويس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فأذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل
فجعله دور الـاء والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقلته.

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن اله س قوله:

(١) وفي نسخة «لهمان على ما ألقى ولكن».

فكن كيف شئت وقل ما نشأ وأبرق يمينا وأرعد شمالا
 نجا بك لئوم منجى الذباب حته مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لا يرادها ههنا معنى كبيرا وذلك أنى
 لست أجد خيرا منها فى معناها وأجود ، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضا إذا احتجت إليه تتناوله من قرب .
 وأنشد الجاحظ :

ووثقت أنك لا نسب^ه حماك لئومك أن تسب^ا
 وقال الآخر : بذلة والديك كسيت عز^ا وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره : دناءة عرضك حصن^ه منيع^ه ثقيك اذا ساء منك الصنيع^ه
 فقل لعدوك ما تشتهى فانت الرفيع^ه المنيع^ه الوضع^ه
 وقلت : لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
 لا تفخرون وإن غدوت مقدما فعلى جبينك سيمياء مؤخر
 وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجه^ه غالب قام له هجوى مقام الشرف^ه
 يقول قد أسرف فى هجونا وإنما زاد بذاك السرف^ه
 غائب لا تسمى لتبنى العلا بلغت مجدا بهجائى قف^ه
 قد كنت مجهولا ولكنى نوّهت بالمجهول حتى عرف^ه
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقت من البظر المواسى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقع فى حياته وفى موته فجيرة قول بعضهم :
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لا نفع وموتك فاجم^ه
 وقال ابن الرومى :

فلا تخش من أسهمى قاصدا ولا تأمن من العاير

ولكن وقال معراتها تضاؤل قدرك في الخاطر
وقال غيره :

إني هجوت بكل لفظ مقذر
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت
ونظيراً لك في شؤمك
إن من شبهك الكلب
وقلت : أهنت هجائي يا ابن عروة فاتتحي
وقالوا أتتهجو مثله في سقوطه
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مرأى مرة فقال مهلاً يا أخا خالد

حسبك خزيًا نبي آدم شركتكم إياه في الوالد

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك^(١) لنفسه :

وعصبة لما توسطتهم صارت^(٢) على الأرض كالخاتم

كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم

يضحك إبليس سروراً بهم لأنهم عار على آدم

وقلت : قلت للكلب حين مر بي أخساً فكأنني كويت قلبك كيا

أترى انني أعدك كلباً أنت عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والحقول قول زياد الأعجم :

إذا ما اتقى الله امرؤ وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم

وله جمعت جرم على رأس نملة لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم

ومن بليغ ماجاء في الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوى فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في المهجاء قول ذى الرمة :

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وما انتظرت غيابها للمعة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حلٍّ أمرشهودها
إذا امرئياتٌ حللن^(٣) بيلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سرايل عامر من الأؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيد إنها دولٌ وأحراها بأبٍ تنقلا
هلا جعلت لنا كحرمة دعبل في استِ أم كلب لا تساوى دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد في بشار :

نسبت إلى بردٍ وأنت لغيره فبك لبرد نلت أمك^(٤) من برد
وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد عجرد
* نسبت إلى بردٍ وأنت لغيره * قال بشار تهياً لحمد في هجائي في هذا البيت
خسة معان أوردتها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناسُ كلهم يسعى لحاجته ما بين ذى فرح منها ومهموم
ومالكٌ ظلٌ مشغولاً بنسبته يرم منها خراباً غير مرموم
يبنى بيوتاً خراباً لأنيس بها ما بين طوقٍ إلى عمرو بن كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (لعظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كناها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) ،

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي ^(١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقبيل الأمر مصنوع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفسدوا أويبخلوا لم يمحفلوا
وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاختوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شبيهاً إلا التيوس على أقفاؤها الشعر
ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمر
كان ريحهم في الناس إذ خرجوا ريح الكلاب إذا مامسها المطر ^(٢)
قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتميم حسن . وقالوا قول جرير * تنفت شواربهم على الأبواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أهلك وخالك
وإن أحق الناس أن لا تلومه على اللؤم من ألفى أباه كذلك
ومن الإفراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمر استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النسوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة إلى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي ، وهو ابراهيم بن اسماعيل بن يسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لِسار
ولو لبسَ النهارُ بني كليب^(١) لدنسَ لؤمهم وضحَ النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلبَ حاجةً إلا بجار
وقد مرَّ البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الإفراط في الهجاء قول الآخر :

لو اطلعَ الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَلَّ اللهَ ذا المنِّ من فضله ولا تسألنَّ أبا وائله
فما سألَ اللهَ عبداً له نجاباً ولو كانَ من باهله
وقال الآخر : ولوقيل للكلبِ يا باهلي لأعولَ من قبح هذا النسبِ
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لأنني لست أجدها مثلاً في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنتَ بالزاهدِ
وليسَ عدوكَ بالمتقى وليسَ صديقك بالحامدِ
أتيتُ بك السوقَ سوقَ الرقيقِ فناديتُ هل فيك من زائدِ
على رجلٍ غادرٍ بالصديقِ كفورٍ لنعمائه جاحدِ
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهم واحدِ
سوى رجلٍ حارٍ منه الشقا وحلَّتْ به دَعْوَةُ الوالدِ
فبعثك منه بلا شاهد مخافةً أدرك بالشاهدِ
وأبتُ إلى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقدِ

وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل « بنو كليب » والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ بِيَاقٍ وَلَا خَالِدٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ تَنْفَسُ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ
رَضِيتُ لَتَشْتِيَتْ^(١) أُمُورَهُ يَدِي وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
أن فلاناً كان يقير^(٢) إحدى عينيه ويقول إن النظر بهما في زمن واحد من السرف .
ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بَتُّ طَاهِرًا فَبَجَاءَ سُلُوكِي^١ فَبَالَ عَلَى رَجُلِي
قُلْتُ أَقْطَعُوهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ فَأَنَّى كَرِيمٌ غَيْرٌ مَدْخِلُهَا رَحْلِي
وَقُلْتُ : وَقَفْتُ لَدَيْكُمْ لِلْسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَقُوفِي عَلَى أَطْلَالٍ سَلَمِي وَعَاتِكِهِ
يُرُومُكَ تَسْلِيمُ الْعَفَاةِ كَأَنَّهُ بَوَادِرُ طَعْنٍ فِي الضُّلُوعِ مُوَاشِكِهِ
وَمَا فِيكُمْ حَرٌّ يَكْرُمُ ضَيْفَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا سَاءَ أَكْرَمُ نَائِلِهِ
وَإِنْ كُنْتُمْ نَاسًا وَمَا أَنْتُمْ بِهِ فَانِ الْقُرُودَ وَالْكِلَابَ مَلَائِكِهِ
وَلَيْسَ فِي هَذَا الْبَابِ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا وَلَا أَعْرَقَنِي سَبَقَتْ إِلَيْهِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
سَمِعْتُ الْمَدِيحَ أَنَا سَاءَ دُونَ مَا لَمْ رَدَّ قَبِيحٍ وَقَوْلٍ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ رَجُلٌ الْبِعُوضَةَ مِنْ فُخَّارَةِ اللَّبَنِ
وَهَذَا كَمَا تَرَاهُ بَلِيغٌ جَدًّا . وَقَالَ الْآخَرُ * يَعْطِيكَ مَا نَعْطِيكَ مَكْحَلَةً *

وَأَنْشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي طَاهِرٍ لَدَعْبَلٍ :

أَتَقْفَلُ مَطْبَخًا لَا شَيْءَ فِيهِ مِنْ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَكْلُ
فَهَذَا الْمَطْبَخُ اسْتَوْتَقَتَ مِنْهُ فَمَا بِالْكَنِيفِ عَلَيْهِ قَفْلُ
وَلَكِنْ قَدْ بَخَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَخَتِي السِّلْحَ مِنْكَ عَلَيْكَ بَخْلُ
وَأَنْشَدَنَا : وَإِنَّ لَهُ لَطَبَاخًا وَخَبْرًا وَأَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ وَالشَّرَابِ
وَلَكِنْ دُونَهُ حَبْسٌ وَضَرْبٌ وَأَبْوَابٌ تَطَابِقُ دُونَ بَابِ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

يذودون الذباب يمرُّ عنه كأمثال الملائكة الغضاب
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبنَّ لخبر زلَّ عن يده^(١) قال كوكب النحس يسقى الأرض أحيانا
 وقال أبو تمام :
 صدَّقَ أليسته^(٢) ان قال مجتهداً « لا والرغيف » فذاك البر من قسمه
 وان همت به فافتك بخبزته فان موقعها من لحم ودمه
 قد كان يعجبني لو أن غيرته على جرادقة كانت على حرمة
 وقال آخر : يزدد أدُّ لؤماً على المديح كما يزدد أدُّ تنُّ الكلاب بالمطر
 وقلت : خبز الأمير عشيّة
 وإذا بدا جلسه يقدو عليه يلاعبه
 وتمحوطه أحراسه أفضى إليه يعاتبه
 فالزور يصفع عنده وتذب عنه ككتابه
 وقال آخر: قى لرغيفه فرط وشغف والضيف ينتف شاربه
 إذا كسر الرغيف بكى عليه واكليان من درّ وشذر
 ودون رَغيفه قلع الثنايا بكا الخنساء إذ فجعت بصخر
 وقال آخر: إن هذا القى بصون رغيفاً وحرب مثل وقعة يوم بدر
 هو في سفرتين من آدم الطا ما إليه لا كل^(٣) من سبيل
 ختمت كل سلة برصاص نف في سلتين في مندبل
 في جراب في جوف تابوت موسى وسيور قد دنت من جلد فيل
 وقلت : لنا سيد واحد ماجد والمفاتيح عند ميكائيل
 لئيم إذا جاء طارق يقتل في الجود آباءه
 قد جاءه كل ما ساءه

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزه إذا كان يمنعمهم ماءه
فما ولغ الكلب في لؤمه لما زال يقذفُ أمعاءه
وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الرُّوثَ في أعفاج بغلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ المصافير.
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبلا
وأجرت لي حبلاً طويلاً تبعته ولم أدر أن اليأسَ في طرف الحبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلَى^(١) وقدر الرقاشين زهراء كالبدور
يبيتُها للمعتفى بفنائهم ثلاثا كنقط الثاء من نقط الخبر
إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحولى من ولد الذر
ولو جئتُها ملائ عبيطاً^(٢) لاخرجت مافيهما على طرف الظفر
غيره: يحصنُ زاده عن كلِّ ضرر ويعمل ضرره في كلِّ زاد
ولا يروى من الآداب^(٣) شيناً سوى يت لا برهة الأيادي
قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد
وقلت في مثله :

يطعمُ دونَ الشبع أولاده ويختمُ البرمة والجفنه
لم يروِ إلا خبراً واحداً قد تذهب البطنة بالفطنة
وقال آخر: ظهرك اذ سألتك ماء كرم وماء الكرم للرجل الكريم
وقلت: لك برمة تزهرها من أن تدنس بالدسم
بيضاء يُشرق نورها كالبدري في غسق الظلم

(١) الصلَى بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط: أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضك مثلها كنتَ المَدْحُ في الأُم
أو كانَ فَعْلُكَ مِثْلَ قُو لَكَ كُنْتَ تَارِيخَ الكَرَمِ
ومن أبخل يَلْتَقِيلُ :

وما رَوَّحْتَنَا لَتَذِبَ عَنَّا
وقال أبو نواس يصف قَدْرًا :

يَفْصُ بِمَلَقُومِ الجَرَادَةِ صَدْرُهَا
وتغلى بذِكْرِ النارِ من غيرِ حَرِّهَا
هي القَدْرُ قَدْرُ الشَّيْخِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ
وقال ابن الرومي :

رَأَى البَخْلَ طَبَافَهُو يَحْمَى وَيَحْتَمَى
فَلَسْتُ تَرَى فِي بَيْتِهِ غَيْرَ جَائِعٍ
ومن أجود ما قِيلَ في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إِذَا غَمَرَ المَالَ البَخِيلَ وَجَدْتَهُ
يزيد به يَدَسًا وان ظَنَّ^(٢) يَرْطَبُ
وليس عَجِيبًا ذَاكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ
إذا غَمَرَ المَاءُ الحِجَارَةَ تَصْلُبُ
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :
رَغِيْفَكَ فِي الحِجَابِ عَلَيْهِ قَفْلٌ
وَحِرَاسٌ وَأَبْوَابٌ مُنْبَعَةٌ
رَأَوْا فِي بَيْتِهِ يَوْمًا رَغِيْفًا
فَقَالَ لَضَيْفِهِ هَذَا وَدِيْعُهُ
وأنشدنا عنه :

لَهُ حَاجِبٌ كُدُونُهُ حَاجِبٌ
وَحَاجِبٌ حَاجِبُهُ مُحْتَجِبٌ
وقال أبو تمام :

لَا تَكْلِفَنَّ أَرْضُ وَجْهَكَ صَخْرَةً
فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ مَوْوَنَةٍ حَاجِبِ

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :
الجلال بالكسر : خرقه ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يَدَسًا وان
ظَنَّ) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر : لا تتخذ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا : أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر : إحتجب الكاتب في دهرنا
 القوم يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن :

وصاحب أسرفت في مدحه
 حجابهُ ألزمـنى منزلى
 وقلت في معناه :

مدحت فلم تصدق ولم تك مُدنيا
 وما الجهل إلا أن تقرظاً معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد :

لا خير في صاعد فأذكره
 ليس له ما خلا اسمه نسب
 والخير يأتيك من يدى عمر
 كأنه آدم أبو البشر

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومى :

لك وجه كآخر الصك فيه
 كخطوط الشهود مشبهات
 وقلت : إن كان شكلك غير متفق
 من عصبه شتى إذا اجتمعوا
 لمحات كثيرة من رجال
 معلمات أن لست بآبن خلال
 فكذا خلاك غير مؤتلفه
 شبهت داركم به عرفه
 فأتت خلاك وهى مختلفه
 وورثت ذاك خناه^(١) أو صلفه
 والدُّرُّ لا تزرى به الصدفة
 صورته من نطف قد اختلفت
 فورثت من ذا قبح منظره
 عيرتني أن رُحت في ممل

وأجود ما قيل في عظام الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :
 * جسم البغال وأحلام العصافير * وقال ابن الرومي :
 طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسنُ إلا وهو مصلوبٌ
 وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشمِ الشريفه
 فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفه
 وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضٌ أبي إسحقَ والموت
 ويدعى العلمَ على أنه قد طارَ بالجهلِ له الصوتُ
 لا يلتقي والعلم في مجلس أو يلتقي الإدراكُ والفوتُ
 وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصدّيت له وأنت لو توجت^(١) بالثريا وتمنّطت
 بالجوزاء وتوشحت بالهجرة وتقلدت قلادة الفكّة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
 بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
 ثوباً وخضت أوضاع النهار خوضاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :
 وثقيل أشدّ من غصص الموت ومن زفرة العذاب الأليم
 لو عصت ربّها الجحيمُ لما كان نِ سواه عقوبةً للجحيم
 وأبدع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كان نَ خفيفاً في كِفّة الميزان
 ولقد قلت حين طلّ على القوم^(٢) ثقيلٌ أربى على ثهلان

(١) في الأصل «توجت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
 المقد الفريد «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال :

أنتَ فضلٌ وفضلُ الشيء لغوٌ ثم أردفتَ ذلةَ التصغير
حقراً الفضلُ ثم صغرْتَ عنه زادك الله يا صغيرَ الحقير
ثم عرجتَ فاحتواك انتقاصٌ في اسمٍ سوء وجسمٍ سوء ضريب
ثم بردتَ فاتصفت من النا ر يبرد يربى على الزمهرير
فقبولُ النفوس إياك عندي آيةٌ فيك للطيفِ الخبير
إنَّ قوماً أصبحتَ تنفقُ فيهم لعل غاية (١) من التسخير
أو أناس غدوا وراحوا من الظُّر ف على حالة الفقير الوقير
فمتى ظفروا بزور ظريف أعجبته زخارفُ التزوير
كلا عاريب لم يروا درمك البرِّ فهم يعظمون خبزَ الشعير
وكذا القوم لم يروا لجة البحر — رفهم يكبرون ماء الغدير
يأثقلان على القلوب خفيفاً في الموازين دونَ وزن النكير
طر سخيلاً وقع مقيتاً فطوراً كسفاة وتارةً كثير
وله : وثقيل نسبانه من ثقيل وتعالى عن كلِّ مثلٍ وند
حمل الله أرضه ثقلها وعلاها بثالث من أد

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلب ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ (٣) وأنتَ جرادٌ ليس يبقَى ولا يذَرُ
له أثرٌ في المكرماتِ يسرُّنا وأنتَ تعني دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعل خطه» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الأغاني (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطان خزيًا بخالد فهل لك فيه يحرك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتوثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبضة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وان جهدتَ يبالغ^(١) سعى ابن عمك في الندي داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إنَّ المذمَّ لم يس كالمحمود
 داودُ محمودٌ وانتَ مذمومٌ عجباً لذاك وأنتا من عود
 ولربَّ عود قد يشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرهُ لحشَّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجة أزلتها بكريم قوم أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان ربِّ قادرٍ قدر البرية من أديم
 فشریفهم ووضعهم سيان في شرف ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فقنيتهم مثلُ العديم
 وإذا اختبرت حبيدهم ألفيته مثل الذميم
 لا (نفع فيه)^(٥) للصغير من الأمور ولا العظيم
 أنظر الى كبر الجسوم ولا تسل رفع الجسيم
 وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أنهجوه ولست له بكفء فشر كما خير كما الفداء

-
- (١) في الأغاني (بمدرک) . (٢) في الأغاني (ذي العلا داود) .
 (٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .
 (٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .
 (٥) في النسخ يياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حرّةٌ وقد يلد الحرّان غير نجيب
 فلا يعجبنيّ الناسُ منك ومنهما فما خبث من فضةٍ بمجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخبرنا جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصبراً على ذلّ ربيع بن مالك وكلّ ذليل خير عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة وبئس الحليفان المذلة والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرج
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفسي إلى أهل وأوطان
 نلتى بكل بلادٍ إن حلت بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بحيران
 فقال هذا الأُم بيت قائمه العرب . والنزوع ههنا ردء والجيد النزاع ، وإنما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قائمه العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها جزعاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشتري فليس مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاق أولَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رماه بالأصائل ناظري وغصنُ ثناه بالغداة يميني

وَأَيَّ لَأَنْسَى الْعَهْدَ إِذَا أَنْتَ بَنَاتِ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَدُونِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أَرَّعَ الْعَهْدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وَنَسْنَدُ كَرَمٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ طَرَفًا فِيمَا بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) . وَمِمَّا لَا تَسْكَادُ
 تَجِدُ أَجُودَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصُّوْلِيِّ قَالَ دَخَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ بِرَقْعَيْدٍ ^(٢) فَجَعَلَ يَنْشُدُهُ وَجَعَلَ الْأَمِيرُ يَعَانِبُ جَارِيَةً بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَدَبٌ لَعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بِرَقْعَيْدٍ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ ^(٣) مَا نَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ ^(٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَاسِلُ وَالْقَبُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ يَصْطُكُ الْحَدِيدُ

وَقُلْتُ فِي الْمَعْنَى الَّذِي تَقْدُمُ :

قُلَّ خَيْرٌ ابْنِ قَاسِمٍ فَعَنَاهُ كَعْدَمُهُ
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرْيِ يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي الْأَوْمِ حَدَّهُ كَأَيْهِ وَعَمَهُ
 كَادَ يَمْدِيكَ لَوْمُهُ لَوْ تَسْمِيَتْ بِاسْمِهِ

وَقُلْتُ : قَرَأْنَا مُبْقُولًا إِذْ أَنْخَنَّا بِيَابِهِ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبَهَائِمِ
 وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقَرْيَ وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقِ أَغْبَرٍ ^(٥) قَائِمِ

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في ظرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أغبر) وسيأتي في موضع آخر (أغبر) .

فصامَ وصوم الليل ليس بجائز وان جازَ في فقه^(١) اللثام الأشائم
أجازَ صيامَ الليل حين استغزاهُ تعاوَرُ ضيفٌ في دُجى الليل طائم
فبتنا أديمَ الليلِ نطوى على الطوى كأننا على غبراءَ من ظهرِ واشم
وأطعمنا لما مرقنا^(٢) من الدُّجى دحاريجَ لا تنساقُ في حلق طاعم
مُدَوَّرَةً سودَ المتون^(٣) كأنها خصى الزُّنَجَ لاحت تحت فيش قوائم^(٤)
فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وأرؤسها تحكى أنوفَ محاجم
ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارويناه للحطيطه ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ غنى لستَ بي أخبرَ منى

أنا إنسانٌ برانى الله في صورةٍ جنى

بل أنا الاسمُجُ في العيسن فدع عنك التظنى

أنا لا أسلم من نفسى فمن يسلم منى

وهجأ أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :

وأخوس^(٥) ولاجٌ على ورائح^(٦) رجاء نوال لو أعين^(٧) بجود

زَوَيْتُ^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد^(٨)

فان كنتَ لاءن سوء فعلك مقلعاً فدونك فاستظهر بنعل حديد

فعندى مطلٌ لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرٍّ منتظرٍ ياشرٍّ منتظر

(١) فى الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فى ماسياتى .

(٢) فى الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) فى الأصل (قيس) .

(٥) فى ديوان أبى نواس (وأخوس) بالخاء المعجمة ، ولعل ما فى الأصل هو

الأقرب . (٦) فى ديوان أبى نواس (لويغان) . (٧) فى الديوان (قطبت له) .

(٨) فى الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللّيمّ فان تصبر فمن قحة على الهوان وإن تجزع فمن خور
رأيت عيبك شعري حين تاله شبيه عضّ أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن لم تترك شبيهاً منه ولم تدر
وقال ابن الزمكدم :

وليل كوجه البرقيديّ ظلمة وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومي فيه نومٌ مشرّدٌ كعقل ابن هرون ورقة دينه^(١)
على أولق فيه اختبالٌ^(٢) كأنه أبو جابر في خطه وجنونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :
ولو أنها عصفورةٌ لحسبتها مسومةٌ تدعوا عبيداً وأزماً
أى لو رأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :

مازيت تحسب كل شيء بعدم خيلاً تكرُّ عليهم ورجالا
وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ مقاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره يحول أويغور من صفره
لو صاح في الليل به صائحٌ لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنه فيرزق الجندبه النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضرب به شوقٌ إلى وجهه سيد نفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كمقل سليمان بن فهدودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهباب) .

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره . ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ماجاء في ذلك قول أبي الغمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :
طلبت تشجعتي ضللاً بتضليل وللشجاعة خطبٌ غير مجهول
هاتي شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعيز البهاليل
لما بدت منهم نحوى ؟ تسرع الذئع في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوى الفلاميل إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل
وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن المعجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجَّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ له عادَ الظلومُ ظليماً همُّهُ الهربُ
أني الفرار وتترك الحرب إذ كشفت عنك الهوينا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلبُ نداه فكلبٌ دونه كلبُ
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نِفْرِجَةٌ يَنْفِرُ مِنْ ظِلِّ الشَّجَرِ فَوَادُهُ أَثْنَى وَضْرُسُهُ ذَكَرُ
وَالنَّفْرِجَةُ الْجَبَانُ . ومن جيد ما قيل في النظر قول بعضهم :

الكوكب الذنبيُّ يخبر بالعجائب بعد سبعة

خلعوا عليه وبجلوا ه وصار في عزٍّ ومنعه

وكذاك يُفعلُ بالجنود ر لنحرها في يوم جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسة
تقتلع الدولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلفه يمجز عن لبسها
جارية السوء إذا جربت ثياب مولاها على نفسها
وأكسل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
سعيد الأثموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلى وكان الله يفعل ما يشاء
فياخذها ويطرئها بجني ويرقدها وقد كشف الغطاء
وياخذني ويطرئني عليها ويرقدها وقد قضى القضاء
ويرسل ديمة سحا علينا فيفسلنا ولا يلقى عناء
أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
الأعراب ؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه
ويقول : اللهم اقض حاجاتي قبل أن يدهمك الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
وسألتني بعض الأدياء من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حقاً ؟ قلت الذي يقول :
أتبه على إنس البلاد وجنسها ولو لم أجد خلقاً انتهت على نفسي
أتبه فلا أدري من التبه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
فإن صدقوا أتني من الأنس مثلهم فما في عيب غير أتني من الأنس
فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبر وكيف الكبر مع
النطافة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .
ومن بليغ ما جاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحمد
من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت في مثل هذا :
وعندهم مذنب منيب أحمد من محسن مدلل

وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لو دق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يأيت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
والييت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيت وجهه وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العنابه في قوله :

قتلت (لا) فانها خلعت خلعة العدم^(١)

فهى تستهلك الجيـل وتأتى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعداد هتاف على الجزاء آمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم تظلماً قوائمه فخل عينيك في ظمآن ريان

فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنايك من مشى ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتى ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فأنت منه الدهر في طرفه

ومن أبخل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصماني يخاطب غلامه :

اجعل الزوج من سراجك فردا واقتصد يا غلام والقصد أجدى

ان يكن قبلك الضياء ردياً فاقصادي للزر أردى وأردى
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :
إذا ما جئت أحد مستمبحاً فلا يفررك من نظره الأنيق
له خلق وليس عليه خلق كبارقة تروق ولا تريق
ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت يا ابن أبي تبع بأمِّ الدواهي لدى الجمع
حلفت بأنك^(١) من حمير وليس اليمين على المدعى
وملح أيضاً في قوله :

ان فخر الناس بآبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأرغمت أبا خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب
ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :
أودعته السر فالفيتة أنم من كأس على راح
وقال السري :

تثنى عنك فاستشعرت هجراً خلال فيك لست لها براض
وانك كلما استودعت سرّاً أنم من النسيم على الرّياض
وقد أحسن كعب بن زهير غاية الإحسان في قوله :
ولا تمسك بالعهد الذي عهدت إلا كما يمسك الماء الغرايل
وأخذه الخطيئة فقال :

أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثيننا
والكانون: الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بآبائك» .

وقد مر فيا تقدم بيت الحطيثة .

ومدح ابن الرومي ابن المدير ^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتُ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دَسَّسْتُ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وقلت امدح به من شئتَ غيري ومن ذا يقبل المدح الرَّدِيدَا

ولاسيما وقد اعلقت ^(٢) فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

ثم اخنى عليه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه
مدحه بها البحري مدحا كثيرا فمن ذلك قوله :

ووجهٌ ضمان البشر فيه موقفٌ على النجح والحاجات تُتْرَى عَجَالُهَا

به من صفيح الهند وشمٌ تبينهٌ صفيحةٌ وضاح يروق جمالها

متى ربدتها عزةٌ أو حفيظةٌ أعيد اليها بالسؤال صقالها

متى ترها يوما عليها دليلها تعجبك من شمس عليها هلالها

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بوجه أبي اسحق صدعٌ كعرضة له قصةٌ غير الذي هو يظهر

ينخر عنه أنه أثر ضربة ببعض سيوف الزنج حين ينخر

وما ضربته الزنج في الوجه بل رأى أبورهم فانشق في وجهه حرٌ

في أبيات سخيفة فطلبه ابن المدير أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقَّقَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِي أَنْ قَتَلِي مُحَلَّلٌ لَكَ طَلْقُ

قَاعُ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسِيءِ وَلَا تَبْطُلْ بِمَا يَسْتَحِقُّ مَا تَسْتَحِقُّ

فمعا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نَمَاكَ عِنْدِي الَّتِي أَقْرُبُهَا أَنْكَ أَصْبَحْتَ لِي مِنَ الْغَيْرِ

وحبك الدم لا تُقْبَلُ بِكَ مَا أَشْبَهَ خَطْمَ الْخَنَزِيرِ بِالْقَدْرِ

أبديت في أوليات لؤمك ما قدرت في أخرياتهِ الْآخِرِ

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي) . (٢) في الأصل (أعبت) .

كالقطران الذي يرى أبداً في رأسه ما اقتنى من العكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع ضيقاً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أوانٍ الشبابِ عاجلنى الشيسبُ وهذا من أول الدن دردى
وليس هذا بالمتحار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفعَ البردُ ضيفَ عمرٍ وفاضحى مثلَ من فيهٍ يأخى زمانه
بات للبرد في طهارةٍ سوءٍ ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقريةٌ ولمولاهُ ذلةٌ ومهانته
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى في يته أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف زادنى أكله على الجوع جوما
ثم ولى يقولُ وهو كئيبٌ لهف نفسى على رغيف أضيعا
كان خداعةَ الضيوفِ ولكن ربما أصبحَ الخدوعُ خديعا
كنتُ أنزلته محلاً رفيعاً فعدا ذلك الرفيعُ وضيعا
عجبا منه إذ أتىحَ هجاءُ كيفَ لم يمتنع وكنت منيعا
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينها في الأخلاق)

قال الأول في ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيد قومي سميك لا يزيد ولا يزيد
يقودُ عصاةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبهك في الولادة والتسمي ولكن لا يجودُ كما تجود
ومثله : علىٌ وعبدُ الله بينهما أبٌ وشتان ما بين الطبائع والفعل
ألم ترَ عبدَ الله يلحى على الندى علياً ويلعاه علىٌ على البخل
ومثله : فان يك مجرانا إلى جمع نسبة ففي الرأى والأخلاق مختلفان
وما أنت مثلى في مقام أقومهُ لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر : لئن وصلت أوتنا انتساباً لقد قطعت مرارثنا العقول
 أبوك أبي وأنت أخي ولكن تباينت الطبائع والشكول
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قال لنا المسكتي بالله يوماً ما أهلك بيت
 من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه ؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول أبي نواس :
 ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرًّا إذا أمكن الجهر
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقني خمرًا ، ولكن الحسين بن الضحاك
 الخليع قد قال ما هو أهلك من هذا قال وما هو ؟ فأنشدته :

أتبعت سُكْرًا بسكر وابتعتُ خمرًا بقمر

فقال هذا لعمرى أهلك من ذاك . قال أبو هلال رحمه الله تعالى : وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجري مجرى ذلك ، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بايغاً مرضياً ، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمدح من نعوت
 المهجو والمدوح وأسمائهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فإذا ذكر لم يخفيا .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان (١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال (٢) :

سيروا فقد جن الظلام عليكم فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفعنا اليه وهو كالرّيح خاطباً (٣) فشدّ على أكباده بالعمائم
 ومالي من ذنب اليه علمته سوى أنني قد جثته غير صائم
 فلولاً يدُ الفأروق عندى رميته بقافية يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فزدناها إعتقاداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع . (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزني باختلاف في بعض الألفاظ . (٣) في الاغانى « كالتيس طاعماً » .

فليتك من جرم بن زيان أوبني نعيم أو النوكي أبان بن دارم
 أناس إذا ما الضيف حل بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناءهم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمي عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبته عاصماً من أن تلم به أغنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفاناً
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت يغشاه على خبزك مكتوب سيكفيكم الله
 وقال بشار (١) :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيف للجوع
 آخر : نوالك دونه خرط القتاد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام لحرمت المنام إلى التناد
 أرى عمر الغيف يطول جداً لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كف شعري ولكني هجوتك للكساد
 وقال آخر : رأى الصيف مكتوباً فظن لبخله وتصحيفه ضيفاً فقام يوائبه
 ورأيت في الفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبداً وصحف الصيف ضيفاً فقام بلطم خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقية البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبز إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرقا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريباً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاك هذا الطف^(١) الأمة كفا
 فإذا ألصق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 الطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنوير ما غادر حرفا
 وله في الماء أيضاً عمل^٤ أبدع ظرفاً
 مزجه العذب بماء السبر كي يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه^٥ مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضاً :
 على خبز إسماعيل واقية^٥ البخل فقد حل في دار الأمان من الأكل
 وما خبزه^٦ إلا كهنقاء مغرب
 يصور في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية
 سوى صورة ما أن تمر ولا تحلى
 وما خبزه^٧ إلا كآوى يرى ابنه
 ولم ير آوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبزه إلا كليب بن وائل
 ليالى يحى^(٦) عزه منبت البقل
 وإذا هو لا يستب خصمان عنده
 ولا الصوت مرفوع^٨ بجدي ولا هزل
 فان خبز إسماعيل حل به الذي
 أصاب كليلاً لم يكن ذاك عن ذل^٩
 ولكن قضاء ليس يسطاع رده^{١٠}
 بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ بفضل قوله * وإذا هو لا يستب خصمان عنده * على قول مهمل
 * واستب بهدك يا كايب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحذق الأمة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجردق: الرغيف . (٣) في الديوان (مغر ز أشفى) .
 والاشفى بالكسر: المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحى » .

وقينة أبرد من ثلجة تظل منها النفس في ضجة
 كأنها من نكتها ثومة لكنها في اللون أترجبه
 تفاوتت خلقتها فاغتدت لكل من عطل محتجه (١)
 كأنها والوشم في جلدها زرينخة شيبت بلبنجه
 خراجة للفسق دخاله تعجبا الدخلة والخرجه
 كأنما فتحتها فحمة فت عليها عابث ثلجه

وهي أبيات سخيصة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجه *
 إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لا سقيت نغمي تسربلتها كم حجة فيها لزندق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحت فماذا اعتضت قلت لهم خرق النعال وإخلاق السراويل (٢)
 ذاك الأمير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول
 وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا « قفا ملك يقضي المهموم على بثق »
 وقلت : سوداء يذرف دمعها مثل الاتون إذا وكف
 وكأنها من قبها سلح العليل على الخرف
 وقال أبو تمام :

فأشهد (٣) ماجسرت على إلا وزيد الخليل دونك في الشجاعة
 ووجهك إذ رضيت به ندما فأنت نسيج وحدك في القناعة
 ولو بدلتسه وجهاً إذا لم أصل به نهراً في جماعه
 ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبد الله في السوق راكباً له حاجب من أنفه وهو مطرق
 رعيت له من جانب السوق مخطة ثوَّهت أن السوق منها سيفرق

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجة » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقدر به أنفأ وأقدر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره : أنتَ في البيت وعزيتك في البيت يطوفُ

ومن أقبح ما جاء في قبح الاسنان قول جرير :

إذا ضحكك شبهت أنيابها العلى خنافس سودا في صراة قليب
وأما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التثاؤب ، وهو كقول الآخر :

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لأفقر منى انى لفقير
فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فيها بالقلب ، والصراة : الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيته قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكان
ثديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفش عرقه يقاتل ديكاً .

ومن بديع الهجاء بالتبرق والتمخط والبخر قول ابن الرومي :

تحسب مزكوماً وإن لم تزكم	من سدة في أنفك المورم
مخرج الصدر بر طلى بلغم	إن لم تنخ مرة تنخم
نخامة كالضفدع الموشم	دكناء رقطاء بقيق أودم
متمخطاً بالسكوع أو بالمصم	تضبط من أنف وتفسو من فم
ذانكة من لم تمته يصد	حتى دعاك الملا أرخم ترخم

وقال جحظة^(١) في البخر :

تنفس في وجهي فكدت أموت	وأعرض عني جانباً فجيت
ونسى ؟ حتى حسبت بأنى	وربكما يا صاحبي خريت

وقال بعضهم في سرعة الكلام :

كان بنى رالان إذ جاء جمعهم	فراريج يلقي بينهم سويق
----------------------------	------------------------

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة .

وقال دعبل في قصر الشعر :

فوهاءٌ شوهاءٌ لها شعرةٌ كأنها خملٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر دينتف :

وَخَدُهُ مُشَوِّكٌ مُزَوَّرٌ التلويز وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٍ مُشْتَرِقِ الْأَفْرِيزِ (١)
وَقُلْتُ : لَعَبَ الزَّمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَهْدِي بِهِ مُتَكَفِّرٌ مُتَعَصِّفٌ ثُمَّ اغْتَدَى مُتَصَنِّدًا مُتَزَعِّفًا
وَكَأَنَّمَا صَدَّغَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ جَمَلَانِ يَنْتَابَانِ سِلْحًا أَصْفَرَا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَبِيَّةُ النَّبِكَ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ فَتَلَقَى مِنِّي (٢) حَيْثُ شُدَّتْ وَكَبِيرُ
فَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُدَايِرٍ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمَقْبَلِ أَوْ مَدِيرِ (٣)
كَأَجِيرِ الْمُنْشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ مِتْنَارَعَيْنِ فِي فُلَيْجِ صَنْوِيرِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسَنِ مَشْرَعَهُ وَامْرَأَةً قَاعِدَةً مَرْدَعَةً
لَهَا بَظُورٌ فِي اسْتِهَا بِجَمْعِهِ كَأَنَّهَا أَتْرَجَةٌ مُفَقِّعَةٌ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بالمرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَاتَ بَابِ النِّجَاحِ إِذْ تَعَاطَيْتُهُ (٥) بِأَلَا مِفْتَاحِ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ فَدَعْ عَنْكَ رُكُوبَ الْبَحَارِ لِلْسَّابِحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمه من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدير) .

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فظم الحب بالخصى كما يظلم فقد المردى بالملاح
 ليت شمرى بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجه قرد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتره كوزيم الذباب في اللقاح
 إنما أنتم فقاح فمهلاً ماغناء الفقاح في الأحرار
 إن من يعشق النساء بلا أب—ر كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطمان إلا برمح فدعوا^(١) الطمن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سباله بعد أن أطاله:

حلقت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صحبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد الله ذاك السبال فقد كان سترأ على مستراح

وقال ابن السكن:

رجل يبق الكأس كل عشية ويعاقب المسواك كل صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفتبه نفحات الكرو من من في وصيف
 لمن الله ليلة بت فيها مع رفيق كأتنا في الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لا عدت فقالوا له من يصف فيه ذا كما كنا

وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الرقيق إذا قبلت صحفت التقييل تقييلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا).

(٢) في الأصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلود عرارة يحسن^١ للبخراء تقيلا
 فاحشة النقصاب لكنها قد كملت بالبطر تكيلا
 أزرى بها الله فلم يعطها إلا بطول البطر تفضيلا
 إذا بدا الفيل^٢ وخرطوم^٣ قلنا أمارت بظرها الفيلا
 غول بيت الشرب من قبها يرون في النوم التهاويلا
 ما أحسن الأرقم طوقا لها وأحسن الأسود اكيلا
 قد عذب الله أمرا^٤ نالها طورين تعجيلا وتأجيلا
 لها ضراط^٥ ريحه عاصف^٦ يطفي في الليل القناديلا
 حلت سراويلي على واسع ماخلته إلا سراويللا
 أحملت تمكيلى ياب استها فكان للتنكيل تكيلا
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطان تبديلا
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيل تذليلا
 وهي طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو وجودتها وكثرة معانيها شيء .

وبما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المغارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أن الله أعطاك لحية كأنك منها قاعد^٣ في جوالق
 وقال الآخر : ألم تر أن الله أعطاك لحية كأنك منها بين تيسين قاعد^٤

وكان العوفى إذا كتب كتابا أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلمه انسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحية قاضي القضاة لو جهدت مجهودها لم تكن كمنفقتة
 إذا أراد الكرى توسدّها فقد كفتها مكان مرفقتة
 وقال رقة بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .
 وقلت : قل للمدل بلحية موفورة ومما ولحية كل ألقى جهله
 لا يجبنك طول نبذك إنّه من طال لحيته تكوسج عقله
 وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطلّ لحيّة عليك وتعرض
 علق الله في عذاريك مخلا
 لو غدا حكمها على لطارت
 ارع منها الموسى فانك منها
 أيما كوسج رآها فيلقى
 هو أحرى بأن يشك ويغري
 ماتلقاك كوسج قط إلا
 لحيّة أهملت فطالت وفاضت
 مارأتها عين امرئ مارأتها
 روعة نستخفه لم يرعها
 فأتق الله ذا الجلال وغير
 أوقفصر منها فحسبك منها
 لو رآها النبي يوماً لأبى
 واستعجب الأحفاء فيهن والخلق مكان الاعفاء والتوفير

فالتحالي معروفة للحمير
 ولكنها بغير شعر
 في مهب الرياح كل مطير
 شهد الله في أتام كبير
 ربّه بعدها صحيح الضمير
 باتهام الحكيم في التقدير
 جور الله أيما تجوير
 فاليها تشير كف المشير
 قط إلا أهل بالتكبير
 من رأى وجه منكر ونكير
 منكراً منك ممكن التغير
 قيد شبر علامة التذكير
 في لحي الناس سنة التقصير
 واستعجب الأحفاء فيهن والخلق مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحْيِ »^(١).

وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةٌ البعض من البعض
مضى الى السوق وعُثِنُونَهُ أَقَامَ في البيت فلم يمض
وهو إذا مامرَّ في سكةٍ يَمْلأُهَا بالطول والعرض
يَدُوسُهَا النَّاسُ بِأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجراز كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إني سأخرجها
من القالب قبل ضرب اللبن وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حمقه
قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .
وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طويلةٌ شطر طولها
فهو الدهر كله عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم تركت التشنيع الملفوظ من
المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريز والبعيث والأخطل
وغيرهم ولو لم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢).

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو غيره^(٣) :
إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جردٌ يستنُّ في لبنٍ محضر

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
كشف الخفا . (٢) ونسكن للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالي في الامالي لرجل من
أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبطية متأزراً فقل جعل يستن في لبن محضر

فأقسم لو خرت من استك بيضة^١ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
 وقال غيره : ألا يا بَيْدَقَ الشطرنج في القيمة والقامه
 وقال آخر : يكثر الناس في الطريق من دمايته ؟
 وقال آخر : فقام إلى الغلام أمي وغيظاً^٢ بقدر لم يزد فيه القيام
 وقال ابن الرومي : أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
 وقال الناجم : ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
 كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقرص
 وقال : وعازب الرأي ضعيف مغرور مكائر في العلم وهو مكثور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر : كأنهم كلي غنم الأضاحي إذا قاموا حسبتههم قعودا
 وفي غير هذا المعنى قول الآخر :

إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فحم
 وقال ابن الرومي في القبح والسواد :

وجهك يا جعفر من قبعة أولى من العورة بالستر
 كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبا في مجدور :

ذو جُدَرِيٍّ وجهه^٣ ينحكه جلد السمكه
 أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه
 أو حلق الدرع إذا أبصرتها مشبكه
 أو سفر محجب أو كرش^٤ منفركة
 أو منخال^٥ أو عرض^٦ رقعة منهته
 أو حجر الحما^٧ كم من وسخ قد دلكه
 أو كور زنبور إذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه جبهه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الدبكه
يفضه من قبحه كل طريق سلكه
وقد أبدع ابن الرومي :

جُدَ رَى ما شأنها وهي شينٌ كلُّ أثر في ذلك الوجه نقشٌ
بدلت من صفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عشٌ
وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمره مخبره ومنظره
شعره تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره
وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابه عثمانين أسودين كالنعم متممين بعمامتين حمراوين فامتحنهما
فوجدتهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :
رأيتُ يباب الدار أسودين ذوى عمامتين حمراوين
كجمرتين فوق فحمتين قد غادر الروض قرير العين
جدُّ كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين
ياقبح شين صادر عن زين حدائد تطبع من لجين
ما أتانا إلا غرابا بسين طيرا فقد وقعنا
ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحب للشيخين
وخليا الشيعة للسبطين لا تبرما إبرام رب الدين
ستعطيان في مدى عامين صكا بخفين الى حنين
وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كُرت على اللؤم^(١) بما ساءه وساءه كُرتك الخاسر^٥
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أثوابك بالساهر^٥
 قد كانت الدنيا شفت لوعي منك ولكن أذت بالآخر^٥
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحى أسد القاهر^٥
 أبارك المكره من مثله فاقرة نجتك من فاقره^٥
 وقال فيه : وتصور القبر الذي ضمتته^(٢) حتى ظننا أنه المقبور
 فأتبع لأبي تمام مخلص الموصلي فهباه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطائي غادته^٥ من المني وقطمان من السكر
 حر الحلاق ويرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر
 ومما قيل في البرد أيضاً قول بعضهم في المبرد :
 ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد^(٣)
 ظللت به عند المبرد قائلاً فما زلت في أفاظه أتبرد
 وفلج أحد الشعراء فسئل عن رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل يبتين
 من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الغناء قول بعضهم :
 كاد من برده يجمد روعي ضرب الله شقه بغناؤه
 وقال غيره : غنى لنا نصر فقلنا له مصعب جرأك على السبع
 وحرك العود بأطرافه فكان يحتاج إلى الصفع
 فقامت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع
 وقال كشاجم : ومغن يارد النفسمة مختل^٥ اليدين
 مارآه أحد في دار قوم مرتين
 صوته أقطع لذات من صيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناء لا خلاق به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
وكما انخفضت فيه مزمنة
لا تجد عنه بأبواب مصبغة
وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقها
وقال الناجم : وقنية شتمها قنوت
مفقودة الكل غير بطن
وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تغنى
يلوك لسانه طوراً وطوراً
وقال المصيصي : ونحسب الندمان في حلقه
ماعجي منه ولكني
وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتب غير الذي
فيكتب غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطرابنا
ولا ناسي ؟ إذا جئتني
وقلت : تغني لنا فجعلنا عليه
جعلنا اللطام لها لمة
وكت عرق مثل بيت الأرضه
أحسن أصواتها السكوت
مثقل فهي عنكبوت
يحاكى طائساً في عين شمس
كأن بضربه ضربان ضرس
دجاجة ينحقها ثعلب
من الذي يعجبه أعجب
ويضرب غير الذي نحسب
يقول المحدث والمكتب
ويقرأ غير الذي يكتب
فنحن إذا قلت لا نظرب
فاني إذا جئتني أذهب
عمائم تنزع جلد القفا
وتنف الشوارب فيها سدى

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته
يا زهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
قلت الزمان يريكم العبرا
ماذا لحاه الشعر لو شعرا
واليوم يجرحها إذا حصرأ

وقال سعيد بن حميد :

قَالَ لَنْ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحِيَةً ذَهَبَتْ بِمَلْحِكِ مَلءَ كَفِّ الْقَابِضِ

وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقه السر من عما خلقت

تب وخف الله على كفك مما اجتريحت

هل لك عنده إذا الوحوش حشرت

بلحية ان سُئِلْتُ بأيّ ذنب تنفت

وقلت : حصلت في سى ذا غلظة كأنتى مشط ابن منصور

يا لحيّة هتك أستارها بأصبع منه وأظفور

فخده من سح ؟ تارة وتارة من قشر بلور

فتارة كالمسك في لونه وتارة في لون كافور

يعجبه المرد فيحكيمهم حكاية زور من الزور

يقول ما أحسن ربّ الورى إذ غرس الظلمة في النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدو شواربهم مسودة قبل أن تبدو عوارضهم

يا ويحهم من لحي جدّت مناقشهم فيهنّ أو لعبت فيها مقارضهم

قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيذك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين

خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلية وهجنة فعليك به

إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذلل لك فيه فرما

استشير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الذلة ورب محبوب في مكروه

✽ والمجد شهد يجتنى من حنظل ✽ ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت

لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخيله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المآذير مكاذب ، ويقولون مع ذاك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الديلمي في الاعتذار شعريه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمست لمست أختم^(١) جأثما متحيزاً^(٢) بمكانه ملء اليد

وإذا طمنت طمنت في مستهدف رابي المجسة بالعبير مقرمد

وإذا نزعت نزعت عن مستحصف نزع الخزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوفر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بمظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدوا عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

خلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت غنى خيانة لبسغك الواشي أغش وأكذب

ولست بمستبق أخاً لآلهم على شعث أي الرجال المهذب

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجع^(٣)

(١) في الأصل «أجثم» . (٢) في الأصل (متحيزاً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجع : موضع .

فبت كآتي ساورتنى ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
أتاني أبيت اللعن انك لمتني وتلك التي تستك منها المسامح
إلى أن قال :

فان كنت لاذوا الضغن عني مكذب ولا حيافي على البراءة نافع
ولا أنا مأموم بشيء أقوله وأنت بأمر لا محالة واقع
فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المتأني عنك واسع
وقال : أنبت أن أبا قابوس أو عدني ولا قرار^(١) على زار من الأسد
مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد
لا تقذفني بركن لا كفاء له وان تأففك الأعداء بالرّد^(٢)
ما قلت من شيء مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
ها إن ذي عذرة إلا تكن نعت فأن صاحبها قد تاه في البلد^(٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضر اطرفة بالجواهر، وقد ذكرنا
الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
لوم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كبرى فليس للعرب مثلاً
وقصيدته في صفة البركة * ميلوا إلى الدار من ليل نحيبها * واعتذاراته في قصائده
إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلاً ، وقصيدته في دينار التي
وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر *
وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
أولها * لوت بالسلام بنا نأ خضيبا * فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أي احتوشوك فصاروا حولك كالأنافي ،
والرّد جمع رفدة وهي العصبة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النسيك) .

فدَيْنَاكَ من أيُّ خطب عرا
 وإن كان رأيك قد حالَ فيَّ
 يرييني الشيء تآنى به
 واكرهُ أن أتمادى على
 أكذب نفسي بأن قد جنيت^(١)
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
 أبصيحُ وردى في ساحتك
 وما كان سخطك إلا الفراق
 ولو كنتُ أعرف ذنباً لما
 سأصبرُ حتى ألقى رضاك
 أراقبُ رأيك حتى يصحَّ
 وقوله : عذيري من الأيام رنقن مشربي
 واكسبني سخط امرئ بت موهناً
 تبلى عن بعض الرضا وانطوى على
 إذا قلت يوماً قد تجاوزَ حدّها
 وأصيد إن نازعتهُ الطرف^(٢) ردهُ
 ثناء العدى غنى فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعَّرت
 أمتخذُ عندى الاساءة محسنً
 ومكتسبً في الملامة ماجدً
 يخوفنى من سوء رأيك معشرً
 ونائبة أوشكت أن تنوبا
 فلقيتني^(١) بعد بشر قطوبا
 وأكبر قدرك أن أسترياً
 سبيل اغترار فألقى شعرباً
 وما كنت أعهد ظنى كذوبا
 أذمُّ الزمان وأشكو الخطوبا
 طرقات ومرعاً محلاً جدياً
 أفاض الدُموع وأشجى القلوبا
 تخالجنى الشك في أن أتوبا
 إما بعيداً وإما قريباً
 وأنظر عطفك حتى يشوبا
 ولقيتني نحساً من الطير أشاماً
 أرى سخطه ليلاً مع الليل مظالم
 بقية عتب شارفت أن تصرماً
 تلبث في أعقابها وتلوّماً
 كليلاً وإن راجعته القول جمها
 وأوهه الواشون حتى توها
 رباه وطلقاً ضاحكاً فتجها
 ومنتقم منى امرؤ كان منعماً
 يرى الحمد غنماً والملاحه مغرمماً
 ولا خوف إلا أن تجوز وظلماً

(١) في الاصل (فأوليتني) (٢) في ديوان البحتري (أكذب ظني بأن قد سخطت).

(٣) في ديوان البحتري (نازعتة اللحظ).

أعبدك أن أخشاك من غير حادث تبين أو جرم اليك تقدما
أست الموالى فيك نظم^(١) قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل أنجما
أعد نظراً فيما سخطت هل ترى مقالا دينياً أو فعلاً مذكماً
رأيت العراق ناكرتني وأقسمت على صروف الدهر أن أنشأما
وكان رجائي أن أووب ملكا فصار رجائي أن أووب مسلماً
حياء فلم يذهب بي الفنى مذهباً بعيداً ولم أركب من الامر معظماً
ولم اعرف الذنب الذى سوتنى له فأقتل نفسى حسرة وتندما
ولو كان ما خبرته أو ظننته لما كان غرواً أن ألوم وتكرما
أذ كرك العهد الذى ليس سؤدداً تناسيه والود الصريح المسلما
وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً وأنجد في أعلى البلاد وأتبعها
أقر بما لم أجنه متصلاً اليك على أنى أخالك ألوما
لى الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً به فلك العتي على وأنا
ومثلك من أبدى الفعال أعادة وان صنع المعروف زاد ونما
ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثمان خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتى
اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التنصل مما فرط
فتفضل على بالقبول لئلا يلحقني هجتان هجنة تذلى لك وأخرى ردك لى . وقد
قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
لما تعذر على العذر جعلت معولى على فضلك أبلغ عنراً أقدمه وأقوى سبب أو كده .
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكرى عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل:
ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس؟ قال انى لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعته شفيع لطالب شاكر ولا فى لأبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندى بدون أنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلاظ من الاجحاف ، بالمسؤول ولا أرى السر أغبالى بالمسألة بحسن
ظنه بى أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذى يتحملة من لدى والعرب تقول ان
مع الهيئة الخبيثة والفرصة خلسه قتب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار فى التقاضى قول بعضهم :

هَزَزْتُكَ لِأَنِّي ظَنَنْتُكَ نَاسِيًا لَوْعِدٍ وَلَا أَنِي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ السَّيْفَ فِي حَالِ سَلَا إِلَى الْهَزِّ مُحْتَاجًا وَإِنْ كَانَ مَاضِيَا

ومن مליح ما يجرى فى هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتبي عن أبيه عن شيخ من قریش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذ بعض الحديثين فقال :

فَإِنْ طَاقَبْتَنِي فَبِسْوَ فَعَلِي وَمَا ظَلَمْتُ عَقُوبَةً مُسْتَفِيدِ
وَإِنْ تَغْفِرْ فَاحْسَانٌ جَدِيدٌ دَعَوْتُ بِهِ إِلَى شُكْرٍ جَدِيدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك ومتعك بأحبك وأعطاك مأمولك
فى نفسك وأعزتك وأعاذك من قطعة أحبابك وجنيتك تجنب أودائك ولا جعل
للهمجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش فى ضمان الفرح ويوئحاسدك بأعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما أهديت اليك فيه فانه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأئمتك فيه ويكون جلاء لناظرك وشحذاً لخاطرك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجزى مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرقت عيناكِ إلا لتضربي بسهميكِ في أعشار قلب مقتل
يقول ما بكيتِ إلا لتجرحي قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة أعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميكِ يعنى عينيها ، والمقتل
المذلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكرى عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلنّ نعامنا
ولم نسمع للأعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَا وماتَ الهوى لما أُصِيتَ مِقَاتُهُ

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلتُ إني مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا فمِ التَّلَاقِ بَيْنَنَا زَادَنَا سَقَمًا

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :
 ما يرجع الطرف عنها حين أبصرها حتى يعود إليها القلب مشتاقا
 وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :
 أمانقها والنفس بعد مشوكة إليها وهل بعد العناق تداني
 وألثم فاهها كي تموت حزازتي فيشتد ما ألقى من الهيجان
 وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشف الشفتان
 فان فؤادي ليس يشفى ريسه سوى أن ترى الروحان تمتازان
 ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :
 هبت شمالاً فقال من بلد أنت به طاب ذلك البلد
 وقبّل الريح من صبايته ما قبّل الريح قبله أحد
 وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟
 قال أنى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
 الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا قلقك ، أخذه بشار فقال :
 إني لا أكنم في الخشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها
 ويبيت بين جوانحي وجد بها لو بات تحت فراشها لا قلبها
 وقلت : أحبك يا شبيه الشمس حباً تفرد بالتمام فلا تمام
 فلو ألقته ما بين ماء ونار كان بينهما التمام
 وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :
 سالة نور ليس يدركها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
 به^(٢) أمست الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبه نفس
 وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من

الأصل فاستدركناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صحيحناه منه .

ولست بناس من يكون كلامه بأذنى وإن غيبت قرطاً معلقاً

ومن ظريف التشبب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبت يا من لحاني في مودته ما صورة البدر الأدون صورته

يارب أن لم يكن في وصله طمع ولم يكن فرج من طول جفونه

فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحه خدبه بلحيتيه

ومن الظريف قول كشاجم :

كان الشفاء اللعس منها خواتم من التبر مختوم بهن على الدر

ولا أعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدي :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا^(١)

أليس بزين^(٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا

وآتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لترتع لم ترتع بأذنى المراتع

كأن لديها سائقاً يستحقها كفى سائقاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صب يمت مطايا بذكركم وليس ينساكم ان حل أوسارا

يرجو النجاة من البلوى بقربكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدها ذكر

وقلت له ولقاء ويحك سميت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الاحراج أغناق الابل فهي تسير سير مشتاق عجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الأصل « يزن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر قد ألغز :

إنَّ لها لسائقاً خَدَجاً لم يُدَلِّجَ اللَّيْلَةَ فِيمَن أَدَجَا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأُحَظف :

أيام يقتلُ شوقها زيارتي كلما يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذكر على البعد فقول بعضهم :

اذكر أخانا تولى اللهُ صحبتهُ اني وان كنتُ لألقاهُ ألقاهُ
اللهُ يعلم أني لستُ أذكركه وكيف يذكركه من ليسَ ينساهُ
وقلت : ذكرتهم والنوى بيني وبينهم ذكرى الشباب الذي قد كان عاصاني
بل كيف أذكرك عهداً لستُ ناسيهُ هل يعرضُ الذِّكرُ إلا بعد نسيان
ونحوه يقول البري :

غضبان ينساني وأذكركه وينام عن ليلى وأسهره
وبجوره ماضٍ موركبه حظي وحظُّ سواي مشره
وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهره
لم يقتسم في العاشقين أسى إلا وحظي منه أوفره
فأصبح في نفس أصمده وأعوم في دمع أجده
ومن ملبح ذلك قول بشار :

ولستُ بناسٍ من يكون كلاًهُ بأذني وان غبيت قرطاً معلقاً
أجود ما قيل في إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس :
سموت اليها بَدْءَ ما نامَ أهاها مموءَ حجابِ الماءِ حالاً على حال
وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمن ^(١) :
واسقط علينا كسقوطِ الندى ليلةً لاناها ولا زاجرُ

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب
في تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجته .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من ممح حباب الماء لأن لسو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالتُ ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيتَ البابَ من دوننا قلتُ فاني واثبٌ ظافرٌ
قالتُ فانَّ القصرَ من دوننا قلتُ فاني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فانَّ الليثَ حادٍ به قلتُ فسيني مرهفٌ باترٌ
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فاني سابحٌ ماهرٌ
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافرٌ
قالتُ فأما كنتَ أعيتنا فأت إذا ما هجمَ السامرُ
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لانا ولا زاجرُ

ومن مליح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً والليل كالطيلسانِ مُعتركٌ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءٍ كأنها قمرٌ
هل لك في عادةٍ مُنميةٍ يحار فيها من حسنها النظرُ
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصرُ
فقممتُ أسمى إلى مُحجَّبةٍ تضيء منها البيوتُ والحجرُ
فقلتُ لما بدا تخفها جودي ولا يمنعك الخفرُ
قالتُ توقَّرْ ودع مقالكَ ذا أنت امرؤٌ بالقبيحِ مشتهرُ
والله لا نلتَ ما تطالب أو ينبت في بطن راحتي شعرُ
لا أنت لي قيمٌ فتخبرني ولا أميرٌ عليٌّ مؤتمرُ
قلتُ ولكنَّ ضيفٌ أذاك به تحتَ الظلامِ القضاءُ والقدرُ
فاحتسبي الأجرَ في إيتيه وباشرى قد تطاولَ العسرُ
قالتُ عند جئتَ تبتغي عملاً تكادُ منه السماءُ تنفطرُ

قلت لما رأيتها حرجت وغشيتها الهموم والفكر
 لا عاقب الله في الصبا أبداً أني ولكن يعاقب الذكرك
 قالت لقد جئتنا بمبتدع وقد أتتنا بغيره التذرك
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترر
 قلت دعى سورة طهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
 وجهك وجهه تمت محاسنه لا وأبي لا يمسه سفر
 ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:
 تستدفع الأعين عن حسنهما بعوده من سوء^(١) أفعالهما
 وهي من أبيات قليلة النظير :

هل حاكم يعدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دائمة الأعراض غنى فما يخطر لي ذكره على بالها
 صغيرة عظمها حجبها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنهما بعوده من سوء أفعالها
 لم أطمع العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
 تمضي بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس باقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
 لو لم يكن من برد ساقها لا احترقت من نار خلالها
 وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلل والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبسن خلا كذبن أسماء الخلاخل

يقول لا تخلخل الخلاخل في سوقهن أي لا تتحرك فقد كذبت أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبج) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكان الشمسَ نيط بها قمرٌ يمناهُ والقدح
صدٌّ إذ مازحتهُ غضباً ماعلى الأحاب إذ مزحوا
وهو لا يدري لنخوته أننا في النوم نصطلح
نمَّ لا أنسى مقالته « أطفيلي » ويقترح

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولى نظره لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالت لقد نلت ودهُ وما ضررتني بخلٌ فكيف أجودُ

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

ستبقى لها في مضمير القلب والحشا سريرةٌ ودَّ يوم تبلى السرايرُ
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرَّجتُ غداةَ النحرِ أعترض اللهُ مي فلم أرَ أحلى منك في العين والقلب
فوالله ما أدري أحسنًا رزقه أم الحبُّ يعنى مثل ما قيل في الحب
وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَيُهْمُ »^(١) وأنشدني أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زعموها سألت جاريتها وتعرَّتْ يوم حرٌّ تبترد
أكما ينعتني تبصرنني عمر كنَّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها حسنٌ في كلِّ عين من تود
حسدًا حملنه من أجاها وقديماً كان في الناس الحسد

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلف بصحراء الحجون وناقني لها بين قاع الأخشين حنين
غموساً لقد فصلت في الحسد بطة على الناس أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لا فراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ لله والله في عيني وفي كلِّ العيون
قينه بيضاء سوداء القرون

لم يصبها سقم قط سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل لحسن وجمال قول حقّ ويقين

وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يلومُ عليه أنظر بعيني إليه
فلست تبرح حتى تصير ملك يديه

وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكّت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قِيطَ ليله ومد

وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :

تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجب^(١)

مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدَّتْ كأنَّ الشمسَ تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجب

وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :

كانَ المني بِلِقائِها فلقيتها ولهوتُ من لهو امرئٍ مكذوب

فرأيتُ مثلَ الشمسِ عند طلوعها في الحسنِ أو كدِ نيوها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضئت بحاجب »

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر .

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طبن^(٢) العدو لها فقير حالها

وسعى إلى بعيد^(٣) عزّة نسوة جعل الآله^(٤) مخدودهن نعالها

ولو أن عزّة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما رأيتي وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقرّبن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعها

فذكر أنهم لم يتقنعن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أي الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

* كالشمس غابت في حرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تتبه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير

فإن يك أشبها منه قليلا فقد أخطأها شبه كثير

لأن الشمس تغرب حين تسمى وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضوح الطريقة لا يحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أي فطن ، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالي « بصرم عزّة » . (٤) في الامالي (جعل المليك) .

(٥) في الامالي (موفق) . (٦) في الأغاني « أشرقت » .

يأبدر إنك قد كسيت مشابهاً من وجه أم محمد ابنة صالح
وأراك تمصح في الحاق وحسبها باق على الأيام ليس بماصح
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت إن الذي قد أسي بالبيد قد ظلما
البدر ليس له عين مكحلة ولا محاسن لفظ يبعث السقا
وقال النظام : يامشرقاً ملأ العيو ن طرفها ما يستقل
أوفى على شمس الضحى حتى كأن الليل طل
وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتا شبهتها البدر طالما وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا

فذكر أن حسنه يزاد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروى عليك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وإن نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تنغني فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبُهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلاد
يعاد حديثها فيزيد حسناً وقد يستقبح الشيء المعاد

وقال الحناني :

إذا كنت لم أقعد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيدا
تباعد نفس إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيء حسناً فما أتم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العود أحد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء عن الأصمعي قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

بات يعمى يمالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماء الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماء الشباب كأنها قضيبٌ من الریحان ريان أخضر

وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرب ماء النعيم فلو عصر الحسن منه انعصر

يمر فأمّنه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمت العين في نفسه فما جفئت بطاوع القمر

وقال ابن المعتز : يحرك الدل في أنوابه غصنا ويطلع الحسن من أزراره قمرا

وقال ابن الرومي : تمتات وجهك في بديتها جدد وفي أعقابها آخر

وقوله : مخففة مثقلة تراها كأن لم يعد نصفها الغذاء

إذا الاغياب جدد حسن شيء من الأشياء جددتها اللقاء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعين منه اليه تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إن اسم حسن لوجهها صفة ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهى إذا سميت فقد وصفت قديجمع^(١) اللفظ^٢ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة فى قوله :

فيالك من خدّ أسيل ومنطقٍ رخم ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذى يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو فى خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبدى عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثنى اسحق بن ابراهيم الموصلى حدثنى أبو صالح
الفزارى قال ذكر ذو الرمة فى مجلس فيه عدة من الاعراب قتال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياى فاسألوا عنه كان من أطرف بنى
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجئنى وإياهم مربع فأتانى يوماً وقال لى يا عصمة إن ميا منقرية وبنو منقر أخبث حى وأقوفه
لاثر وأبصره فى نظر فهل عندك من ناقة تزدار عليها ميا فقلت اى والله إن عندى
للجوذر قال على بها فر كبتها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف عرف النساء ذا الرمة فقمى إلى بيت مى وجئن حتى
أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذا مى جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
واذا عليها سلب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
نشدهن يا عصمة فأنشدهن قوله :

نظرت الى أظمان مى كأنها ذرى النخل أوائل^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العينان^(٤) والصدر كاتم بمغر ورقى نمت عليه سواكبه

(١) فى ديوان أبى نواس (ويجمع اللفظ). (٢) فى الاصل (شعبة) وكذلك فى بعض

ألفاظ الخبر تصحيف ضححنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها .

(٣) فى ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) فى ديوان

بكى وامق ^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهمن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامى ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوأرح عن القلب اتته جميعاً عوازبه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي ما أصحبه وهنيئاً له فتنفس ذوالرمة تنفسه
 كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذى أقول بها إلا الذى أنا كاذبه
 اذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال فى أرضى عدو أحر به
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

اذا راجعتك ^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضالدرع سالبه
 فيالك من خدي أسيل ومنطق رخم ومن خلق ^(٣) تعلل جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لساناً فقمى بنا فقمى وقمت معهن فجلست فى
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبت به ، فلبث
 قليلاً ثم جاءنى ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفتنا به مى وهذه قلائد
 للجؤذر ولا والله لا أقلدن بغيراً وشدهن بدؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتاني فقال يا عصمة قد رحلت مى ولم
 يبق إلا آثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر فى ديارها ونقفوا آثارها فخرجنا حتى
 أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

ألا فاسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر
 قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وان كان منى ماترى .

ذى الرمة « فأبديت من عيني » وفي المصارع والامالى (فأسبلت العينان والقلب

كاتم) . (١) في ديوان ذى الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .
 (٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالى « ومن وجه » .

قال فما رأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا

وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول المصوبري :

الم قلبي ناره وما شعر دبت إليه عقرب وقت السحر
دبت إلى ظلي بميدية حور ديب لوطي نوارى وانشر
فظفرت لا ظفرت أي ظفر وهكذا العقرب للقمر

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي

قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يُحيين قتلنا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً

وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكاتنا فعولان بالآباب ما تفعل الخمر
وقال آخر بل قوله :

بذكرني ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور

و (مراراً) حشو لا يحتاج اليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع^(١) :

وكأنها بين النساء أطارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده الناس فرقت في عينه سنة وليس بناسم

أخذ بعض المحدثين قول جرير : وهن أضعف خلق الله أركاناً ، فقال :

كأنما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشي :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني

أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لأن متين السيف والحدّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثمّ اثنت عنه فكادَ يهيم

وبلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهنّ أليم

ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جعل الفتور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرون من خلل السجوف كأنما يمتطون أحشاء الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعت بنا تلك المهاجر في المعاجر

أمضى وأنفذ في القلوب من الخناجر في الخناجر^(١)

وقلت : فأرعى تحت حاشية الدّياجى شقائق وجنة سقيت مدا

إذا اكرت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهام

وإن مالت بعطفيه شمول سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذى تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب ؟ قال كذا يزعمون ، قال أنشدنى أغزل بيت قيل فى العيون فأنشده

بيتى جرير * أن العيون التى فى طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كتبه السفلة

بألسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي :

نبارز أبطال الوغى فنيدها ويقتلنا فى السن لحظ البكواعب

وليست سيوف الهند تفتى نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب

فحن ثعلب استحسانا لها وقال اكتبوها ولو بالخناجر على الخناجر - كما فى هامش الاصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها نصفان نصف مؤنث^{هـ} ونصف^{هـ} كخوط الخيزران مذكر^{هـ}
تعبد من شاءت بعين كأنها
وقلت : راحت تيمس^{هـ} وحولها خرد^{هـ}
فلأت^{هـ} طرفي من محاسنها
عين لعل السيف لحظتها
وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{هـ} فيها يده
فسكرت^{هـ} لا أدري أمن سكر الهوى
وغدا قتم^{هـ} عليه عسد^{هـ} وسه ؟
وسقام عين لم تذوق طعم الكرى
وقلت : إذا ما جاءني الأخذ^{هـ} غنى
وقال البحتري :

أجد النار تستعار^{هـ} من النأ
وقلت : يسمى^{هـ} الى^{هـ} مقرطق^{هـ} في كفه^{هـ}
وقد أطرف البحتري في قوله :

والذي صير الملاحه في عي^{هـ} — — — نيه وقفاً والسحر في أجفانه
لا أظمت^{هـ} العذول فيه وإن أم^{هـ} — — — رف في ظلمه وفي عدوانه
فدعا اللوم في التصابي فاني لا أرى في السلو^{هـ} مآريانه
وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون
وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل شبيه بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بخدّها

(١) في نسخة « كفه » مكان (كأسه) .

فتسكرو من عين وكأس ووجنة تحيك أعتاب الكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام
 وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حماة أيكة برداً أسف لثاته بالأمس
 كالأقحوان غداة غب سمانه جفت أعالیه وأسفله ندى
 شبه الشفتين لرقهما بقادمتي حماة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 يفلجن الشفاء عن اقحوان^(١) جلاء غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحتري :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامى الدر منا ولاقطه
 فن برد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحتري :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحي سقاط حصي المرجان من كف ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحتري أيضاً :

ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

ثغره عند سرده كالغساب المزرد

مثل در منظم بين در منضد^(٣)

وقد أحسن البحتري وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) : (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
 وشتيتاً يغضُّ من لؤلؤ النظر — م ويؤزى على شتيت الاقاحي
 فأضاءت تحت الدُّجّة للشر ب وكادت تضيءُ للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بالحا ظِ مراض من التصابي صحاح
 فطربنا لمن قبل المثاني وسكرنا منهم قبل الراح
 وتدير^(١) الجفون من عدم الألسباب مالا يدور في الاقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههن عقيق
 دها في منها نرجس يرشق الحشا وهل نرجس يالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة موق تجمع فيه لؤلؤ ورحيق
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقبلت أفواهاً عذاباً كأنها ينابيعُ خر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج اليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته اليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :

وما تعترها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتختر
 كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الأنام تغير
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :

يارب ريق بات بدر الدجى يمجّه بين ثناياكا
 يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :

سقتُه ابنةُ العمرى من خمر عينها ووجنتها كأساً يميّت ويدنف

(١) في ديوان البحترى (قد تدير) .

فقال امرجها بالرضاب لعله يسكن من خمر الهوى ويخفف
فصدت ملياً ثم جادت بريقة يزيد بها سكر الحب ويضعف
فراح بضعفى سكره من مزاجها وقد يسأل العدل الولاة فيسعف
فهل من مزاج زاد فى سكر شارب سوى ريق ذات الخال أم أنت تعرف
وقال : مزجت خمرة عينيها بريقتها كما تكفكف غنى من حياها
فاشتد إسكارها إياى إذ مزجت ومزجك الكأس ينهى عنك طغياها
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشى قال قال الاصمعى أحسن ما قيل
في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندى والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى اليه الندى غاديه والمتروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يزهر ينفح منها المسك والعنبر
وردية محدبها ؟ كأنها من خده تنصر
مهفف لم يبتسم ضاحكا مذكأن إلا كنبيد الجواهر ؟

وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدر لا يغنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
في فها مسك ومشولة صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخمر للريقة واللؤلؤ للثغر

جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبرى :

تلك الثنايا من عقدها نظمت أم نظم العقد من ثناياها
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه جامد في خمره برد
 وقال : قلت للكأين وهو يكرع منها ذقت منه والله أطيب منك
 وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم ليل رأتك معي كواكب
 بأبي حبيب كنت أعهد لي واصلاً فازور جانبه
 عبق الكلام بمسكة نفعت من فيه ترضى من يعاتبه
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقة فتعلم أنه بجنى عذوبته يمر بشعرها
 وهو من قول بشار :

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر إلا شهادة أطراف المساويك
 وقول بشار من قول قيس :

كان على أثوابها الخمر بماء الندى من آخر الليل غابق
 وما ذقتـه إلا بعيني تفرساً كما شيم من أعلى السحابة بارق
 ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج خليق الثنايا بالعدوبة والبرد
 وقال ابن الرومي :

بدالى وميض مؤذن أن صوبه عريض وما عندي سوى ذاك مخبر
 وما ذقتـه إلا لشيم ابتسامها فكم مخبر يديه للعين منظر
 وقال عمار بن عقيل (١) :

كان على أنيابها مبيت الكرى وقيمه يردى تهلل في تعب
 تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت وقلب وما أنباك أشعر من قلب
 وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحبلة قبل المذاق بأنه عذب
 كشهادة لله خالصة قبل العيان بأنه رب
 وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره والليل يرخى الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قد مالت الرقة في شطره ومالت الغلظة في شطره
 فازره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدري وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثغره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثغره
 فمن عذير الصب من صدمه ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حي له عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فمن يذبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هي الدر منشوراً إذا ما تكلمت وكالدر منظوماً إذا لم تكلم
 تعبداً أحرار القلوب بذلها وتملأ عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ما أجدى هواك سوى المني على وما ألقاك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لو أنها جنى النحل لم يهيج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.
 وعندى ان أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومي :
 وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يملل وان هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشر) . (٢) في الأملالي (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت ما ربي فكأن أظيها خبيث
إلا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا بت أرويه للرجال وتروى
وحديث الرجال روضة أنس بات يرحاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل
ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً
شريعاً في امرأة خفيرة قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيء بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما
قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعرشي :

كأن مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريث ولا عجل
قال قد جمعها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي
قيس بن الأسلت (١) :

ويكرمها نجاراتها فيزورها وتعل عن إتيانها فتعذر
أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازمة (٢) :

اني رأيتك في نوم تعانقي كما تعانق لأم الكاتب الألفا
وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتاج له بأن يقال
الألف لاتعانق اللام إلا واللام معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني طانقت ريحانة تنفست في ليلاها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^ه كأننا عقدا^ر في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^ه مَضِين^ه قَطَعَتْهَا وطوالها بالقاصراتِ قصار^ه
أخرو النهار على النهار وانى والشمس^ه لى دون^ه الشعار شعار^ه
خدا^ه ورد^ه والنواظر^ه نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرضاب^ه عقار^ه
حتى اذا ما الليل^ه أقبل^ه ضمنا دون^ه الازار^ه من العناق^ه إزار^ه
فـلى النحور^ه من النحور قلادة^ه وعلى الحدود^ه من الحدود^ه خار^ه
وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفت^ه الى الصبح لنا ساق^ه بساق

في قناع من^ه لثام^ه وإزار^ه من^ه عناق

وأنشد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتد^ه صاحبه^ه كارتداء^ه السيف في يوم^ه الوغى

بحدود^ه شافيات^ه من جوى^ه وشفاه^ه مُرويات^ه من ظما

. نتساقى الريق^ه فيما بيننا^ه زامات^ه القطا زغب^ه القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعرشي :

فأنضيت^ه منها الى جنه^ه تدكت^ه على^ه عناقيد^هها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتمعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحب^ه من قيام^ه فرعها^ه وتغيب^ه فيه^ه وهو جثل^ه (١) أسحم

وكانها فيه^ه نهار^ه ساطع^ه وكأنه^ه ليل^ه عليها^ه مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي «وحف^ه أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والعدو المحنق
فكأننى وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها^(١) مصبوغة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت^(٢) في حملها فرائب^٣ الورد الجنى ثمارها
طالت ليالى الحب بعد فراقها وأحبهن^٤ الى الحب قصارها
ولرب^٥ ليلات بهن تفرجت أسدانها وتأرجت أسعارها
ماكان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذاتها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها^(٣) وبهجة زهرها
لم تبلى عينك أيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أووجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة اذا مانت عنك أحماله
فهل أنت باك على اثره وهل تشجينك أطلاله
سيكثر من بعد ترحاله توّجّع صبّ وإعواله
بنفسى الذى قلته وشحه وضاق بما فيه خلخاله
يريك الحنادس إدباره ويبدى لك الصبح اقباله
مليح الدلال قليل النوال جميل وان قلّ اجماله
وقلت : رخيم^٦ فاطر اللحظ رشيق^٧ مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جياهما). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الاصل (حدامها).

وقد مُعِمْ بالليل وقد قنم بالفجر
وما ينفقني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصيبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه ^(١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكماً أردافه في خصره ومصافحاً خلخاله بصفائره
ويكاتم الأسرار حتى إنه ليصونها من أن تمر بخاطره
لا تعصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بصفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم قموس دجن ينعل أقدامها القرون
نعوم أعجازهن عوماً وتثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفردة ^(٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت ^(٣) وقفاً لا بي حراك ولا سكن

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجهها كي ظلمة الليل فوق ضوء الصباح

وقال السري :

فصرت ليلة الخورنق حسناً واليالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الأثام فيه رياض ومياه السرور فيه غمار
وجنات تحير الورد فيها وتغور جرت عليها المقار
فضحاء من الذوائب ليل ودجاء من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طاوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها حنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى
 ففيه ظلام بالصباح معمم
 يروق سليمى منك جعد مسلسل
 وفرعك من صبغ الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض بغسله الحيا
 أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل فى الصدغ قول ابن المعتز :
 له ظمرة كجناح الغداف
 وفى عطفة الصدغ خال له
 وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت
 وقوله : غلالة خدّه وردّه جنى
 وقلت : وكان دارة صدغه وعداره
 وقال ديك الجن :
 فقام مختلفاً كالبدر مطلقاً
 رقت غلالة خديه فلو رميا
 كأنّ لاما أديرت فوق وجنته
 وقالت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت : النيم بين ممسك ومكفر
 فإذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ريق أهيف كالقضيبي مخضرا
 فإذا جلا لك غرة فى طرة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تعانق خدّه وعداره
 وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عداره
 ولكنها عن وجهه تنفرج
 وفيه صباح بالظلام متوج
 ويسليك منها أقحوان مفلج
 وخذك من ماء الجمال مخرج
 تمشطه أيدى الرياح فيهبج
 تلوح على غمرة مقبرة
 كما استلب الصولجان السكره
 لما دنت من نار وجنته
 ونون الصدغ منقوط بحال
 ألف تقوم تحت نون تمطف
 والخشف مله فتنا والغصن منقطفا
 باللحظ أو ماها بأن يكفا
 واختط كاتبها من تحتها ألفا
 رأيت تفاحة بها عضه
 والروض بين مجدد ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
 أو كف أبلج كالصباح الأبلج
 ألوى بقلبك أبلج فى أدعج
 يجلوه حسن مفلج ومخرج
 فانظر عناق عقائق وبندفسج
 ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم ثنى مناطقه على هضم الكشحين مشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
مسطر الخد بالعدار ولا يحسن غصن^١ الا بتوريق
وقلت : له وجنتا ورْد وعينا غزالة وغرة اصباح وطرة غيب
وصدغ يناجى الاذن وهو معقرب وطورا يناغى الخد غير معقرب
له من ظلام الليل احسن^٢ ملبس وفوق ضياء الصبح احسن ملعب

وقال الصنوبري :

تلك طرار^٣ عليك أم حلق^٤ زانك صدغان أم هما زرد
وقلت : يفتن^٥ القلب بخد^٦ لم يدع^٧ للورد قدرا
مثلا تكتب^٨ بالمسك على الكافور سطرأ
وعذار يسحر^٩ الصب^{١٠} وما يعرف^{١١} سحرا
وبصدغ دار^{١٢} في الخد^{١٣} كما تعقد^{١٤} عشرا
كلما أظلم^{١٥} (ليلي) ^(١) كان (لى) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزرّت يوسف^{١٦} لحيه^{١٧} ولكنه قد زاد حسنا وأضعفا
فلا تعذر من حبه في التحائه فما يحسن^{١٨} الدينار^{١٩} إلا مسيفا
وقال في خضرة الشارب :

تبسم^{٢٠} إذ ما زحته^{٢١} فكأنما تكشف^{٢٢} عن دوحجاب زبرجد^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومعذرين كأن^{٢٣} نبت خدودهم أقلام^{٢٤} مسك تستمد^{٢٥} خلوقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعما فقت خلف من صدغه خلفا كالعين في العين وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأنما النور مضحك يقق وعطفة الغصن شارب خضر

وقلت : وترى النور مثل مضحك خود وترى الغصن مثل شارب أمرد

ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت في عارضيه على جهيد بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأت أنها قد أخطأت وجنت ولت تعود فدارت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذي عاجله أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانعطفنا وصار نونا إذا صيرته ألفا

ما كنت إذ خنتني إلا أخا ثقية لم تستعض منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول . وقلت :

قد التوى ضدغه واختط عارضه كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق الى معناه :

ومفتج قال الكمال لوجه كن مجماً للطيبات فكانه

زعم البنفسج أنه كذاره حسناً فسلوا من قفاه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسج عارضه ينثى إلى حمرة من وجنتيه

فيجعل قلبي في كفه يسى إليه ويمدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسر كصو لجارت يرد ضربته

وقال * وصدغه كالصولجان المنكسر *

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت مازونم
قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمة ونصفاً نقاً يرتج أو يتعرمر
وأنشديت الأعشى :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^٢ إذا تمشت يكاد الخصر ينحول^(٢)
وأنشديت ذى الرمة :

عجزاء ممكورة^٣ خصانة^٣ قلق^٣ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)
فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها قلق شعبان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلمى وتسلى تفوق المني ؟ والوصف أنواعاً وألوانا

وشاحها يحسد خلخالها كجائع يحسد شعبانا

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباء غرائر مشعبات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وريان من ماء الشباب كأنه يظلم من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خربة) . (٢) في ديوان الأعشى (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها ، والقصب : العظام التي بها المنخ .

أخذه الآخر فقال :

ظلي^١ كأن^٢ بخصره من ضربه ظمأ وجوعا
وقلت : وقد عصن أوفانا كشمايت كفور
وقد شددت زنانيرا على مثل الزنابير
وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير عكان معاقدتها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل حبيتي تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد^(١) :

قد قلت لما مر^٢ يخطو ماشيا^(٢) والردف^٣ يجذب خصره من خلفه
يا من^٤ بسلم^٥ خصره من ردفه سلم^٦ فؤاد محبيه من طرفه
وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرقيق وطيبه ومزاج شارب ومشي نريبه

وقلت : لا والظباء الآنسات إذا رنت فاقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً أو نحن نحن لظائماً أو ملن ملن غصونا

ومدون من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقتته وأخو المروءة لا يكون خؤونا

وقبل هذا : مترجرج الأرذاف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد يعقد لنا

داب النسيم له فائمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حليناً

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني

أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرائي روضاً ممطوراً ووشياً منثوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأملالي لخالد الكاتب. (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومنثوراً بل لا بُصر أعطاف الفتيان تنثى تنثى الأغصان في قرايط
الحبيرة ومن ررات الديباج والحرير وقد اطلعت أزرارهم بواهر الأثمار مطرفة
بمقارب الاصداغ وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويسمون
عن حباب الراح ويمزجون الدلال بخجل أسأء فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
ومن الافراط في ذكر الغيد وهو لين القامة قول ماني ^(١) :

أتمنى الذى إذا أنا أوماً تـ إليه بطرف عيني تجنى
أهيف كالقضيبي لو أن ريجاً حرّكت هذب ثوبه لتثنى

وأجود ما قيل في النهود وعظم المعجزة قول الأعرابي : يضاء جمدة لايمس
الثوب منها إلا مشاسنه كتفيها وحلمتى تديها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابي
من الشاعر :

أبت الرّوادفُ والثدى لقمصها مَسَّ البطون وان تمسَّ ظهورا
وإذا الرّياحُ مع العشيّ تناوحتْ نبهنَ جاسدةً وهجنَ غيورا
وقلت : تمشي بأردافِ أبين قعودها بينَ النساءِ كما أبينَ قيامها
وقال ابن المعتز في النهود :

يا عُصناً ان هزّه مشيه خَشِيتُ أن يَسْقَطَ رُمَانُهُ
إرحم مليكاً صارَ مستعبداً قد ذلَّ في حبك سلطانُهُ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيثم
ابن عدى قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن على بالكوفة فخرجت جارية
فطفق الاعرابي ينظر اليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطك وغصن يهتز وتدى بحرق
أهابه وتقول اصطبر ، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتنى أحد مثل ما مدحتنى

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصرى المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وانك لما يما يكنى عنه الربلات بمجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أيا وَرْدًا على غصن . بكرَّ اللحظ يلقطه
ورمانًا على قن يكادُ المشي يسقطه
أنى والبدرُ يحسدهُ . وشمسُ الدجن تغبطه
وخوفُ الناس يقبضه . وحبُّ الوصل يبسطه
وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِكَ أن تهجرى وأقبح من ذاك أن تهجرى
أقاتلتى بفتورِ الجفونِ ورُماتينِ على منبر
كحقين من لبِّ كافورةٍ برأسيهما نقطتا عنبر
والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فقطتُ بكفيها ^(١) ثمارَ نحرها كأيدى الأسارى أقتلتها ^(٢) الجوامع
وهو حسن جداً ومثله قول النميري :

أعيرُ كيفَ بحاجةٍ طلبت إلى صمِّ الصخور
لله دَرُّ عداكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أناملَى تجنينَ رمانَ الصدور
وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قُبب البطن وطى العكن
يملاً الكفَّ ولا يفضله وإذا أثنيته لا ينثنى
وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهنَّ حقائق عاج وحلى زانه حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريح « فقطت بأيديها » . (٢) في الأصل « أقتلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الحلى من هذى الحقائق
أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر :
يسمى بها ذو ثؤمتين مقرطق^(١) قتأت أنامله من الفرصاد
فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
يا قمرأ أبصرت في مأم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فيلقى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
وقال ديك الجن :

ودعتها لفراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
وحاذرت أعين الواشين وانصرفت تعض من غيظها العناب بالبرد
فكان أول عهد العين يوم نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرحيل فامرأت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
فاخضر موضع كفها فكأتما غرست بأرض بنفسج عنابا
وقال الناشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كف جارية كأن بنانها من فضة قد طرقت عنابا
وكان يمناها إذا نطقت به يلقي على يدها الشمال حسابا
وقال أيضاً : لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمتين
تخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
وقال : متعاشقان مكأتمان هواهما قد نام بينهما العناب قطابا
يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأتما يتدارسان كتابا
واذا هدت عين الرقيب تخالست كفاهما جلس السلام سلابا
بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأتما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنبيه له عذاباً
 يذكّر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :
 انظر الى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج منشوراً على فضه
 أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضه
 ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تولب :
 كعاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كاجوان الجراد مفصل
 قوله « كاجوان الجراد » غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .
 ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعاث
 وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث
 أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيص :
 لهوت عن الأحران إذا أسفر الضحى وفي كبدى من حرّهن حريق
 مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق
 وقول أبي تمام : نثرت فريد مدام لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم^(١)
 وصلت نجماً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء الملم
 وقال : أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل تراعونها بعدى
 ودمع نثرت دره وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد
 ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
 لو كنت يوم الوداع حاضراً وهن يطفئن لوعة الوجد
 لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد
 كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
 ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المغرم) . (٢) في الديوان (وصلات دموعاً بالنجم)

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَرَّاحَ الدَّلُّ وَدَعَّتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَحَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُنْخَضِلٌ كَأَنَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ طَلٌ
وَمَنْ أَجْمَعَ بَيْتَ قِيلَ قَوْلَ الْمُحَدِّثِينَ :
فَأَسْلَبْتُ لَوْلَا أَمِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرَدِ
لَيْسَ لِهَذَا الْبَيْتِ نَظِيرٌ . وَقَلْتُ :
يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجَنَّتَهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرْدَةَ غَضِهِ ؟
وَمَنْ الْمَشْهُورُ قَوْلَ بَعْضِهِمْ وَهُوَ حَسَنٌ :
كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى حَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْنَارٍ
وَنَحْوُهُ مَا أَنْشَدْنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ فِي الْعَرَقِ :
يَحْدَرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الْفَمِ سَحَابُ الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فَرَادَى وَمِثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِيطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ
وَمِثْلُهُ مَا قُلْتُ :
أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَالْفَضَةِ يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جَسَدِهِ طَلٌّ عَلَى سَوْسَنَةٍ غَضَهُ
وَفِي صِفَةِ الدَّمْعِ :
تَوْرِيدُ دَمْعِي مِنْ خَدِّكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمُ جَسَمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٍ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو هَوَاكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي امْتِلَاءِ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَظْنَهُ :
فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ
وَقَوْلُ الْبَحْثَرِيِّ فِي مَعْنَاهُ :
وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ الْمَوْتُ الصَّقِيلُ
وَقَفْنَا وَالْعَيُونُ مُشْغَلَاتٌ بِمَا لَجَّ دَمْعُهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ (١)

(١) فِي أَمَالِي الْقَالِي (يَغَالِبُ دَمْعُهَا نَظَرَ كَلِيلٍ) .

نَهَتْهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَمْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ

قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولاأظنه له :

بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي

إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغَرَامُ سِرَاتِي وَأَظْهَرَ لَلْعَذَّالِ مَا بَيْنَ أَضْغَمِي

وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ يَدِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ نَعِشْقَهُ مَعِي

وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبُكَاءِ لِرَاحَةٍ وَعَنَّانٌ سَرَّيْ فِي يَدِ الْكُتْمَانِ

حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَأَ رَقَاتُ دُمُوعِي خَشِيَّةَ الْإِعْلَانِ

ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ

وَقُلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعٍ قَادِمًا قَلِقَ حَتَّى عَلِقَنَ بِجَفْنِ رَدِّهَا الْغُرُقَ

فِي فَوَادِي سَبِيلٍ لِلْأَمْسِ جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلِقَ

لَهَيْبُ قَلْبِي أَفْضَلَ الدَّمْعِ مِنْ بَصْرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ

ولاأظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَلَطْمَةُ خَدٍّ تَجْعَلُ الْوَرْدَ دَخْرًا مَا وَتَنْثُرُ دَمْعًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ

ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرَا

لَأُطَادَ تَفَاجَ الْخُدُودِ بِنَفْسَجَا لَمَّى وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عَنِيْرَا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوماً بيت ذي الرمة :

لَعَلَّ الْإِنْجِدَارَ الدَّمْعُ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِيَّ الْبِلَابِلِ

وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى فقيه مسلاةٌ وتسهيل
وهو إذا أنت تأملتُه حزنٌ على الخدين محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرُّه والدَّمعُ معترفٌ به لم يجحد
والدَّمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لأجوابَ لمفحم متحير إلا الدُّموعُ تصانُ بالاطراف

قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها لك الكبدُ الحرَّى فسرو لك الصبر
وقد سبقتها عـبرةٌ فدموعها على خدِّها بيضٌ وفي نحرها حمر

معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .

ومن غريب المعنى قول الآخر :

غَدَتْ بأحبتى طولُ المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكان الدَّمعُ لي ذخراً معدّاً فأنفقتُ الذَّخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المرض قتر كته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزنِ معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرقٌ مؤزَّرٌ بعيم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إزدنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماه الطلاوة :
وماريجُ قاع ذى مُخزأى وحنوة له أرجُ من طيبِ النباتِ طازب
بأطيب من مَيِّ إذا ما تقلبتُ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب^(١)
إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين . ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:
خود يكون بها القليل يمسّه من طبعها عبقا يطيب ويكثر
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إنَّ البقيحةَ جلدها لا يشكر
قوله (شكر الكرامة جلدها) فى غاية من الحسن . أخذه ابن الرومى فقال :
ألف عطر تذكى وهى ذاكبة إذا أساءت جوارَ العطر أبدان
نعم كل نهار من مجامرها ويشمسُ الليل منها فهو ضحيان
كأنها وعشان الندَّ يشمها شمسٌ عليها ضباباتٌ وادخان
وأخذ ابن المعتز قول القطامى ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ
بديعة وهو قوله :

وماريجُ قاع زاهرٍ مست الندى وروض من الرِّيحان سحت سحائبه
فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جرَّ من ذيل الغلالة صاحبه
بأطيب من أثوابٍ شمر موهبا إذا الليلُ أدجى دابر كئائبه
إذا رغبتُ عن جانب من فراشها تضوَع مسكاً أين مالت جوانبه
وقد طرف ابن الاحنف فى قوله :
ذكرتك بالرِّيحان لما شمعتّه وبالرِّيح لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماريجُ رَوْض ذى أقاح وحنوة وذى نفل من قلة الحزن طازب
بأطيب من ليلى إذا ما تمايلتُ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرَّيحان^(١) منك روائحاً^(٢) وبالرَّاح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرت أيامَ اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كرياك طيبه يذكركني منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ربح طيب الاولاد * وقلت :
 يمرُّ بي وفدُ الصبا والليل يقضي نَجْبه
 مرَّ بروضٍ زاهرٍ ذرٌّ عليه عشبهُ
 فمخاته من طيبهِ نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نعانٍ إذ مشت به زينبٌ في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربع الذي غير البلاد عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوبَ ريح المسك فيه وإنما به المسكُ إذ جرَّت به ذيلها جملُ
 وقوله : وأنت الذي حببت معي إلى بدا إلى وأوطاني بلادٌ سواهما
 حللت بهذي مرّة ثم مرة بهذي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) « النميري » ساقطة من الاصل
 فاستدر كناها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه « غطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرض يمتتها^(١) وإن مضت لها حججٌ يزداد طيباً تراها
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجدت الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشارب طيبا
فهم ينكرون ذلك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحترى : فكان^(٢) العبير بها وأشيا
وقلت : تأملت منها غزالاً ريبيا
جلت لك عن خضل واضح
وهزت لنا بسراة الكتيب
عشبة راحت وأتراها
كواكب ليل إذا ما رأت
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول
إذا زدتها نظراً زدتنى
رحلن العشبة من ذى النضا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيب من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حليها والحلى فيها الدرُّ والجوهر
ولو قيل إن هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمريء القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) في الأصل (دمتها). (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ماعليه
لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع في النفوس .

أتاها بـعطر أهلها فتضاكت^١ وقالت وهل يحتاج عطر^٢ إلى عطر
وقد أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان
وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى لأيام مضت^٣ . وكان^٤ معها حلوم
أيام يفتى لى ويفنى رهطه الرجل العريم
إذ لا دليل على^٥ في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١) :
ولولا أن^٦ يقال صبا نصيب^٧ لقلت بنفسى النشء الصغار
بروحى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار^٨
إذا ما للذل ضاعفن الحشايا كفاها ان يلاث لها الازار^٩
ومن مليح ذلك قول عوف بن محم^(٢) :

وصغيرة علقنها كانت من الفتن الكبار
كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى عبد الله بن الحسن وقدم ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعب^{١٠} عما يقامى الهائم^{١١} الصب^{١٢}
شكوت^{١٣} ما ألقاه من حبا فاقبلت^{١٤} تسأل^{١٥} ما الحب^{١٦}
ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم خير^{١٧} المطي لدى^{١٨} ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست^{١٩} حبة لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعى الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) :

فقلت الجارية: إن المطايا لا يلذُّ ركوبها ما لم تذللْ بالزمام وتركب
والدرُّ ليسَ بِنافع أربابه ما لم يؤلف في النظام ويثقب
قد أحسننا جميعاً إلا أنت وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحبُّ أملك للفؤادِ بغيره من أن يرى للسرِّ فيه نصيب
وقلت : آفة السرِّ من جفوَ نِ دوامِ دوامِ

كيف يخفى مع الدمو ع الهوى في الهوامِ
مارأينا أخا هوى سرُّه غير ذائع
أن نيرانَ حبه باديات الطوالع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالي جفيتُ وكنت لأجفئ وعلامةُ الهجرانِ لا تخفى
وأراك تمزجني وتشربنى ولقد عهدتكَ شاربِي صرفا
وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يا فور لم أهرجكمُ للملاة مني ولالمقالِ واشِ حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لاتصبرونَ على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو اليه فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها محبَّة ولا ألفا محبِّ كلِّ عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

دما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقونَ من عشقوا
صرتُ كأتى ذبالةٌ نصبتُ تضییء للناسِ وهي تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كيلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يوميء قول البحري :

قصائد ماتنفعك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل إلى غير من يحجب بها وذرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فأنثى غصن بان يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصلة اللذيق جناه
فلو أني كنت في بعض شعري فإذا ماشداه قبلت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل العشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه :

وما نطفة كانت سلاله بارق تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فقلت
وقد بخلت حتى لو أني سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على العشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :
ظبي له من قلوب الناس نابتة من المودة تجنى أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعاً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلاً
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالاً

وقال أبو نواس * لومني الحسن ما تعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خيله
أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكل أم عقله
انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
لو قيل للحسن تمن المني إذا تمنى أنه مثله
أي خصال حازها سيدي لو لم يكدر صفوها مطله
وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
للناس في الشهر هلال ولي من وجهها كل صباح هلال
وقال: متناه بجماله صلف لا استطاع كلامه تبا
لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التبا
وقال: ألاحظ حسن وجنته فتجرحني وأجرحها
وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي هواك فلم يزل شكوى الحزين
وكان كانت إشراقاً وحسناً وقلة رحمة المستكين

أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقد مر قبل . ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي :

ماساءني إعراضه عني ولكن سرقي

سألتاه عوض عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن :

صدعني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد

صدعني من غير جرم إليه ليس إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبه له في كثرة اعتلال المشوق على العاشق وكثرة تخبئه عليه قول بعضهم :

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي

فلما كتمت الحب قالت لشрма صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطيء عذري وجه جرمي عندها
إذا أذنبت أعددت عذرا لذنبها
بذكرك مات اليأس في حضرة المني
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجر حاليا
نزلت على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنت آمل باخلا
ومن شأنه أني إذا ما ذكرته
على أنني أناي فأدنو تذكر
ويعجبني حبي له وصبابتي
فلوظنني أسلوه لم أك هاجرا
ولكن عشقي في ضمان جفونه
ومن أصاب وصف العاشق الصادق

إذا قربت دارك كلفت وإن نأت
وإن وعدت زاد الهوى لانتظارها
ففي كل حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما في الأرض أشقى من محب
تراه باكيًا في كل حين
فيمسكي أن ناوا شوقًا إليهم
وان وجد الهوى حلوا المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
ويمسكي أن دنوا خوف الفناء

رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
وتجزع من بعدى وتنفر من قربى

فأجني إليها الذنب من حيث لا أدري
فان سخطت كان اعتذارى من العذر
وإن كنت لم أذكرك إلا على ذكر

وصبوة قلب ما ترى القلب شافيا
فصرت أرى للخل ما لا يرى ليا
أرحم ظلاما وأذكر ناسيا
جفاني وسماني إذا غبت جافيا
ولست كن يدنو فينأى تناسيا
إليه وإمساكي عليه وداديا
ولو خالني أنساه لم يك نائيا
فيأمن سلواني ويرجو غراميا

أسفت فلا للقرب أسلو ولا البعد
وإن بخلت بالوعد مت على الوعد
وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

فتسخن عينه عند التئائي وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
 ووصفه الهوى بالخلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :
 اذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيتبعه عتب^(٢)
 وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبها^(٣) فأسألها مرضاتها وإياها الذنب
 وصالك صرم وحبكم قلى وعطفكم صد وسامكم حرب
 ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد ويروى لفضل الشاعرة :
 ما كنت أيام كنت راضية ، عنى بذاك الرضا بمقتبط
 علماً بأن الرضا سيتبعه منك التجنى وكثرة السخط
 فكل ما ساءنى فعن خلق منك وما سررتى فعن غلط
 ومن البديع فى طلب نيل المعشوق قول الآخر :
 عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
 وإلا فابذل من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد
 وقلت فى نحو ذلك :
 نسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
 كثير سرورى فى قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد
 ومن أبلغ ما قيل فى الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :
 أقلب طرفى فى السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر
 ومثله قول ابن المعلوط :
 أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
 بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى
 وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الأنبارى لجميل^(٤) :

(١) فى الأصل (تسخن) . (٢) فى ديوان ابن الاحنف (لعمري به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) فى ديوان ابن الاحنف (خوف صدها) . (٤) هو جميل بن معمر العذرى

وانى لأرضى من بثينةً بالذى لو استيقن الواشى لقرت بلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قدخاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخره لا للثقي وأوائله
 وكان جميل يصدق فى حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم به
 وما نلت منها محرماً غير أنى إذا هى بالث بلى حيث تبول
 وعفة هذا كفة المتنبي فى قوله :

انى على شغفى بمافى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهرى عن عمر بن شبة قال حدثنى
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريد أنسى ذكرها فكأنما تمثلى لى لى بكل سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمرو داؤه ودواؤه لديها وريها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى ترأسله
 ويهتزُّ للمعروف فى طلب العلى لتحمد يوماً عند سلى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلت عساها إن مرضت تعودنى فأحببت لو آتى غدوت مريضاً
 وزدت اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبح جاهى عندهن عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبى المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدية وهدية راوية الخطيئة والخطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وفيات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرتة والسيفُ يخفرنى ولحظُ غيذه أمضى من مضاربهِ
فما خلعت نجاداً في المناقِ له حتى لبستُ نجاداً من ذوائبهِ
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبهِ من كان في الحبِّ أشقانا لصاحبهِ

وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبابةِ عندَ المغيبِ تكونُ المسرةُ عندَ الحضورِ
وأطيب ما كان برُد الثغورِ إذا هو صادفَ حرَّ الصدورِ

ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسلينى هواهُ ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى سوادَ عذارهِ بسوادِ عينى

ومن أعجب ما قيل في التهلك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم مانصنعُ الشمسُ لهُ فيا
بأىَّ وجهٍ أتلقاهمُ إذا رأونى بعدهمُ حيا

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومى :

أسماءُ أىُّ الواعدينَ ترينهُ أشدَّ كما مطالاً فانى لا أدرى
أأنتِ بنيلِ منك يردُ غلتى أم النفس بالسوانِ عنك وبالصبرِ

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى

عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال

جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء فمزَّ القوادَ عزاءَ جميلا
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ولن تستطيعَ إليك النزولا

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :

قد سحِب الناسُ أذيالَ الظنُونِ بنا وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذبٌ^(١) قد رمى بالظنَّ غيركم وصادقٌ ليس يدري أنه صدقا

وهذا معنى غريب بديع ماأظنه سبق اليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوتُ إلى بدرٍ هوأى فقال لي أَلستَ ترى بدرَ السماء الذي يسرى

فقلتُ بلى قالَ التمسهُ فأنته نظيري ومثلي في علوِّ وفي قدر

فإن نلتَهُ فاعلمْ بأنك نائلٌ وإن لم تنلهُ فابغِ أمراً سوى أمرى

فكانَ كلا البدرين صعباً مرامه^(٢) فويلي من بدرِ السماء ومن بدرى

ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن

عبد الله بن طاهر :

ليسَ عندي شحطُ النوى بمعظم فيه غمٌ وفيه كشفُ غموم

من يـكـنْ يـكـرهُ الفراقَ فاني أشتيه لموضع التسليم

إنَّ فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقه لقـدوم

فلكم قبلةٌ وغيبة شهر (هي) خيرٌ من امتناع مقيم

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كانَ في الفراق عناقٌ جعل الله كلَّ يوم فراقا

أجود ما قيل في خفتان القلب قول قيس بن ذريح^(٣) :

كانَ القلبَ ليلةً قيل يغدى بليلى العامرية أو يراجُ

قطاةٌ عزها^(٤) شركٌ فباتت تجاذبه وقد علقَ الجناح

فلولا التضمن الذي فيه لكان غاية. ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومملوء من الحزن يعالج سورة الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهلٌ » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنانى من شعراء العصر الاموى من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأمالى ، وفي الأصل « غزها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبٌ مُقْلَتُهُ نَعْمُ الْأَرْضَ بِالْغُرُقِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ قَلَقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ
وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيئاً لست أعرفه ما أنكر القلب إلا كلما خفقا
ياشوق إلّفين حال البين بينهما فعاقصاه على التوديع فاعتنقا
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بعدم شفقا
وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولو داواك كل طيب (ركب) بغير كلام ليلى ما شفاكا
ولو أصبحت تملك كل شيء سوى ليلى عتبت على غناكا
ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المعشوق قول أبي دلف العجلي :
أحبك يا جبان وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أحبك حب نفسي خلفت عليك بادرة الطمان
لا أقدامي إذا ما الخيل جالت وهاب شجاعها وقع الطمان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجت فلم أظفروعدت فلم أفز بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فيا حسرتي ما أشبه اليأس بالقتى وإن لم يسكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيل بينها وبينك لو يأتي يأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعاني بلاعنا وقد جن من وجدى بليلى جنونها
ومثل ذلك : فإن يك عن ليلى غنى وتجلد فرب غنى نفس قريب من الفقر
ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدني أبو أحمد :

إذا (يوماً) بليت وذاب جسمي لعلَّ الريح تحملي إليهِ

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طولَ سقمه
أضنيتهُ فما يطيقُ ضعفه^(١) حمل اسمه
فلا يراك حائداً إلا بعينٍ وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يرى أعظمَ الجسمِ حبها وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها
وبتقصها حتى لطفتَ عن النقص أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي
وقال ديك الجن وبالع :

أنحلَ الوجدُ جسمه^٢ والحنين
لم نرس أنه جليدٌ ولكن

وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فيما مضى خاتمٌ
وذُبتُ حتى صرتُ لوزج^٣ بي
فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسمي من بعد جدته
كأنه رسمُ منزلِ خلق
فما تكادُ العيونُ تبصره
تعرفه العينُ ثم تنكره

ومما لا أظن أن له شيئاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حدثتُ إلهي إذ بليتُ بحبها
نظرتُ إليها والرقيبُ يظنني
على حَوْلٍ يغني عن النظرِ الشرر
نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر

ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الأعراب :
ألا قاتلَ اللهُ الهوى ما أشدهُ وأصرعهُ للمرءِ وهو جليدُ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الأخبار مع أبي تمام ، رثاه البحتري لامات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتهُ فأصبح بي حيث يريد
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرِّج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أسنِّم عناقهُ لقدمه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
فمضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني

الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفت له فتنفستُ عليه الصعدا

بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدا

وأنشدنا عنه لأبي العميثل^(١) :

أقيمتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرامٌ مَسِيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ^(٢)

فكلمتها ثنتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ آخرٍ من الجمر

الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صباةً ويبعدُ من فرطِ اشتياق طريقها

وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها :

ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان

مكثرًا من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناء

من الأُمالي ، وفيه : عن عُفْرِ : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أي محرمون ،

ومسيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ يعني أنه أقيمها بعرفات عشية عرفة وهو مَسِيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفتُ كبِدُ مما يقلنَ صديع
وكيفَ أطيعُ العاذلاتِ ووجهها يؤرِّقنِي والعاذلاتُ هجوع
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
وإني لأستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودَّةَ بالهجر
وأندرُ بالهجرانِ نفسي أروضا لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لي من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هي الهجرُ لا والله ما لي لك الهجرُ
ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبَّتها صبرُ
وزاد العباس بن الأحنف فقال :
أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حينَ تهجر
والزيادة في قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجرانَ يوماً وتغدر
وما عرَّضتُ لي نظرةً مذ عرفتُها فأنظر إلا مثلتُ حينَ أنظر
وهذا من قول جميل :

أريدُ لأُنسى ذكراً فكأنها تمثُلُ لي ليلي بكلِّ سبيل
وذكر بعضهم أنه يهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن
الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كان هجراني لها من ملالةٍ ولكنتني جرَّبت نفسي على الصبر
ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالوا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :
يمرُّ الصبا صفحاً بسا كن ذى الغضا فيصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبةٌ عهدٍ بالحبيب وإنا هوى كلِّ نفس أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طوالم عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول :
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب^(١) به أهل مى زاد شوقى^(٢) هبوبها
 هوى تدرى العنان منه وإنما هوى كل نفس أين^(٣) حل جيبها
 مو قال العباس بن الأحنف فى غير هذا المعنى :

متى تبصرنى يا ظلوم تبينى شمائل بادية البث منصدع القلب
 بريثاً تمنى الذنب لما هجرته^(٤) لكما يقال الهجر^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها فقد فجعتنى بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل فى الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نبك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى
 مصراع فليس له شبيه فى جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل فى وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبى جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشف ويشفق
 وقلت : قد عريت أمها حين اكتست أردية الريح عشياً وضحى
 لم يبق فيها غير ما يدكى الجوى ويصرف النوم ويبعث البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

الاحى من أجل الحبيب المغايا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
 ولا عرابى : طللان طال عليهما الأبد دثرا فلا علم ولا نضد
 لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأوبة مثل ما أجد

(١) فى ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) فى الديوان (هاج شوقى)

(٣) فى الديوان (حيث حل) . (٤) فى ديوان العباس المطبوع (صرمته)

(٥) فى الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ . ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساء السودَّ من حبِّ تكتم ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
 فجئني بمثل المسكِ أطيب نفحة وجئني بمثل الليل أطيب مرقدًا
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبت سوادَ الجـلدِ منقصةً فانظر الى سعةٍ في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكونُ الخالُ في وجهٍ مليح فيكسوه الملاحاةُ والجمال
 ولستَ تملُّ من نظرٍ إليه فكيفَ إذا رأيتَ الوجهَ خالا
 وقد ملىح بعضهم في خلاف ذلك :
 إنَّ الذي يعشق من لا
 وإنَّ من يعشقُ زنجيةً كالذي دلك في الظلمة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أني سريت وكنت غير سرور وتقربُ الأحلامُ غير قريبِ
 ما تمنى يقضى فقد تؤتينه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كان المني بلقائها فلقيتها ولهوت من لهو امرئ مكذوب
 وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر فحل .

نأتِكَ أمانةً إلا سؤالا وإلا خيالاً يوافي خيالاً
خيالى يخيل لى نيلها ولو قدرت لم تخيل نوالا
وهذا من معانى القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل فى بخل المعشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم فى الخيال ، ومن البارع الفصيح فى هذا المعنى قول البعيث^(١) :
أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالع
فأعطتك آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلتها وخوادم
على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجم
وأعجلها عن زورة لم أفز بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطم
وأحسن النميرى حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إلما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : « ز الكرى طيفها وهنا خيالى »
لأعرف أنه سبق إلى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزارتته فكرتى فى المنام فأتاهانى خفية^(٢) واكتتام

يا لها ليلة تزاورت^(٣) الأثر واح فيها سرّاً من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا فى دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبيل :

سرى طيف ليلي حين حان هبوب وقضيت شوقى حين كاد يؤوب

ولم أر مطروقاً يحل بطارق ولا طارق يقرى المنى ويثيب

(١) هو خداش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وصلى البعيث بقوله :

تبعت منى ما تبعت بعدما استمر فؤادى واستمر عزيمى

(٢) فى ديوان أبى تمام « فأتانى فى خيفة » . (٣) فى الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقتنا فأنا لت . نائلا . شكره لو كان في النبة الجحود
ثم قالت وأحست عجبى من سراها حيث لا تسرى الأسود
لا تعجب من سر أنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود
فرايت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت نحت ليل مطر ز بهار
فتمجبت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار
ثم مالت بكأسها فسقتنى جلنارية على جلنار
آخر : فياليت طيفاً خيلته لى المنى وإن زادنى شوقاً إليك يعود
أكلف نفسى عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطيع شديد
الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطيع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف
وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردى . وقال الحمدوني :

لم انله فنلتسه بالامانى فى منامى سرّاً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقتربان
وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرّها عن الأبدان
منظره كان نزهة العين إلا أنه ناظره بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
إلا خيالاً عسى ان نمت بطرقى وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال : كلامه أخدع من لحظه ووعدته أكذب من طيفه
وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بمينيك اءوالى وطول شهبى وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا طارض اطي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يماطيني على رقية العدى ويمزج ريقاً من جناه يريق
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقاً ولم صغت إلى خبر أذناي غير صدوق
وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك :

طرق الخيال فزار منه خيالا فسرى بغازل في الرقاد غزالا
يا كشفه للكرب إلا أنه ولي على دبر الظلام فزالا
فعدا المتيم وهو أكبر صبوة وأشد بلبالا وأكسف بالاً
وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريمي^(٢) :

ليالى أرعى في جنابك روضة وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذا أنت لى كالحمر والشهد ضعفا بماء لصاف ضعفته جنائبه
وقال بشار :

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ريح المسك والعنبر الورد
أجود ما قيل في صفة الركب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم ويتمجبون من حسنه :

كأن تحت درعها المنعط ضخم القذال حسن الخط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قط على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كرامة الشيخ اليماني الشط
لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار :

(١) في الاصل (اطاى) (٢) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن
زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياذ ، عى بعد ما أسن ، وقال في ذلك شعراً ،

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاهُ بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طعنت طعنت في مستهدفٍ رابى المجسة بالعبير ممرمد
 وإذا نزع نزع عن مستحصفٍ نزع الحزور بالرشاء المحصد
 يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزع كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها من تستعير وقدته من قاب صبٍّ وصدر ذى حنق
 كأنما حره لحابه ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشودة الوهق
 وقال في سمته :

يسعُ السبعة الأقاليم طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهم الدنيا وتحويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنةُ خبا زٍ وقد أمها من الأدم جينه
 وقال المفضل بن غيلان ^(١) :

ومركب كبيضة الأذجي كأن نبت الشعر المطلى
 عليه شونيزه على فرني

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقول والقوم تعادى بهم إلى الوغى مضمرة قرح
 استحمل الله على مركبٍ يحث بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المفضل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

مأمر كـب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لا سلاح له
كأن رمانة في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهود ثدييها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً أبهره يدارك المص ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد ترد علينا بالعشي المراميا
فشب بنو ليلى وشب بنوا بنها وأعلاق ليلى في الفؤاد كاهيا
ابن المعتز : من مهيبي على السور وعلى الهم والفكر
وابلائي من شادن كبر الحب إذ كبر
ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون بأن القلوب تمحاذي القلوبا
ولو كان حقاً كما يزعمون لما كان يشكو محب حبيباً

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
نلت له هذا يأهير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماماً) (٢) شاعر إسلامي من المتيمين .

أبياته التي أنشدها :

أراني تعروني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدی والمظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأي الذي كنت أرتى ويعزب عني ذكره ويغيب^(٣)
ويضمّر قلبي عذرها ويعينها على فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازرهُ قلبي على وليس لي يدان بمن قلبي على يؤازرهُ
وأخذه مهمل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تجني على يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحتری :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي :

يقولون هذي أم عمرو قرية دنت بك أرض نحوها وسما
ألا إنما بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في ودّه بمرّيب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقرّيب

(١) في الأغاني (وإني لتغشائي لذكراك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى ومُخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئهُ بودٌ
وقد أصفيتهُ ودّى بجهدى فعارضَ في الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فانه أرانا على علتهِ أم ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقربك مخافة
أن تسخن يبعدك فلى عند الاجتماع كبدر جف وعند التناهي مقلة تكف . ومثله :
لا والذي بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صباية وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحاً وكلفاً لا أنى منقسم القلب بين رجاء يعدنى بقربك وحذر يوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وإن نأت أسفت فلا في القرب أسلو ولا البعد .
وسمعت لماني الموسوس ^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداةَ البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا
نصاقتُ التي بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا
وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى
فأوزدته . وقد أخذ ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاءُ بليلةً جميت لنا حتى الصباح نظاما
تجزى العيون جزاءهن عن البكى وعن السهادِ فلا نصيبُ اثاما
فنبيحهن مُرادهن يردنه فيما ادعَيْن ملاحهً ووساما

(١) هو أبو الحسن محمد المصري ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافيء الأذان وهي حقيقة^١ إذ لا تزال تكابدُ اللواما
فنشيهنَّ من الحديث مثوبة^٢ تشفى الغليل وتكشفُ الأسقاما
ونكافيء الأفواه عن كتمانها إذ لا يزال لها البصماتُ الجاما
فنبههنَّ ملائماً ومراشفاً ماضراًها أن لا تكونَ مدا
نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

ونخالد الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم بكاء قتي فرد على شجن فرد
أبكي الذي فارقتُ بالدمع وحده^٣ لقد جلَّ قدرُ الدمع فيه إذاً عندي
وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم
فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد^(١) :

وما كان حبيبها لأوَّلِ نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلتِ
واسكنها الدنيا تولت فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتولتِ
وقال أعرابي :

أعللُ أصحابي بجدي وباطلي وأسماء جدَّ القلب مني وباطله
ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن :
أدميتُ بالأحاطِ وجنته^٤ فاقصص^٥ ناظره^٦ من القلبِ
أخذه على بن حاصم فقال :

ضربتُ إلفي يدي خانَ يميني جلدِي
فاقصص^٧ لما اغرورقتُ مقلته^٨ من كبدي
فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرضِ يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أى هض يدفع منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيبها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصارك منى الود ما دمت حية وودك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأول شيء أنت عند هبوب

ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفت وشك البين حتى رأيتهم معض ؟ أمشاط لهم وقطوع
 لعمرك ما شيء مريت بذكره كآخر يأتي بغتة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بين باب الوزير والمسجد الجا مع ظي كالظباء في جيده
 أطماره رثة فقد ضاع لا ضاع وضاع التميز في بلده
 ليس له ناقد فيعرفه وآفة التبر ضعف متقدده

وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولست بواصف أبداً حيباً أعرضه لأهواء الرجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث الليالي

معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواه فقلت لها إذا فنى الملاح

معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي

معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارة تسلي على فسلمي

آخر التشبيب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينهم
عباده في العاجل ويدل على ما أعد لحسنهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بركه وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجري مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني ﴾

﴿ الفصل الأول في ذكر النار ﴾

فأول ما ندكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُسَوَّرُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَمَعْنَاهَا تَذْكِرَةً وَفِتْنَةً لِلْمُغْوِينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فأنها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليّ شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأنهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يقتل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يهدو وينقض العهد بجرمان منافعها . وقد أحكنا
ذلك في كتاب الأوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاها بَنَائِقَ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجوانِ
وقول ابن المعتز :

وموقدات بتن^(١) يضر من اللهب يشبعنه من فحم ومن حطب
يرفعن نيراناً كأشجار الذهب

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات على أرسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الأفشين :

نار يساور جسمه من حرّها لهب كما عصفت شوق إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن السمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

ريمت هرقة لما أن رأت عجباً جو السما^(٢) ترمى بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات^(٣) على أرسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته إلى في حرق القادر أفشين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة. (٢) في الأصل (جوائم) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرّها لهبٌ كما عصفت شقٌّ إزار
طارَتْ لها شررٌ ^(١) يهدمُ لفحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار ^(٢)
فقتلنَ منه كلٌّ مجمع مفصل وفعلنَ قاقرةً بكلِّ فقار
رمقوا أعالى جذعه فكأنما رمقوا هلالَ عشية الإفطار
كروا وراحوا في متون ضواميرٍ قيدتْ لهم من مرتبط النجار
لا ينزلون ^(٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفرٍ من الأسفار
فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوءِ ناراً لها على الطارقين عَيْنُ
شرارها إنْ علا نضارُ لكنَّهُ إنْ هوى لجين
دعتهُم فأنثى إليها محبهم قرة رَأين؟
إلى كريمِ الفعالِ سمح عطاؤه للكريم زين
يقضى ديونَ العلا يندلِ إذ ليس يقضى لهنَّ دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلّى شررُ الكانون كأنه شارٌ ياسمين
وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها حللٌ مشققةٌ على حبسان
رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها فأتتْ به سيجاً على عصان
فالجوُّ يضحك في ايضاضٍ شرائر منها ويعبسُ في اسودادٍ دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار في الكوانين إذ ذهبتْ دولةُ الرِّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يبرحون) .

بُدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ بِحُجْبِهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وقلت في معناه :

قَصُرَتْ يَدَ الشِّتَاءِ بِحَرِّ جَمْرٍ وَأَخْتِ الْجَمْرِ صَافِيَةِ الرَّحِيقِ
تَرَى نَبْدَ الرَّمَادِ بِوَجْنَتَيْهِ كَكَافُورٍ يَنْدُرُ عَلَى خَلُوقِ
وَقَلْتُ : تَحَرَّكَتِ الشَّمَالُ فَقَرَّ لَيْلِي فَهَاتِ الرِّيحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَّاحِ
جَرَادُ الْجَمْرِ يَسْتَرُهُ رَمَادُ كَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْأَقَاحِي
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَعَطَرَاتُ تَطِيرُ بِهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظُّلَامِ مَمْسَكَاتُ مَطَرَزَةُ الْحَوَاشِي كَالصَّبَاحِ
وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط :

فَتَرَكَ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَمْدِ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وقال أيضا * وصيرت جبابهم مناخلا * وقلت :

كَأَنَّمَا النَّارُ يَبْنِيهِ ذَهَبٌ وَالْجَمْرُ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
ومن بديع ما قيل في القدور على النار قول بعض العرب :

كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمُسْتَعْجِلِ قَصْدَ الشَّبُوحِ لِلشُّيُوخِ الْجَهْلِ
وقال ابن المعتز :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِبْلَى فِي الْحَلِيِّ يَسْلُمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورٍ تَغْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلِ أَرْقَا لَهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وقالوا أحسن ما قيل في الاثافي والرماد قول ابن هرمة ^(٢) :

نَبَكِي عَلَى زَمَنِ وَتَوَيَّ هَامِدُ وَجِوَالِمِ سَقْعِ الْخُدُودِ رَوَاكِدُ
عَرِينٍ مِنْ عَقْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا فَمَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَا بَدِ
فَوْقَيْنِهِ عِبَتْ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ دَنَفَ يَرْنُ الدَّمْعُ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) في ديوان ابن المعتز (يسوقها) . (٢) إبراهيم بن علي الكِنَافِي

القرشي ، من سكان المدينة ، مدح الوليد الأموي بدمشق فأجازه .

وقال أبو تمام : أثناف كالحدودِ لطمنَ حزناً ونوىً مثل ما انفصم السوارُ
ومما يجري مع ذلك القول في الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السري
* شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضةٍ بللَ أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً في ليل أصداعٍ وأطرار
وشققتُ عنها ستورَ الدُّجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج :

وحيةٌ في رأسها دُرَّة تعملُ في وجهِ الدُّجى غرَّة
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أहतكت ستره وصيرته في الوري شهره
يردفها أصفرٌ في أصفر يقدمها أسودٌ في حمرة

وقال السري في الكانون :

وكأنا الكانونُ ألهبَ جمره أحداق أسدٍ يدرين أسودا
بكسو حدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا

وقلت في الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبل الأنواء
يغسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسهم تصبغ بالحناء فها كها ريحانة الشتاء
واشرب عليها حلب الصهباء فشرب صهباء على شقراء

يطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم :
فحمٌ كيوم الفراق . تشعله نارٌ كنارِ الفراقِ في السكِّدِ
أسود قد صارَ تحتَ حرِّها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرَّمَدِ .

(الفصل الثاني من الباب الخامس)

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراصة الذهب وبمناكير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصبغى قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة كأنها مناكير النفران قد اتفخت في الملة حتى رأيت الجمر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشو صغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشى عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن الفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أدن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكأنما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت بينائي بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

(١) في الأصل (نفرة) .

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجليس له أما تشتهي بناتي زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة ليننة وخلا حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيفان بابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومي :

ما أنسَ لأَنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشكَّ الملح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفه كَرَّةٌ وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأيدى الخابزين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاءَ من أرداحهنَّ يريد
وضمتُ إلى الخلاء فيه فواكهٌ عليهنَّ أهواءُ النفوسِ وفود
وقال الصنوبري في رقاق وروؤوس :

غير ماراج من رقاق رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كالماء ذى الحباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
يا لأقياهنَّ وما يسدين من مضم شديد الضرام
كأناس يُوشحون مناديل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي وليكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير مارج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هَامٌ وَأَرْغَفَةٌ وَضَاءٌ فَخْمَةٌ قَدْ أَخْرَجْتَ مِنْ جَاحِمٍ فَوَّارٍ
كَوَجْوِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ ابْتَسَمَتْ لَنَا مَقْرُونَةٌ بِوَجْوِهِ أَهْلُ النَّارِ
وقال غيره في :

وَقَادِمٌ مِنْ جَاحِمٍ فَوَّارٍ مَخْلَلُ الشَّقِيقِ وَالْأَنْوَارِ
مَلْبَسًا حُلَّةَ جِلْنَارٍ يَقْسِرُ مِنْهُ جِلْدُهُ النَّضَارِ
عن بدن أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس ف قيل له إنها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحية وأبخص عينيه وأفص أذنيه وأخديه وأرمى بالدماع إلى من هو أحوج مني إليه ف قيل له إنك لا تحق من ربع قال وما حق ربع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويراج بين الأطباء فما حقه باهة لاء^(١) وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فاللحم وأما الياض فالقديد . وقلت في صفة لحم:

تَرَكْتُ سَمِينَ اللَّحْمِ بَيِضٌ بَعْضُهُ وَيَحْمَرُّ بَعْضُ خَلْطِكَ الدَّرَّ بِالتَّبَرِ
وَأَعْرَضْتُ عَنْ حُلْوَاءِ شَقِّ فَنَوْنِهَا فَبَيِضٌ إِلَى حَمَرٍ وَحَمَرٌ إِلَى صَفَرِ
إِلَى ثَرْدَةٍ رِقْطَاءَ قَطْعٍ فَوْقَهَا مَقْفَعَةٌ خَضِرَاءُ فِي وَرْقِ خَضَرِ
وحاجة الإنسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فإذا أكل اللحم فقد رُم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديباج بالديباج فإذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديباج بالكرباس، وفي الحديث «مَنْ

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويراج بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) :

تَرَكَ اللَّحْمَ أَوْ بَعِينَ يَوْمًا سَاءَ خُلُقُهُ .

وأحسن ما سمعت في جمل مشوى قول السرى :

أنعتَه معصفر البردين أبيض صافي حمرة الجنين

خلف شهرين على خلفين ثم رعى بعدهما شهرين

فجسمه شبران في شبرين ياحسنه وهو صريع الحين

بعرفة مرهفة الحدين بكف شاو عطر الكففين

كسارق حد من الدين ذو طرف يستوقف العينين

بريك مرآة من اللجين مذهبة المقبض والوجهين

شق حشاه عن شقيقتين أختين في القد شبيهتين

كما قرنت بين كأتين أو كرتى مسك لطيفتين^(١)

ان شين ذورقين ناجمين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومى فى دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية^٢ ثمنًا ولونا زفها لك حزور^٣

طفت تجول بذربها حوذاية^٤ فأنى لباب اللوز فيها السكر

ظلنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبرأ عن لجين يقشر^٥

يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدأما بصهرها تتفرغر

وتقدمتها قبل ذاك ثرائد^٦ مثل الرياض بمثلهن^٧ يصدّر

ومدقات كلهن^٨ مزخرف^٩ بالبيض منها ملبس ومدنر

وأنت قطائف بعد ذاك اطائف^{١٠} ترضى اللهاة بها ويرضى الخنجر

ضحك الوجوه من الطير زد فوقها دمع العيون من الدهان تعصر

وقلت فى سكباجة :

سكباجة^{١١} طيبة نشرها كأنها عود^{١٢} على مجمر

(١) سقط هذا المعجز من الاصل فاستدر كناه من ديوان السرى المخطوط . . .

يا حسنها في القدر إذا قبلتُ
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها
يا حسن باذنجانها إذ بدا
كأنه ماء خلوق جرى
وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزور بصدر نهـد
أجريتُ منها في مجال العقد
مرهفة ذات شباً وحـد
لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل الندامى
وقد أتاني الغلامُ يسمي
والنارُ تستعجل القدورا
بأرغف تشبه البدورا
وعندنا قهوة شـمول
لو قطعتُ صيرتُ شذورا
تكونُ قبل المزاج ناراً
فانقلبتُ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا
ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً
وخيلاً من البرني فرسانها زيد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهاً على مجحومة وصحفة مكتومة
بالدسم مؤسومة واللحم مغسومة
قد كملت عرافا وألحفت رقاها
منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بفلسل وخص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي بابي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في ثردة وستة ثم قبل رأسي وقال بابي أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضي ، ثم قال أي والثردة والله مادخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرغف ولا المزدرا

حتى لقد أوجعت والله ترى ماصنعت كفاي في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابق المنصوب ألقى ثيابه وقدت جيوب الخبز شبرين في شبر

رغيف يملح طيب النشر خلطة خوارجه تفنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آثار كاتب وجلباب وراق ينقط بالخبر

ومن سمسم قد زعفرؤه كأنه قراضة تبر في لجينية غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنس فضل الباقلاء فانه من المرق قدواني به الفضل في الزهر

إذا جعلوا فيه سذاباً ونعناعاً وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر

فما صدف العاج المغشى ظواهره بطاشني أفرند معقدة الخصر

بأحسن من مخضرة الغصن إذ بدت بواكر منها في المجاسد والازر

تم قال : ويالك بأذنجانة سابرية جلاها نسيم الليل نائرة الفجر

فجاءت بأثواب الحداد مدلهما بأذناها العم المعقفة الخضر

وأكرم بها نياً إذا بز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر

فنجعلها شطرين نلقم شطرها وتبعه قبل الاساعة بالشطر

وقال ابن الرومي في الهريسة :

أيا هنتاه هل لك في هريس بلحمان الفراخ أو البطوط
أمل اللبيل صانعها بضرب فجاء بها تمدد كالخيط
وبين يديك من مري عتيق توارثه النبط عن النبط
أرانا حول صحفتها^(١) بروكا كما برك البعير على الخبط
فيا لله من لقم هنا كم تجاذب بالشجيج وبالغيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كان قدور قومي كل يوم قدور البرك ملبسة الجلال
كان الموقدين لها جمال طلائها الزفت والقطران طالى
بأيديهم مغارف من حديد نشبها مغيرة الدوالي
وقلت في هريسة :

هريسة بيضاء كافورية في قصعة صفراء دينارية
للدرء فيها حمة مسكية وللسلام لمة تيريه
تدور في مبيضة فضيه مثل السوار في يد الرومية
ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني
نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاي لشقائي فليتسه مادماي
غرقي منه منظر ولباس وأثاث ومجلس وأوان
بمجلس كالجنان حسنا ولكن قبح الجوع حسن تلك الجنان
فلعمري كان الخوان ولكن لم يكن ما يكون فوق الخوان
وجفان مثل الجوابي ولكن ليس فيهن ما يرى بالعيان
وغضار الألوان جاءت ولكن ليس فيها روائح الألوان
فاذا ما أدبرت فيها بنائي لم أجده ما أمسه بينائي

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إننى ماضغٌ على غيرِ شيءٍ غيرِ صكِّ الأسنانِ بالأسنانِ
 ترجعُ الكفُّ وهى أفرغُ منها عندَ مدِّى لها فدأبى وشانى
 لو ترانى والجوعُ يضجُّك منى عندَ غسلِ يديَّ بالاشنانِ
 زادَ فى السفرِ مسرفاً مثلاً أسرفَ عندَ الطعامِ بالنقصانِ
 والغضاراتُ فارغاتٌ أتتنا وسقانا بالترعِ الملائنِ
 سكرةٌ فوقَ جوعَةٍ تركتني راحماً كلَّ جائعٍ سكرانِ
 وقلت فى قريبٍ منه :

أتدعونى وتطمئنى يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسيرِ
 فأصبح منك فى يومٍ عسيرٍ فلا ينفكُ فى يومٍ عسيرِ
 هما حرَّانِ من جوعٍ وسكرٍ فيالك من سعيِّ فى سعيِّ
 أقولُ وفي غضائره عظامٌ أعرق من قدور أم قبورِ

ومن جيد ما قيل أيضاً فى ذم الدعوة قول أبى الحسن بن طباطبائي^(١) وقد
 دماه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خبار وفى وسطها جامات عليها قطر ولم
 يصحبها بوارد فسامها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
 عارية فسامها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة فى غضارة بيضاء فسامها معقدة^(٢) لأن البياض
 لبس المعقد وهى لآتمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
 لقلّة زعفرانها فسامها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محلوقة فسامها
 قنبية ثم قدم لوناً بزيب أسود فسامها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فسامها
 حسكية لتشجع لحمها ثم قرب زعفرانية فسامها سلحية صفراء ثم قرب فالوذجة قليلة
 الزعفران والحلاوة فسامها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من
 منزله إلى بستان قد طبق بالكراث وأحضرهم جرة منثمة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر المفلق العالم المحقق ، من أهل خراسان .

(٢) فى معجم الأدباء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الغائط نقلها معه وربط الاكر^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغبرة قائمة كأنها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحية أضحت على أسلافها^(٢) ناديه
ثم بشطرنجية لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزل في لعبها ساعة ثم نفضناها^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف مموودة قد قتلها أمها ظالمه
والقنديات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمه
أقنب ما امتد في أصبعي أم حية في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسلطانها قد تركت آنافا راغمه
والسلحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنف^ه هائمه
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظل الكرازي^ه مستعبداً من عصبه في داره طاعمه
وقال إن ابني عليل^ه ولي قيامة من أجله قائمه
دولت داياته حوله فليس إلا عبرة^ه ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكراث نلهوبه فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث . (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأديباء لياقوت ، وفى نسخة

(إسلامها) . (٣) فى الاصل (ثم تقضيها) . (٤) فى الاصل (مقبلة) .

وغاية اللطفِ ففي جرّةٍ محطومة صارت لنا حاطمه
نبولُ فيها ثم نسقى بها يالك من عارضة لأئمه
وعجلة تشدو بالحنانها وكانت الكية الخازمه
فكان فيما أنشدت أذشدت من لى من بعدك ياقاطمه
نشتم من أسمنا صوتها وهى لنا من بعدِ شامه
ظلت تبكي شجوناً فما أبصرت من أربابه عالمه
فلو ترانا وترى زادنا حياؤفت منا نعماً سائمه ؟

فلما سمع الكراريسى حلف لا يدخل أبا الحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
التي كنا نفضناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أياداً آمنها :
طعمت يا أحق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفضناها
ثم كتب إليه أبو الحسن :

يامن دعاني أطال الله عمرك لى ولا عذمتك من داع ومحتفل
ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
اذ أقبل الجدى مكشوفاً ترائبه كأنه متمطٍ دائم الكسل
قد مدّ كلنا يده لى فذكرنى بيتاً تمثلته من أحسن المثل
كأنه عاشق قد مدّ بسطته يوم الفراق الى توديع مرتحل
وقد تمدى بأطمار الرقاق لنا مثل الفقير اذا ملاح فى سمل
فليت شعري ماذا كان أنحله فصار إيمانه قولاً بلا عمل
مددت كفى فلم ترجع بفائدة كأنما وقعت منه على طلل
وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جعظلة أظنه :

قدم لى أعظم حولة قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلت به نعله ألعب بالشطرنج في قصعته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعات تلفيف شطريه بالهندمة
فمن صدر فائقة قد نوت ومن عجز ناهضة ملقمة
ودنر بالجوز أجوازه ودّرهم باللوز مادّهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضة مدغمة
فمن أسطر فيه مشكولة يملح ومن أسطر معجمه
وطرّز بالبقل أعطافه فوافي كحاشية معلمه
مرشا تخال به مطرفا بديع التغايف والنمنمة
وأنشد في الشواير^(١) :

مامتعة العين من خدّ تورّده يزهى عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراء بالسكّاس أو يميناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضحت في صحن وجنته خيلان شونيز^(٢)
وقد جرى الزيت في مثنى أمرته فصارعت فضة تعلّى بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوف يزورك شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميس بشونيز كالعروس تخطر في الحلة المسهمه
وتفشي موائد قد عوليت أطايب كالبردة المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلة المظلمه

وأول من ذكر الفالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدمان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج مأوه : (٢) أي الحبة السوداء .

لَهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مَشْمَلٌ^(١) وَآخِرُ فَوْقَ دَارَتِهِ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ^(٤) بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبَرِّ يَعْنِي النَّشَا^(٥) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَفْنَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتَظِلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي الْمَوَاجِرِ .
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رَحَالَةَ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِي عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْفَالُودِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِفَالُودٍ لَأَمَنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُ بِعَصَاهُ .
 وَمِنَ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالشَّهْدِ الْمُخْلَقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِالْإِطَافِ غَيْرَ خَلِيقِ
 كَأَنَّ أَصْفَرَارَ اللَّوْزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَاكِبُ تَبَرٍّ فِي سَمَاءِ عَقِيقِ
 وَقُلْتُ : حَمَاءٌ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةٍ وَظَرْفٌ كَافُورٍ وَحُشْوُ الْخُلُوقِ
 يَطُوفُ^(٦) الدُّهْنَ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةُ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ
 كَأَنَّهَا اللَّوْزُ بِحَبَابَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقِ
 وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي اللَّوْزِ يَنْجُ :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ^(٧) جَلَابِيْبُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيا
 مُسْتَكْتَفٍ الْحَشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسَماً مِنْ نَسِيمِ الْعَصَا
 يَدُورُ^(٨) بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدُّهْنَ لَهُ لَوْلَا
 لَوْ أَنَّهُ قَعْرُ^(٩) لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْأَشْنَابَا
 وَقُلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيفَةُ الْحَشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ^(١٠) بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنشُورَةُ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لَدَى رُوحِ) (٣) أَشْمَلُ : أَشْرَفُ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كأنها من طيب أنفاسها قد سرقت من نشر ماريه
جاءت من السكر فضية وهي من الأدهان تبريه
قد وهب الليل لها برده وهب الخصب لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا ببابه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر قاتم
فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جاز في فقه اللثام الأشائم
أجاز صيام الليل حين استفرزه تعاور ضيف في دجى الليل طائم
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى كأننا على غبراء من ظهر واشم
وأطعمنا لمبا مرقنا من الدجى دحاريج لا تنساق في حلق طاعم
مدورة سود المتون كأنها خصي الزنج لاحت تحت فيش قوائم
فأبشارها تحكى بطون عقارب وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال
الأصمعي قيل للفاخرى أى التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه السن
الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصيحاتى تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن
دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سروي ونجدي وحجازي وشامي
فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامي إن أطيب الطعام ثريدة
موسعة زيتاً تأخذ أدهانها فيضطرط عليك أقصاها تسمع لها وقياً فى الخنجره كتفحم
بنات الخاض فى الخرف ، قال السروي ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على
حمر عشر موسع ممناً وعسلاً . فقال الحجازي أطيب الطعام خنس فطس باهالة
حمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدي أطيب الطعام بكر سمنة مفتبطة نفسها

سير ضيقه في غداة شبة بشقار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فأبرك على ركبتيك وافتح فاك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم نعمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدت عَصِيدَةً شَقْرَاءَ تَحْكِي طَرَارَ الصَّبْحِ فِي تَوْبِ الظَّلَامِ
تراها حينَ تَبْرُزُ في ظِلَامِ كَعْرِفِ الطَّرْفِ في زَمَنِ قَتَامِ
كذى دَلَّ عَلَيْهِ مَعْصِرَاتُ يَدُلُّ عَلَى المَشُوقِ المَسْتَهَامِ
فلما ان صبا قلبي إليها ومدت نحوها عين اهتمامي
تقاصرَ دونها كفايَ حتى كَانَ الدَّبْسَ علقَ بالغَمَامِ
فدونَ السَّجْنِ أطرافُ العِوَالِ ودونَ النارِ بَادِرَةُ الحِصَامِ
أَتَلَكِ عَصِيدَةً أم طرفُ سَلَمِي فليسَ يزورُ إلا في المَنَامِ
وقلت في سمكة طرية :

يَقِضُ للمَكْتُوبِ مَاجِرٌ حَتْفُهُ فَجَازَ بِنَا في الغِيضِ شَرٌّ مَجَازِ
بَعَثْنَا إِلَيْهِ يَنْسِرُ البَازُ فَاثْنِي إِلَيْنَا بَظْهِرٍ مِثْلَ جَوْجُو بَازِ
فَاطْفَأْ نِيرَانَ الطَّهَاءِ كَأَنهَا سَحَابٌ يَسْحُ الودقُ فَوْقَ عِرَازِ
العِرَازِ : الأَرْضُ الصَّلْبَةُ . وقال كشاجم في السمك :

وَمُحْجُوبَةٌ فِي البَحْرِ عَنْ كُلِّ نَاطِرٍ وَلَكِنَهَا فِي حِجْبِهَا تَتَخَطَفُ
أَخَذْنَا عَلَيْهِنَّ السَّبِيلَ بِأَعْيُنٍ رَوَّاصِدٍ إِلَّا أَنهَا لَيْسَ تَطْرَفُ
فَجَاءَ بِهَا بَيْضُ المَتُونِ كَأَنهَا خَنَاجِرُ فِي أَيْمَانِنَا تَتَعَطَفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُرَرَّدُ (١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدتُ أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العكم الذى كان يمنع
خلطتُ بصباغى حنطة صاعَ عَجوة إلى صاعِ سمْنٍ فوقها يتربع
ودبِلْتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يومَ تَجْمَعُ^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انه حى آمناً مما تفيدُ وتجمع
فانْ تَكُ مصفوراً فهذا دواؤهُ وانْ تَكُ جوعاناً فذا يومَ تشبع
فضحك الرشيد وقال يا أصمى ما الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع .
ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائِرةٍ لا تَبْرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبةٌ تَمسى بَحِثُ تصبحُ
والحمد لله وحده .

(الفصل الثالث)

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى * تريك القذى من دونها وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيتِ مشرقا ومالم تكن فيه من البيتِ مغربا

وهو تصنيف على ما فى مقدمة « القصص والأمم فى التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذيلت » وهو تصنيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ ،
(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل « ما تجم » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلتهُ يقبلُ في داج من الليل كوكبا
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومهفهف تمت محاسنه حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ
وكأنه والكأسُ في فيه قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمسِ
فجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يذ كر صفاء
الخمير ورقتها وحبابها :

فإذا ما اجتليتها فهباءُ يمنعُ الكفَّ ما يبيحُ العيونا
ثم شجيت فاستضحكت عن جان (١) لو تجمعنَ في يدٍ لاقتنينا (٢)
في كؤوس كأنهنَّ نجومٌ دثرات (٣) بروجها أيدينا
طالعاتٌ مع السقاةِ علينا فإذا ما غرنَ يغرنَ فينا
لوترى الشرب حولها من بعيدٍ قلتَ قومٌ من قرّةٍ يصطلونا
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والراحُ في أ كفِّ الندامى كنجوم تلوحُ في أبراج
أمداماً فرطمُ لمدام أم زجاجاً سبكتُمُ في زجاج
وكانَ النجومَ والليلُ داج نقشُ حاج يلوحُ في سقف ساج
ومن أعجب ما قيل في صفائها قول الناشئ * فليس شيءٌ عندها إلا القذى *
وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها فرحتُ كأنني في مدار الكواكبِ
أنازعها بدرًا مع الليل طالماً وليسَ بمردودٍ مع الصبح غاربِ
وقد شابَ ليلى بالشماس وإنما تطيبُ لك الصبباء من كف قاطب
وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها . فصار في البيت للمصباح مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضئينا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشك يغلبنا أراحنا دارنا أم دارنا الرّاح
ومثله قول البحري :

فأضأت تحت الدّجنة للشر بـ وكادت تضيّ للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :
ظبيّ خلى من الاّحزان أو دعنى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنّه وكان الكأس في فمه هلال أوّل شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على نغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهبت نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقينى ويشرب من عقيق خليق أن يشبّه بالخلق
كان الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق عقيق
الكأس الحمراء مثل العقيق والبدا المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت
ودار الكأس في يد ذى دلال رشيق القد يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم درّ نغره تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومي وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بقلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
باللؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللاليء الفاق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطى أطراف كف كان بنانها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لمن مضاحك من أقحوانِ
يلوح على مفارقتها حبابٌ كأنصاف الفرائد والجمانِ
وفى هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصاف الفرائد وهي كبار
اللؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصاف الجمان وهي صغار اللؤلؤ :

وطالعتي الغلام بها سحيراً فزاد على الكواكب كوكبان
ووافقتها بنجد أرجوان وخالفها بفرع أرجواني

وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فإذا علاها الماء ألبسها حبياً كمثل^(١) جلاجل الحجل
حتى إذا سكنت جوامحها كتبت بمثل اكراع النمل

ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأس سبأها البحر من أرض بابل كرقعة ماء المزن في الأعين النجل
إذا شجها الساقى حسبت حبابها عيون الدبا من تحت أجنحة النمل

وأبدع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت ترينى وأمر الليل مجتمع صباحاً تولد بين الماء واللهب^(٢)
كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء دُرٍّ على أرض من الذهب

وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقعها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خابلي^(٣) سقياني فقد لا ح صباح وأذن الناقوس
من كيت كأنها أرض تبر في نواحيه لؤلؤ مغروس
وقلت : راح إذا ما الليل مدد رواقه لاحت تطرّز حلة الظماء

حتى إذا مزجت أراك حبابها زهرات أرض أو نجوم سماء

وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كمة » وفي ديوان أبي نواس « حبياً شبيه » .

(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

تَبَيَّنَتْ لِي اللَّذَاتُ مُعْقُودَةُ الْعَرَى إِذَا مَا أَدَارَ الْكَأْسَ أَحْوَرُ مُعَاقِدُ
يَدْبُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ نَارٍ تَحِلُّهُ كُؤُوسٌ لِأَعْنَاقِ اللَّيَالِي قَلَائِدُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَدْ حَشَى بِالْكَأْسِ أَوَّلَ بَجْرِه سَاقٌ عَلَامَةٌ دِينُهُ فِي خَصْرِهِ
فَكَأَنَّ حُمْرَةَ لَوْنَهَا مِنْ خَدِهِ وَكَأَنَّ طَيْبَ نَسِيئِهَا مِنْ نَشْرِهِ
حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمَزَاجُ تَبَسَّمتْ عَنْ ثَغْرِهَا فُحْشَتُهُ مِنْ ثَغْرِهِ
وَقَالَ : لَهَا فِيهَا كِتَابَةٌ عَجَبُ كَمَثَلِ نَقْشٍ فِي فَصٍّ يَاقُوتُ
وَقُلْتُ : دَارَ فِي الْكَأْسِ عَقِيقُ بَجْرِ وَاطْفَأَ الدُّرُّ عَلَيْهِ فُطْفُوحُ
نَصَبَ السَّاقِي عَلَى أَقْدَاحِهَا شَبَكَ الْفَضَّةَ تَصْطَادُ الْفَرْحُ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي لَطَافَتِهَا :

لَطْفَتْ فَقَدْ كَادَتْ تَكُونُ مُشَاعَةً فِي الْجَوْثِ مِثْلَ شِعَائِهَا وَنَسِيئِهَا
وَمِنْ الِاسْتِعَارَةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ * فَأَضْحَكَ عَنْ ثَغْرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَأْسِ *
وَقُلْتُ : وَشَرَابٌ طَوَى الزَّمَانَ فَمَا كَى نَفْسَ الْوَرْدِ رَقَّةً وَنَسِيمَا
إِنْ يَسْكُنُ بِالْعُقُولِ غَيْرُ رَحِيمٍ فَهُوَ بِالرُّوحِ لَا يَزَالُ رَحِيمَا
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي خِيَالِ الْكَأْسِ عَلَى الْيَدِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :
كَأَنَّ الْمَدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا قَامَ لِلسَّقَى أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسْمِينِ لَهُ فَرْدٌ كَمِ مِنَ الْجَلَنَارِ
وَقَالَ السَّرِيُّ فِي مَعْنَاهُ :

وَبَكَرَ شَرِبْنَاهَا عَلَى الْوَرْدِ بَكْرَةً فَكَانَتْ لَنَا وَرْدًا عَلَى خَيْرِ مُوَرِّدِ
إِذَا قَامَ مَبِیْضُ الْجَبِينِ يُدِيرُهَا تَوَهَّمْتُهُ يَسْمَى بِكُمْ مُوَرِّدِ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ : أَلَا رُبَّمَا كَأْسُ سَقَانِي سَلَفَهَا رَهِيفُ الثَّنْيِ وَاضِحُ الثَّغْرِ أَشْنَبِ
إِذَا أَخَذَتْ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُوهَا ^(١) رَأَيْتِ اللَّجِينَ بِالْمَدَامَةِ يَذْهَبِ

(١) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (إِذَا ذَكَرْتَ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُورِهَا) .

وقلت : وقد شغلت كلنا يديه بقرورة
 كأن خيال الكأس فوق ذراعها
 فقلت أرى قدمين أم قدحين
 غشاء من العقيان فوق لجين
 وقلت أيضاً :

يسعى إلى مقرطق في كفه كأس و بين جفونه كأسان
 وتناسبت فيها بغير قرابة كف المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورقها وصفائها قول بعضهم :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتقارب الأمر
 فكانها خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها :

وكأس تحجب الأبصار عنها فليس لناظر فيها طريق
 كأن غمامة بيضاء بيني وبين الراح تحرقها البروق
 وقلت : وندمان سقيت الراح صرفاً وجنح الليل مرتفع السجوف
 صفت وصفت زجاجتها عليها لمعني دق في ذهن نصيف

وليس هذا التشبيه بالختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى
 بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١) . وقال بعضهم :

خفيت على شرابها فكانهم يجدون ربا من إناء فارغ
 وقال غيره : وزنا الكأس فارغة وملأى فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومي :

لطفت فقد كادت تكون مشاعة في الجو مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت : حملت بخنصرها إناء مدامة صفراء تلمع في زجاج أقر
 فكانها واللحظ ليس يحورها شمس النهار تختمت بالمشتري

ومن أجود ما قيل في الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق :

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المنتقد ليس من قول المصنف . (٢) تقدم قريباً .

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ طِبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانَتْ رِقَابُهُمْ مِنْ اللَّيْنِ لَمْ يَخْلُقْ لَهُنَّ عِظَامُ
وَقَدْ أَحْسَنَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ :

إِبْرِيقُنَا سَلَبَ الْغَزَالَةِ جِيدُهَا وَحَكَى الْمَسِيرُ بِمَقْلَتَيْهِ غَزَالَا
وَأَحْسَنَ الْآخَرُ وَيَنْسَبُ إِلَى بَشَارِ :

كَأَنَّ إِبْرِيقَنَا وَالْقَطْرُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَنَاولَ يَاقُوتًا بِمَنْقَارِ
إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ « طَيْرٌ » رَدِيءٌ وَالْجِيدُ طَائِرٌ ، وَأَجَازَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَمْ يَجْزِهِ غَيْرُهُ .
وَقُلْتُ : تَضَحَّكَ فِي الْكَأْسِ أَبَارِيقُنَا وَحَسَبَ مَا يَضْحَكُنْ يَكِينَا
كَأَنَّ أَعْلَاهَا إِذَا أَسْفَرَتْ تَعْقَدُ فِي الْكَأْسِ تَلَايِينَا
وَأَوَّلُ مَنْ شَبِهَ الْإِبْرِيقَ بِالْأَوْزِ لَبِيدٌ ^(١) فِي قَوْلِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْحُمْرَ :
تَضَمَّنْ يَضًا كَالْأَوْزِ ظُرُوفُهَا إِذَا تَأَقَّوْا أَعْنَاقَهَا وَالْحَوَاصِلَا
فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَيَوْمَ كَظَلَّ الرَّهْمُ قَصْرَ طَوْلِهِ دَمُ الزُّقْعَانَا وَاصْطَكَاكَ الْمَزَاهِرُ
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ عَشِيَّةً إِوزٌ بِأَعْلَى الطَّفِّ عَوِجُ الْخَنَاجِرِ
وَقَالَ أَبُو الْمَهْدِيِّ ^(٢) :

سَيَفْنِي أَبَا الْمَهْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ أَبَارِيقٌ لَمْ يَلْقَ بِهَا وَضْرُ الزَّبِيدِ
مُقَدِّمَةٌ قَرَأَ كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ
وَقَوْلُهُ (تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ) زِيَادَةٌ عَلَى مَا تَقْدِمُ .

وَأَمَّا فَضُولُ السَّكُورِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

قَرَارَتِهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهًا تَدْرِيبُهَا بِالْقَسَى . الْفَوَارِسُ

(١) هُوَ صَاحِبُ الْمَعْلَقَةِ الْمَشْهُورَةِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ ، الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ

الْحَوَادِ الْفَارِسِ الْفَتَاكِ الْمَعْمَرِ .

(٢) هُوَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُوسِ الشَّاعِرِ الْمَطْبُوعِ الْمُسْرِفِ فِي وَصْفِ الْحُمْرِ .

فللخمر مازرت عليه جيوبهم وللماء مادارت عليه القلائس^١
وقال السرى الموصلى :

كان الكؤوس وقد كالت بفضلاتهن^٢ أكاليل نور
جيوب^٣ من الوشي مزرورة^٤ يلوح^٥ عليها بياض النحور
فجئت به فى بيت وقلت :

وبيض^٦ تهاوى فى مزعفرة صفر وهبت^٧ لها قلبي وأخدمتها فكري
فدارت بأقداح كأن فضولها سوائف تبدو من معصرة^٨ حمر
وقال السرى أيضاً :

وصفراء^٩ من ماء الكروم شربتها على وجه صفراء^{١٠} اللائل غضة
تبدت^{١١} وقضل^{١٢} الكأس يلمع ساطعا كأترجة زينت^{١٣} بالكيل فضة
وقال الناشء : ملوك ساسان على كأسها كأنها فى عز^{١٤} سلطانها
فخمرها من فوق^{١٥} أذقانها وماؤها من فوق^{١٦} تيجانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل فى صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتر :

غدا بها صفراء^{١٧} كرخية كأنها فى كأسها تنقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد
ومن أجود ما قيل فى صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها يمد^{١٨} عليها منه ثوب^{١٩} ممسك
ومجلسنا فى الجو^{٢٠} يهوى ويرتقى وإبريقنا فى الكأس يمكى^{٢١} ويضحك^{٢٢} •
ومن أحسن ما قيل فى ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب^{٢٣} بالعظام كأنه فيض^{٢٤} النعاس وأخذ^{٢٥} بالمفصل
عبقت^{٢٦} أكفهم^{٢٧} بها فكأنما يتنازعون^{٢٨} بها سخاب^{٢٩} قرفل
وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إغفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها وثبتت وثب الجراد
 ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل (١):

أناخوا فجرُّوا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودانِ لم يتسر بلوا
 « لم يتسر بلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
 تدبُّ ديباً في العظام كأنه ديبٌ نمل في نقاً يتهيل

أحسن ما قيل في خروج الحمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريسٌ باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال
 فسأل عرقٌ على ترائبها كأن مجراه قتلٌ خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دنتها وقد حدثت مثل هلالٍ بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من بيتٍ خمارٍ بطيبتها صفراء مثل شعاع الشمس تتقد
 فأرسلت من فم الأبريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدنِّ بالميزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب
 لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب
 وقلت : قد بزل الدنُّ فقومي انظري زنجيةً تقتلُ خلخالاً
 واسقنيها واشربي . واطربي وجردى في الهواء أذبالاً
 تنعمي ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالاً

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبياني

كلن يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يمتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا مائدي على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرجت أجر الذيل حتى كأني^(١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتركنا ملوكا وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرت فاني رب الخورنق والسرير

وإذا صحوت فاني رب الشوية والبعر

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :

ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس

لتسيمها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة النفس

وتمد في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس

وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء النكروم كأنه إذا مج صرقاً في الاناء خضاب

صريع مدام والندامي يلونه وفي الشدق قى سائل ولعاب

وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القى لو كان يعرف ربه ويقم وقت صلاته حماد

هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحداد

وابيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواد

وأبدع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :

وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذيل مني كأني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة الذات قول أحمد بن أبي قتن :^(١)
 جَدَّدَ اللذاتِ فالיום جديد وامض فيما تشتهي كيف تريد
 انى ان أمكن يوم صالح ان يوم الشرب لا كان عتيد
 وقال ديك الجن^(٢) :

نمتع من الدنيا فانك فاني وإنك في أيدي الحوادث طاني
 ولا تنظرن اليوم في لهو غد ومن لغدٍ من حادث بأمان
 فاني رأيتُ الدهر يسرعُ بالفتى وينقله حالينِ يختلفان
 فأما الذي يمضي فأحلامُ نائمٍ وأما الذي يبقى له فأمانى
 ونحوه قول عمران بن حطان^(٣)

يأسفُ المرءُ على ما فاتهُ من لباناتٍ إذا لم يقضها
 وتراهُ فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يعضها
 عجباً من فرح النفسِ بها بعد ما قد خرجت من قبضها
 أنا عندي ذاق أحلام الكرى لقريب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرور فانها سراعٌ وأيامُ الهموم بطاءُ
 وخَلَّ عتابُ الحادثات لوجهها فان عتابَ الحادثات عناءُ
 تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ليالى ما يأتي وهنٌ وراءُ
 ونحوه عجير السلولي^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :
 عللاني إنما الدنيا عللٌ واطركني من عتاب وعذل
 وانشلا ما غبر من قدريكما واسقياني أبعد الله الجمل

(١) في الاصل (فدس) وهو تصحيف . (٢) نسبها في الأمل إلى سعيد بن حميد باختلاف
 في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضمف عن الحرب وحضورها فاقصر
 على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

ماقر الرّاح ودع نعتَ الطللِ واعصِ من لامك فيها وعذلِ
فادها واسعَ لها واغربها وإذا قيلَ نصاباً قل أجلُ
إنما دنيّاك فاعلم ساعةً أنتَ فيها وسوى ذاك أمل
ولا بن بسام^(١) :

واصلُ خليلك إنما السدُّ نيا مواصلةُ الخليل
وانعم ولا تتعجل السكروه من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدري متى وقتُ الرّحيل
وارفض مقالةً لائم إن الملام من الفضول
وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي :
أستغفرُ اللهَ لذنبي كله قتلتُ إنساناً بغـيرِ حله
وانصرمَ الليلُ ولم أصله والسكرُ مفتاحٌ لهذا كله
قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشة^(٢) من كفّ ظبي كائما تناولها من خذّه فادارها
فظلتُ بأيدينا تتمتعُ روحها وتأخذُ من أقدامنا الرّاحُ نارها
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :
إذا اليدُ نالتها بوترٍ توقّدتْ على ضغفها^(٣) ثم استفادتْ من الرجل
ويدت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يعدّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،
كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسنا مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطيئة في الهجاء .
(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .
(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضغفها) .

كَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّهِ بِذَرٍّ إِلَى جَانِبِهِ كَوْكَبٌ
 وقلت : وطالعتي الغلامُ بها سحيراً فزادَ على الكواكب كوكبان
 ومما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه *
 وقد مر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكَأَنَّهُ وَكَأَنَهَا وَكَأَنَّهُمْ قَرْنٌ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَأَلَى وَالرَّاحُ تَبْرٌ وَالزُّجَاجُ زُبْرُجْدُ
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :
 بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحَرٌ وَمَا سِوَاهُ الْكَلَامِ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامُ
 فشبه اصطفاة الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .
 ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وَإِذَا سَكِرْتُ فَأَنَّى مَسْتَهْلِكُ مَالِي وَعَرْضِي وَافَرُّ لَمْ يَكَلِمِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أخذه البحترى فزاد عليه في قوله :

وَمَا زِلْتُ خَلًّا لِلنَّدَامَى إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بِدُورًا يَسْتَحْشُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنَى أَنْ يَحْدِثَنَّ فَيْكَ تَكَرُّمًا
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا يستطيع الكؤوس أن تزيد تكرماً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامي قول بعضهم :

لَقَدْ عَلَّمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَامَانِ غَيْرُ جَهُولٍ
 فَإِنْ سَاءَ لِي مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتُهُ وَلَسْتُ إِلَى مَا سَاءَ لِي بِهِمْ بِعَجُولٍ
 قوله * لقد علم الريحان والراح أنني * في غاية الظرف . وشبيه البيت

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأس س قأدرى ادمانه بالحلوم
قول ما أسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قول النديم
إلا أن في هذين البيتين عيين أحدهما التضمن والآخر قوله (عند ذاك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولست له في فضلة الكأس قائلاً لأصرفه عنها تحس وقد أبي
ولكن أحبيه وأكرم وجهه وأشرب ما بقي وأسقيه ما شتهى
وليس إذا مانام عندي بموقظ ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :
ورضيع أرضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطام
لم يكن بيننا رضاعاً ولكن صيرت بيننا المدام رضاعاً
وهو من قول الناشيء : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذكر الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقاً لا أراه لغير الراح إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه راح اللذات في الزمن القديم
وقلت : لما تبدى وجهه كالبدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبا ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة حبه واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى النداء م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 لاشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحشم وأنا مؤانس تدأب لرضائي ^(١)
 وتسمى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثله وقلت :

ما أmaf النبيذ خيفة إثم إنما عفته لفقد النديم
 ليس في اللهو والمدامة حظ الكريم دون النديم الكريم
 فتخير قبل النبيذ نديماً ذا خلال معطرات النسيم
 وجمال إذا نظرت بديع وضمين إذا اختبرت سليم
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسيئة مما تغتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيام حمرة لونها وسرت بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 فخذها مشعشة قهوة تصب على الليل ثوب النهار
 ويسلبها الخلد جريالها فتهديه للعين يوم الخمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وإن كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائق كناظر الخمر وأقحوان كشتور الحور
 ونرجس كاتجم الديجور

فشبهت ما يعترى بياض العين والخالق من الحمرة عند الخمار مع سواد الخدقة
بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لعانها وتحسر حتى ما تقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وصفراء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبي زرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صر فافسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوة مثل السهم أدمجن إدماجا
يجاذبن من الأردا في كشياناً وأمواجا
وقضبائناً من الفضضة قد أثمرت العاجا
ويسترن من الألبشا ر في الديياج ديباجا
وقد لائت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن فغنينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتا ر امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا

ومن جيد ما قيل في بحثة خلق المغنى قوله أيضاً:

أشتهى في الغناء بحثة خلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين المحب أضعفه الشوق ق فضاهاى به أنين العود
لأحب الأوتار تملو كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنَّبات كعبي للمبادئ موصولةً بالنشيد
كهبوب الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شدةً وركود
وقد أحسنَ ابنُ المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ يمناها إذا ضربتُ بها وتثرُ يسراها على العودِ عناها
وقلت: وهيجتُ لى من شوقي ومن فرح أيدٍ ثرنَ على الأوتارِ عناها
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغنٍ ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عذر
لا يمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تتغنى كأنها لاتغنى من سكون الأوصالِ وهي تجيد
مذً في شأوِ صوتها نفسٌ كما في كُنفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لاثمٌ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعبد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كالتي تندرُ في الندرة
وقول الآخر :

إذا وقَّع بالعود زمرنا بالكؤوس (٤)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتثنائي من سماعه فقول ابن الرومي :

فظلتُ أشربُ بالارطال لاطربا عليه بل طلباً للسكر والنوم

ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض سمطيه من سنان ثويق إلى زجه
كفرجك خفتان وشي بد بياض الغلالة من فرجه
ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفا وإن كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
وخلاف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقه :
ألمست ترى ركب الغمام يساق وأدعاه بين الرياض تراق
وقد رق جلاباب النسيم على الثرى^(١) ولكن جلايب الغيوم صفاق
وعندي من الریحان نوع تحية وكأس كرقراق الخلق دهاق
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دقاق
لنا أبداً من ثره ونظامه بدائع حل مالهن حقاق
وأغيد مهتر على صحن خده غلائل من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطاق

هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حديق نطاقا
وقد مر ، وبيت السري أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :

وقد نظم المنشور فهو قلادة علينا وعقد مذهب وخناق
وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن علينا كلة ورواق
تقسم زوار من الهند سقفا خفاف على قلب النديم رشاق^(٢)

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإبطاء ، وهو من أسهل العيوب التي تعثر القوافي .

أعاجم تلتذ الخصام كأنها كواعب زنج راعهن طلاق

(١) في ديوان السري « على الندى » . (٢) في الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنس الأُماء تخببت وشيئتها غدر بنا وإباق
 مواصلة والورد في شجراته مفارق ألف حان منه فراق (١)
 فزرقية برد الشراب لديهم حميم إذا فارقههم وغساق
 وقلت : وليل ابتعت به لذة وبعث في العقل والدنيا
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى وبات في الهم مسكينا
 وقد خلطنا بنسيم الصبا نسيم راح ورياحينا
 واكؤس الراح نجوم إذا لاحت بأيدينا هوت فينا
 تضحك في الكأس أباريقنا وحسبا يضحكن يميننا
 كأن أعلاها إذا كفرت يعقد الكأس ثلاثينا
 وقلت : هذا حبيب وصول وذا رقيب صروم
 وذاك شرخ شباب أغر وهو بهم
 وقهوة وغناء وسامر ونديم
 فخذ نصيبك منه فليس شيء يدموم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه على الثرى منسحبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبه
 فما سي ؟ سماء ضاحكة منتحبه
 طلبت أقصى أملى منه فقلت الظلمه
 بسيد بن ارتقيا منقبه فمنتقبه
 واتفقا في كنية والتقيا في مرتبه
 نشر بها عذراء قد قامت بحق الشربه
 أكرم ذخّر ذخّر من كرمه في عنبه

(١) في ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلس أطنابه على العلا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كلحظة مخلوسة وقبلة مستلبه
 وقلت : عندنا طيبٌ وريحاً نٌ ونقلٌ وغناء
 ومن المشروبِ لونا نِ شمولٌ وطلاء
 ومن اللحم خليطاً ن طيخٌ وشواء
 ومن الحلواء ألوا ن أحاد وثناء
 ولنا غلمانٌ صدق أدباءٌ أرباء
 أرسلوا في الصحن ماءً فكان الصحن ماء
 واثنوا للحسنِ عدواً فخواشيهِ رداء
 فارشف الهمَّ عناءً أنما الهمُّ بلاء
 واغتنم لذةً يوم قد تخطاهُ العناء
 فهو بطويك ويمضي ليسَ للدُّنيا بقاء

ومن المشهور في صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرَّاحِ مشى الرَّخَّ وانصرفوا والرَّاحُ تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثالِ السهامِ مضت عن القسيِّ وراحوا كالعراجين
 وكانَ شربهمُ في صدرِ مجلسهم شربَ الملوك وناموا كالمساكين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرَّاحِ وقد بدَّلوها مشى الفرازينِ بمشي الرَّخاخ

ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيدُ حسا الكأسُ السفيةَ سفاهةً وتتركُ أخلاقَ الكريمِ كاهيا
 وإنَّ أَوَّلَ الناسِ عقلاً إذا انتشي أقلمهمُ عقلاً إذا كانَ صاحبيا
 ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسمِ قائله ورأيتُه

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة^١ من الندى إلا أنها ليس تهطل
وعلى بماء الورد خيش كأنه على جلده ثوب العروس المصنل
وقلت : ظي يروق الناظرين بأبيض وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومقوم مثل القضيبي مهفف ومعوج كالصولجان محبل
ومفرج من خده ومكفر ومخلق من شعره ومسلسل
وبياض وجهه بالصباح مقنع وسواد فرع الظلام مكلل
علقت أباريق المدام بكفه كالبدري يعلق بالسماك الأعزل
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً مثل الغمامة غير أن لم يهمل
فكأنما الكاسات في حافاته شجر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو^٢ الندى من ابتدا في العين في اغنائها
أحلى وأشهى من منى نفس وصدق رجائها
وأجود ما قيل في الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :
وأصغروا نحوها الآذان حتى كأنهم وماناموا نيام
ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حدت لك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها^(١) ومضى كراها
سمعت بها غناءً كان أولى بأن يقتاد نفسي من عنها
ومسمعة تفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصممه لا يصم صداها
مرت أوتارها فشفت وشاقت ولو يستطيع حاسدها فداها^(٣)
ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت منقطع من النسخ

فكنتُ كَأَنِّي أَعْمَى مَعْنَى بِحَبِّ الْفَاسَانِيَّاتِ وَلَا يَرَاهَا
وَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ (فِدَاهَا حَاسِدَهَا) وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ (فَلَا يَسْطِيعُ حَاسِدَهَا)
مَعْنَى مُخْتَارٌ . وَأَوَّلُ مَنْ أَتَى بِهَذَا الْمَعْنَى حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ ^(١) فِي قَوْلِهِ :

عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غَنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغُرْ ^(٢) بِمَنْطِقِهَا فَمَا
وَلَمْ أَرَ مُحَقَّقًا لَهَا مِثْلَ صَوْتِهَا أَحْسَنَ وَأَشْجَى لِلْحَزِينِ وَأَكْلًا
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا وَلَا عَرِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَا
وَمَنْ أَحْسَنَ أَوْصَافِ الْعُودِ إِذَا احْتَضَنَ تَشْبِيهِهُمْ إِيَّاهُ بِالْوَلَدِ فِي حَجَرِ أُمِّهِ
وَتَشْبِيهِهِ إِصْلَاحَهُ بِمَرْكَ أَذْنِهِ فَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَجْمَعَهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
فَكَأَنَّهُ فِي حَجَرِهَا وَلَدٌ لَهَا ضَمَّتْهُ بَيْنَ تَرَائِبِ وَلَبَانِ
طَوْرًا تَدْغِدْغُ بَطْنَهُ فَإِذَا هُنَا عَرَكْتُ لَهُ أَذْنَآ مِنْ الْآذَانِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّاجِمِ :

إِذَا احْتَضَنْتُ عَابْتُ عُودَهَا وَنَاغَتْهُ أَحْسَنَ أَنْ يَمْرُبَا
تَدْغِدْغُ فِي مَهْلٍ بَطْنَهُ فَتَسْمَعُنَا مَضْحَكًا مَعْجَبَا
وَذَكَرَ الضَّحْكَ مَعَ الدَّغْدَغَةِ جَيِّدًا .

وَنَظْمُ كَشَاجِمِ قَوْلِ الْحَكَمَاءِ إِنْ الْعُودُ مَرَّ كَبَّ عَلَى الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ فَقَالَ :
شَدَّتْ فَجَلَّتْ أَسْمَاعُنَا بِمُخَفِّفِ يَحْدِثُهَا عَنْ سِرِّهَا وَتَحْدِثُهُ
مَشَاكِلُهُ أَوْتَارُهُ فِي طِبَاعِهَا عُنَاوَرُهَا أَحْدَثَ الْخَلْقَ مَحْدِثُهُ
فَلَنَارٍ مِنْهُ الزُّبُرُ وَالْأَرْضُ وَلِلرَّيْحِ مَتْنَاهُ وَلِلْمَاءِ مِثْلُهُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَرْتَاحُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ عَلَى حَسَبِ الطَّبَعِ الَّذِي مِنْهُ يَبْعَثُهُ
شَكَاظِرُهَا يَمْنَاهَا فَظَلَّتْ يَسَارُهَا تَطَوَّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَعْتُهُ
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى أَرْتَنَا مَخَارِقَا يَجَاذِبُهُ فِي أَحْسَنِ النِّقْرِ غُثْعَثُهُ

فَاسْتَدْرَكَ نَاهٍ مِنْ دِيوَانِ أَبِي تَمَامٍ . (١) الْهَلَالِيُّ مِنْ فَحُولِ الْمُخَضَّرِ مِينَ وَالْمَعْمَرِينَ .

(٢) أَيْ لَمْ تَفْتَحْ .

وحتى حسبت البابلين القنا ؟ على لفظها السحر الذي فيه تنفته
 وأجود ما قيل في اتفاق الضرب والزمر قول هرون بن علي المنجم :
 غصن على دعص نقا منها ل . سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتت الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ رجج الا كفال
 يأخذن من طرائف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجري مع الناس بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبوة كل سال بصرع كل فانتك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم في وصف العود والقينة وأحسن :

تميس من الوشى في حلة تجرر من فضل أذيالها
 وتحمل عوداً فصيح الجواب يضاهي اللحن بأشكالها
 له عنق مثل ساق الفتاة ودستانه مثل خلخالها
 فظلت تطارح أوتارها باهزاجها وبأرمالها
 وتعمل جساً كجس العروق وتلوي الملاوي بأمثالها

وقيل لرجل أي المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يغني لكل إنسان بما يشتهي . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
 عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أني خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحيت فقال إهدني بربطاً من عمل زرلي فأهدني إليه عوداً وكتب
 إليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافي الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوي
 كهيئة طاليه وملاحه محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل في حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشي
 * وكان يمينها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جسته حك متطياً . يجيل يديه في مجس عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
لأنَّ الطبيبَ يجسُّ بيدٍ واحدةٍ وكذلك الضاربُ فليسَ لذكر اليدين وجه .
ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :
تَنَاجِيكَ بِالصَّوْتِ أَوْتَارُهُ فَتُوفِيكَ أَلْسِنُهُ أَحْرَفُ
وَأَبِينُ مِنْهُ قَوْلُ النَّاجِمِ :

إِذَا نَوَّتَ الضَّرْبَ قَبْلَ الْغَنَاءِ أَنْشَدْنَا شَعْرَهَا عَوْدَهَا
وَقُلْتُ: رَبُّ لَيْلٍ كَسَاكَ ثَوْبَ نَعِيمٍ بَيْنَ سَاقٍ وَسَامِرٍ وَنَدِيمٍ
وَكُؤُوسٍ جَرَتْ وَرَاءَ كُؤُوسٍ وَأَعَانَتْ عَلَى طَرِيقِ الْهَمُومِ
وَلَنَا مِزْهَرٌ كَثَلُ فَطِيمٍ فِي يَدَيِ مِطْرَبٍ كَأَنَّ الْفَطِيمِ
وَسَمَوْا صَدْرَهُ بِمَاجٍ وَذَبِيلٍ فَزَهَتْهُ مُحَاسِنُ التَّوْسِيمِ
مِثْلُ أَرْضٍ تَحْبَرَتْ بِأَقَاحٍ أَوْ سَمَاءٍ تَسْكَلَتْ بِنَجُومِ
ذُو مَلَاوٍ سَوْدِ الْفُرُوعِ وَحُمْرِ مِثْلِ أَطْرَافِ فَرْحَةٍ وَنَعِيمِ
وَوَسَائِينِ لَا تَجُولُ عَلَيْهِ كَمِخْلَ خَيْلٍ مَارِدٍ وَظُلُومِ
أَحْمَرِ الزَّرِّ أَسْوَدِ الْمِ أَحْوَى هَلْ رَأَيْتُمْ جَدَاوِلَ التَّقْوِيمِ
وَمِنْ جَيِّدٍ مَا قِيلَ فِي سُرْعَةِ الضَّرْبِ وَالْجَسِّ قَوْلُ كِشَاجِمٍ :

وَتَرَى لَهَا عَوْدًا تَحْرُكُهُ وَكَلَامَهُ وَكَلَامَهَا وَقَا
لَوْ لَمْ تَحْرُكُهُ أَنْعَامُهَا كَأَنَّ الْهَوَاءَ يَفِيدُهُ نَطَقَا
جَسْتُهُ طَالِمَةً بِحَالَتِهِ جَسَّ الطَّبِيبِ لِدَنْفِ عِرْقَا
فَحَسِبْتَ يَمْنَاهَا تَحْرُكُهُ رَعْدًا وَخَلَّتْ يَمِينُهَا بَرَقَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَقَاصٍ :

عَجِبْتُ مِنْ رَجْلَيْهِ تَتَبَعَانِهِ يَعْلُوهُمَا طَوْرًا وَيَعْلُوَانِهِ
كَأَنَّ أَفْعِيَيْنِ تَلْسَعَانِهِ

وَمَا لَمْ يَقُلْ مِثْلَهُ فِي إِزَالَةِ الْحُمَارِ بِمَعَاوِدَةِ الشَّرْبِ قَوْلُ الْأَعْشَى :

وكأس شربتُ على لذة وأخرى تداويتُ منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون ، ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقعا ، ومثله قول البحترى :

تداويتُ من ليلي بليلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيوا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوي الأصفهاني في الزق :
عجبتُ من حبشي لا حراك به لا يدركُ الثأرَ إلا وهو مذبحُ
طور آيرى وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطورا وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبته لا ينفعُ الدهرَ إلا وهو محومُ
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغا كأسسير الرق أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيدا مقيرة قد برنس بالطين
مكافحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بسانين
وقال آخر : نحسبُ الزق إذا أسندته حبشيا قطعت منه الشوى

وقال العلوي الأصفهاني يصف شرابا في ظرف خرف :
مخدرة مكتونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأثرابها يلبسنَ بيضَ غلائل هي العرى مقرورٌ بها كلُّ لابس
 مشعشة مرهاء ما خلت أنى أرى مثلها عذراء في زى طانس
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراوق :
 كأنما الراوق^(١) وانتصابه خرطومٌ فيل سقطت أنيابه
 وفيه : سماء لا ذطرهـ رحيق رَحْب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيق حتى إذا ألهمها التصفيق
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبت أرى الكواكب دانيات ينلن أناملَ الرَّجلِ القصير
 بالكفين عني وأمسحُ عارضَ القمرِ المنير
 أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له بأقاله عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمت بضعف سكرى لما سقيتني إلا بمسقط
 بحسبك أن خماراً بجني أمرُ يبابه فأكادُ أسقط^(٢)
 ولا بن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت من كل ضرر
 قد ردّ دناهُ فاتخذهُ لسكبا
 واتخذهُ على خوانك خلا^(٣)
 أضرستنا حوضه فيه تحكى
 معنى آخر : إسقني بالكبير إلى كبير
 إنما يشرب الصغير الصغير
 لا يغرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراوق : ناجود الشراب الذي يروق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الشعالي في النهاية لابن لنك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهل ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقل
رحلتُ عنا من كروم بابل فبتُّ من عقلي على مراجل
وقال غيره في نبذ الدبس :

على أحد من الدوشاب شربة نفضت سواد الشباب
لو تراني وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرتَ بازياً في غراب
وقال بعضهم في كيزان الققاع :

لستُ بناف خمار مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاه وهو متصبُّ كأنه صولجانٌ باللور
وقلت : وأيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود
وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدُهُ نصفُ سائرهِ
أنطقتهُ يدا فتى فأننِ اللعظِ ساهرهِ
فككى عن ضميره ماجرى في خواطرهِ

وقال آخر في المعزقة :

معلقة الأوتارِ صخابةً لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوةٌ أحشاؤها حلةً بيضاء من جلد غزالٍ ريب
كأنما تسمة أوتاره نصبن أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
التهافت وبرأها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لا تبصر
الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
منازله وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى - ثلاثة فصول ﴿

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبان تشبُّ نقُفَال (١)

(١) تشب : أى توقد ، والنقُفَال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليل والنجوم كأنها قلادة درّ سلّ عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أنّ مرسوبه من الدّر طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصاءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :
كانّ سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداء تفتح بينها نور الأقاحي
إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجم غائر غلالة ليل بالصباح مطرر
كانّ بياض النجم في خضرة الدجى تفتح ورد بين رند^(١) وعبقز
وقلت : كم سرور زرعت بين الندامى وهوم طردت بين الكؤوس
وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كما ج يلوح في ابنوس
وقلت : بليل كما ترفو الغزاة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
كواكب زهر وصفر كأنها قبائع منها مذهب ومفضض
وفي النجوم ماهو أبيض ومنها ماهو أصفر وأحر فشبه الأبيض بقبعة
مفضضة والأصفر والأحر بالذهبة والذهب يوصف بالحبرة والصفرة ، ومثل هذا
التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لتتم المقابلة ويخلص

من تكلف « تلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلم الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقاباً
وقد أحسن الناشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
وردت عايتها والنجوم كأنها كتائبُ جيشٍ سوّمتْ لكتائب
وقلت : وأتجم كـررب في شهب كالشهب تجرى في خلال خطب
والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرضَ أثناء الوشاح المفصل
وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأن التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أى جانبه قال
والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء مخلق
وقالوا أحسنه قول ابن الطرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكٍ فتبدداً
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي بمتبددة ولكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيد
تبدو الثريا كفاغرٍ شرٍ يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقود
والأول أجود لذكر وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
أو آخر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لساربيها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) اذا ذُقتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب .

فتخيرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب

فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجوم مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصغت إلى الغرب الثريا بوالد لو يسلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هو دَجٌّ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمت بينَ النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال غنجد الموصلي :

وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصابة .

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، قلت :

أراعى نجومَ الليل وهي كأنها نواظرٌ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهن طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه) . (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على كل حالاتها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بَفَنُونَ مِنْ غَنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجْحُونَ
وَالثَرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْقَائِلُ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
* كَأَنَّ الثَّرِيَا حَلَّةَ النُّورِ مَنْخُلٌ * وقال ابن المعتز :

أَلَا فَاسْقَنِهَـمَا وَالظُّلَامُ مُقَوِّضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحْرَ الْمَغَارِبِ تَرْكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نُورٌ أَوْ لَجَامٌ مَفْضُضٌ
وَشَبَّهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَمٌّ يَا زَيْمِي نَصْطَبِحُ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقُلْتُ : كَأَنَّ نَهْوَضَ النُّجُومِ وَالْأَفَاقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْرِ تَحْتَ خَضِرَةٍ شَارِبِ
وَقُلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظُّلَامُ مُقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرٍ مَفْلُجِ
تَسِيرُ وَرَاءَ وَالْهَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفٌّ إِلَى نِصْفِ دَمَلَجِ
وَقُلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ أَلْفَقُ يَتَّبِعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَامَ مُنْتَقِبِ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مُجْتَمِعُ كَأَنَّهَا عَقْرَبٌ مُقْطُوعَةٌ الذَّنْبِ
وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلَكٌ أَقْبَلَ فِي التَّاجِ يُفْدِي وَيُحْيَا
وَقُلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثَرُ الْحُمُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْعَفُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمِ كَرَّ بَرْبٍ فِي يَدِ يَلُوحُ فِي التَّصَوُّبِ وَالتَّصْعِيدِ
كَشَرَفَاتٍ فَدَنَ مَشِيدِ

وَقُلْتُ : قَمٌّ بَدَأَ نَظْرُ الدُّهُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمُفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجْرَةُ فِيهِ كَسَيْبٍ يَمْدُهُ نَسَاجُ

وقال العلوي الأصفهاني في حسن الاستمارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لَأَلَى دُمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لَأَلَى الثُّرَيَّا
وَرَدَاءُ الدُّجَى لَيْسَ دَرِيسٌ يَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيَّا
وشبه أبو فراس الثريا بالنخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
والنقط على فنخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثُّرَيَّا وَالبدر في قرْنٍ كَمَا يَحْيَا بَنرجسٍ مَلِكُ
أَجُودٍ مَاقِيلٍ فِي الجوزاء من الشعر القديم قول كعب الغنوي ^(١) :
وَقَدْ مَالَتِ الجوزاءُ حَتَّى كَانَهَا فِسطاطُ رَكْبٍ بِالفلاةِ تَزُولُ
ولو شبهها بفسطاط واحد كان أشبه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا :
وَقَدْ هَوَى النَجْمُ والجوزاءُ تَتَبَعُهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا .
وقال فيها وفي الشعرى العبور :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجوزاؤها كَثَلِ دُمُحٍ جَرَّهْ رَامِحُ
وَقُلْتُ : سَقَانِي والجوزاءُ بِمَحْكِي شَرِيقَهَا طِفْوَ غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلِبُ
وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :

شَرِبَتْهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبُهُ
كَأَنَّمَا الجوزاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
كَأَنَّمَا الجوزاءُ طِبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ

وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقَنِيهَا وَاللَّيْلُ فَرْعُ عُرُوسٍ زَيْنُوهُ بِدُرَّةٍ وَجْهَانُهُ
وَكَأَنَّ الجوزاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٌ عَنْ سِرَاقٍ ^(٢) حِصَانُهُ
وقال آخر : وَكَأَنَّ الجوزاءَ وَاتَرُ قَوْمٍ أَخَذُوا وَتَرَهُمْ بِقَطْعِ يَدَيْهِ

(١) : غني ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سراق كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلما نادتُ بها الجرباءُ كادتُ تنثني
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي ألفاظها تكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كفرع الخودِ أوعين الغزالِ
كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلة^(١) مفجرة البزال
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلال
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوقُ الذِّكرى واعترضت وسط السماء الشعرى
كأنها ياقوتة في مدرى ما أطول الليل بسرِّ مَرِّى
وقد أكثروا من وصفها بالعبير وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحيه عن الرُّمح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للساوى سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيب
وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جبران العود :
أراقب المحاً^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف^(٣)
وقلت : وبسهيل رعدة المزود^(٤) وهو من الأنجم في محيد
حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جبران العود « أراقب لوحاً »

(٣) في ديوانه « يطرف » . (٤) أى المزعور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كَأَنَّ سَهِيلًا وَالنَّجُومُ أَمَامَهُ يَمَارِضُهَا رَاعٍ أَمَامَ قَطِيعٍ

أَجُودٌ مَا قِيلَ فِي النَّسْرِ الْوَاقِعِ قَوْلُ الْحَمَانِيِّ :

وَرَكِبَ ثَلَاثَ كَالِائِثَانِي تَعَاوَرُوا دُحَى اللَّيْلِ حَتَّى أَوْ مَضَتْ سَنَةُ الْبَدْرِ

إِذَا اجْتَمَعُوا سَمَّيْتَهُمْ بِاسْمٍ وَاحِدٍ وَإِنْ فَرَّقُوا لَمْ يَعْرِفُوا آخِرَ الدَّهْرِ

وَهُوَ مِنَ اللَّغْزِ الْمَلِيحِ . وَمَنْ جِئِدَ مَا قِيلَ فِي الْفَرَقْدَيْنِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَرَنَا إِلَى الْفَرَقْدَانِ كَمَا رَأَيْتُ زُرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ أَسْوَدَ

وَفِي الْحَجَرَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

كَأَنَّ الْحَجَرَةَ جَدُولُ مَاءٍ نَوْرُ الْإِقَاحِ فِي جَانِبَيْهِ

وقال ابن طباطبا :

مَجَرَّةٌ كَلَمَاءٍ إِذْ تَرَقَّرَا شَقَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ بَرْدًا أَزْرَقَا

لِبَاسٍ تَسْكِلِي وَشَبِهَا الْمَشَقَّةَا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كَأَنَّ الَّتِي حَوْلَ الْمَجَرَّةِ أَوْرَدَتْ تَسْكِرَعًا فِي مَاءٍ هُنَاكَ صَبِيبٌ

فَوَجَدَتْهُ مَتَسَكِّلَةً جَدًّا فَقَلَّتْ فِي مَعْنَاهُ :

لَيْلٌ كَمَا نَفَضَ الْغُرَابُ جَنَاحَهُ مَتَبَقِعُ الْأَعْلَى بِهِيمِ الْأَسْفَلِ

تَبْدُو السُّكُوكُ مِنْ فَنُونِ ظِلَامِهِ لَمَعَ الْأُسْنَةُ مِنْ فَتُونِ الْقَسْطِلِ

وَتَرَى الْكُوكُ فِي الْمَجَرَّةِ شَرَّعًا مِثْلَ الظُّبَاءِ كُورَعًا فِي جَدُولِ

وَقُلْتُ : تَبْدُو الْحَجَرَةُ مِنْجَرٌ ذَوَائِبُهَا كَلَمَاءٌ يَنْسَاحُ أَوْ كَلَايِمٌ يَنْسَابُ

وَزَهْرَةٌ بِلَازَاءِ الْبَدْرِ وَاقِفَةٌ كَأَنَّهُ غَرَضُهُ يَنْحُوهُ نَشَابُ

أَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْهَلَالِ مِنَ الشُّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ :

كَأَنَّ ابْنَ مَزْنَتِهِ جَانِحًا قَسِيطٌ لَدَى الْإِفْقِ مِنْ خَنْصَرٍ

أَيُّ كَأَنَّ ابْنَ مَزْنَتِهِ وَهُوَ الْهَلَالُ لَدَى الْإِفْقِ قَسِيطٌ مِنْ خَنْصَرٍ وَالْقَسِيطُ الْقَلَامَةُ

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذه ابن المعتز فحسنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كاذٍ يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشعار
 كأن الذي أبقى لنا منه أفقه قصيص سوارٍ أو قراضة دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقى لنا منه أفقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :
 إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته
 كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :
 وقد بدا فوق الهلال كرتة كهامة الاسود شابت لحيته
 ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر
 وانظر اليه كزورقٍ من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر
 وقال : في ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج
 وقلت : لست من عاشق أضل السبيلا فسقى دمه الهطول طولاً
 برد الليل حين هبت شمالا فجعلت الصلاة فيها الشمولا
 في هلال كأنه حية الرمل أصابت على البقاع مقيلا
 بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا
 وقلت : وكؤوس إذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين
 وكأن الهلال مرآة تبر تنجلي كل ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :
 جلب المجاعة ضامرٌ بخل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفله ولنكنز أمره عجب^ه قد عاد بعد كهولة طفلا
 قد كان حمارا ليلتين فلم تر مثله طفلا ولا حملا
 ومن العجائب أن يعود فتى في سبع عشرة ليلة كهلا
 وقال السري :

قم يا غلام فهايتها في كأسها كالجلنار في جنى نسرين
 أومارأيت هلال شهر كقد بدا في الأفق مثل شعيرة السكين
 جعل الزجاج كأسا ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولأعرفه سبق إلى هذا
 التشبيه . وقال بعضهم :

والجو صاف والهلال مشنف بالزهرة الزهراء نحو المغرب
 كصحيفة زرقاء فيها نقطة من فضة من تحت نون مذهب
 جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زين للعيون هلاله فرمقن منه حاجبا مقرونا
 يبدو ويبدو والنجم فوق جبينه وكان جنح الليل ينقط نونا
 وقد استحسننت للعلوى الأصفها في قوله :

لاح الهلال فويق مغربه والزهرة الزهراء لم تغب
 تهوى دوين مغيها فهوت تبكي بدمع غير منسكب
 فكانها أسماء باكية عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلة والهوى متضرم والبدر في أفق السماء مغرب
 فكانها فيه رداء أزرق وكأنه فيها طراز مذهب

حق الدجى ان تؤث لانها جمع دجية . وقلت :

كأن الهلال الشهر قطعة دملج تلوح على أعضاء معتكر غاس
 نرى الزهرة الزهراء تهوى وراءه كما مر سهم قاصد نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدني أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء بمقمرة كأنها فضة ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولت اللذاذ من كشب والدَّهر مسكون الحوادث والنوب
في ليلة قراء تحسب أنها تلقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ما ذقت طعم النوى لو تدرى كأنما جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كأنه بحفرة العطر
فريسة للبق منهوشة قد ضعفت كفى عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سر أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
تعززه شررات البعوض في قمر مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)
فمن أحسن ذلك قول ذي الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علفي وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد^(٢)
فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ما هو أطرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعه بفتيان صدق يملكون الأمانيا
جلباب الشباب أطرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذي الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علفي : منسوب إلى علف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيع^(١).

وليل يقول الناس من ظلماته سواء صحيفات العيون وعورها
كان لنا منه يوتاً حصينة مسوح أعاليتها وساج كسورها^(٢)
وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد أقت على الأرض
أكرعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نعرف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى الفحم
سدت على نظري الرائي منهجه حتى تعارفنا الأشخاص بالكلم
لا أسام الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سام
أحاول النجح في أمر أزاولة والنجح في دلجات الأئنيق الرسم
ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه^(٣) قد اكتحلت منه البلاد بأئمد
أخذه من قول أبي نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وحنح الليل مكتحل بقار
وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأئمد لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
قول مسلم بن الوليد :

أجدك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى يوم يذكر جعفر
وقد طرف القائل في قوله :

لا تدعني لصباح إن الغبوق حبيبي
فالليل لون شبابي والصباح لون مشيبي

ومن الاستعارة قول ذي الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
(مسوحاً أعاليتها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَقَتْهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(١)
أَخَذَهُ الْبَحْثَرَى فَقَالَ وَقَصْرُ :

عَلَى بَابِ قَدَسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَا طُخُّ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ
لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَةِ الْمُخْتَارَةِ وَقَوْلُهُ (لَا طُخُّ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ) مِنْ بَعِيدِ
الِاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ * كَأَنَّ دَجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ * فَقَالَ :
سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةٌ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَوَقَعَ بَعِيدًا عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :
تَسْقِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفَرْعِهَا شَبِيهًا بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِمَخَدَّهَا
فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكَؤُوسِ بِوَرْدِهَا
وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلَ رُؤُوسِهِمْ يَخْوَضُونَ ضَحَضَاحَ الْكُرَى وَبِهِمْ قُرُ
عَلَامُهُمْ جَلِيدُ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُمْ بَزَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاقِبِهَا قَمَرُ
إِلَى أَنْ تَعْرِى النُّجُومُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ
وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حَوْمُ^(٢) النَّسْرِ
وَقَالَ دِيكَ الْجَنِّ :

سِيرَضِيكَ أَنِّي مَسْمُخٌ فَيْكَ كَاشِحًا وَمَرْتَقِبٌ هَوْلَانٍ مَوْتٍ مَرَقِبُ
وَجَانِبُ لَيْلٍ لَوْ تَعْلَقُ قِطْعَةً بِقِطْعَةٍ صَبَحَ لَا تَنْتُ وَهِيَ غَيْهَبُ
وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ ثَوْبًا مَنَمَقًا وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرَ فَهُوَ مُحْرَقُ
وَصَبَحْنَا صَبَحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ تَعْلَمُ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيَشْرِقُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

نَحَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خَيْطَهُ رَدَاءً مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَمًا
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ تَصْغِيفٌ صَحْحَنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (حَلَقٌ) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ مٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي :

وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمِلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتِ

لامعة فوقها أسنتها مثل الأزهير وسطار ووضات

ولست أورد أكثر شمه إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكلف
وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس تقدراً لشعر غيره وقد
صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
فهو كالسن يشحن ولا يقطع .

ومن أحسن الاءارة في ذكر الليل قول ابن أبي فتن :

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّجَى مُلْبِدٌ وَلَيْلٌ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدُ

وَنَحْنُ ضَجِيعَانُ فِي مَسْجِدٍ فَلَهُ مَا ضَمَّنَ الْمَسْجِدُ

أَيَّالِيَّةُ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدُ

وَيَاغِدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِمًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَاغِدُ

وقال السري :

وَشَرُّ دَالِ الصَّبْحِ عَنَا اللَّيْلُ فَاتَضَحَّتْ سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي رَايَاتِهِ السُّودُ

وقلت : لَيْلُ كَفْرِ الْخُودِ تَخْلُفُهُ ضَحَى زَهْرَاءُ مِثْلُ عَوَارِضِ الزَّهْرَاءِ

عَبَقْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ كَأَنَّمَا نَفْضُ الرَّقِيبِ غَلَالَةُ الدَّلَاءِ

وقلت : وَاللَّيْلُ يَمْشِي مَشْيَةَ الْوَيْدِ فِي الْخَضِرِ مِنْ لِبَاسِهِ وَالسُّودُ

وَالصَّبْحُ فِي أَخْرَاءِ ثَانِي الْجِيدِ

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :

وَلَيْلُ كُوجِ الْبَحْرِ ^(١) أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَى بَأَنَوَاعِ الْهَمُومِ لَيْبَتَلِي

(١) أي كوج البحر في شدة ظلمته .

فقلتُ له لما تمظى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكلـكل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييماً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب. والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يسكبه من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو. والذي أخبرنا بما في العادة الطرماع في قوله :
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس ، ثم استدرك فقال :
 على أنَّ للعينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقعاً والتكلف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكراهة فيه ظاهرة.
 وقال ابن الدمينية في معنى قول الطرماع :

أظللُ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهم بالليل جامع

وقال المجنون :

يضمُّ إلى الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) تكضمُّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ .

جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كلبني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضى وليل الذي يرعى النجوم ^(٣) بآيب

وصدِرَ أراحَ الليلَ عازبَ هم تضاءف فيه الحزن من كلِّ جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل

« حبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء

حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة

« يهدي النجوم » وهو الذي يتقدمها .

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما كنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكريه البدرُ والليلُ دونهُ فبات بحدَّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحمى والحمى في منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلص أشيب
فأزدادُ في جنح الظلام صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليل أصعبُ
وقلت : ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذاك السرورُ بالليلِ أعذب
ومما استجدت من شعر أبي بكر الصولي في معنى امرئ القيس قوله :

أسرَّ القلب في هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
فتهاوى أراه للبعد ليلاً وأرى للسهاد ليلى نهارا
أنتَ فرقتَ بالفرقِ صبرى فأعزنى لما عراني اضطبارا
ويستجد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلي في معنى النابغة :

إنَّ في الصبح راحةً لمحِبٍّ ومع الليلِ ناشئاتُ الهموم
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ ناشئةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن علي بن سليمان :

إذا لاح لي صبحٌ فهمى مقسم وفي الليلِ همى بالتفرُّد أطول
وتمنى بعض المثقلين بالدين المتبلين بالفقر دوام الليل لما يلقى النهار من الغرماء
ولما يحتاج إليه من النفقة في كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتي بالهموم
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريم
قوله « ولا رداً » من التميم الحسن . وقال التنوخي في طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر مافيه خلل
كأنما الاصباحُ فيها باطل أزهقه الله لحقَّ فبطل

ساعاتها أطول من يوم النوى وليلة الهجر وساعات العذل
 موصدة على الورى أبوابها كالنار لا يخرج منها من دخل
 وهذا يستلح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 ما ليس بمحسوس في التشبيه رديء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظل الرشح قصر طوله دم الزق عنا واصطكاك المزاهر
 وقال البحتري :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد أواخره من بعد قطريه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :
 وحلت عليه ليلة أرحبية إذا ماصفا فيها الغدير تسكدرا
 بعيدة ^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صباحها ^(٢) حين بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد
 يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
 عهدي بنا ورداء الليل مُسدل والليل أطوله كاللمح بالبصر
 والآن ليلى من باتوا فديتهم ليل الضير فصبحى غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتذال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعه ، والمعنى أن ليله ممدود
 بلا انقضاء كالليل للضير كله عند الضير ليل . وقال على بن الخليل :
 لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تعول
 ليلى كما شئت قصير إذا جادت وإن ضئت قليل طويل
 فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تغور
 ليلى كما شئت فان لم تزر طال وإن زارت فليلى قصير
 إلا أن يته الثانى أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافى الكفاة يقول
 لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّهمى وهمتى جرجان *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شئت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبدُ أناثمُ عنك غَدُ

وقال ابن الرومى وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :

غابوا فلم أدر ما ألقى مس من الوجد أوجنون
 ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدم حرون
 أجيل في صفحته عيناً ما تتلاقى لها جفون

وملح ابن الأحنف فى قوله :

حدَّثونى عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا

وقد أنبأ بشار عن العلة التى يستطال لها الليل وهو السهر فقال :

لم بطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم

ولا أرى فى قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطير بتنا ننوشه على شعب الكوار والليل غاسق

على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادى * والاول أفصح .

وأنبأ العجاج أيضاً عن العلة التى لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينام *

وقال بشار :

لخدِّيك من كفيك فى كل ليلة إلى أن ترى ضوء الصباح وساد

وهذا مأخوذ من قول أبى ذؤيب * نام الخلى وبث الليل مشتجرا * والاشتجار

وضع اليد على الخد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيت نراعى الليل نرجو نفاذه^١ وليس ليل العاشقين نفاذ
 وقال : خليلي ما بال الدجى لا ترحزح^٢ وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
 كأن الدجى زادت وما زادت الدجى ولكن أطال الليل همهم^٣ مبرح
 وقال دبك الجن :

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا ما يعرف الليل إلا عاشق مهرا
 وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو :
 كأن نجوم الليل سارت نهارها ووافت عشاء وهى أنضاء أسفار
 فخيمن حتى تستريح ركابها فلا فلك جار ولا فلك سارى
 وذكر خالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتحيره وتبلده فقال :
 لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
 لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنت مخلى
 وتبعه أبو بكر الصولى فقال :

وطولت ليلى لو دريت بطوله ولكنه يمضى لما بى ولا أدري
 وقال بشار :

طال هذا الليل بل طال السهر ولقد أعرف ليلى بالقصر
 لم يطل حتى دهانى بالهوى ناعم الأطراف فسان النظر
 فكان الهجر شخص مائل كلما أبصره النوم نفر
 وقلت : صيرنى البين عرضة الحين لا أربح الله صفقة البين
 قد طال يومى وليلى بهم لما يزالا بهم قصيرين
 كان قليلاً لدى مكثهما فكنت أدعوها الجديدين
 فطال بعد الحبيب لبثهما فصرت أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد

كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . أكثر شعره فى الغزل .

وقال آخر :

باليلة طالت على عاشقٍ منتظرٍ في الصبح ميعادا
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها يندرى
لم تلك غير شفقٍ وفجر حتى تولّت وهي بكر الدهر
وقال غيره : وليلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل سرور شابه عارض غم
صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلم كأنه مستعر قد ابتسم
مازلت فيه عاكفاً على صنم مهفّف الكشح لذيد المتّزم
تفاحه وقف على اثم وشم وبانه وقف على هصر وضم
ياطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيش بأكناف الغضا وكذا العيش اذا طاب قصر
في ليالٍ كأباهيم القطا لست تدري كيف تأني وتمرّ
وقلت : إذا البرق من شرقي دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرًا أغرّ محجلاً فقمنّا به في ظلّ فينان مورك
فرّ كرجع الطرف ليس يمسّه حنينٌ إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تتقى
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت
اعراباً قول جرير :

أبدّل الليل لا تسري كواكبه أم طال حتى حسبت النجوم حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب^(١)
 نعيم الحب أوردق فيه حتى تناولنا جناؤه من قريب
 بمجلس لذّة لم نقو فيه على الشكوى ولا عدّ الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجعت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمان هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنت إذا علفت جبال قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
 فأحسن حين يحسن محسنوهم وأجنب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيئتهم فآلى مشيئتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سوية والعيش غض والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظلنا في جوار أبي الجنب بيوم مثل سالفه الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب
 وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كابهم القطاة محبب إلى هواه^(٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن^(٣) كمن نبه محرومة وحبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصيد العزيز ولم يكن) .

فقال ويله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدك كثير الطحلب
فقال إنما قال (عن جلدة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة
فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لمو قد التقى طرفاه فكان العشي فيه غدو
ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصر آ وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تعد فيه شهور العيش أياها
وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم بسجر الليل ساجر
وبت أسقى الشوق حتى كأنني صريع مدام لم ينهه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرًا بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره
وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها احداثه كوني بلا فجر
 راح الصباحُ بيدوها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلة تشبه اللحظة في انتقالها
 لست أدري أتممتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعاً مثلها أنشطت دهاء من عقابها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك
 أجود ما قيل في الصباح من شعر الأعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من غنى وقد جاؤوا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون إليه وينشدون
 أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رَعِيل ذِي أَدَاوَى مَنُوطَةٍ بِلِبَاتِهَا مَرْبُوعَةٍ^(٤) لَمْ تَمَسَّرْخَ^(٥)
 إِذَا مَسَّرْ بَخَّ عَطَتْ^(٦) بِجَالِ سَرَّائِهِ تَمَطَّتْ فُحْطَتْ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرَبِخَ
 فَرَعَ الشَّيْخُ الْأَرْضَ بِمَحْجَنِهِ وَهُوَ صَامِتٌ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ آخِرُ يَصِفُ لَيْلَةَ^(٧) :

-
- (١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القالي زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر يبكر للنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الأصل (مدبوعة)
 (٥) تمرخ أي تسليخ . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي .

كَأَنَّ شَمِيطَ الصَّبِيحِ فِي أَخْرِيَاتِهَا مُلَاءٌ يَنْقِي مِنْ طَيَالِسَةِ خَضِرٍ
تُخَالِ بَقَايَاهَا الَّتِي أُسَارَ^(١) الدُّجْبِي تَمْدُّ وَشِعْمًا^(٢) فَوْقَ أُرْدِيَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمُجَنُونِ مُصَلَّتًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَعَلَ بِضَرْبِ بَيْمَنًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أُذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُ فَأَرِيكَ فَقْدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أُسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَاكَ رَدَّهَا
قَالَ أَبُو هَلَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الشَّعْرِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ جَيِّدِهِ
وَرَدِئِهِ كَانَ غَرِيزًا عِنْدَ أَهْلِ الْبَوَادِي وَهُمْ أَصُولُهُ وَمَنْبَعُهُ وَمَعْدَنُهُ ، وَكَانَ فَعْلُ هَذَا
الشَّيْخِ وَاسْتَفْزَازَ جَيِّدِ الشَّعْرِ لَهُ قَرِيبًا مِمَّا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَا أَطْرِبُ
عَلَى حَسَنِ الشَّعْرِ كَمَا أَطْرِبُ عَلَى حَسَنِ الْغَنَاءِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا قِيلَ فِي الصَّبِيحِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ
عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ الْعَرَبِ تَشْبِيهًا :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارَى الَّذِي كَمَلَ الشَّرَى عَلَى أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَّ مُشَهَّرٌ
كُلُونِ الْحِصَانِ الْأَنْبِطِ الْبَطْنِ قَائِمًا تَمَازِلَ عَنْهُ الْجِلُّ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وَهَذَا أَحْسَنُ تَشْبِيهِ وَأَكْمَلُهُ ، الْأَنْبِطُ : الْأَبْيَضُ الْبَطْنُ ، شَبْهُ بَيَاضِ الصَّبِيحِ تَحْتَ
حِمْرَتِهِ بَيَاضُ بَطْنِ فَرَسٍ أَشْقَرٍ . أَخَذَهُ ابْنُ الْمَعْتَزِ فَقَالَ :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلَالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ
وَقَالَ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ :

بَدَا وَالصَّبِيحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرخِي الْجَلَالِ
وَمِنْ أَغْرَبِ مَا قَالَهُ مُحَدِّثٌ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

(١) السُّورُ: الْبَقِيَّةُ وَالْفَضْلَةُ، يُقَالُ إِذَا شَرِبْتَ فَأَسْتُرَ . (٢) الْوَشِيعَةُ : لَفِيفَةٌ مِنْ
غَزَلٍ، وَتُسَمَّى الْقَصَبَةُ الَّتِي يُجْعَلُ النَّسَاجُ فِيهَا لَحْمَةُ الثَّوْبِ لِلنَّسِجِ وَشِيعَةٌ . (٣) الْبَرْكَ
إِبِلٌ أَهْلُ الْحَوَاءِ بِالْفَاءِ مَا بَلَغَتْ، وَقِيلَ الْبَرْكَ الْإِبِلُ الْبَرْوَكُ، وَقِيلَ الْبَرْكَ: أَلْفُ بَعِيرٍ .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنه^١ ظليمٌ على ينضِ تسكشفَ جانبه
وقد أبدعَ أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه كالخبثي^٢ قرٌّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما يضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فممتُ والليلُ يجلوه الصباحُ كما جلا التيسمُ عن غرِّ الثنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطلعةِ الأشمطِ من بردِ شملٍ وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنه^٣ والصبحُ ملتبسٌ كمينِ الأشملِ^٤
وقلت : باكرتها والليلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسك بالكافور

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كموقدٍ باتَ ينفخُ الفحسما
وقال : والليلُ قد رَقَّ وأصفى نجمه^٥ واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزاً بفجره في ليلة كغريس بيضاء دهماء اللب

وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مَرْدُ^٦ مثل المدامة في الزجاج تشعشع
وقلت : إلى أن طوينا اليومَ إلا بقيةً يضلُ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسك^٧ وقابله للغرب بردٌ ممشق
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ^٨ وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرق
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً^٩ وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءه^{١٠} تعلم منا كيف يبهى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليلٍ مظلمةٍ مطرراتٍ بالصباح معلـ
أخطرُ في بردتها المسهمه والروضُ في خلته المنمنـ
قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهـ
وقدوشى رداءهُ ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ بطردُهُ النهارُ ولا أرى كالليلِ بطردُهُ النهارَ طريدا
وتراءهُ مثل البيتِ مالَ رواقهُ هتك المقوص شره الممدودا
وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
والصبحُ قد نسّم في أديمه يدعه يطرُّ في حـيزومه
دعى الوصى في قفا يتيمه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلُ أجنحة الفجر
والنصف الأول من قول الآخر * عند الصباح يحمد القوم السرى
وقال العلوي الاصفهاني :

وليل نصرتُ النى فيه على الرشد وأعديتُ فيه الهزلَ منى على الجد
وضيعتُ فيه من عناقٍ معانقٍ فظنَّ وشأتى أننى نائمٌ وحدى
الى أن تجلّ الصبحُ من خلل الدجى كما انخرط السيفُ اليماني من الغمد
وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيل يخطرُ في نوادي يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
كأنه غرةٌ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصر
ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاحَ ضوءُ الصبحِ فاستبيننا كما أرتنا الفرقَ الدهينا
وقال التنوخي: والستريا خافق من فوقِ مرقب
وبدا الفجرُ كسيفٍ في يدِ الجوزاءِ مذهب
وقلت: أديرأعلى الكأس والليل راحل وفي أثره للصبحِ بلقٌ شوائل
ترفع عنه منكب الليل فأنجلي كما ابتسمت لمياءُ والسترُ مائل
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالخسام علاه علق فوقَ شفرتيه متاع
وقال: أسامره والليل أسود أورك إلى أن جلا الاصباح عن أشقرورد
تبسم محمراً خلال سواده تبسم ورد الخد في الصدغ الجعد
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمسُ الاصيل لهم حتى توقد في جنح الدُّجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جرَّ أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعرا المحدثين قول ابن المعتز :
والصبح يتلو المشتري فكأنه عريانٌ يمشى في الدُّجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتداءً وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزاحف يزجي خلف اطلاق
صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصباحي
كأن العازف الحنى أو أصوات نواح
على أرجائه والبرق يهديه بمصباح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهموم
وقات: وقد غدوت وصبح الليل منتقص وغرة الصبح مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وانحطَّ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الأعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنبها فتخفى وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليل وانجباب الحجابُ المستر
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقى ثوبٌ معصفر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرُ أصفر
إلى أن علت وأبيض عنها اصفرارها وجالتُ كما جال الملبحُ المشهر
ترى الظلَّ يطوى حين تملو وتارةً تراه إذا مالتُ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا ولتُ لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذاك لم تزل تموتُ ونحيا كلَّ يوم وتنشر
وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي عمير على
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبٌّ عليه قانصٌ لما غفلُ والشمسُ كالرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعي الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يغارا

فتستر غُرَّتْهَا بالخمار
وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمسُ ترمقنا بلحظ
تحاولُ فتقَ غيمٍ وهو يأبى

وقال ابن طباطبا :

وأقذيت عين شمس فحكت
وقلت : فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
يفضضُ منها الجوُّ عندَ طلوعها
وتحسبُ عين الشمسِ اذهى رفعتُ
وقلت في يوم صحو :

ملاً العيونَ غضارةً ونضارةً
والشمسُ واضحةً الجبين كأنها
وكانها عندَ انبساطِ شعاعها
جَبرَّتْ إذا بكرت ذُبُولَ مزَعَفِرٍ
فشربتها عذراءَ من يدي مثلاً
وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت في رداءٍ معصفر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :

حتى علا الطود ذيل من أصائله
وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمسُ في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

مثل الكعابِ الخودِ في نقابها

كَأَنَّ خَبْوَةً^(١) الشَّمْسِ تَمُوتُ بِهَا وَقَدْ جَعَلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرُضُ
تَخَاوَصَ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْتَقِ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثُمَّ تَغْمِضُ
وَمِنْ جِيدِ مَا قِيلَ فِي أَحْمَارِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :

وَكَاثِنُهَا عِنْدَ الْغُرَى بِجُفُونِ عَيْنِ الْأَرْمَدِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِ :

إِذَا رَنَّتْ^(٣) شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ وَرَسًا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لِتَقْضَى نَجْبَهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرِهَا وَتَشَعَّشَعَا
وَلَا حَظَّ النَّوَارِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدَّآ عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَمَا لَحَظَتْ عَوَادَهُ^(٥) عَيْنٌ مَدْفَنٌ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَ
وَوَضَعَتْ عَيْنُ الرُّوضِ^(٦) تَخْضُلُ بِالْمَدَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لِتَدْمَعُ
وَبَيْنَ إِغْضَاءِ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَانَهُمَا خِلَا صَفَاءِ تَوَدُّ

وَقَالَ الْآخَرُ :

وَالشَّمْسُ تُؤْذَنُ بِالشَّرُوقِ كَاثِنُهَا خَوْدٌ تَلَا حَظُّ مَنْ وَرَاءَ حِجَابِ

وَقَالَ السَّرِيُّ :

وَمِنْ قُصُورِ عَلَيْهِ مُشْرِقَةٌ^(٧) تَقْضَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحَجَبِ
يَبِضُ^(٨) إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَغْرِبُهَا حَسِبَتْ أَطْرَافُنَّ مِنْ ذَهَبِ

(١) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « جَثْو » .

(٢) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ (يَرْفُق) .

(٣) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِذَا أَرَقَّتْ » .

(٤) الْوَرَشُ : نَبَاتٌ كَالسَّسَمِ ، وَمَذْعَدًا : مَتَفَرِّقًا .

(٥) فِي الْأَصْلِ « عَوَادَهَا » .

(٦) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ « عِيُونُ النَّوْرِ » .

(٧) كَذَا فِي دِيْوَانِ السَّرِيِّ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَلَى مُشْرِقَةٍ » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمس عادت^(١) كأنها صلاة طيب يطها واصفرارها

ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :

فاذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
وقلت : وعلى الصباح غلالة فضية فيها طراز من خيالك مُذهَّب
آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إندراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بني أمية ، وكان عمى الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	عليت بأن الناب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أبو من وجه عثمان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « آضت » .

(فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني)

الصفحة	
٢	ترجمة المؤلف .
٦	صورة آخر النسخة الشنقيطية .
٧	مقدمة الديوان .
٨	أحسن ما قيل في وصف شعر .
١٠	النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » .
١٠	أخلب بيت قالته العرب .
١١	أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .
١٤	أبواب ديوان المعاني .
١٥	الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .
١٥	الفصل الأول : في المديح .
٧٦	الفصل الثاني : في الافتخار .
٩١	الفصل الثالث : في التهاني .
١٠٣	الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجرى مع ذلك .
١٥٧	الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .
١٥٧	الفصل الأول : في المعاتبات .
١٧٠	الفصل الثاني : في الهجاء .
٢١٦	الفصل الثالث : في الاعتذار .
٢٢٢	الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجرى مع ذلك .
٢٨٦	الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجرى مع ذلك .
٢٨٦	الفصل الأول : في ذكر النار .
٢٩١	الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .
٣٠٥	الفصل الثالث : في وصف الشراب .

٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .

٣٣٢ الفصل الاول : في ذكر النجوم .

٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه .

٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، ومايجرى مع ذلك .

﴿ استندراكات وتصويبات ﴾

الصفحة السطر

- ٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن
 ٢٠٤ ١٩ وما قيل في قبح الحلقة وغير ذلك
 ٢١٥ ٤ لا تخدعنه بأثواب مصبغة
 ٢٣٧ ١٠ وغدا فم عليه عند رقيه
 ٢٤١ ١١ كان على أنيابها الخمر شجها
 ٢٤٩ ١ وعانقت خلق من صدغه حلقا
 ٢٦٥ ٩ لو كانت الأشياء تعرفه أجله اجلال بارها
 لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
 ٢٧١ ٢٣ أسر اذا بليت وذاب جسمي
 ٢٧٦ ١٥ أن الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة
 ٢٩٣ ٧ يقشر جلداً منه كالنضار
 ٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجوماً أبصرت من أمرنا وهي به عالمه
 ٣١٤ ٧ هذا الشعر للخبيل اليشكري لا للاختل
 ٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام الكرى
 ٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فعله
 ٣٢٣ ٢٢ أكرم ذخر ذخرته كرمه في عنبه
 ٣٢٤ ١١ فأت تفهم عنا

(إختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الأول)
وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة السطر					
١١	١	تقول لي.. هاجعة	٣٣	١٢	بغضبتها
١١	٥	أبو عروة المدني	٣٣	٧	عند إتيان
١١	٨	نصرى	٣٣	١٣	الماطرة
١١	١٥	الثرة الصقي	٣٣	١٤	ومنا الثناء
١١	١٨	السوء لا	٣٤	١٦	قسطل
١٢	١	لعيس	٣٥	٧	وأنت مليح
١٢	٣	وأتمزرها	٣٥	١٦	ذمارها
١٢	١٦	كالسيوف أوجههم	٣٨	٥	وفوا
١٢	١٩	اللحاء	٤٠	١٤	دماذ
١٨	١٠	السبك	٤٠	١٦	ضيف.. الخفرات
١٨	١٤	خضرا	٤١	١٢	أبى عكرمة
٢٠	١٢	حول سرير	٤٤	٩	بخفان
٢٠	١٧	أغر أروع	٤٤	١٩	٢٠٤ ثامل
٢٠	١٨	فانك كالليل	٤٧	٥	وبصدره
٢١	٢	كحى أدر كتهمة أدره	٤٧	٨	الكوماء.. تنحري
٢١	٥	مبثوثاً	٥٧	٣	من الشجاعة
٢١	٨	لا عار	٥٨	١٣	غر الرداء
٢١	١٠	فيه عار	٦٠	٢١	وأحسن منه ما
٢١	١١	سرار	٦٠	١٩	تقريباً إلى أن
٢٢	١	من أخذ	٦١	١١	مركز
٢٣	٢	ترنو	٦٣	٢٠	يافيض
٢٣	٧	إلى باب	٦٥	٣	ابن حرى
٢٥	١٥	أبقى.. الصم	٦٥	٢٢	هفان.. ثوابه
٢٦	٢	بن فاتك	٦٦	٤	أبو الغراف
٢٧	٧	أبو أحمد	٦٦	٩	أثلمته حوامله
٢٧	١٧	مجرد	٦٦	١١	فيوم تحوط
٢٧	١٨	للممدوح	٦٦	١١	ما تغب نوافله
٢٨	٧، ١٠، ٢٨	ابن دواد	٦٨	٥	دوارج
٣٠	٤	الفيض	٦٨	١٩	كما دعيت
٣١	١٠	أحسن لحظة	٧١	١٥	أو أزرهم
٧٢	١٢	أكفاؤه	٧٤	٢	الخرمى
٧٨	١٧	المتألى الشاعرون	٧٩	١٠	أمون.. لحاءها
٨١	١٦	الجحاف	٨٢	٧	أخرانا
٨٥	١٧	الحانى	٨٥	٢١	فقري غنى
٨٦	٣	ولا يحال	٨٦	٥	نبوه
٨٧	١٨	جبيته	٨٧	٢٠	بالأفول
٨٧	٢٠	على الوقود	٨٨	١	واعتددت
٨٨	١١	إلى الكوم	٨٩	٦	أشوى
٨٩	١٠	أو القنان	٩٠	١١	العاصمون
٩٠	١١	الغارمون	٩٠	١٨	ومنى
٩١	١٤	الفصل الثالث	٩٢	٥	شييا بما فعاذا
٩٢	١٠	تنشر أعياداً	٩٢	١٣	راعيه
٩٢	٢٠	كهذا	٩٣	١٥	بلبل
٩٤	١٢	أبى هفان	٩٥	١٧	يهدى للجليل
٩٦	١٦	عنان الفكر	٩٦	١٧	بيديه نارها
٩٦	٢٢	إلى من وليه			

٩٧ ١٥	اقتفروا	١٥٣ ٤	أن يحل به	٤٩ ٩	شيئت
١٠٠ ١	ولشاؤه	١٥٣ ٦	وبادرت منه	٥٠ ٦	وما ظلم
١٠٠ ١٧	تجلى لك	١٥٥ ١٦	زفر	٥٣ ٧	ويمرع
١٠٢ ٦	من مواليه	١٥٨ ١٢	راضى سنة	٥٤ ١٠	وتدولا. وعتودا
١٠٢ ٢٠	ويليقك ثواب	١٥٩ ١٠	بجنب الستار	٥٥ ٧	مد العلاء
١٠٦ ٥	إنك	١٧٠ ١٧	بطائشة الصدور	٥٦ ١٦	٢٠ ، خدى
١٠٦ ٢٢	بلبال	١٧٣ ١١	دوبل . دوبل	١٤٥ ٧	مذهبه
١٠٩ ١٠	آلف	١٧٥ ٢٢	يزقق	١٤٩ ١٨	عليم بن جناب
١١٠ ٣	يواكب	١٧٦ ٢	جذمة	١٥٠ ٢٠	سعيد بن مسلم
١١٠ ٩	تقذيتها	١٧٦ ٧	تغلب	١٩٦ ٧	بذى شكر
١١١ ١	مجدلا	١٨١ ١٦	به الدعى	١٩٦ ٨	نحوى جمية
١١١ ٢	بما لم	١٩٨ ٣	تكن لتكون	١٩٦ ١٩	في التطير
١١١ ٣	أغشى	١٩٨ ١٠	أمين	١٩٩ ١١	وأدغمت أبا
١١١ ٧	أخم	٢٠٦ ٢	الدار يطوف	١٩٩ ١٥	ثنتى عنك
١١١ ٢٠	ما ذلك	٢١٣ ١٥	غادر الرفض	٢٠١ ٦	فيه مذ زمان
١١٢ ١٣	الصقعب النهدي	٢١٣ ١٨	وقعتما للحين	٢٠١ ٧	ظاهرة سوء
١١٢ ٢١	قد جبت جلبابه	٢١٣ ١٩	زور اذوى السنة	٢٠١ ١٧	كما تزيد
١١٣ ٦	رفيقة	٢٣٣ ١١	فيزيد فيها	٢٠٢ ١١	بسلب الصفات
١١٤ ١٨	بلعاء	٢٣٣ ١٦	أملود	٢٠٢ ١٥	عن الاثنان دانى
١١٥ ١٠	يجر	٢٣٣ ١٧	سب . وطاق	٢٠٢ ١٨	كالذبيخ
١١٨ ٦	عبيد بن الأبرص	٢٣٤ ١٩	يا اسلى	٢٠٣ ١٩	ابن مهرويه
١٢٢ ٥	وأنتى غير	٢٣٧ ٨	فيها بدرها	٢٠٦ ٢٠	ونتنتى حتى
١٢٢ ١٨	دجاجة	٢٥٣ ١٤	النمى	٢٠٨ ٢	كسير الجناح
١٢٣ ٨	ابن ميادة	٢٥٥ ١٣	يذاب بعيني	٢٠٨ ٣	خامد المصباح
١٢٦ ٥	عفى الحساب	٢٥٦ ٤	فأسبلت	٢١٠ ٦	وسماد لحية
١٢٨ ٢٢	أنعمة الله	١٧ ٥	غضبة	٢١٢ ٣	به من دمامته
١٣١ ٩	المشقر	٤٢ ١	تكذرعيشة	٢١٣ ١	أظهر فيه
١٣١ ١٣	راوية .. ابن	٧٦ ١٤	خَبث	٢١٤ ٨	غادية
١٣٢ ٣	تتعب	٩٢ ٥	قعبان	٢١٥ ١٧	ولا تأتيني
١٣٢ ٤	تجنب	١٢٥ ١٥	بخترى	٢١٦ ٧	في بيتي
١٣٣ ٦	حلحلة	٢٤٩ ٤	شارب	٢٢٠ ١٨	وللقارف ذنباً
١٣٣ ٧	بوانى	٤٩ ٥	آراؤهم	٢٢١ ٢	أرى الراغب إلى
١٣٦ ٧	قول عمارة			٢٢١ ٤	الهيئة الحية
١٥١ ١٥	التضافر				
١٥٣ ٣	ويهدم صالحو				

٢٢٥	١٥	دمع احدره	٢٦٣	٨	الهوامى الهوامع	٢٩٦	١٥	من المن
٢٢٦	١٣	عند خود	٢٦٣	٢٠	قوم موسى	٢٩٦	٤	فى السقى
٢٢٨	٨	ونبتها قالت	٢٦٤	٨	كنت فى	٢٩٨	١١	أتعرف من
٢٢٨	٢٢	الحسن بسطة	٢٦٤	١٤	الحسن عليه	٢٩٨	١٦	المعتدة
٢٢٩	٤	بيضاء كالفضة	٢٦٤	١٧	معاً فلم	٣٠٠	٣	الكيسة الحازمة
٢٣١	٤	قاسنى بالبدر قد	٢٦٥	٢	أظرفه	٣٠٠	٧	صادفت منا
٢٣٢	١٥	حسته .. حفلت	٢٦٥	٢٣	لشدها	٣٠٠	١٩	وقد تردى
٢٣٧	٦	عين تفل	٢٦٦	٨	الوصل شافيا	٣٠١	١٠	موشى تخال
٢٤٠	١٣	يحتتها أحور	٢٦٦	١٠	وأرحم	٣٠٢	١٧	ثغر .. الواضح
٢٤١	١	مشرب عذب	٢٦٦	١٤	لم يك	٣٠٤	١٠	فدون السمن
٢٤٢	١٤	بدلها	٢٦٩	١٨	فى الشمس	٣٠٤	١١	طيف سلبى
٢٤٤	٤	وأثنى	٢٧١	٥	فغافضاه	٣٠٤	١٤	منسر الباز
٢٤٤	١٤	زق أمات	٢٧١	١١	ياجنان	٣٠٨	١١	سبهاها التجر
٢٤٤	١٦	فأفضيت	٢٧٢	١٠	يعش .. المنون	٣١٠	١	أرى نجمين
٢٤٥	١٩	قلقت وشحه	٢٧٢	٢٠	اقتياد .. صاحبه	٣١٠	٥	ووجنة
٢٤٦	٨	تغضبن .. اتعلت	٢٧٣	١	بى يستن	٣١٠	١٣	ذهن لطيف
٢٤٧	٧	طرة .. طرة	٢٧٦	١٠	سفعة	٣١٢	١٨	وقد حجب
٢٤٧	١٤	أوبالمى	٢٧٧	١٠	يشنى الجوى	٣١٥	٣	اله ان
٢٤٨	٢٢	قرنوا	٢٧٧	١٣	زف .. لخياني	٣١٥	٦	لهو الى
٢٤٩	١	أو كالجيم	٢٧٧	١٨	معان جياذ	٣١٥	١٧	ليأتى ما
٢٥٠	١٦	وما سلبى	٢٧٧	٢٠	ولا طارقاً	٣١٨	٢	فأزرى
٢٥٠	١٨	وصف الساق	٢٧٨	١٥	ونحن مفترقان	٣١٨	١١	راضعت
٢٥١	٣	نقطن أذقانا	٢٨١	٥	ليلة القرر	٣١٩	١٣	على الأجسام
٢٥١	١٣	القوام والترنح	٢٨١	١١	حجاماً	٣٢٠	٢	ذكر مزاج
٢٥٢	١٠	إلامشاشة	٢٨٤	٢	قنبثين	٣٢٥	٥	مميل
٢٥٢	٢١	يخرق	٢٨٣	١٢	من نزوح	٣٢٦	١٨	والأرض به
٢٥٤	٢١	خلص	٢٨٤	٢	قنبثين	٣٢٧	١٥	ابن سريج
٢٥٥	٤	أطراف خرمة	٢٨٥	٨	تنفض	٣٢٧	١٨	عمل زلزل
٢٥٦	٦	كما سقى	٢٨٩	١٩	وجواثم مسفع	٣٢٧	٢١	فى جس
٢٥٦	٢١	السيف الصقيل	٢٩٠	٣	موقوفه بين	٣٢٨	٤	أحرفه
٢٥٧	١٢	فاضن من	٢٩٠	٢١	تصبغ بالدماء	٣٢٩	٤	كما يتداوى
٢٥٨	١٥	كروم المطايا	٢٩٣	٥	فى جو ذابة	٣٢٩	١٩	دكن الظواهر
٢٥٩	٦	من طينها	٢٩٦	١١	أزيج العطر	٣٢٩	٢٠	فى تباين
٣٥٩	١٠	يغمر كل						

ديوان المعبراني

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي /
مع مقابلة الشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الثاني

مكتبة القديس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذوه النجم والشجر ويرب الحب والثر رحمة للأنام ونظراً للأنعام فله الحمد أولاً وآخراً. والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه ومنراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف حملها ويقرب منهاؤها ويرغب فيها كل أحد وبأخذ منها بنصيب ويعترف منها بذنوب .

و كنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرّب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة إليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو :
﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب
أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال
أبو عمرو لذي الرمة أي قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرئ القيس :
ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تخرى وتدر
قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة
الطبق على الأبناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :
سحائب قيست بالبلاد فالتقت غطاء على أغوارها ونجودها
هدتها النعامى مُثقلات فاقبلت تهادى رويداً سيرها كركودها
قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة ماؤها .
والبيت البليغ المشار إليه من أبيات امرئ القيس قوله :
وترى الشجراء في ريقه كرووس قطعت فيها الخمر
الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها .
إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر
خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمام ، والخمار ههنا العمامة .
وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَبِلَهٍ كَبِيرٍ رُجَالٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(١)
 يقول كأن أبانا - وهو جبل - من التفاف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء،
 وخفض مزمل على الجواب وهو نعت كبير كما تقول جعر ضب خرب .
 وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج
 وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن
 ذكوان قال قال الأصمى قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل^(٢) :
 دَانِ مَسْفٍ فَوْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ
 فَمِنْ بَنَجَوْتِهِ كَمَنْ بَعْقَوْتِهِ وَالْمُسْتَكْنِ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرَوَاحٍ^(٣)
 يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم بركة وأصاب مطره المنجد والغازر
 والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحتيه
 وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي
 بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمى قال سألت أعرابياً
 من عامر بن صعصعة عن مطرٍ أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم
 وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم
 دوى فأظلم فأرك^(٤) ودث وبغش ثم قطقظ فأفرط ثم ديم فأغبط ثم ركد فأجثم ثم

(١) في ديوان امرئ القيس «ودقه» مكان «وبله» و«أناس» مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يَا مَنْ لَبِيقَ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقَبُهُ فِي عَارِضِ كَمْضَى الصَّبْحِ لِمَاحٍ

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانيات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمظهر ركيك أي قليل .

وبل فستح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبى سبعا تباعا لا يريد انقشاما حتى
ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من
حيث شاء . الدث والبغش المطر الخفيف ، والقطقط المطر الصغار ، وقوله أنعم أى
بالغ من قولهم دقه دقا ناعما ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملاء . والزبى جمع زبية وهى
حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان
حال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ، وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من
الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على
وجه الأرض رقيقا .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

فبيننا نرْمقُ أحشاءنا	أضَاءَ لنا عارضٌ فاستنارا
فأقبل يزحف زحف الكسير	سياق الرطاء البطاء العشارا
تغنى وتضحك حافاتهُ	امام الجنوب وتبكي مرارا
كأنا تضىء لنا حرة	تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا
قلنا حسبنا بأن لا نجاء	وأن لا يكون فرار فرارا
أشارَ له أمرٌ فوقهُ	هلم فأمَّ إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها :

تبسمت الريحُ ريحُ الجنوب	فهاجت هوى غالياً وادُّكرا
وساقت سحاباً كمثل الجبال	إذا البرق أومض فيه أنارا
إذا الرعد جليجل في جانبيه	فروى النبات وأروى الصحارى
تطالعنا الشمس من دونه	طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخاف الرقيب على سرِّها	وتحذر من زوجها أن يفارا
فتسترُ عُفرتها بالخمار	طوراً وطوراً تزيلُ الخمارا

وقدمت هذه الايات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرُ الماءُ منه انهارا
تبست الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهارا
وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل في سحب :

مستضحكٌ بلوامعٌ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقضاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ضحكٌ يؤلفُ بينه وبكاء
ثقلت كلاله وأنهرت^(١) أصلابه^(٢) وتبعجت^(٣) من مائه الاحشاء
غدقُ ينتج بالاباطح فرقا تلدُ السيولَ وماله اسلاء^(٤)
وكان ريقه ولما يحتفل ودقُ السحابِ عجاجة كدراء
غرٌ محجلةٌ روائحُ ضمنت حفلَ اللقاء وكلها عذراء
سحمٌ فهنٌ إذا كظمن فواحمٌ وإذا ضيكن فانهنٌ وضاء^(٥)
لو كان من لجج السواحلِ ماؤه لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة في قول الفلاسفة المطرانما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيص لمياه الأرض فمسير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فثله مثل المنجنون يعرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة في ذلك معروفة ولو كان الأمر على ما يقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لاحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه . (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه في الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وفرفت الناقة أخذها الخاض فندت في الارض فهي فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضئة .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض بزعمهم ، والكلام فيه يتسع
وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار الغفسي :

يا صاحبي أعيناني بطرفكما أنى تشيان^(١) برق العارض الساري
أبصرته حين غاب النجم وانسفت عنا غفائر^(٢) من دجن وأمطار
فبات ينهض بالوادي وجلهته^(٣) نهض الكسير بذى أوتنين جرّار^(٤)
حيران سكران يغشى كل راية من الروابي بأرجاف وأضرار
مفرّق^(٥) لدمات الأرض منهمر^(٦) رماب أفئدة شمال أبصار
كأن بُلُقًا عرابًا تحت ريقه عودًا تذب برمح عند امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كأن ريقه لما علا شطبها^(٥) أقراب أبلق ينقى الخيل رماح

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الاعرابية التي سألتها ذوالرمة عن الغيث فقالت :

غشنا^(٦) ماشئنا . فكان ذوالرمة يقول قاتلها الله ما أفصحها . وترك ذوالرمة هذا
المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا يا سلمى يادارمي^(٧) على البلى ولا زال منهلًا بجرحائك القطر^(٨)
ف قيل له هذا بالداء عليها أشبه منه بالداء لها لأن القطر إذا دامت فيها
فسدت . والجيد قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسد^(٩)ها صوب^(١٠) الربيع وديمة^(١١) تهى
وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وأنا لبنوطة بعيدة الارحاء فاهرمع مطرها حتى
رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح ف ضرب السيل النجاف وملا

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلمة : الجانب .

(٤) الاوتان : جانبنا الخرج . (٥) اسم جيل . (٦) أى أصابتنا الغيث .

الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها روضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقى أعرابياً فأمر باحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة ثقلها . قال أنا عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سحاب^(١) ولا أطناب يختلف عصرها ويتعاقب سراجها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت^(٢) السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً فثرت وأرزغت^(٣) ورسغت ثم خرجت من أرض قومي أقروها^(٤) متواصية^(٥) لاخطيطة^(٦) منها حتى هبطت تعشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فعنا الآثار وملأ الجفار وقوب الأشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم أقطع عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان تطلعت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الفيران فقات وجار الضب فمادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلعة بالغشاء والوحوش مقذوفة على الأرجاء فازالت أطال السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ، رهواً سناً ، ثرت تركته ثرية^(٧) ، أرزغت تركت الأرض في رزغة والرزغة والردغة الطين اذا أعطى القدم ، رسغت بلغت الرسغ ، متواصية متصلة ، الخطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتعشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقات من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

(١) أي أعمدة . (٢) أي دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : بلها

ولم تسل . (٤) أي أتبعها قرية قرية . (٥) أي متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير المطورة بين أرضين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها .

(٧) أي تراباً مبلولاً .

ما يوصف به المطر وهو عندهم الذي يجر الضب من وجارها فيخرجها من كثرة
سيله . وقوله والحزون متلفعة بالغشاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نضب عنها
فبقى الغشاء في موضعه .

ومن الوصف الجيد التام في تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صفار
وقطر كيار وكأن الصفار لحمه للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة
المطر وتكاثفه . ومن أجود ما قاله محدث في وصف السحاب والقطر
والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن نبطويه للعتابي :

أرقت للبرق يخفو ثم يأتلق^١ يخفيه طوراً ويديه لنا الأفق^٢
كأنه غيرة شهباء لائمة^٣ في وجه دهاء ما في جلدها بلق^٤
أو تغر زنجية تفر ضاحكة تبدو مشافرها طوراً وتنطبق^٥
أوسلة البيض^(١) في جأواء مظلمة وقد تلقت ظباها البيض والدق^٦
والغيم كالثوب في الأفق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق^٧
نظنه مصمتاً لا فتق فيه فان سالت عواليه قلت الثوب منفتق^٨
ان معمع الرعد فيه قلت ينخرق أولاً لا البرق فيه قلت يحترق^٩
نستك من رعده أذن السميع كما تعشى إذا نظرت من برقه الحدق^{١٠}
فالرعد صليق^(٢) والريح منخرق والبرق مؤتلق والماء منبعق^{١١}
قد حال فوق الرُّبِّي نور له أرج كأنه الوشي والديباج والسَّرَق^{١٢}
من صفرة بينها حمراء قانية وأصفر فاقع^{١٣} أو أبيض يبق^{١٤}
فاستحسننت هذه الطريقة فقلت :

برق يطرز ثوب الليل مؤتلق والماء من نار يهي فينبق^{١٥}
توقدت في أديم الأرض حرته كأنها غرة في الطرف أو بلق^{١٦}
ما امتد منها على أرجائه ذهب إلا تحدر من حافاته ورق^{١٧}

(١) السيوف . (٢) الصَّهْصَلِقُ من الأصوات : الشديد .

(٢ - ثاء ، المعاد ،)

كأنها في جبين المزن إذ لمعت
 فالرعد مرتجس^١ والبرق مختلس
 والضال فيما طالما من مائه غرق
 والغيم خز^٢ وأنهاء^(١) اللوى زرد
 والروض يزهوة^٣ عشب أخضر^٤ نضر^٥
 ومما ورد في المياه^(٢) :

من سيول يمجها الواديان
 فواستواء إذا جرى والتواء
 فهو حيث استدار وقف^١ لجين
 وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدويرة منزل^١
 بؤساً لدهر غيرتك صروفه
 لم يحل^٢ بالعينين بعدك منظر^٣
 أي المعاهد منك أندب^٤ طيبة
 أم برد ظلك ذى الغصون وذى الحيا
 وكأنما سطعت مجامر^٥ عنبر^٦
 وكأنما حصباء^٧ أرضك جواهر^٨
 وكأن درماً مفرغاً من فضة

وهذه الأبيات أحسن أبيات قلت في صفة دار . وقلت :
 شققن^١ بنا تياراً بحراً كأنه
 إذا ماجرت فيه السفين^٢ يعربد^٣
 ترى مستقر^٤ الماء منه كأنه
 سيب^٥ على الأرض الفضاء^٦ ممدد^٧

(١) جمع نهى وهو منتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .

(٢) هنا يياض في النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجري إذا الأرواح فيه تعابلت
فان تسكن الأرواح خلت متونه
فطوراً تراه وهو سيف مهند
نصعد فيه وهو زرق حمامه
وقال ابن طباطبا العلوى في مدد الوادى :

ياحسن وادينا ومدد الماء
يختال في حلتبه الكدراء
في صخب عال وفي ضوضاء
ترى به تناطح الأطباء
فانظر الى أعجب مرأى الراى
من كدر ينبجأ عن صفاء
ي تقشع الغيم عن السماء

وقال السرى في المدد وانقطاع الجسر ينفد :

أحذركم أمواج دجلة إذ غدت
فظلت صفار السفن يرقصن وسطها
تغرقها هوج الرياح وتمتلى
فهن كدم الخيل جالت صفوفها
كأن صفوف الطير طادت بأرضها
أو الشبح المسود حلت عقوده
وقلت : مررت بنهر المسرقان عشية
كأنهم درر تقطع سلكه
فكم ثم من خشف^(٢) على الماء لاعب
كأن السيريات فيه عقارب
مصنعة بالمدد أمواج مائها
كرقص بنات الزنج عند انتشائها
ربى الموج من قدامها وورائها
وقد بدرتها روعة من ورائها
وقد سامها ضياء أسود ممائها
على تربة محمرة من فضائها
فأبصرت أقماراً تروح وتغرب
وغودر فوق الماء يطفو ويرسب
فيا من رأى خشفاً على الماء يلعب
تجىء على زرق الزجاج وتذهب

(١) النهاى بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي .

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أعتقت منها إلى شطّ وشطّ
حسبت أن بطرها الأمواج والأمواج بطّ
وقال : وروضة أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
يجري على زمرد الحصباء بين استواء منه والتواء
كما نفضت جوة نة الحواء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر إلى الزهر البديع والماء في برك الربيع
وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا نوح بينها حلق الدروع
ومن أوائل ماجاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبید :
فتوسطا عرض السماء فصدا مسجورة متجاوز قلامها
محفوفة وسط اليراع يظلمها منه مصرع غابة وقيامها
وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود نفض الطرف كالابل القماح
إذا قطعت براكبها خليجا تذكر مالهيه من الجناح

(الفصل الثاني من الباب السابع)

في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك

أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ما قيل في وصف
روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن مشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
بضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بقميم البنت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ
قال المصنف خص العشي لأن كَوْن الإنسان بالعشي أحسن منه بالغداة لركة
تعلوه بالعشي وتهيج^(١) يعتاده بالغداة وتعتري الألوان بالعشيات صفرة قليلة
تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ، ومن
هذا قوله أيضاً ۞ وصفراء العشية كالمرارة ۞ وقال بعضهم بل خص العشي
لنقصان الحسن فيه قال فشبهها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها ،
وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :
وروض أحجم الروادُ عنه له نفلٌ وحوزان^(٢) تؤام
تعالى نبتُه واعتمٌ حتى كأنَّ منابتَ العليجان^(٣) شام
الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة
أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلي :

ميشاءُ جادٍ عليها مسبلٌ هطلٌ فأمرعت لاحتيال فرطَ أعوام
إذا يحفُّ ثراها بلها ديمٌ من كوكبٍ نازلٍ بالماء سجام
لم يرعها أحدٌ وارتيها زمنا فأومن الأرض محفوفٌ بأعلام
تسمعُ للطير في حافاتها زَجْلاً كأنَّ أصواتها أصواتُ مُخدّام
كأنَّ ريحَ خزامها وحنوتها^(٤) بالليل ريحٌ يلنجوجٍ وأهضام
ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلام ما أخبرنا
به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال خطب
ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجمالهم وأرادت أن تسير

(١) التهيج بالياء قبل الجيم : شئ من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم .

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أى توأمان (٣) العليجان : نبت .

(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترتادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت
قال رأيت بقلًا وبقيلًا وماءً غدقًا سيلاً يحسبه الجاهل ليلاً قالت أمرعت .
وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة .
وقال الثالث : رأيت نباتاً ثمدًا معداً متراكباً جعداً كأنخاذ نساء بنى سعد
تشبع منه الناب وهي تعدوا هـ . بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال وتحتته عمير
قد نشأ ، والغدق : الكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته ، والديمة
المطر يدوم أياماً في سكون ولين ، والعهاد أول ما يصيب الأرض من المطر
الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتهل وتم
فالناب وهي المسنة من الأبل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلأ وهي قائمة
لا تطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة
بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهي تعدو أى من طول النبات
وكثرته وعمومه تعدو وتأكل لا تحتاج إلى تتبعه وطأ طأة رأسها له . ولا أعرف
في جميع ما وصف به كثرة الكلأ أبلغ من هذا . والشعد : الرطب اللين والمعد
اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداءه فإذا ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه
في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم قاشية .

ومن أبلغ ما قيل في طول الكلأ قول الآخر أنشده ابن السكيت وتعلب :
أرعىتها أطيبَ أرضٍ عوداً الصِّلَّ والصَّفْضِلَّ واليَعْضِيدَا
والخازباز السَّئِمَ المَجُودَا بحيثُ يدعو طامراً مسعودا
يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه طامر فهو يصبح
به ، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالمتخارة
إنما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابي إلى يوم دجن وإلى نبات غص فاستحسن فقال ارتجالا :
أنتَ والله من الأُپسام لَدُنَّ الطَّرَفَيْنِ

كلما قلبت عيني في قرّة عين
وقلت: أتاه يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا
فدوّمَ من أعلى رُباهُ ودّيما
ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً
فأصبحَ منها بالزواهرِ معلماً
ومن بديع مآقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبد الصمد بن المعدل
أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومَعَمَر	ومبدي أنيق بالعذيب ومَحْضَر
نما الروضُ منه في غداة مَرِيعة	لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أَزْهَر
تري لامعَ الانوارِ فيها كأنه	إذا اعترضته العينُ وشيٌ مُدَّر
تسابقَ فيه الاقحوانُ وَحَنُوةٌ	وسامها رَندٌ نضيرٌ وعَهِير
يمجُّ ثراها فيه عَفراءُ جَمدة	كأن نداها ماءٌ وُردٌ وعَنبر
أعاد نسيمَ الريحِ أنفاسَ نَشْرِه	وخايل فيه أحمر اللون أَصْفَر ^(١)
بدا الشَّيْخُ والقَيْصومُ عند فروعِه	وشتٌ وطَبَّاقٌ وبانٌ وعَرَعَر
وناضرُ رمانٌ يرفُّ شَكِيرُهُ	يكادُ إذا ماذرت الشمسُ يَقْطَر
ويانعٌ تفاحٌ كأنَّ جَنِيَّةً	نجومٌ على أغصانه الخضرِ تَزْهَر
إذا زرتَه يوماً تَغَرَّد طائِرُهُ	وراناك ظيٌّ بينَ غصنينِ أَحْمَر
فأذْهَاجُ نوحِ الأيِّكِ في روتقِ الضحى	تذكر محزونٌ أوارتاحَ مَقْصَر
تجأوبنٌ بالترجيعِ حتى كأننا	ترنم في الأغصانِ صَنْجٍ ومِزْهَر
مرانةٌ موموقٍ وترجيعٍ شائقٍ	فللقبِ ملهاةٌ وللعينِ مَنظَر
واني إلى صحنِ العذيبِ لتائقٌ	واني إليه بالموَدَّةِ أَصْوَـر
مرعت ولا زالت تصوبك دِيمةً	يجودُ بها جونُ الفواربِ أَقْمَر
أحم الكلى واهى العرى مسبل الجدى	إذا طعنت فيه الصبا يتفجر
كأنَّ ابتسامَ البرقِ في حِجْراتِه	مهندةٌ بيضٌ تشامٌ وتشهر

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذم منه شيء البتة وهو :

والروض مفسول ^ه بليلى ممطر	جلا لنا وجه الثرى عن منظر
كالعضب أو كالوشى أو كالجوهر	من أبيض وأحمر وأصفر
وطارق أجفانه لم تنظر	تخاله العين فمألم يغفر
وفاتق كاد ولم ينور	كأنه مبتسم لم يكشر
وأدمع الغدران لم تكدر	كأنه دراهم في منثر
أو كمشور المصحف المنشر	والشمس في أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرة في محجر	تسقى عقاراً كالسراج الأزهر
مدامة تنقر إن لم تعقر	يديرها كف غزال أحور
ذى طرة قاطرة بالعنبر	وملثم يكشفه عن جوهر
وكفيل يشغل فضل المنزر	تخبر عيناه بفسق مضمر

يعلم الفجور إن لم يفجر

وقلت : جواهر عشب ونور نظيم	وأفراد ظل وقطر نثير
فمن بين صفر وأحمر وأخضر	على القضب غيد وزور وصور
ولعن تناسب لعن الشفاء	وبيض تعارض بيض الثغور
نواظر من بين يقظى ووسنى	ونجل وخزير وحول وحور

وقد استوفى في هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها .

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخى لنفسه :

أما ترى الروض قد وافتك مبتسماً	ومدّ نحو الندامى للسلام يدا
فأخضر ناضر في أبيض يقق	وأصفر فاقع في أحمر تضدا
مثل الرقيب بدا للماشقين ضحى	فاحمر ذا خجلا وأصفر ذا كدا

ومن المشهور قول الجاني :

ديم^ه كان^ه رياضها يكسين أعلام المطارف

وكأنما غُدرَ أنها فيها عُشورٌ في مضاحف
 وكأنما أنوارُها تَهترُكُ^(١) بالريح القواصف
 طرر الوصائف يلتفت من بها إلى طرر الوصايف
 وقلت : وروضة حالية الصدر كاسية البطون والظهور
 محودة المخبور والمنظور مونقة المطوى والمنشور
 معجبة الظاهر والمستور ضاحكة كالوافد المخبور
 باكية كالعاشق المهجور شذرها الغيث بلا شذور
 شقائق كناظر الخمور واقحوان كشور الحور
 ونرجس كأنجم الديجور والطل منثور على منشور
 يرصع الباقوت بالبلور

وقال السري وأحسن : وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة
 والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجنات يُبجي الشرب وهنا جنى وهداتها حتى رباها
 إذا ركد الهواء جرت نسيماً وان طاح الغمام طفت مياها
 يُفرجُ وشبها عن ماء ورد فيفيض على اللاكى من حصاها^(٢)
 تعانق ريحها لم الخزامى وأعناق القرنفل في سراها
 ويأبى زهرها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها
 وقال البحتري :

قطرات من السحاب وروض ثرت وردها عليه الحدود
 فالرياح التي تهب نسيم والنجوم التي تطل سعود
 وقال ابن الرومي :

أصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء للبصر

(١) في نسخة « تَهترُكُ » .. (٢) في نسخة « صفاها » .

واهاً لها مصطنعاً لقد شكر أثنت على الله بالآلاء المطر
والارض في روض كأفواه الخير تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من الكتان أخضر ناضر ييا كره دان الرباب مطير
إذا درجت فيه الرياح تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير
وقلت : أنظر إلى الصحراء كيف تزخرت وإلى دموع المزن كيف تذرف
وعلى الربى حلال وشاهن الحيا قسمهم ومقصب ومفوف
وملابس الأنواء فيها سندس ومضاجع النداء فيها زخرف
نم الرياح على الرياض نائماً ذكر نك الكافور حين يدوف^(١)
وعلى التلاع من الاقاحي حلة وعلى البغاغ من الشقائق مطرف
والغيم تنقشه الرياح عشيّة كالقطن في زرق الثياب يندف
والقطر يهيم وهو أبيض ناصع ويصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والبرق يلمع مثل سيف ينتضي والسيل يجري مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : يا كرنا وصي^(٢) ثم خلفه ولي^(٢) فالارض كأنها وشي منشور عليه لؤلؤ
منثور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاختربت البلاد وأهلكت العباد فسبحان
من يهلك القوى الأكل بالضعيف المأكول، وقال أبو تمام :

الروض ما بين مغبوق ومصطبح من ريق محتفلات بالحيا دُح
جون إذا هطلت في روضة طفقت عيون نوارها تبكي من الفرح
وقال أبو الغضبان اليمامي :

غدونا على الروض الذي طله الندى سحيراً وأوداج الأباريق تسفك
فلم أر شيئاً كان أحسن منظراً من الروض يجري دمه وهو يضحك

(١) أي يذاب . (٢) الوصي : أول المطر ، والولي الذي يليه .

وقال غيره : وإذا الزمردُ مشر ذهباً

لا زال يُمتِعُنَا بِجِدَّتِهِ

وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياض كأنهن عرائس

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهر وهي تَمَرُّ مر

مطر يروق الصحو منه وبعده

وندى إذا ادَّهنت به لم الثرى

ما كانت الأيام تسلب بهجة

أولا ترى الأشياء إذ هي غبرت

يا صاحبي تقصيا نظريكما

ترياً نهارة مشمساً قد شابه

دنيا معاش للورى حتى إذا

أضحت تصوغ ظهورها لبطونها

من كل زاهرة ترقرق بالندى

تبدو ويحجبها الجيم كأنها

الجيم متكاثف النبت، يقول بظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها

فيغطيه الجيم :

صنع الذى لولا بدائع لطفه

وقلت في مديح :

إني أرى لك في السباحة والندى

طلّق الغمام سرى بوجه باس

نقلت على عنق الصبا أعباؤه

ومن اللجين لسعبد ورق

وجديده بجديداً خلق

بُنقن في صفراء من حراء

وغدا الندى في حليه يتكسر

محو يكاد من النضارة يطر

خلت السحاب أناه وهو معذر

لو أن حسن الروض كان يُعمر

تمجّت وحسن الروض حين يغير

ترياً وجوه الأرض كيف تصور

زهر الربى فكأنما هو مقعر

جلى الربيع فأنما هي منظر

نوراً تكاد له القلوب تنور

فكأنما عين عليه تحدر

عذراء تبدو تارة وتختفر

مما زاد أصفر بعد إذ هو أخضر

طلقاً ذريت به على الأطلاق

يُروى الوجوه ومبسم براق

مثل الضعيف بنوء بالأوساق

فترى النبات يروق وسط رياضه
وقال البحتري :

إذا أردت ملأت العين من بلد
يمسى السحاب على أجيالها فرقا
فلست تبصر إلا وا كفا خلا
وقال أيضا: ولا زال مخضر من الأرض يانع
بذكرنا ربنا الأعبة كلما
شقائق يمان الندى فكأنه
ومن لؤلؤ في الأرجوان منضد
كأن جنى الحوذان في رونق الضحى
رباع تروت بالرياض مجودة
إذا راوحتها مزنة بكرت لها
كأن يد الفتح بن خاقان أقبات
وقلت : أمارى عود الزمان نظرا
أنته الطاف السحاب ترى
تبسط في الصحراء بسطا خضرا
ونرجسا مثل العيون زهرا
كأننا يصوغ فيها تبرا
كأننا ينثر فيها درّا
كلما لونا والعبير نشرا
والعيش أن تسر أو تسرا
مثل الحلى تروق وسط حقائق

مستحسن وزمان يشبه البلدا
ويصبح الروض في صحرائها بددا
أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
عليه بمحمر من النور حاسد
تنفس في جنح من الليل بارد
دموع التصابي في حدود الخرائد
على نكت مصفرة كالغرائد
دنائير تبر من ثوام وفارد
بكل جديد الماء عذب الموارد
شآبيب محتاز عليها وقاصد
تليها بتلك البارقات الرواءد
ترى له طلاقة وبشرا
وساقت الجنوب غيا بkra
وتمنح الروضة زهرا صفرا
وأقحوان كالغور غرا
كأننا يدوف^(١) فيها عطرا
فأعمل الكسات شمطا شقرا
ثم مر الزير يناغى الزمرا
لا تفسدن بالغرام العمرا

أحسن ما قيل في النرجس قيل أبي نواس :

لدى نرجسٍ غضٌّ القطاف كأنه إذا مامنحناه العيون عيون
 مخالفة في شكلهن فصفرة مكان سواد والبياض جفون
 والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومالم يقل مثله قول ابن الرومي:
 خجلت خدودُ الورد من تفضيله لم ينجل الورد المورد لونه
 لا نرجس الفضل المبين وان أبي فصل القضية أن هذا قائد
 شتان بين اثنين هذا موعد وإذا احتفظت به فأمتم صاحب
 يحكي مصايح السماء وتارة ينهى النديم عن القبيح بلحظه
 ان كنت تطلب في الملاح سميه هذى النجوم هي التي ربتها
 فانظر الى الأخوين من أدناها أين العيون من الخدود نقاسة
 وقلت : ونرجس مثل أكف خرد ناوئيه مثله في حسنه
 مبتسم عنه وناظر به وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطى الغواية حقها لم نجرى مع الذات جرى السوابق
 بمحمره الأجساد مبيضة الذرى كمثل سقيط الطل فوق الشقائق
 لدى الصفر في أوساط بيض كأنها كؤوس عفار في أكف عواتق
 وقا ابن الرومي :

للنرجس الفضلُ يرغم من رغم العينُ قبل السنُّ وهي المبتسم
على صنوفِ الوردِ والفضلُ قسم فما لها واخذ وهو الملتدّم
ما أطيبَ الريح وما أزكى النسم ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظني طرفها يشبه ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهبٌ على دُرّ ريحانهم ذهبٌ على دُرّ
وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدُ طلّ علفت بالنباتِ والأشجار
وتدلّت على الفصونِ فجاءت كشنوف الكواعبِ الأبركار
وقال الآخر :

ونرجس قامَ فوقَ منبره مثلَ عروسٍ تجلّ وتشتهرُ
قامَ الندى في عيونه سحراً فاعتاده من منامه سهر
لم يقتضض والظلامُ حلَّ به كأنما في جفونه قصر
تخيرَ الطلُّ في مدامه فليس يرقا وليس ينحدر
كدمعة الصبِّ كادَ يسكبها فردّها في جفونه الحذر
وقلت : وغنت الطيرُ بالحنانها فانتبه النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمه في الغصنِ قرصُ برد ضمَّ قم لقبله من بعد
وقلت فيه إذا تفتح :

مرّ بنا يهتزُّ في خطره ما بين أغصان وأقمار
بديرٍ في أمله وردة جاءت من المسك باخبار
يلوح في حررتها صفرة كالجد منقوطةً بدینار

وقال ابن المعدل :

عشية حيانى بورد كأنه خدود^١ أضيفت بعضهم إلى بعض
وقلت: قومي انظري ورداً كخذك أحراً ترك الريح وراءه^٢ وتقدما
قد ضمه برد^٣ ففتقه^٤ ندى كالصب^٥ قبل فاك ثم تبسما
ولم أجد في تشبيه الورد أبدع مما ذكرته ، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب
ولكنى تركت الا كثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة والبيضاء
الوتيرة وبشبهه بها قرحة الفرس^(١) قال عمرو بن معدى كرب :

يبارى قرحة^٦ مثل الوتيرة لم تكن معدي

وقد أحسن على بن الجهم في قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيت^٧ يطيف^٨ بها زمرد^٩ وسطها شذر^{١٠} من الذهب
وهو من قول أزد شير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودرايض على كراسى زيرجد
يتوسطه شذور ذهب . وقال البحتري :

وقد نبه النيروز^{١١} في غلس^{١٢} الدجي أوائل ورد^{١٣} كُنْ بالأمن^{١٤} نوماً
يفتحه^{١٥} برد^{١٦} الندى فكأنه بيت^{١٧} حديثاً كان قبل^{١٨} مكثاً
وقلت في تفضيل الورد على الترجس :

أفضل^{١٩} الورد على الترجس لا أجعل^{٢٠} الأنجم كالشمس
نيس^{٢١} الذى يقعد^{٢٢} فى مجلس مثل^{٢٣} الذى يمثل^{٢٤} فى المجلس

وقال ابن بسام :

مداهن^{٢٥} من يواقيت^{٢٦} منضدة^{٢٧} على الزمرد^{٢٨} فى أوساطها الذهب^{٢٩}
كأنه حين^{٣٠} يبدو^{٣١} من مطالعه^{٣٢} صب^{٣٣} يقبل^{٣٤} صباً وهو مرتقب
ومن الباقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس فى البيت دليل على أنه أراد
الأحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت فى الورد على الشجر :

(١) القرحة فى وجه الفرس دون الغرة .

أصبحَ الورد في الغصون يحاكي أوجهَ الحور في مقام خضر
مثل فرسان غارة يستلبهم لمع من دماء سحر ونحر
ويلوح النهار أسفل منه فهو كالرجل (١) في عمام صفر
بين نبذ من الشقائق يحكي

وقال ابن المعتز :

ولا زورديّة أوفت بزرقها بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت
والصحيح أنه في الحرم والشاهد قوله :

بنفسج جمعت أطرافه فحكّت دمعاً ينشف كحلا يوم تشيت
قوله : كأنها فوق طاقات ضعفن بها * يدل على أنه أراد الحرم لأن ساق البنفسجة
لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالحرم أشبه منه لكبر نوره ودقة ساقه
فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضة كأنها من حسناتها تبرز في أثواب سعد ومني
قد نثر الليل على أنوارها لآلىء الطل وأفراد الندى
بكت عليها مزنة فابتسمت عن لؤلؤ بين فرادى وثنى
وحولها بنفسج كأنه أواخر النيران في جزل الغضا (٢)
وقال آخر :

وكان البنفسج الغض فيه أثر اللطم في خدود الغيد
وقلت : وبخافات البنفسج يحكي أثر القرص في خدود العذارى
وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً :
ومفنج قال الكمال خلقه كن مجمماً للطيبات فكانه
زعم البنفسج أنه كعذاره حسناً فسألوا من قفاه لسانه

(١) أي الرجال . (٢) الغضا : شجر يبقى جمرة كثيراً .

وقال ابن الرومي :

أشرب على ورد البنفسج قبل تأنيب الحسود
فكأعما أوراقها آثار قرص في الخدود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هذي الشقائق قد أبصرت حررتها مستشرقات على قضبانها الذال
كأنها دمة قد مسحت كحلاً جالت به وقفة في وجنتي خجل
وأظن الأخيطل ابتكره إلا أنه أورده في أهجن معرض وفي أشد ما يكون من
التكلف وأتى بالمحال لأن الوقفة لا تجول فظلمته وقلت :

وشقائق^{هـ} نقش الربيع ثيابها فيروز بين مكحل ومجسد
كالخدد يصبغه الحياء بحمرة وجرى عليه الدمع خلط الأمد
ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين :

طرب الشقائق للحمام وقد شجا شجوة القيان فشق^{هـ} فضل ردايه
وتحيرت ما بين إمد ماقه في الخدد دمعته وبين حياته
فكأنه الحبشي^{هـ} بضع جسمه ثياب^{هـ} مخضلة^{هـ} بدمايه
وجعل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى
معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

وللشقائق خال^{هـ} فوق وجنتها ووجنة الورد بالدينار منقوطة
وقال التنوخي :

شقائق^{هـ} مثل^{هـ} خدود^{هـ} نقشت شوارب^{هـ} بالمسك فيها ولحي
وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب .
ومن أحسن ما قيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا زبما نازعني روح دنان صافيه
في روضة كأنها جلد سماء طاربه

كأنما أنهارها بماءٍ وردٍ جاربه
كان آذريونها غبّ سماء هاميه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

وقال أيضاً :

وصير آذريونه فوق أذنه
وقلت : ولاح آذريونها
وقال الشمشاطي^(١) :

تراه عيوناً بالنهار نواظراً . وبعد غروب الشمس أزرار ديباج
وقال ابن المعتز :

كأنها مداهن من ذهب مشرفات وسطهن غاليه
أتم التشبيه هنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ما قيل في البهار قول ابن الرومي :
وروضة عذراء غير حانسه
فيها شمس البهار دارسه
ترؤفك النورة منها الماكسه
وخرم في صبغه الطيالسه
وقال ابن المعتز :

في روضة كحلل العروس وخرم كهامة الطاووس
وقلت في المذهب الذي سلكه ابن الرومي :

خرمة كهامة الطاووسه دارى من بهجتها ماثوسه
والعين في فنائها محبوسه محفوظه تحسبها محروسه
تعجبني منظورة ملوسه مرفوعة الهامة أومنكوشه

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بأبى جلدان ، له تصانيف في الأدب .

باقوتة لكنها مفروسة في زهر^(١) كالشعل المقبوسة
كحل ألوانها ملبوسة

وقال التنوخي :

ومن خرم غص خلال شقائق يلوح كخيلائ على وردني خد
وإذا كان في الخلد خيلان لم يستحسن الخلال الواحد.. وقلت :
على رياض خرم كأنها رؤوس هدايا حرير الحل
وقال ابن طباطبا :

وطوس فيها خرم فكأنها صمامات وشي هبئت لمخازن
وقلت في البهار والورد :

ورد إلى جنبه بهار كالخلد أصفى إليه قرط
وقد جمعت أصناف المنشور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب
في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوان منشور يريك حسنهما ألوان ياقوت زها في عقده
ياحسنها في كف من يشبهها فانظر إلى الند بكف نده
من أشهل كمينه وأبيض كثره وأحمر كخده
وأصفر مثل صريع حبه إذا تغشاه غواشي صده
وقال السري في الورد :

أما ترى الورد قد باح الربيع به من بعد مامر حول وهو اضمار
وكان في حل خضر وقد خلعت إلا عرى أغفلت منها وأزراز
وقلت : ليس ينفك للغيام أباد تكافا وأنعم تتجدد
فترى رعد يشق حريراً وسنى برقه يطرز مطرد
وترى للزمان غصناً وريقاً يملك الطرف إذ يقوم ويأود

أُنبتَ الأرضَ عسجداً ولجيناً قالوا بى مكللٌ ومقلد
وجرى الريحُ سَجَسَجاً^(١) ورخاءً فالنَهاى^(٢) مسلسلٌ ومُسرَّد
وسبى العينَ لؤلؤً وعقيقاً نظماً في زمردٍ وزبرجد
قترى ثمَّ مضحكاً يتجلى وترى ثمَّ وجنةً تتورد
قطراتُ الندى أحادٌ ومشى مثل دُرٍ منظمٍ ومبدد
وكانَ الشقيقَ كأسُ عقيقٍ طرحَ المسكَ في قرارِها ند
قترى النجدَ في رداءٍ موشى وترى الوهدَ في قبصٍ مُعمد
وعليه منَ البهارِ عطاف ومن الوردِ والشقائقِ مُجسَّد
وترى النورَ مثلَ مضحكٍ خود وترى الغصنَ مثلَ شاربٍ أُمرد

ومن بدیع ماقیل فی کون النیلوفر وظهوره قول ابن الرومی :
فكانه في الماءِ صاحبُ مذهبٍ . أغراهُ وسواسٌ بأن لا يطهر
وقال السرى^(٣) :

ونيلوفرٍ أوراقه الخضرُ تحتهُ بساطٌ إليه الأعينُ النجلُ شُخص
هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :
إذا غاصَ في الماءِ النيرُ حسبهُ رؤوسَ إوزٍ في الحياضِ نفوس
وقوله « النير » لا يحتاج إليه . وقال آخر من أبيات :
كأما كلُّ قضيبٍ بها يحملُ في أعلاهُ ياقوته
وقلت : فشربتها عذراء من يدٍ مثلها تحكى الصباحَ مع الصباحِ المشرق
في روضةٍ تلقاك حينَ لقيتها بمنعمٍ من نبتها ومنمق
فانظر إلى عشبٍ هناك مجمع وانظر إلى زهرٍ هناك مفرق

(١) في نسخة « سجداً » . (٢) المنهى : المحل الذي ينتهى إليه الماء .

(٣) هو السرى الرفاء الموصلى ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبى والكبار ،
وكان بينه وبين الخالدين معاداة .

تجبي بورد كاللجين مكفر
وكذاك تتحف من مناقع مائها
منها وورد كالعقيق مخلق
بمخلق يعلو ذؤابة أخلق
جان يحاول أن يبين ويتقى
قال السرور لنا عنان مطلق
وقد أحسن القائل في صفة الرياض :

بكين فأضحكن الربى عن زخارف
تري قضب الياقوت تحت زبرجد
من الروض عنهن الثرى متهامل
تنوء به أعناقهن الموائل
تلقحها الانداء ليلاً بريقها
فيصبحن أبكاراً وهن حوامل
وقلت في الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجان معجب موق
طالمت فيه غرراً وضحا
كالنور غب السبل الساجم
كمثل أيام أبي القاسم
والآس في كفى أحبيهم
مثل شوابير بنى هاشم
وقلت في الريحان :

وخضر يجمع الأعجاز منها
لها حسن العوارض حين تبدو
مناطق مثل أطواق الحمام
وفيها لين أعطاف الغلام
وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يد الغيث آثارها
وكانت أكننت لكانونها
وأعلنت الأرض أسرارها
خيئاً فأعطته آزارها
والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقع العين إلا على
يفتح فيها نسيم الصبا
رياض تصنف أنوارها
جناها فيبتك أستارها
ويسفح فيها دماء الشقيق
ندى ظل يفتض أبكارها
وتبني إلي بعضها بعضها
كضم الاحبة زوارها

كَأَنَّ تَفْتَحَهَا بِالضَّحَى عَذَارَى تَحُلُّ أَزْرَارَهَا
تَفْضُّ لَنَرجسَهَا أَعْيُنًا وَطُورًا تَحْدَقُ أَبْصَارَهَا
إِذَا مَزْنَةٌ سَكَبَتْ مَاءَهَا عَلَى بَقْعَةٍ أَشْعَلَتْ نَارَهَا
وَقَالَ فِيهَا: وَأَقْبَلَ يَنْظُمُ أَتْجَادَهَا بِنَيْضِ الْمِيَاهِ وَأَغْوَارَهَا
وَأَرْضَعَ جَنَاتَهَا دَرَّةً فَمَعَّمُ بِالنُّورِ أَشْجَارَهَا
وَدَارَ بِأَكْنَافِهَا دَوْرَةً تَتَسَّى الْإِوَائِلَ بِرُجَارَهَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْبَاقِي :

جَنَى يَوْمٍ لَمْ يُوْخَرْ لَعْدٍ وَلَمْ يَنْتَقِلْ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ
كَالْعَقْدِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعْقَدِ أَوْ كَالْفُصُوصِ فِي أَكْفِ الْخُرْدِ
أَوْ كَكِبَارِ اللَّوْلُؤِ الْمُنْضَدِ فِي طَيِّ أَصْدَافٍ مِنَ الزَّبْرِجَدِ
مَفْرُوشَةٌ بِالْكَرْسَفِ الْمَلْبَدِ

وَقُلْتُ فِيهِ أَيْضًا :

أَبْدَى الرَّبِيعُ لَنَا مِنْ حُسْنِ صِنْعَتِهِ شِبَاهَهُ اتَّفَقَتْ فِي الشَّكْلِ وَالصُّورِ
خَضِرٌ ظَوَاهِرُهَا يَبِضُّ بِطَائِنِهَا تَحْكِي الْقَبَاطِي تَحْتَ السُّنْدُسِ النَّضْرِ
يَبِضُّ شِبَاهُهُ فِي خَضِرٍ مَلْمَلَةٍ مِثْلَ الزَّبْرِجَدِ مِثْنِيًّا عَلَى دَرَرٍ
يَنْشَقُّ أَخْضَرُهَا عَنْ أَيْضٍ يَقْقِرُ كَالْخُرْدِ يَشْرِقُ تَحْتَ الشَّارِبِ الْخَضِرِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ فِي وَرْدِ الْبَاقِي قَوْلُ الصَّنُوبَرِيِّ :

وَبَنَاتِ بَاقِلِي يُشْبِهَنَّوْرُهَا بَلَقَ الْحَمَامِ مُشْيَلَةً أَذْنَابَهَا
وَقُلْتُ فِيهِ : وَيُزْهِي وَرْدٌ بَاقِلِي كَأَطْلَاقِ الشَّعَانِينِ

وَقَالَ السَّرِيُّ فِي غَيْرِ ذَلِكَ :

فِي زَاهِرٍ عِبْنُ تَضْوَعَةٍ فَكَأَنَّ عَطَارًا يَمْطُرُهُ
ضَاهِي مَمْسَكُهُ مَعْنَبُهُ وَحَكِي مُدَرِّهُهُ مَدْرَرُهُ

وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْهَسَاتِينِ وَمَوَاضِعِ الْأَشْجَارِ قَوْلُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَخْبَرَنَا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضى البصرة ليقيم فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل إلى الأرض ومعه قارورة من ماء زمزم فلما جاء المد صب ما فيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يا بني هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ما أعطاك منها وادع بالبركة لك ولمن بعدك ، ثم أنشأ يقول في وصفها :

ترفعت عن يدِ الأعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها
فالتف بالزهر والريحان أسفلها ومال بالنخل والمان أعلاها
وصار يحسده فيها أصادقه ولائم لأم فيها من تمنها
أبا معاوية اشكر فضلَ واهبها وكلما جئتُها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز في السرو والدرجس :

لدى نرجس غض وسرو كأنه قدود جوار رحن في أزر خضر
وقلت : لبس الماء والهواء صفاء واكتسى الروض بهجة وبهاء
فكان النهاء صرن رياضاً وكان الرياض عدن نهاء
وكان الهواء صار رحيقاً وكان الرحيق صار هواء
وتخال السماء بالليل أرضاً وترى الأرض بالنهار سماء
جللتها الانواء زهراً وصفراً يوم ظلت تنادم الانواء
قراها ما بين نوء ونور تشكفا تبسماً وبكاء
وتظل الأشجار تتخذ الحسن قنيصاً أو الجمال رداءً لبست حين أثمرت خلجات^(١)
وترى السرو كالنابر تزهي وترى الطير فوقها خطباء
وقال أبو عينة :

تذكرني الفردوس طوراً فأرعوى وطوراً نواتيني على القصف والفتك

(١) أي أقراط. (٢) نوع من الثياب ..

بغرس كأبكار الجوارى وتربة
وقال السرى في تفاح ودستنبورى ورمات :

إن شيطانك في الظرف في شيطان مريد
فهذا أنت فيه مبدئ ثم معيد
قد أتتنا طرف منك على الظرف تزيد
طبق فيه حدود وقدود ونهود

وقد أحسن التنوخي في وصف النارج حيث يقول :

لم لا تجن بها القلوب وقد غدت مثل القلوب
وقلت: تطالعا بين الغصون كأنها
خود عذارى في ملاحفها الخضر
أنت كل مشتاق برىا حبيب
وقال : إذا لاح في أغصانه فكأنه
شموس عقيق في قباب زبرجد
وقلت في المركب :

مركب تعجب من حسنه
يشاكل العاشق في لونه
وقد كنز الفضة في تهره
ويشبه المعشوق في نشره

وقال الصنوبرى في التفاح وقد ظرف :

أعطت يدها محبة تفاحة
وهذا البيت متكاف جدا :

فعلت حين لثمتها من كفه
وقال أيضا في الترجة وأحسن :

جاء فحياى بترجة
أتى بها ناعمة غضة
من ذهب قد حشيت فضه
من كفه الناعمة الفضه
تصلح أن تبدل للعضه
أحبب بها من مسكة محضة
ناولنيها مسكة محضة

وقلت في الأترج والتارنج :

ترى التارنج في ورقٍ نضيرٍ فتحسبه عقيقاً في زبرجد
وأترج على الأغصان يزهي كما رفع الفتى قنديل عسجد
وقال بعضهم في دستنبوية :

يا حبذا نجية رحت بها مسرورا
مخزنة من ذهب قد ملئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهر في السراج نشربها على كراة حاج
ملبسات أصفر الديباج

وقلت فيه : أحرق ليموناً بأترجة كأنجم تحرق بالبدر
مخروطة الأجساد من فضة ملبسات قمص التبر
قد شد من هاماتها زربها يا عجباً من ذلك الزر
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تحف الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير في معناها وهي التي أخبرنا بها
أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب
تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحيابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر الطافهم
عليك تفكرت في هدية تحف مؤنتها ويعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال
المحمودة وتنظم الخلال المرموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ما وصفنا
غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقفك على
نبلها وأكشف لك عن سرائرها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء
فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة
فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع في التفاح الصفرة الدرية والحمرة
الحرية الذهبية وبياض الفضة ونور القمر يلتد بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها
(٥ — ثاني المعاني)

والأنف لطيب عرفها والفم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة
 الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه
 تلامذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتوني بتفاحة أعتصم برأيتها ريثما
 أقضى وطرى من المناظرة . فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح
 صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء
 لعلاج المزاج الحاد الكائن في المعدة مع المزاج البارد الكائن في الرأس وغشيان
 النفس وقلة الاستمرار للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هانيء : ما عليل المريض المبتلى
 وسكنت حرارة الشكلى وردعت شهوة الحبل ولا كسرت فورة السكران ولا أَرْضَى
 الغضبان ولا ردت عرامة الصبيبان بشيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك
 وإن رميت بهالم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل
 التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :
 حمرة التفاح في خضرته أقرب الأشياء من قوس قزح
 والحمرة تفاحة ذائبة والتفاحة حمرة جامدة . وقال الشاعر الخمر والتفاح شكلان *
 وقال آخر : تفاحة حمراء منقوشة ركبتهافي غصن الآس
 ألبستها ورداً وكلتها إكليل نسرین علی الراس
 وقال آخر في التفاحه :

كأنما حمرةها حمرة خد خبجل

وقال ابن أبي أمية :

مازلت أرجوك وأخشي الردى معتصماً بالله والصبر

حتى أتتني منك تفاحة حزحت الأحران عن صدرى

حشوتها مسكاً ونقشتها ونقش كفيك من السحر

واهأ لها تفاحة أهديت لو لم تكن من خدع الدهر

فاذا وصلت اليك - أوصلك الله إلى رحمته وعطفه - فتأمل وصفها بعينك وتناوها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازها ساعة وهازلها
أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضلها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة
جامدة وقلب ساه وعقل لاه وذهن غبي وشراعية نهم عساه أن يكلمها بأسنانها
ولا يدري ما قدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهداه ولا تأخذها
بيدك ولا تلمها بظفرك ولا تبتذلها للغباء ولا تعرضها للدخان فاذا طال لبثها لديك
وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريه ويذهب بهجتها ويحول نضرتها
فهنيئاً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره .
وقلت في الريحان :

ثم انتنينا الى خضير منعمة كأن أوراقها آذان مجرذان
وقهوة كجني الورد وشحه من لؤلؤ القطر والأنداء سمطان
وقال السري في دستنبوية :

وأغن كالرشا الغريب — نشا خلال الربرب
في تحده ورد حما ه من القطاف بعقرب
حيا بدستنبوية مثل السنان المذهب
وقال أيضاً فيها :

صفراء ما عنت لعيني ناظر
وقلت : وأترج يحف بها أقاح
إلا توهمها سناناً مذهباً
وقال السري في نارنجة :

أهدت على ناي المحل وقد
نارنجة منها استعير لها
أنأى التصبر طول هجرتها
وشعاعها من نور وجنتها
ما ألبست من حسن بهجتها
وكانت ما يخفيه باطنها
ونسيمها من عطر نكهتها
ما أضرت من سوء غدرتها

وحكى اخضرار^ه شاب^ه وجنتها قرص^ه الا^ه كف^ه اديم^ه وجنتها
 فأتتك^ه مكمل^ه محاسنها تختال^ه في أثواب^ه زيتتها
 فشعار^هها صفو^ه اللجين ومن^ه ذهب^ه مصوغ^ه ثوب^ه بذلتها
 تُهدى إلى الأرواح من بعد^ه تحف^ه السرور لطيب^ه نشوتها
 وبصونها سرى رواثها من أن تباشرها بشمتها
 فاشرب^ه عليها من شقيقتها في نعت^ه رايها وصبغتها
 واعطف^ه عنان^ه النفس عن فكر^ه راحت معذبة بفكرتها^(١)
 وقال ابن طباطبا العلوى في الاثرج :

ريحانة^ه في اصفرار^ه مهديها شبهتها بعد^ه فكرة^ه فيها
 أحبة^ه لم تصيخ^ه لعاذها تسد^ه آذانها بأيديها

فأورد المعنى في ييتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقفعة في غصن آس
 فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفر^ه يهوى من ذؤابة^ه أخضر^ه كما انقض^ه نجم^ه في الدجنة ثاقب^ه
 له شعب^ه تهوى^(٢) على سروات^ه كمثل بنان الكف يلويه حاسب^ه
 فناولني^ه ذو دلال^ه كأنما له الشمس^ه أم^ه والبدور^ه أقارب^ه
 فأصبح مشهور^ه الجمال^ه مشهوراً له الحسن^ه خدن^ه والملاحة^ه صاحب^ه
 وقال بعضهم في الاثرج :

لها ورق^ه ريحها ريح^ه وما ذاك في غيره لو طلب^ه
 كأن تعطف أوراقها أكف^ه تشير^ه إلى من تحب^ه

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

إذا ذلت الأشجار^ه يوماً لجفوة^ه فإن لها عز^ه القناعة والصبر^ه
 تصرف^ه في الذات من كل^ه طعم^ه تصرف^ه زيد آخذاً بقفا عمرو^ه

(١) في نسخة (بصحبته) . (٢) في نسخة (تلوى) .

وقلت في التفاح :

ليس ریحُ التفاح عندی بريحٍ لاولكنهُ صديقٌ لروحي
مُحرمةُ الخدِّ واخضرارُ عذارٍ فليحُ بطوفٍ حولَ مليح
وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحةً فعاتبني فتى رآها كخدِّ معشوقه
فقال خدُّ الحبيب تأكله فقلتُ لأبل أمصُّ من ريقه

وقال السري :

لو بُجِّدتُ راحنا اغتدت ذهباً أودابُ . تفاحنا غدا راحا
وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً :

حكى الرمانُ أوَّلَ ما تبدى حقائقَ زبرجدٍ يُحشِنَ دُرّاً
فجاءَ الصيفُ يحشوهُ عقيقاً وبكسوهُ مرورُ القبطِ تبراً
ويحكى في العصورِ ثدىُّ حور شققنَ غلائلاً عنهن خضرا
وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانية تملكُ لحظَ الأعينِ الرانية
مصفرة الوجنةِ بحجرة كأنها عاشقةٌ سالية
وأجود ما قيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيَّ مخطفِ الخصورِ كأنه مخازنُ البللورِ
قد ملئت مسكاً إلى الشطورِ وفي الاعالي ماءً وردٍ جوري
لم يبقَ منها وهجُ الحرورِ إلا ضياءٌ في ظروف نور
له مذاقُ العسل المشورِ وبردٌ مسَّ الخصرِ المقرور
ونفحةُ المسك مع الكافورِ لو أنه يبقی مع الدهور
قرَّظ آذانِ الحسانِ الحور

وقال في معناه :

ورازقى مخطف خصوره قد أينعت أنصافه الأسافل
 كأنها مخازن مملوءة من ماء ورد فيه مسك ثافل
 لا يزيد على هذا الوصف أحد .. ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال
 له هشام ما أطيب العنب عندكم ؟ قال ما خضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده
 ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له
 كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير
 المؤمنين راجلاً لحت فلحنت ونجوت فنحوت . فاستحسن أدبه وأجازه . وقلت :

باكرنا الدهر بسرائه وكف عنا بأس بأسائه
 وجاءنا أيلول مستبشراً يثنى على الدهر بالآائه
 أما ترى الرقة في جوده تناسب الرقة في مائه
 أنظر الى أنواع أشماره قد ضها في برد أحشائه
 راحت عليها نسائم الصبا تقرصها في برد أفنائيه
 أما ترى حسن ملاحيه يهدى الى بهجة شعرائه
 أنظر الى رمانه ضاحكاً حمراؤه في وجهه ييضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدها يخرجن من ورق كما اختبي الزنج في خضر من الأزر
 ويروى لابن المعتز في التفاح :
 وتفاحة صفراء حمراء غضة كخد محب فوق خد حبيب
 أحبابها طوراً وأشرب مثلها من الراح في كفي أغن ربيب

وقلت في النارنج :

روض زهاه المزن في كراته بمكفر^(١) ومزعر ومضرع
 فتبسم النارنج في شجراته مثل العقيق يلوح في الفيروزج

(١) أى ممزوج بالكافور .

والكأس يحملها أغن^١ يزينه^٢ وجنات^٣ ورد^٤ في عذار^٥ بنفسج
ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى
عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن تولب :

ضربن العرق^١ في ينبوع^٢ عين^٣ طلبن^٤ معينه^٥ حتى ارتوينا^٦ (١)
بنات الدهر لا يخشين^١ محلاً^٢ إذا لم تبق^٣ سائمة^٤ بقينا^٥
كان^١ فروعهن^٢ بكل^٣ ربح^٤ عذارى^٥ بالدوائب^٦ ينتصينا^٧ (٢)
وقد ملح النابغة في قوله :

صغار^١ النوى مكنوزة^٢ ليس قشرها^٣ إذا طار^٤ قشر^٥ الثمر^٦ عنها بطائر^٧
من الواردات^١ الماء^٢ بالقاع^٣ تستقى^٤ بأعجازها^٥ قبل^٦ استقاء^٧ الحناجر^٨
وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهم وردن الماء يعنى الماء الذى فى
بطن الأرض معينا . وقال النمر « طلبن معينه » فجعل الماء الذى فى بطن الأرض
معيناً ، والمعين إنما هو الماء الجارى على وجه الأرض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف (٣) :
ونخيل^١ فى تلاع^٢ جمة^٣ تخرج^٤ الطلع^٥ كأمثال^٦ الكف^٧
وقال الربيع بن أبي الحقيق :

أذلك أم غرس^١ من النخل مترع^٢ بوادى القرى فيه^٣ العيون^٤ الرواجع^٥
لها^١ سعف^٢ جمده^٣ وليف^٤ كأنه^٥ حواشنى^٦ برود^٧ حاكهن^٨ الصوانع^٩
وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن
اسماعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدي عن يونس عن الشعبي
قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسلى أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تغلق

(١) فى نسخة « حتى روينى » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصى بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينال من المسلمين

فقتله الأنصار .

عن مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الأخضر ثم يصير كالياقوت
الأحمر والأصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون
عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فإن كان رسلي صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم
بنت عمران . فكتب عمر إليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله
ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المزدل فقال يصف النخل :

حدائق ملتفة	الجنان	رست بشاطي ترع	ريان
تمتار بالأعجاز	للأذقان	لا ترهب المحل	من الأزمان
ولا توقي	كخل الذؤبان	ولا ترى ناشدة	الرعيان
ولا تخاف	عرة الأوطان	سحم الرؤوس	كمت الأبدان
لها يوم البازح	الحنان	مثل تناصي	الخررد الحسان
إذ هي أبدت زينة	الرهبان	لاحت بكافور	على إهان
يطلع منها كيد	الانسان	إذا بدت ملاممة	البنان
عات بورس	أوبزعفران	حتى إذا شبه	بالآذان
من حمر الوحش	لذي عيان	وهذا لفظ زائد	على معناه :
شققه	علجان ماهران	من لؤلؤ صيغ	على قضبان
مصوغة من ذهب	خلصان	ثم ترى لل سبع	والثمان
قد حال مثل الشدر	في الجان	يضحك عن مشتبه	الأقران
كأنه في باطن	الأفنان	زمرد لاح	على التيجان
حتى إذا تم له	شهران	وانسدلت	عشا كل القنوان
كأنها قضب	من العقيان	فصلن بالياقوت	والمرجان
من قاني أحمر	أرجوان	وواقع	أصفر كالنيران

مثل الأكليل على الغواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الأرجوزة . وقلت :

ونخيل وقفن في معطف الرميل وقوف الحبشان في الشيجان
شربت بالأعجاز حتى تروّت وترأت بزينة الرحان
طلع الطلع في الجماجم منها كأ كفّ خرجن من أردان
فتراها كأنها كُت الخيل توافّت مُصرة الآذان
أهو الطلع أم سلاسل حاج مُحلت في سفائن العقيان
ثم مادت شبائها تتباهى بأعلى شبائهم أقران
خرزات من الزبرجد خضر وهبتها السلوك للقضبان
ثم حال النجار واختلف الشكل فلاحت بجوهر ألوان
بين صفر فواقع تتباهى في شماريخها وُحمر قواني
وقال بعض العرب * طلعاً كأذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرطب :

كقطع العقيق يانعات بخالص التبر مُنوعات
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن السعيد
قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صمصمة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده
عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صمصمة : أجل أجوده
مادق نواه ورق سحاؤه وعظم لحؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد
يدمجه وليكنك يا ابن العاص لا تمرأ نصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتقرب^(١)
فقال معاوية رغماً فقال عمرو أضعاف الرغم لك وما بي إلا بعض ما بك .

ومن الغلو في صفة التمر ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن اسماعيل
ابن أسحق القاضي عن أبي نصر قال قال الأصمعي قيل للغاصري أي التمر أجود ؟
قال : الجرد الفطس الذي كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة في فمك فتجد

(١) أي تقذف .

حلاوتها في كمبك يعني الصبحاني . وقال الخباز البلدي :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر^١ كأن بنات الورد فيه جواهر
كأن القمارى والبلابل بينها قيان^٢ وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة^٣ كأن على أحداقها الدر^٤ دوائر

وقال غيره :

أى يوم لنا على التل^٥ بالما (١) وعيش تضيق^٦ عنه النعوت^٧
وردد^٨ الدر^٩ فيه في شجر اللو ز^{١٠} وفي الخوخ ورد^{١١} الياقوت
وقلت : ظل يسقى حدائقاً وجناناً يالها من حدائق^{١٢} وجنان
خطرت بينها الرياح^{١٣} مسحيراً فتناصت^{١٤} (٢) تناصى^{١٥} الأقران
وتناجى^{١٦} الغصون فيها سراراً وتنادى^{١٧} الطيور بالاعلان
فتناجى^{١٨} الغصون شبه عتاب^{١٩} وتنادى^{٢٠} الطيور مثل أغاني
من كروم تمايلت بمناقيد^{٢١} كجمد^{٢٢} الزنوج^{٢٣} والحبشان^{٢٤}
وملاحية تميل^{٢٥} أخرى كوجوه^{٢٦} الخرائد^{٢٧} الغرآن^{٢٨}
كلالى^{٢٩} تشبث^{٣٠} بلال^{٣١} وبنان^{٣٢} تشبكت^{٣٣} بينان^{٣٤}
فهى^{٣٥} كالنجم في فروع كروم وهى^{٣٦} كالشمس في بطون^{٣٧} الدنان^{٣٨}

وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصناف المعاني صلحن^{٣٩} لوقت^{٤٠} إكثار^{٤١} وقله^{٤٢}
وإحداهن^{٤٣} تبرز^{٤٤} في غباء^{٤٥} وأخراهن^{٤٦} في حبر^{٤٧} وحله^{٤٨}
ومنها ما تشبه^{٤٩} بدوراً^{٥٠} فان^{٥١} قطعته^{٥٢} رجعت^{٥٣} أهله^{٥٤}

وقلت : ولون^{٥٥} واحد^{٥٦} يلقى فيأتينا^{٥٧} بالوان^{٥٨}
بسمران^{٥٩} وسودان^{٦٠} ومهران^{٦١} وصفران^{٦٢}
كوشى^{٦٣} في يدى^{٦٤} واش^{٦٥} وشهد^{٦٦} في يدى^{٦٧} جاني^{٦٨}

(١) المساء : اسم لناحية. (٢) أي أخذت كل واحدة بناحية الأخرى.

فمن أدم ومن نُقلٍ وريحانٍ وأشنانٍ
وأنشدنا أبو أحمد في السكرم :

لهنَّ ظلٌّ باردٌ الودائق يحملنَ لذاً طعمه للذائق
كأنها غدائرُ العوائق تُنَاطُ في حُجيرٍ من المعالق
كأنها أناملُ الغرائق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في اللُفَّاح :
انظر الى اللُفَّاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مُفضضاً في مذَّهب
يعلو مفارقة قلانس أخفيت من تحتين دراهم لم تضرب
وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقة القامات ييض نحورها وخضر نواصيها وخضر جُسومها
لها حقب لا تستطيع أطراحها وليس يطيق سلبها من يرومها
وهن رِماح لا تريق دَمَ العدى وليكن يراق في القدود صميمها
يميل على أعرافها عذباتها كحور تناصى هندها ورميمها^(١)
تناهى بها الإدراك حتى كأنها يُعلُّ بماء الزعفران أدِيمها
تري الرياح يُغريها بنجوى خفية إذا ماجرى قصر العشي نسيمها
ومن جيد ما قيل في السدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عَيْننا ناظرَ مَنْظراً أحسن من أفنانِ طلح مروح^(٢)
كأنها والرياح تسمو بها ألوية منشورة للفتوح
وسدرة مدت بأفنانها على سواقِ كتونِ البصفيح
إلا أن قوله « للفتوح » فضل لا يحتاج إليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح
مثلها إذا نشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو .

وإيها أورد في هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأريد أن

(١) رميم : اسم امرأة كهنة . (٢) مروح : أي أصابته الرياح .

أدُلَّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل في النبق قول بعضهم :
 أَنَانِي فُخْيَانِي بِنَبْقٍ كَأَنَّهُ حُسْلِيٌّ عَرُوسٍ زَانٍ لَيْتًا وَأَخْذَعَا
 بِأَحْمَرَ كَالْيَاقُوتِ يَقْطُرُ مَاؤُهُ وَأَصْفَرَ كَالْعَقْيَانِ ضَمَّهْمَا مَعَا
 وقال آخر :

أَقْبَلَ تَحْتَ اللَّيْلِ كَالظَّيْرِ الْغَرَقِ بِالرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ وَالْمَسْكِ عَبِيقِ
 فَجَادَ بِالْوَصْلِ وَحَيًّا بِالنَّبْقِ وَقُلْتُ نَبْقِي هَكَذَا وَتَتَّفَقُ
 مَا خَضَرَ عَوْدًا أَبَدًا لَا تَفْتَرِقُ

وقلت في النبق :

جَلَى الرَّبِيعِ عَلَيْنَا	كَوَاعِبًا . أَبْكَارَا
مُتَوَجَّاتٍ عَقِيقًا	مَسُورَاتٍ . نَهَارَا
تَرَى لَهْنَ مِنْ الْوَرِّ	دِ شَوْذِرًا وَخِمَارَا
أَهْدَى لَنَا جَوْهَرَاتٍ	تَحِيرُ . الْإِبْصَارَا
يَا حَسَنَ حَمْرٍ وَصَفَرٍ	تَرِيكَ جَمْرًا وَثَارَا
قَدْ رَاقَ ذَاكَ أَجْمَرًا	وَرَاعَ ذَاكَ أَصْفَرَارَا
وَخَلْتُ هَذَا عَقِيقًا	وَخَلْتُ ذَاكَ نُضَارَا
وَذَاكَ شَهْدًا مَشَارًا	وَذَاكَ رَاحًا عُقَارَا
لَوْ كَانَ يَبْقَى سَلِيمًا	نَظَمْتُهُ تَقْصَارَا (١)

وقلت في المشمش ولا أعرف فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جَنَيْتَهَا وَالصَّبِيحُ وَرَدَى الْعَذَبُ بِنَادِقًا مَخْرُوطَةً مِنَ الذَّهَبِ
 قَدْ ضَمَّنْتَ أَمْثَالَهَا مِنَ الْخَشَبِ وَالتَّفَّ مِنْهَا خَشَبٌ عَلَى غَرْبِ
 وَصَارَ مِنْهُ السَّمُّ حَشَوًّا لِلضَّرْبِ فَهِيَ لِعَمْرِي عَجَبٌ مِنَ الْعَجَبِ

الغرب الفضة ، والضرب العسل . ولا أعرف في التين أجود من قول القائل :

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بئينِ جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكى الصباحَ بعضُه وبعضُه يحكى الفسق
كسفرٍ مضمومةٍ قد جُمعت بلا حلق
وقال الحلبي في الفستق :

من الفُستقِ الشاميَّ كلُّ مصونةٍ
زبرجدة ملفوفة في حريرةٍ
تصانُ من الاحداثِ في بطنِ تابوت
مضمونةٍ دُرّاً مُفشي ياقوت
وقلت في خيارة :

زبرجدةٍ فيها قراضةٌ فضةٌ
تلم بناطورين في كلِّ حجةٍ
فان رجعت تيراً فقد خسَّ أمرُها
فيكثر فينا خيرُها ثم شرُّها
فعند المصيفِ ليسَ يفقدُ نفعها
وعند الخريفِ ليسَ يؤمنُ ضرُّها

وأما ذمُّ الدساتين فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي :

للهِ ماضٍ عنتُه من الشجر
وَمُعْجَبَاتٍ من بقولٍ وزهر
أطفال غرسٍ تُرتجى وتنتظر
مصفرة قد هرمت لامن كبر
في بقعةٍ لا أُسقيت صوبَ المطر
ضميرها النارُ وان لم تستعر
كلُّ امرئٍ غيري من هذا البشر
بستانه أنثى وبستانى ذكر

ومما يجري مع هذا قول الاعرابي :

مُطِرنا فلما أن روينا تهادرت
ورامت رجالٌ من رجال ظُلامةٍ
شقايق فيها رائبٌ وحليب
وعدَّت دُحُولُ يَئِننا ودُؤوبُ
ونصَّت ركابٌ للصبا فتروخت
بنى عننا لا تُعجلوا نضبَ^(١) الثرى
ألا ربما هاجَ الحبيبَ حبيبُ
قليلاً ويشقى المترفين طيبُ
وحنَّت ركابُ الحى حين ترووب
ولو قد تولى الضبُّ وامترت القرى

وصارَ قَبُوقُ الْخَوْدِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ذُو جِدَتَيْنِ مَشُوبٌ
وصارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خُنْزُوانَةٌ يَنَادِي إِلَى هَادِي الرِّحَا فَيَجِيبُ
أَوَّلُكَ أَيَّامُ تَبَيَّنٍ لِّلْفَتَى أَكَابَ سَلِيبٌ أَوْ أَشْمٌ نَجِيبٌ

(الفصل الثالث من الباب السابع)

في ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيمٌ يُبَشِّرُ الْأَرْضَ بِالْقَطْرِ كَذِيلِ الْغَلَالَةِ الْمَبْلُولِ
وَوُجُوهُ الْبِلَادِ تَنْتَظِرُ الْغَيْثَ أَنْتَظَارَ الْمَحَبِّ رَدَّ الرِّسُولِ

وقال ابن الرومي :

حَبَّتْ عَنَا شَمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا بِجَنَّةٍ فَجَرَتْ رَوْحًا وَرِيحَانَا
هَبَّتْ سُحَيْرٌ أَفْنَا جِي الْفُصْنِ صَاحِبَهُ سِرًّا بِهَا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانَا
وَرَقٌّ تَغْنَى عَلَى خَضِرٍ مُهْدَلَةٍ تَسْمُو بِهَا وَتَشُمُّ الْأَرْضُ أَحْيَانَا
تُخَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانٌ مِنْ طَرَبٍ وَالْفُصْنُ مِنْ هَزِهِ عَطْفِيهِ نَشْوَانَا

وقال ابن المعتز :

يَشْقُ رِياضًا قَدْ تَبَقَّظَ نَوْرُهَا وَبَلَّاهَا دَمْعٌ مِنَ الْمُزْنِ ذَارِفٌ
كَأَنَّ عِبَابَ الْمَسْكِ بَيْنَ بَقَاعِهَا يَفْتَحُهَا أَيْدِي الرِّيحِ الضَّعَائِفِ
وَقُلْتُ : وَالصَّبَا يَجْلِبُ الْغَمَامَ الْبِنَا فَتَرَى الْقَطَرَ لِلرِّيَاضِ نَدِيمَا
وَتَرَى لِلْغُصُونِ فِيهَا نَجِيًّا وَعَلَى زَهْرَةِ الرِّيَاضِ نَمِيمَا

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرْجُ الْخُزَامَى وَلَاهَا بَعْدَ وَصْمِيٍّ وَلِيٍّ (١)

(١) الولي المطري يأتي بعد الأول وهو الوصمي .

هدية شمال هبت بلبيل لأنفان الغصون بها نجى
إذا أنفاسها نسمت سحيراً تنفس كالشجي لها الخلى

وقال ابن المعتز:

وماريج قاع عازب طله الندى وروض من الريحان درت سحائبه
فجاءت سحيراً بين يوم وليلة كما جر في ذيل الغلالة ساحبه
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

ومهمه كرداء الوشى مشبه نفذته والدجى والصبح خيطان
والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشفيق إلى تنبيه وسان
وقلت:

وأقبل نشر الروض في نفس الصبا فبات به ثوب الهواء مكفراً (١)
ومما لم ينجى في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا
المكتفى بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم
عاد فنظر فإذا الريح تحرك الباب حركة كأنها دق بيد، قال فقلت له قد ذكر
الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

طرقني صباً فحركت البيا بهدوءاً فارتعت منه ارتياباً
فكأنني سمعت حساً حبيب نقر الباب نقرة ثم هاباً
قال ما كنت أظن أنه قيل في هذا شيء وما أقل ما يجري مما لم يذكره الناس.
وقال ابن الرومي وأحسن:

لولا فواكه أيلول إذا اجتمعت من كل نوع ورق الجو والماء
إذا لما حفلت نفسي متى اشتملت عليه هائلة الحالين غبراء
يا حبذا ليل أيلول إذا بردت فيه مناجعنا والريح سجواء
وجش القر في الجلد وأتلفت من الضجيعين أحشاء وأحشاء

وأسفر القمر الساري فصَفَحَتْهُ رِيَالُهَا مِنْ صِفَاءِ الْجَوِّ لَا أَلَاءُ
 يَا حَبِذَا نَفْحَةً مِنْ رِيحِهِ سَحَرَاءُ يَأْتِيكَ فِيهَا مِنَ الرِّيحَانِ أَنْبَاءُ
 قُلْ فِيهِ مَا شَدَّتْ مِنْ شَهْرِ تَعَهُدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَدُ اللَّهِ بِيضَاءُ
 وَقُلْتُ : وَلَهُ مَجْنَحُ الْأُصْبُلِ نَسِيمُ لَيْلِنُ الْعُطْفِ هَيْنَ الْخَطَرَانِ
 أَرْجُ يَقْتَدِي بِهِ نَفْسُ الْمَسْكِ وَتَحْكِيهِ ذِكْرُ الزَّعْفَرَانِ
 كَمْ غَدَا مُدْنَفًا وَرَاحَ حَسِيرًا يَتَهَادَى فِي دَجَلَةِ الْمَسْرُوقَانِ
 فَرَأَيْنَا لَهُ لِبُوسَ شَجَاعٍ وَوَجَدْنَا بِهَا ارْتِعَاشَ جَبَانِ
 وَإِلَى هَذَا انْتَهَى بِنَا الْقَوْلُ فِي هَذَا الْبَابِ وَلَوْ أَرَدْنَا اسْتِقْصَاءَهُ أَضْجَرْنَا وَأَمْلَلْنَا وَلَمْ
 نَأْتِ عَلَى مَا فِي نَفْسِنَا مِنْهُ ، وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى الْمَشَاهِيرِ ^(١) وَالْأَعْيَانِ مِنْهُ أَوْلَى وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .
 انْقَضَى الْبَابُ السَّابِعُ مِنْ كِتَابِ دِيْوَانِ الْمُعَانِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَلِمَا ذَكَرَهُ الْذَاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَمَعَ الضَّلَالَةَ وَدَمَغَ الْجَهْلَالَ وَقَذَفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَأَزْهَقَهُ
 وَأَزَالَهُ مِنْهُ حَتَّى أَوْبَقَهُ بِمَا أَقَامَ مِنَ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ وَبَيَّنَ مِنَ الشَّوَاهِدِ اللَّامِحَةِ
 وَجَعَلَ خَلْقَهُ حُدُودًا حَذَرَهُمُ تَعْدِيهَا وَخَوَّفَهُمْ تَخْطِيهَا بِالْقَوْلِ الصَّادِقِ وَالْبَيَانِ الصَّادِعِ
 إِعْذَارًا وَتَحْذِيرًا وَحُجَّةً وَتَنْبِيْهَا فَمَنْ لَمْ يُقْنَعْهُ مَا سَبَقَ مِنْ صَدَقِ قَوْلِهِ وَحُتِمَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ
 حُكْمُ فِيهِ السَّيْفُ وَسُلْطَ عَلَيْهِ السُّوْطُ لِيُرْدَّاهُ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ يَجْعَلَهُ نَبْكَالًا
 لِلْمَخْلُوقِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ . وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأول :

كَأَنَّ الْأَفْقَ مَحْفُوفٌ بِنَارٍ وَتَحْتَ النَّارِ آسَادٌ تَزِيرُ
وقريب منه قولٌ مُحدث^(١) :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْمِصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَرٌّ وَقُوفٌ عَلَى جَرِّ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَجْلَى وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرْيَةِ بِالصَّبْرِ
ومن بليغ ما قيل في شدة الروح قول زيد الخيل :

وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ فَارِسَهَا يَوْمَ الْأَكْسِ بِهِ مِنْ تَجْدَةِ رَوْقِ
وقول المفضل الكندي :

فِدَاءُ خَالَتِي ابْنِي حَيٍّ خُصُوصًا يَوْمَ نَكْسِ الْقَوْمِ رَوْقِ
معناه ان الأكس وهو القصير الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة
الروح حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَأَجَادَهُ
في قوله * فخيّل من شدة التعيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مدح لأن
الكلوح في الحرب لا يدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه
قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم تلج :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لَهْوَلِهِ قَطَعَتْ بِخَيْلٍ حَشَوُ فَرَسَانِهَا الصَّبْرُ

(١) هذا البيت لنهشل بن حري التميمي فهو ليس لمحدث وقد خضر حرب
صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلي - كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طرزُها وأطرافها حمرُ
أجود ما قيل في اصطفاف الخيل قول الأسعر :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى تقول نساؤهم هذا الفتي
يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور اقعى فاصطلى
يتخالسون نفوسهم برماخهم فيمثلهم باهى المباهى واتسمى
ومن أجود ما قيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :
والخيل من خلل الغبارِ خوارجُ كالتمر ينثر من جراب الجرم^(١)
وقال آخر :

وربت غارة أوضعتُ فيها كسح الخزرجى جريم تمر
وقد أحسن الأعرابي في قوله :

نقاذفُ بالغاراتِ عبساً وطيثاً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجُ
بغزو كولغ الذئبِ غادِ ورائح وكسر كصدع السيف لا يتعرج
وقال أبو فراس :

وسمر أعاد يلمع البيض بينهم وبيض أعاد في أكفهم السمرُ
وخيل يلوح الخير بين عيونها ونصل إذا ما شمتته نزل النصر
وقوم متى ما ألقهم روي القنا وأرض متى ما أغزها سبع النسرُ

ومن أبلغ ما قيل في أعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق^(٢) بأيدي لاعبيننا

وقول قيس بن الخطيم * كأن يدي بالسيف مخراق لاعب *

ومن أحسن ما قيل في الضرب قول الحماني :

وإنا لتصبح أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سفوك
منابرهن بطون الكف وأغامدهن رؤوس الملوك

(١) جمع جرم الذي يجنى التمر. (٢) المخراق خرقة يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فانَّ أسيافنا ييضمُّ مهندهُ عتقُ وآثارها في هامكم جددُ
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلأوهامُ بني بكر لها غمدُ
وقال مسلم * ونغمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انَّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بني جبريلا
قومٌ إذا احمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجاجمَ للسيوفِ مقبلا
وقال حسان : ويثربُ تعلمُ أنا بها أسود تنفضُ ألبادها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجاجمَ أغمادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شَقَّ الصفوفَ بسيفه وشفى حزازاتِ الأَحَنِّ
دامي الجراح كأنه وردٌ تفتح في فننِّ

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم :

فلولا الله والمهرُ المفدَّى لرحت وأنتِ غربالُ الأهاب

وقال قيس بن الخطيم في سبعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةً ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءها
ملكْتُ بها كفى فأنهتُ فتقها يَرى قائمٌ من دونها ماوراءها

ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أَسْبَادَ سيفٍ قديمٍ أثره بادي
تظلُّ تحفِرُ عنه أن ضربت به بُعدَ الذراعينِ والساقينِ والهادي

وهذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان في هذا الحد وعند آخرين ممدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضرُّوبَ وتجاوزته حتى غاص في الأرض فاحتجت أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

يطيرُ فُضاضاً بينهم كلُّ قَوْنَسٍ ^(١) ويتبعها منهم فراشُ الحوارج
تَقْدُ السَّلَوقُ المِضَاعَفَ نَسْجَهُ وتوقد بالصَّفَّاحِ نارَ الجِباحِ ^(٢)
يقول أنها تقدُّ الدرعَ التي ضُوعِفَ نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقدهح
النار بالصَّفَّاحِ وهي حجارة . ومن بليغ ما قيل في صفة السيف قول ابن
يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الأياسي القاضي عن الهيثم بن
عدي قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذي يُسمى الصمصامة إلى الهادي
وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي فاشتراه موسى
الهادي منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بني العباس خلقاً وأكثرهم عطاءً
للمال قال فجرّده ووضع بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودحا بمكثل فيه دنانير
فقال قولوا في هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حازَ صمصامةَ الزُّيْدِيُّ من يمينِ جميعِ الأتامِ موسى الأُمِينُ
سيفُ عمرو وكانَ فيما سمعنا خيراً ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقهُ الصواعقُ ناراً ثم شابت به الرُّطافُ القيون
فاذا ماهزته ^(٣) بهرَ الشمسَ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصارُ كالقُبسِ المشعلِ ما تستقرُّ فيه العيون
وكانَ الفرندَ والجوهرَ الجا رى في صفحتيه ماءً معينُ
نعمَ مخراقُ ذي الحفيظة في الهيبة بمضاتها ونعمَ القرينُ
مايسالى إذا انتضاهُ لضربِ أشمالٍ سطت به أم يمِين
وكانَ المنونَ نيطت اليه فهو من كلِّ جانبيه منون
أخذَ عليه من هذه الآيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لانه قد حطه
درجات ، فقال موسى أصبت ما في نفسي واستخفه الفرح فأمر له بالملكثل والسيف

(١) فُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السالوق : درع منسوب

لبليدة سالوق ، والجباح ما اقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سلته » .

فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمتم لأجلى فدونكم المكنل ولى فى هذا
السيف غنى ، قال ققام موسى فاشتري السيف منه بمال جزيل .

وذكر الهيثم بن عدى هبة عمر بن معدى كرب^(١) الصمصامة لسعيد بن العاص
فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هبلى الصمصامة
فانك قد ضعفت عن حملك وكن وزنه ستة أرتال فقال عمرو ما ضعفت قناتى
ولا جناتى ولا لسانى وان اختل جثمانى وهو لك على انه أوحش من لا يؤنسه
وأظلم من لا يقبسه^(٢) ثم قال :

خليل لم أهبه من قلاه ولكن المواهب فى الكرام

خليل لم أخنه ولم يخنى على الصمصام أضعاف السلام

قوله « أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه » بقول اذا كنت أستوحش
من جانب العدو آنستى واذا أظلم لى الليل اضاء لى . وقال البحتري :

مصنع الى حكم الردى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

متوقد يبرى بأول ضربة ما أدركت ولو أنها فى يذبل

فاذا أصاب فكل شىء مقل واذا أصيب فماله من مقل

يغشى الوغى فالترس ليس بجنة من حده والدرع ليس بمعقل

وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال حدثنى رجل
من ولد أبى سرحة الغفارى قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فسأله عن معد بن أبى وقاص فقال عمرو اعرابى فى نمرته عاتق فى
حجلته أسد فى تامورته نبطى فى جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال
بصير قال فأخبرنى عن النبل قال منايا تخطىء وتصيب قال فأخبرنى عن الرمح

(١) كذا ، ولعل صواب رسمها « معديكرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه

هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما فى هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجنُّ وعليه تدور الدوائر
قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الشكلى قال بل أمك والحمى أضرعتني
لك . النمرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والعائق الجارية الكعاب وصفه بالحياء
والتأمورة ههنا الاجة ، فقال نبطى في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ،
وقوله الحمى أضرعتني لك أى الاسلام قيدنى لك وأذلى ولو كنت في الجاهلية
ما كلمتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب تضربه عند الشيء يضطرها الى الخضوع .
ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
قال قال الاغرُّ النهشلى ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يا بُنَىَّ كن
يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلُّ الموت واتق الرمح فانه رشاً
المنية ولا تقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصى وتطيع قال فبم أقاتل ؟ قال بما قال الشاعر :
جلاميدُ املاء الاكفُ كأنها رؤوسُ رجالٍ حلقت في المواسم
فعليك بها فالصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في نصفة الحزب حيث يقول :

في موقف وقف الحمام ولم يزغ عن ساحته وزاغت الابصارُ
فَقَنَّا يسيل من الدماء على قنا بطوالهنَّ تُقَصِّرُ الاعمارُ
ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبي فكأنها تحت الغبار غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ اذا غضبوا على أعدائهم جَرُّوا الحديدَ أزجةً ودُروا
وكانَ أيديهم تُنْفَرُ عنهم طيراً على الأبدانِ كُنَّ وقوا
وقال أيضاً :

بطعنٍ تضيعُ الكفُّ في لهواته وضربٍ كماشقُ الرداءِ المرعبَل
وقال أيضاً :

قَرَيْنَا بعضهم طعنًا وجيعًا وضرباً مثلَ أفواهِ اللقاح

وقال البحترى وأحسن في ذلك :

ألوى إذا طمن المدجج صكه ليديه أونسثر القناة كعوبا
فأنا النذير لمن تظرس أوطفى من مارن يدع النحور جيوبا
وقد ظرف في قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤ بفراهِه لكان لصدر الرمح في لؤلؤ ثقب
ومن المختار قول مالك بن نويرة :

بسمر كأشطان^(١) الجزور نواهل يجور بها ذو المنايا ويهتدى
يقمن معاً فيهم بأيدي كاتنا كأن المنايا للرماح بموعدا

ومن أبلغ ما قيل في صفة الضرب والطعن من قديم الشعر قول عبد مناف بن ربيع :
فالطمن شمسمة والضرب هيقعة ضرب المصول تحت الديعة المضدا
وللقسي أزاميل وغنمة حس الجنوب تسوي الماء والبردا
الهيقة : وقع الشيء الصلب على مثله سمعت هيقعة الحجر والحديد ، وشبهه
أصوات القسي بصوت السحاب الذي فيه برد ، والمعول الذي يتخذ العالة وهو
أن يعمد الراعي إذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل غضده على شجرتين
متقاربتين ويستكن تحته ، والعضد ما يعضد من الشجر أي يقطع والعضد المصدر .

ومن أجود ما قيل في نفوذ التدبير في الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في صاعد :
يظل من الحرب العوان بمزل وآثاره فيها وان غاب شهيد
كما احتجب المقدار والحكم حكمه على الناس طراً ليس عنه معرود^(٢)
أخذه من قول بشار بن برد :

الدهر طلاع بأحداثه ورسله فيها المقادير
محجوبة تنفذ أحكامها ليس لنا عن ذلك تأخير
وقال : حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت قواه وأودى زاده المتزود

وكانت نواحيه كشافاً فلم تزل
تُفرقُ عنه بالمكايد جُنْدَه
تجنيهاً حتى كأنك مبرد
وتزدارهم جنداً وجيشك محصد^(١)
سكنت سكوناً كان رهنًا بوثة
عماس كذاك الليث للوثب يلبد
فما رمته حتى استقل برأسه
مكان قناة الظهر أسمر أجرد
منك له مقدارهُ فكأثما
تقوض شهانٌ عليه وصندد

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعل إلا درهم
وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلمع وهو الكثير
القلع للأشياء، وكان بنى قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكابر على
فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح، وكابر
أيضاً على فتح الراء من «درم» في قصيدته التي أولها :

* أفيضا دماً أن الرزايا لها قيم * وإنما هو «درم» .

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام :

هزرت له سيفاً من الكيد إنما تجذب به الاعناق مالم يجرد
يسرُّ الذي يسطو به وهو مغمد ويفضح من يسطو به غير مغمد

يقول أن أخفيت الكيد ظفرت وسررت وأن أظهرته اقتضحت وخبث .

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول :

أنهت أرواحه الأرواح إذ شرعت فما تُردُّ لربِّ الموت عنه يدُ
كأنها وهي في الأرواح والغة وفي الكلى تجدُّ الغيظ الذي يجدُّ
من كل أزرق نظار بلا نظير إلى المقاتل مافي منه أودُ
كأنه كان خدن الحبُّ منذ زمن فليس يُعجزه قلب ولا كبَد

ويُشَبَّه بياض السيف بالملح فمن أجود ما قيل فيه قول النمرى :

ذكر يروقه الدماء كأنها يعلو الرجال بأرجوان فاقع

وثرى مضارب شفرته كأنها ملح تنثر من وراء الدارع
ويشبه الفرند بمدب الدر فمن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :
مُتَوَّسِدًا عَضْبًا مَضَارِبُهُ فِي مَتْنِهِ كَمَدْبَةِ النَّمْلِ

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قدّه ابن مجدّع له رونق ذريه يتأكل
وأشبرنيه الهالكى كأنه غدیر جرى في متنه الريح سلسل
وأخرج منه القين أثرًا كأنه مدب دبا سود سرى وهو مسهل

وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرد من اغماده كل مرهف وإذا ما انتضته الكف كاد يسيل
تري فوق متنيه الفرند كأنما تنفس فيه القين وهو صقيل

وقال اسحق بن خلف :

ألقى بجانب خصره أمضى من الأجل الملاح
وكأنما ذر الهبا ما عليه أنفاس الرياح

وقال قيس بن الخطيم :

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لا عب
بسيف كأن الماء في صفحاته طحارير غيم أوقرون جنادب

أخذه ابن المعتز فقال :

ولى صارم فيه المنايا كوامن فبا ينتفى إلا لسفك دماء
تري فوق متنيه الفرند كأنه بقيه غيم رق دون السماء

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خير ما استعصمت به الكف غضب ذكروا متنه أنيث ألمهز
ماتاً ملته بينك إلا أبرقت صفحاته من غير هز
مثله أفزع الشجاع الى الدر ع فقالي به على كل بز

(٨ - ثاني المعاني)

ما أبالي أصبغت شفرتاهُ في محزٍّ أوجازتا عن محزٍّ
وقال آخر : جرّدوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغماد
وكان الآجال ممن أرادوا وظباها كانت على ميعاد
وقلت : تميل كفى من سيفٍ الى قلمٍ والعز نصفان بين السيف والقلم
وقال ابن المعتز :

وسيوف كأنها حين سلت ورق هزّه سقوط قطار
ودروع كأنها شمت جمد دهن يضل فيه المداوي
وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في صفة الرماح :
وبكل عراض المهزّة مارٍ فيه سنان مثل ضوء الفرق
أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزد :

أصم إذا ما هزّ مالت سراته كما مال ثعبان الرمال الموائل
له رائد ماضى الغرار كأنه هلال بدا في ظلمة الليل ناحل
وقال الأصمعي أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد :
وأسمر مربع يرى مأريته بصير إذا صوبته للمقاتل
وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين :

بكل ردّ بني كأن كعوبه قطانسق يستورد الماء صائف
كان هلالاً لاح فوق سراته جلال الغيم عنه والقمام الحراجف^(١)
وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :
نظرت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياح في النسيج الممدد
الصيصية الشوك الذي يسوى به الحائك الثوب ، والصيصية أيضاً الحصن
ويقال للناشر من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحري في قوله :
في معرك ضنك تخال به القنا بين الضلوع إذا انحنى ضلوعا

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة :

وأجود ما قيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :
 وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسى غصن من البان نابت
 بطول لسانى في المشيرة مصلحاً على أنه يوم الكريهة ساكت
 والسكوت في الحرب دليل على سكوت الجأش ، وكثرة الصوت فيها أماره
 الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والابعاد من فشل * وقلت في الرمح :
 يغدو بصدق الكعوب لذن يهتز ما بين كوكبين
 أغنى الزج والسنان . وقال البحتري :

كأنما الحربة في كفه نجم دجى شيعه البدر
 وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك
 لشهرته واستفاضته . أجود ما قيل في القوس من قديم الشعر قول أوس بن
 حجر^(١) وهو أوصف العرب للسلح :

فجردها صفراء لا الطول طابها ولا قصر أزرى بها فتعطلا
 كتوم طلاع الكف لا دون ملها ولا عجسها عن موضع الكف أفضل
 وحشو جفير^(٢) من فروع غرائب تنطع فيها صانع وتأمل
 تخير أنصاء وركن أنصلاً كجمر الغضا في يوم ريح تزيلا
 وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجفائز
 وقال آخر : وهي إذا أنبضت عنها تسجع ترنم الثكلى أبت لا تهجم
 وقال آخر : تسمع عند النزع والتوتير في سبتها رنة الطنبور
 وقال الأصمعي : أحسن كلام في الإيجاز قول عكلى في صفة قوس :

* في كفه معطية منوع * ومن أحسن ما قاله محدث في القوس قول ابن المعتز بالله :

(١) هو الشاعر التميمي المشهور ، عمر طويلاً ولم يدرك الإسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام ، والجفير الكنانة ،

أُتِيحَ لَهَا هَفَانٌ يُخْطَمُ قَوْسُهُ ^(١) بِأَصْفَرِ حَنَانِ الْقَرْيِ ^(٢) غَيْرَ أَعْزَلَا
فَأَوْدَعَهُ سَهْمًا كَمِْدَرِي مَوَاشِطٍ بَعَثَنَ بِهِ فِي مَفْرِقٍ فَتَغْلَغَلَا
بَطِيئًا إِذَا أَسْرَعْتَ إِطْلَاقَ فَوْقِهِ وَلَكِنْ إِذَا أَبْطَأْتَ فِي النَّزْعِ عَجَلَا
وَأَجُودَ مَا شَبَّهَ بِهِ أَفْوَاقُ السَّهَامِ قَوْلَ الْآخِرِ :

أَفْوَاقُهَا حَشَوُ الْجَفِيرِ كَأَنَّهَا أَفْوَاهُ أَفْرِخَةٍ مِنَ النَّغْرَانِ
وَالنَّغْرَانُ جَمْعُ نَغْرَةٍ وَهِيَ عَصْفُورَةٌ : وَقَالَ الْفَنْدُ الزَّمَانِي ^(٣) :
* وَنَبْلِي وَقَفَاهَا كَعَرَاقِيبٍ قَطَاً طَحَل * أَخَذَهُ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءٍ فَقَالَ ^(٤) :
وَحَطَّ عَنْ مَنْكَبِهِ شَرِيَانَةً مِمَّا ابْصَطَنِي بَارِي الْقَسِيِّ وَانْتَقَى
أُمَّ بَنَاتٍ عَدَّهَا صَانِعُهَا سَتَيْنَ فِي كَنَانَةٍ مِمَّا بَرَى
ذَاتَ رُؤُوسٍ كَالْمَصَابِيحِ لَهَا أَسَافِلُ مِثْلَ عَرَاقِيبِ الْقَطَا
إِنْ حُرِّكَتْ حَفَّتْ إِلَى أَوْلَادِهَا كَحَنَةِ الْوَالِهِ مِنْ فَقْدِ الْطَلَا ^(٥)
حَتَّى إِذَا مَا قُرْنَتْ يَبْعُضُهَا لَانَتْ وَمَالَ طَرْفَاها وَانْثَنَى
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي قَوْسٍ بَنْدَقٍ ^(٦) :

كَأَنَّ قَرَاها وَالْعُرُورَ ^(٧) الَّتِي بِهَا وَإِنْ لَمْ تَجِدْهَا الْمَيْنُ إِلَّا تَتَبَّعُهَا
مَذَرُهُ سَحِيقَ الْمَسْكِ فَوْقَ صَلَابَةٍ أَدَبٌ عَلَيْهَا دَارِجُ الذَّرُّ أَوْ كَرُّهَا
لَهَا أَوَّلُ طَوْعِ الْيَدَيْنِ وَآخِرُهُ إِذَا مُسِمَّتُهُ الْإِغْرَاقَ فِيهِ تَمْنَعُهَا
تَطْوَعُ لِرَامِيهَا الرَّمَايَا كَأَنَّمَا دَطَاها لَهُ دَاعِي الْمَنَايَا فَأَسْمَعُهَا
يُقَلِّبُ نَحْوَ الْجَوْ عَيْنًا بِصِيرَةٍ كَعَيْنِكَ بَلْ أَذْكَاءَ وَأَسْرَعُهَا

(١) جعل الافر بمنزلة الخطام . (٢) القرى: الظهر . (٣) الفند الزمانى :

اسمه شهل بن شيبان ، وهو الشاعر الجاهلى ، كان سيد بكر وقائدها فى زمانه .

(٤) من امراء العرب الابطال . (٥) هو الصغير من اولاد الحيوان .

(٦) كرة صغيرة يقذفون بها . (٧) العرور : الفضون

لها عولة أولى بها من تصيبه وأجدر بالأعوال من كان موجعا

وهذا مثل قوله في امرأة :

تشكى المحب وتلفى الدهر شاكية كالقوس تصبى الرمايا وهي مرنان

وقال المتنبي في سداد الرمي :

يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض فلولاً الكسرُ لا تصلّت قضيباً

وقال الراجز في ضد ذلك :

مستهتر بالرمي واه عضده بطيعة القلب وتعصيه يده

أحصن شيء يوم يرمي طرده كأنه فؤاده أو كبده

وقال ابن الرومي في سهام :

وكل ابن ريح يسبق الطرف معجبه مروق ومنزوع لدى حومة الجذب

صنيع مريش قوم القين متنه فجاء كما سل النخاع من الصلب

يغلغه في الدرع نصل كأنه لسان مشجاع مخرج هم بالسلب

وقال ابن المعتز في قوس البندق :

وماء به الطير مربوطة تحاكي الحلي بأطواقها

غدونا عليه وشمس النهار لم تكسه ثوب إشراقها

فظلنا وظلت عيون القسي ترمى الطيور بأحداقها

وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :

تري غابة الخطى فوق رؤوسهم كما أشرفت فوق الصوار (١) قرونها

ومما يجري مع ذلك قول أبي فراس بن حمدان :

وما الذنب إلا العريكة الفتى وما ذنبه أن جاوزته المطالب

ومن كان غير السيف كافل رزقه فلذل منه لا محالة جانب

وما جاء عن أهل الجاهلية في النشاب شيء إلا قول سيف بن

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذی یزن یذکر القوس :

هَزُّوا بناتِ الرياحِ نحوهمْ أعوجُّها طامحٌ وزمزمها
كانها بالفضاءِ أرشيّةٌ يخفُّ منقوضها ومبرمها
فأما النبيلُ فقد جاء فيها عنهم شيءٌ كثيرٌ.

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :
وبيض من النسج القديم كأنها نهاء^(١) بقاع ماؤها مترابع^(٢)
تصفقها هوجُ الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطارُ فالسقاء راجع
وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

تَفِيضٌ على المرءِ أردانها كَفِيضُ الأتقى^(٣) على الجسدِ جدٍ
وقال البحتري :

يمشون في زرد كأنَّ مُتونها في كل معركةٍ مُتونَ نهاءٍ
بيضٌ تسيل على الحكمة فضولها سيلَ السرابِ بقفرةٍ يبداء
وإذا الأسنةُ خالطتها خلتها فيها خيال كواكبٍ في ماءٍ
ومعنى البيت الأخير دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق إليه .

ومن مليح ما جاء في صفة الدرع قول بعض بني هاشم :

وعلى سابغة الذبولِ كأنها سلخٌ كسانيه الشجاعُ الأرقم

ومن مليح ما جاء في صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن
أبي جعفر عن المدائني قال قال رجل من بني تميم لعبادي : لم يكن لآل نصر بن
ربيعة صولة في الحرب قال لقد قلت بطلاً ونطقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا
عقل الحرب رأيت فرساناً تمرور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد في فيلق
حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذاهاجت لم تتناه دون بلوغ ارادتها ومنتهى غايات
طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمعٌ جامع وقد وثقت بالظفر لعز أنفسها

(١) جمع نهى وهو التقدير (٢) أي متردد. (٣) أي الجدول .

وأيقنت بالغلبة اضراوة عادتها فإها العلو^١ والتمكين^٢ ولمن ناوأها الذل^٣ والتوهين^٤
 خصت بذاك على العرب أجمعين . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم
 عن المقدى عن أبي جعفر قال أنشد جرير^٥ هشام بن عبد الملك :

لقوى أحمي للحقيقة منكم^٦ وأضرب^٧ للجبار والنقع^٨ ساطع
 وأوثق^٩ عند المردفات^{١٠} عشية^{١١} لحاقاً إذا ماجرد^{١٢} السيف لامع^{١٣}
 فقال هشام لم تركت نساءك حتى أردفن^{١٤} ألا جعلتهن كنسوة الخبيل فما
 سمعنا بعرييات قط أمنع^{١٥} منهن حيث يقول :

وساقطة كور الخمار حية^{١٦} على ظهر عرعى زال عنها جلالها^{١٧}
 تشد^{١٨} يديها بالسنام وقد رأت^{١٩} مسومة^{٢٠} يأوى إليها رجالها^{٢١}
 نزلنا فساقينا الكماة^{٢٢} دماءها^{٢٣} سجال المنايا حيث تسقى سجالها^{٢٤}
 وأجود ما قيل في ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عباد :

قرباً مربوط^{٢٥} النعام^{٢٦} مبنى^{٢٧} لقحت^{٢٨} حرب^{٢٩} وائل عن حيال^{٣٠}
 قرباها^{٣١} فأن^{٣٢} كفى^{٣٣} رهن^{٣٤} ان تزول^{٣٥} الجبال^{٣٦} قبل الرجال^{٣٧}

وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال (ان الله يحب^{٣٨} الذين يقَاتِلُونَ في
 سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ^{٣٩}) ولم يصف أحد^{٤٠} من المتقدمين والمتأخرين
 القتال في المراكب إلا البحتري : أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سمعت^{٤١}
 عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبُحْترى إلا قصيدته السينية في وصف ايوان
 كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة * ميلوا الى الدار من ليلي نحيها^{٤٢}
 واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان
 مثلها ، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها مالم يصفه أحد^{٤٣} قبله أولها
 * ألم تر تغايس الزميع المبكر * ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر
 الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً
 ما ينشد له ويعجب من جودته :

غدوتُ على المأمونُ صَبَحًا وَإِنَّمَا
 إِذَا زَجَرَ النُّوقَى فَوْقَ عَلاَتِهِ
 يَغْضُونَ دُونََ الْإِسْتِنَامِ عِيُونَهُمْ
 إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ
 إِذَا مَا انْكَفَا فِي هَبْوَةِ الْمَاءِ خَلَّتْهُ
 وَحَوْلَكَ رَكَّابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقَرُوا
 تَمِيلُ الْمَنَازِلُ حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ
 إِذَا رَشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رَشَقُهُمْ
 صَدَمَتْ بِهِمْ صُحُوبُ الْعِثَانِينَ دُونَهُمْ
 كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ
 تَقَارِبُ مِنْ زَحْفِهِمْ فَكَأَنَّمَا
 فَمَا رَحَتْ حَتَّى أَجَلَّتْ الْحَرْبُ عَنْ طُلَى
 عَلَى حَيْنٍ لَا نَقْعٌ يَطْوِيهِ الصَّبَا
 وَكُنْتُ ابْنَ كِبَرِي قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ
 جَدَحْتُ لَهُ الْمَوْتَ الزَّعَافَ فَعَافَهُ
 مَضَى وَهُوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا

وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي السَّهْمِ مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلُ عَنَتْرَةَ :
 أَيْدِنَا فَمَا نُعْطِي السَّوَامِينَ عَدُونَا قِيَامًا بِأَعْضَادِ السَّرَاءِ ^(١) الْمَعْطُوفِ
 بِكُلِّ هَتُوفٍ عَجَسَهَا رَضْوِيَّةٌ ^(٢) وَسَهْمٍ كَسِيرٍ الْحَمِيرِيِّ الْمَوْقِفِ
 وَقَالَ رَاشِدُ بْنُ سَهَابٍ ^(٣) الْيَشْكُرِي :

وَنَبْلٍ قِرَانٍ كَالْتَسُورِ سَلَا جِمٍّ وَفِلَقٍ هَتُوفٍ لَاسِقِيٍّ وَلَا نَشَمٍ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .

(٣) سَهَابٌ ككِتَابٍ بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ - عَلَى مَا فِي الْقَامُوسِ .

وَمُطَرِدِ الْكُعبِينَ أَحمر طاقِدِ وذات قَتِيرٍ في مواصلها دَرَمِ
وصف النبل والقوس والرمح والدرع في يَتِينِ فأحسن ، والادرم الأملس الذي
لاحجم له ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذي يشرب الماء ، والنشم شجرٌ .
ومن أجود ما قيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل ^(١) :
إذا ماعلونا ظهرَ نَشْرَ كَأَنَّمَا على الهام منا قَيْضُ بَيْضٍ مَفْلَقِ
وقول الآخر * كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ باضٍ عليهم * ورواه بعضهم :
كَأَنَّ نَعَاجَ الْجَوِّ باضٍ عليهم * فقليل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النعاج
لا تكون في الجو والآخر أنها لا تبيض . ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز :
وبَيْضٍ كَأَنصَافِ الْبَدْوِ أَيْبَى إذا امتحنتهنَّ السِّيفُ خِيَارُ
فتشبيها بأنصاف البدور تشبيه غريب مصيب .

أجود ما قيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحتري :
حَرُّ السِّيفِ كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ لَهُمْ أَيْدِي الْقِيُونِ صَفَائِحًا مِنْ عَسْجَدِ
فِي فَتْيَةٍ طَلَبُوا غُبَارَكَ أَنَّهُ رَهْجٌ تَرْفَعُ عَنْ طَرِيقِ السَّوْدِ
كالرمح فيه بضم عشرة فقرة مُنْقَادَةٌ خَلْفَ السِّنَانِ الْأَصِيدِ
وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

إذا شَدُّوا عِمَامَتَهُمُ ثَنُوهَا على كَرِيمٍ وإن سَفَرُوا أَنَارُوا
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سَوَاهِمُ ولكن في الطعانِ لَهُمُ التَّجَارُ
ومن أجود ما قيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

خَلِيقَتِ أَنْامِلُهُ لِقَائِمِ مُرْهَفٍ وَلِبَثٌ عَارِفَةٍ وَذِرْوَةِ مَنَسِيرِ
يَلْقَى الرِّمَاحَ بِوَجْهِهِ وَبَصْدَرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفِرِ
ويقول للطَّيِّفِ اصْطَبِرْ لَشَبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تَعْقِرِ
وإذا تأملَ شَخْصَ ضَيْفٍ مَقْبِلِ مُتَسَرِّبِ سَرِبَالٍ لَيْلِ أَغْبِرِ

(١) هو الشاعر الجاهلي التميمي الحجازي، يُعَدُّ في طبقة المتلمس .

أوما الى الكوماء هذا طارق^١ نحرنتى الاعداء إن لم تنحصر^(١)
ومن أبلغ ما حذر به الحرب قول بعض المعجم : دافع بالحرب ما أمكن فان
النفقة في كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح.
وقال النابغة الجعدي :

وتستلب^٢ المال الذي كان ربه^(٢) ضينابه^(٢) والحرب فيها الخرائب^٢
فتبعه أبو تمام فقال : والحرب مشتقة من الحرب : وقول جدل الطعان :
دعاني أشب^٢ الحرب بيني وبينه^٢ فقلت له لا بل هلم الى السلم
وياك والحرب التي لأديهما^٢ صحيح^٢ وماتنك تأتي على الرغم
فان يظفر الحزب^٢ الذي أنت منهم^٢ وينقلبوا ملء^٢ الأ^٢ كف^٢ من الغم
فلا بد^٢ من قتلى لعلك فيهم^٢ وإلا فجرح^٢ لا يكون على العظم
فلما أبي خللت^٢ فضل^٢ ردائه^٢ عليه فلم يرجع بحزم ولا عزم
وكان صريع الخيل أول^٢ وهلة^٢ فبعداً له مختار^٢ جهل^٢ على علم
ومن أجود ما قيل في تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أجد في خبر أخبرناه
عن الصولي عن عبيد الله السكوني قال دخل^٢ محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن
علي^٢ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلم فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :
يا أيها الرجل الذي يمينه^٢ غيث الزمان وصوله^٢ الحدان
أنعم صباحاً بالسيوف وبالقنا^٢ ان^٢ السيوف تحية^٢ الفتيان
قد أبطرتك سلامة^٢ فنسيت^٢ ما أسلفت^٢ من بر^٢ ومن إحسان
والدهر خدن^٢ مسرة^٢ ومضرة^٢ متقلب^٢ بالناس ذو ألوان
يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون
ذلك سبباً للحرب فيحى بالسيوف فلا يفرغ فانها تحية^٢ الفتيان .
وقال علي بن جبلة :

(١) تقدم بعض هذه الأبيات في الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كَأَنَّ أَرْمَاحَهُ تُعْطَى إِذَا عَمِلَتْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا
وَمَنْ أَحْسَنَ مَاقِيلَ فِي تَقْسِيمِ الْخَلِيلِ فِي الْحَرْبِ قَوْلَ النَّابِغَةِ : أَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدُ
قَالَ أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ أَنْشَدَنَا الْمُبَرِّدُ قَوْلَ النَّابِغَةِ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَحْسَنَ مَاقِيلَ فِي
تَقْسِيمِ الْخَلِيلِ فِي الْحَرْبِ :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلِكُ اللَّجْمَا
قَالَ ثَعْلَبٌ قُلْتُ لَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ الصَّائِمَةُ الَّتِي لَا تَصْهَلُ وَغَيْرُ الصَّائِمَةِ الَّتِي
تَصْهَلُ فَمَا هَذِهِ الْأُخْرَى ؟ قَالَ الَّتِي تَعْلِكُ اللَّجْمَ فِي السَّكِينِ .

أَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ الْبُشَيْرِيُّ يَصِفُ تَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ :
عَوْدَتُهُ فِيمَا يَزُورُ حَبَائِثِي إِمَهَالُهُ وَكَذَاكَ كُلُّ مُخَاطَرِ
فَإِذَا احْتَبَيْ قُرْبُوسَهُ بَعْنَانَهُ عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى أَنْصَرَفِ الزَّائِرِ
وَمَنْ أَجُودَ مَاقِيلَ فِي ارْتِفَاعِ الْفُجَارِ وَلِمَعَانِ الْأُسْنَةِ فِيهِ مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلَ النَّابِغَةِ :
تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ نُورًا بَنُورٍ وَإِظْلَامًا بِإِظْلَامِ
قَالُوا أَرَادَ قَوْلَ النَّاسِ : لَا رَيْنَكَ السَّكَاكِبُ نَهَارًا ، وَقَالُوا أَرَادَ تَوْضِيحَ الْأُسْنَةِ
فِي سَوَادِ الْعِجَاجِ . وَمَنْ أَحْسَنَ مَاقِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ بَشَارِ :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقَمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
وَقَالَ النَّزْرِيُّ : لَيْلٌ مِنَ النَّقَمِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ
وَقَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

وَعَمَّ السَّمَاءَ النَّقَمُ حَتَّى كَأَنَّهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارٌ
وَأَبْلَغَ مَاقِيلَ فِي الْأَقْدَامِ وَالْإِقْتِدَارِ عَلَى الْعَدُوِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
عَشِيَّةً كُنَّا بِالْخِيَارِ عَلَيْهِمْ أَنْ نَقْصُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ أَمْ نَزِيدُهَا

وَمَنْ بَدِيعُ الْمَعَانِي فِي صِفَةِ الْإِقْدَامِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ :
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ الْقَرَى ^(١) أَعُوجِيَّةٌ إِذَا طَرَدَتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا طَرِيدُهَا

وما قاد من قوم الينا جيادهم . فنلقاهم إلا رجعنا نقودها
وقلت في معناه :

الى ابن الأولي شادوا المعالي بالظبي وعثموا البرايا باللهي والרגائب
إذا طلبوا روح الحياة وطيبها فبين سواقٍ للردى وحواصب
إذ البيض في سود القساطل أنجم غوارب تهوى في الطلى والغوارب
وتحملهم يوم الكريهة ضمير تشول إلى الهيحاء شول العقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحلة أثارت بنات الحنف من كل جانب
ترد الجياد تحت قسطة الوغى جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقول كأث بحده ضرائب من تصيمه في الضرائب
ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق (١) :

بجأواء ينفي وردّها سرعانها كأن وميض البرق فيها كواكب
الجأواء : الكتيبة يضرب لونها إلى الكلفة وذلك من صداد الحديد ، والسرعان :
الأوائل ، يقول ان المياه لا تسعهم والأمكنة تضيق بهم فكلما نزل فرقة منهم رحل
من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

تري الأرض منا بالفضاء مريضة معضلة منا بجمع عرمرم
التعضيل ان ينشب الولد في بطن أمه . ومثله قول النابغة :
جمع يظل به الفضاء معضلاً (٢) يدع الأكام كأنهن صحرارى
وأعجب من هذا قول زيد الخيل (٣) :

(١) لعله الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس
وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضلاً ضاق ، والأرض بأهلها غصت .
(٣) لقب يزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهمل أحد أبطال الجاهلية
كان إذا ركب الفرس خطب له في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ،
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طي ، وأسلم وُسراً به الرسول صلى الله عليه وسلم

بجيش تفضل البلق في حجراته . ترى الأكم فيه سُجداً للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر
أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروي عن حماد الراوية قال
قالت ليلي بنت عروة بن زيد الخيل لا يها كم كانت خيل أهلك حيث يقول
* بجيش تفضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خشم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته تربيته :
لعمري وما عمري على بهين لنعم الفتى غادرت آل خشما
وكان إذا ما أورد الخيل ييشة^(١) إلى جنب اشراج أناخ فألجا
فأرساها رهوا كأن رعاها جراد زهته ربح نجد فأتها
فقليل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تفضل
البلق في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها
في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ،
ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لثلاثهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن
النبي ﷺ لما انصرف من بذر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً
وفيههم فرسان فرس الزبير وفرس للمقداد^(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرسّ التزوع^(٣) لياليا بأد عن جرار عريض المبارك
ترى العرفج الحولى^(٤) تزدى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك
إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتعارك
نسير فلا تنجو اليعافير وسطنا وان دألت منا بشد مواشك

(١) ييشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان « التزيع » وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العامي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فلبجات الشام قد حال دونها ضراب^١ كأفواه المطى^٢ الأوارك
 بأيدي رجال هاجروا نحورهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
 إذا أقبل الغضروط من أرض حالج فقولا له ليس الطريق هنالك
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا في ترهيب
 العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابي في المعنى الذي تقدم :

وأقبل طامر^٣ من لبن سيراً إلينا ثم أقسم لا يديم
 بجمع تملك^٤ البلقاء فيه فتشدد^٥ والمفضضة^٦ اللطيم^٧
 ومن بليغ مقاله محدث في كثرة الجيش وتكاثره واجتماعه قول أبي نواس :
 امام خميس^٨ أدجوان^٩ كأنه قميص^{١٠} محوك^{١١} من قنا وجياد^{١٢}
 الأدجوان : الأسود واشتقاقه من الدجي ، وروى الارجوان وهو الأحمر
 وقال البحتري :

لما أتاك يقود^{١٣} جيشاً أرعناً يمشى^{١٤} عليه كثافة^{١٥} وجوعا
 وقال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء^{١٦} سحابة^{١٧} لظل عليهم حصبها يتدحرج^{١٨}
 وهو من قول قيس بن الخطيم :
 لو انك تلقى حنظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامة^{١٩} المستقارب
 السام^{٢٠} : عرق الذهب والفضة وهو هنا الطرائق المذهبة في البيض . وقلت :
 ولقد نقود^{٢١} الخيل تخطر^{٢٢} بالقنا فتصبن^{٢٣} على العدى آجالا
 ما إن يلين لها مدى فتخالها تجري بطائ^{٢٤} إذ جرين^{٢٥} عجالا
 وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة :
 أويجزروا مكفهراً لا كفاء^{٢٦} له كالليل يخلط^{٢٧} أصراماً^{٢٨} باصرام
 تبدو كواكب^{٢٩} والشمس طالعة^{٣٠} نوراً^{٣١} بنور^{٣٢} وإظلاماً^{٣٣} باظلام^(١)

(١) في ديوان النابغة الطبع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجاج :
 كأنها زهاؤه لمن جهر ليل ورز وغره إذا وغر
 سار برى من قبل العين فجر

والأول أحسن عندي . ومن أجود ما قيل في صفة السوط قول الشعبي :
 أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدث كأنه لم يسمع
 من غيره لحلاوة منطقه وعذوبة لفظه فتحدث يوماً فقال له رجل كأن يجالسه
 يقال له حنيش : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محدرج
 عظيم الثمرة لين المهزأة أحد من مغرز عنق الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك
 منك فيكثر لك رقصاتك من غير جذل . قال وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال أمر
 لك فيه أدب ولنا فيه أرب . يعني السوط .

ومن أحسن ما وُصف به الرأس إذا حُجل على القناة قول مسلم :
 ويجعل الهام تيجان القنات بل * مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقيصرا .

ومن أجود ما قيل في المصلوب ما أنشدني بعض البصريين :
 أنظر إليه ^(١) كأنه في جذعه لما توشح بالجبال ودُرَّعا
 رام رمى عن قوسه بمذلق وأراد صحة رميه فتسمعا
 وهذا من أتم ما قيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحتري :
 قرأه مطرداً ^(٢) على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء
 وقول ابن الرومي :

يلعب ^(٣) الدستبند فرداً وان كان له شاغل عن الدستبند
 وقال مسلم بن الوليد :

(١) في الأصل « الى » . (٢) أى مستقيماً . (٣) فعل الدستبند لعبة يأخذ

فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدي بعض ويرقصون ، وهذا يمد يده ليرقص وحده .

كَأَنَّهُ شَلُو^(١) كَبَشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ^٢ تَنُورٌ شَاوِيَةٌ وَالْجُدْعُ سُفُودٌ^(٣)
 وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَنِ الْعُقَدِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ
 الْمَدَائِنِيِّ قَالَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ خِرَاسَانَ لَوْ كَيْفَ قَتَلْتَ ابْنَ خَازِمٍ؟ قَالَ لَمَّا صَرَخَ
 قَعَدْتُ عَلَى صَدْرِهِ فَحَاوَلْتُ الْقِيَامَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَغَلَبْتُهُ بِفَضْلِ الْقَنَا وَقُلْتُ يَا لَثَارَاتِ دُوبَلَةٍ
 فَقَالَ لَعَنَكَ اللَّهُ أَتَقْتُلُ كَبَشَ مُضَرٍّ بِأَخِيكَ عَلِيجَ لَا يَسَاوِيكَ كَفُّ نَوَى وَتَنْخَمُ فِي
 وَجْهِهِ فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا أَكْثَرَ رِيقًا مِنْهُ . فَذَكَرَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يَوْمًا هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ
 هَلِ الْبَسَالَةُ إِلَّا أَنْ يَكْثُرَ الرِّيقُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ .

وَمَنْ جَيِّدٌ مَّا قِيلَ فِي طَرَائِقِ الدِّمِّ عَلَى الْمُطْعُونِ قَوْلُ أَبِي خِرَاشٍ الْهَذَلِيِّ :
 وَنَهْنَهَتْ أُولَى الْقَوْمِ عَنِّي بِطَعْنَةٍ كَأَوْشَحَةِ الْعِذْرَاءِ ذَاتِ الْقَلَائِدِ
 أَوْشَحَةُ جَمْعٌ وَشَاحٌ وَهُوَ سَيْرٌ كَأَنَّهُ شَرَاكَ عَلَيْهِ وَدَعَّ فَشَبَهُ لَوْنُ الدِّمِّ
 بِالسَّيْرِ وَالزَّبْدِ بِالْوَدْعِ . وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ ذَكَرَ الْحَنْدَرِيُّ مِنَ الْمُوتُورِ مَا قُلْتُ فِيهِ :
 لَا تَأْمَنَنَّ أَخَا الْعِدَاوَةِ إِنَّهُ إِنْ أَمَكَّتَهُ فُرْصَةٌ لَمْ يَهْمَلِ
 اللَّهُ دَرَكَكَ كَيْفَ تَأْمَنُ مُحْتَقًا تَغْلِي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
 مَا الْحَزْمُ إِلَّا فِي اجْتِنَاثِ أُصُولِهِ وَالْإِيْمُ^(٣) لَمْ يُؤْمِنْ إِذَا لَمْ يَقْتُلِ
 وَمَنْ الْجَيِّدُ مِمَّا قِيلَ فِي سَعَةِ الطَّعْنَةِ قَوْلُ بَشَرٍ :

إِذَا نَفَذْتَهُمْ كَرْتٌ عَلَيْهِمْ بَطْعِنٍ مِثْلَ أَفْوَاهِ الْخَبُورِ^(٤)
 الْخَبْرُ الْمَزَادَةُ وَالْجَمْعُ خَبُورٌ . وَقَالَ غَمْرُ بْنُ شَاسٍ^(٥) :
 بَطْعِنٍ كَالِيزَاغِ^(٦) الْخَاضِ إِذَا تَقَتَّ وَضُرِبَ كَأَفْوَاهِ الْمَفْرِجَةِ الْهَدَلِ
 شَبَهُ اللَّحْمِ الَّذِي يَتَدَلَّى مِنْ فَمِ الْجَرْحِ بِمَشْفَرِ الْبَعِيرِ الَّذِي بِهِ قُرُوحٌ فِي فَمِهِ

(١) الشلو: المسلوخ . (٢) السفود كتنور: الحديد التي يشوي بها .

(٣) الإيْم: الثعبان . (٤) الخبور: القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلي الاسدي ، شهد القادسية في الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إيزاغها أن ترفع ذيابها وتقذف بشيء من حياها على سائقها .

فيه دل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :
 وأسـيافنا آثارهنَّ كأنها مشافر قرحى في مباركها هـدلُ
 وقال غيره :

بضربِ كآذانِ الفراءِ فضولهُ وطن كيزاغِ الخاضِ تبورها
 الفراء جمع الفراء وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :
 وأطمن الشجساجة المشلشله على غشاش دَهَش وعجله
 يردُّ في نحرِ الطيبِ قتله

أى يسح الدم، ويشلشله : يفرقه . وقال خدّاش بن زهير ^(١) :
 وطعنة خلس كفرع الأزاء ^(٢) أفرغ في مشبِ الحائر
 تهالُ العوائدُ من فرغها ^(٣) تَرَدُّ السبار على السابر
 السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والحائر
 المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمثعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معها ، والحمد لله حق حمده
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

(١) شاعر جاهلى من أشرف بنى عامرو شجعانهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر .

(٢) هو منفذ الماء إلى الخوض . (٣) أى أن من يمدنه فى مرضه يهولهن فرغ الضربة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر تماماً للنعمة على عباده وإكمالاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمرٍ وأنبله وأشرفه وأفضله فقال (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والقسم في شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصفّر قمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك من أحسن الاستعارة في ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل
شذورها وينظم منشورها . وقلت في معناه :

الكتبُ عقلُ شواردِ الكلم ، والخطُ خيطُ فرائدِ الحكم
بالخطِّ نُظِّمَ كلُّ منتشرٍ منها وفُصلَ كلُّ مُنتظمٍ
والسيفُ وهو بحيثُ تعرفهُ فرضٌ عليه عبادةُ القلم
واختلف الناسُ في الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن
اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهم الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ
ميت والمخاطب به حي يُمكن صاحبه أن يُبصره حتى يبلغ منه غرضه .
ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صور الناس مع
اجتماعهم في الصفة وخط الإنسان كحليته ونعته في اللزوم له والدلالة عليه والاضافة إليه
كاضافة الثقافة الآثار إلى أصحابها .

ومن أحسن ما قيل في حسن الخط والشكل قول أحمد بن السمعيل :
مستودعٌ قرطاسه حكا كالروضِ مَيِّز يئنه زهره
وكان أحرفَ خطه شجرةً والشكلُ في أضعافه ثمره
ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كأن خطها أشكال صورتها وكان
مدادها سواد شعرها وكان قرطاسها أديم وجهها وكان قلمها بعض أناملها وكان
بيانها منحرٌ مُقلتها وكان سكينها سيفٌ لحظها وكان مقطعها قلب عاشقتها .
وقلت : وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سيبٌ
يَعْبُرُ عنه الروضُ وهو مُنمَّمٌ ويخبر عنه الوشْيُ وهو قشيبٌ
سوادٌ مداد في بياض صحيفة يقول شبابٌ بالمشيبِ مشوبٌ
كان ظلام الليلِ أذرى دموعه فظلت على خدِّ الصباح تصوب
ومن غريب ما قيل في الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولي قال
أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه :

فدو نكته مؤشئ نمنشه وحا كته الأنامل أي حوك
 بشكل يؤمن الاشكال فيه كأن سطوراه أغصان شوك
 وقلت : بياض صحيفة تلتاح حسناً كتن السيف في كف المليح
 كقيم رق في أطراف جور وماء ساح في قاع فسيح
 ويحكى أرض كافور صريح بها تبذ من المسك الذبيح
 كثل الليل في صبح صديق ومثل الصدغ في وجه صديق
 وبين سطوراه عجم^(١) مصيب كثل الخال في الخلد المليح

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي
 قال سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجوادة فقال : إذا
 اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطوراه وضاهى صعوده حذوره
 وتفتحت عيونه ولم تشبهه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(٢) ولم تختلف
 أجناسه وأسرع في العيون تصوراه والى العقول تشمره وقدرت فصوله واندججت
 وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعُد عن تصنع المحررين
 وقام لكاتبه مقام النسبة والخلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط :

إذا ما تجلل قرطاسه وساورة القلم الأرقش
 تضمن من خطه حلة كمثل الدنانير أو أنقش
 حروفاً تعيد لعين الكليل نشاطاً ويقروها لاخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
 إلا أنه أحسن الأخذ وأجاد اللفظ . ومن ملبح التشبيه قول الاعرابي وقد قال له
 هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابي

(١) المعجم : النقط . (٢) النقش بالكسر : المداد ج أنقاس .

يحسن القراءة فنفى فنظر ثم نادى فقال رأيت شيئاً كرأس المحجن متصلاً بحاقة صغيرة
تبعها ثلاث كاطباء الكلبة ينفى الى هنة كأنها قطاة بلا منقار . ففهم هشام
بالصفة أنها « خمسة »^(١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصُّولى عن أبي العباس الرضى عن الطلحي عن أحمد
ابن إبراهيم قال دخل اعرابيٌّ الى الرشيد فأنشده أرجوزةً واممى يكتب
بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطاً وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشيد
للاعرابي صف هذا الكاتب فقال ما رأيت أطيش من قلمه ولا أثبت من كلمه ثم
قال ارتجالاً :

رقيقٌ حواشى الحليم حين تبوره يريك الهوينا والأمر تطير
له قلماً يؤسى ونعمى كلاهما سحابة فى الحالتين درور
يتاجيك عما فى ضميرك لحظة ويفتح باب الأمر وهو عسير

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابي حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا
فيه نحن نقوم به ، ادفموا اليه دية الحر ، فقال اسماعيل وله على عبدك دية العبد .
قوله « رقيق حواشى الحليم » ردى لآل الحليم يؤصف بالرزانة لالبارقة ،
واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فسيب به . وقوله « يريك الهوينا والأمر تطير »
رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحب قلم صاحب سيف فقال صاحب القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت
تقتل على غرر . قال صاحب السيف القلم خادم السيف ان بلغ مراده وإلا فالى
السيف معاده أما سمعت قول أبى تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حدِّه الحد بين الجد واللعب
وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للأقلام مِيزَ بُرَيْت ان السيوف لها مِيزَ أرهفت خدم

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكميِّ
له شاهدٌ إنْ تأملتَهُ
أداةُ المنيةِ في جانبيهِ
سنانُ المنيةِ في جانبِ
ألم ترَّ في صدره كالسنانِ
وقد أحسن الخالدي في قوله :

ففي كفٍّ ليثٍ الورى للندى
وقلت : أبيت بالليل غريب الكرى
وقيمُ الحكمةِ في أملي
أنفٌ ضميري حين أرعفته
لسانٌ كفي حين أنطقته
منحرفٌ في خلقه ذابلٌ
إن لم يكن كالعضبِ في حده
ينكسه المرءُ فيعلو به
ومدٌ عرفنا لذّة العليم لا

وفي كفٍّ ليث الشرى في الغياض
يأخذُ مني الدرسُ والكتبُ
يصوغُ ما يسبكه اللبُّ
أفرغ ما استوعبه القلبُ
أرضاك منه المنطقُ العذبُ
مُعظمٌ في فعله ندبُ
فانه في فعله عضبُ
وربُّ نكسٍ غبّه نصبُ
يُعجبنا الحلو ولا العذبُ

وقال البحتري في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم
أبدت بُغاثَ الطير زرقُ الجوارح
فلا غرّني من بعدكم عزُّ كاتبٍ
إذا هو لم يأخذ بمحجزة راح
ومن أحسن ما وصِف به القلم قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات :

لك القلمُ الأعلى الذي بشبابه
لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابه
له ريقه طلٌّ ولكن وقعها
تُنالُ من الأمر الكلي والمفاصل
وأرَى جنى شارته أيد عواسل
بآثاره في الشرق والغربِ وابل

فصيح^ه إذا استنطقته^ه وهو راكب^ه . وأعجم^ه إن خاطبته^ه وهو راجل^ه
 إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت عليه شعاب^ه الفكر وهي حوافل
 أطاعته أطراف الرماح وقوّضت . لنجواه تقويض الخيام الجحافل
 إذا استفزّر الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل
 وقد رفته الخنصران وسدّدت ثلاث^ه نواحيه الثلاث^ه الأنامل
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف^ه ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل
 وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحق :

ماضر من أضنى بهجرانه قلب^ه كئيب القلب حرّانه
 لو فرج الكربة عن مدنف تشفّ^ه لوعة أحزانه
 يرقعة ينظمها كفه نظم لآليه ومرجانه
 برهف^ه الأحشاء ذى حلة موشية ترفع^ه من شأنه
 لعابه يسر^ه وعسر^ه إذا جاد به تغليج^ه أسنانه
 إذا امتطاه بشيهاته^(١) كشف أسراراً باعلانه
 يركض في ميدان قرطاسه ركض جواد وسط ميدانه
 وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جارية كاتبة اسمها علم :
 أفدى البنان وحسن الخط من علم إذا تقمعن بالحناء والكتم^(٢)
 حتى إذا قابت قرطاسها يدها ترى ثلاثة أقلام على قلم
 ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن إسماعيل :
 في كفه مثل سنان الصعده أرقش بزّ الأعوان جلدّه
 يلتهم الجيش اللّهام وحده لو صادم الطود المنيف هدّه
 لو صافح السيف الحسام قدّه يأوى الى ظئر له محتدّه

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) نبت يخلط بالحناء، وإذا طبخ صار مباداً .

يُمزَجُ فِيهَا صَبْرٌ بِشُهْدِهِ يُرَضُّهَا مِنْ مَقْلَةٍ بِمُسْوَدِهِ
يَمُدُّهَا جَارٍ كَشِيفِ الْعُدَّةِ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَمَدَّهُ
مُقْلَتُهَا مَكْحُولَةٌ بِنَدِّهِ

وقلت في القلم :

أَنْظُرْ إِلَى قَلَمٍ تَنْكَسِرُ رَأْسُهُ
تَنْظُرُ إِلَى مَخْلَابٍ لَيْثٍ ضَعِيفٍ
يَبْدُو لِنَظَرِهِ بِلَوْنٍ أَصْفَرٍ
فَالدَّرَجُ أَيْضٌ مِثْلُ نَحْدٍ وَاضِحٍ
قَسَمِ الْعَطَايَا وَالْمَنَابِيَا فِي الْوَرَى
طَهْمَاتٍ شَوْبٌ حَلَاوَةٌ بِمِرَارَةٍ
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ
وَمَذَلَّلًا بِمُعَزِّزٍ وَلَرَبَّمَا
وَقُلْتُ : لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِي يَبُوسُ وَأَنْعَمُ
إِذَا مَلَأَ الْقُرْطَاسَ سُودَ سَطُورِهِ
فَتَلُوكَ جَنَانٌ تَجْتَنِي ثِمَرَاتُهَا
وَهُنَّ بَرُودٌ مَالِهِنَّ مَنَاسِجُ
وَهُنَّ حَيَاةٌ لِلْوَلَى رَضِيَّةٌ
فَمِنْهَا بَوَادٍ تَرْجِي عَوَائِدُ
فَتَلُوكَ أَسْوَدٌ تُتَقَى وَأَسَاوِدُ
وَيَلْقَاكَ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ بَوَارِدُ
وَهُنَّ عَقُودٌ مَالِهِنَّ مَعَاقِدُ
وَهُنَّ حَتُوفٌ لِلْعَدُوِّ رَوَاصِدُ

وَأَنْشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْفَضْلِ الطَّائِي قَالَ

أَنْشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي الْبَغْلِ :

لَهُمْ هَمٌّ تَنَاطُؤٌ إِلَى الثَّرْيَا وَتَحْكُمُ فِي الطَّرِيفِ وَفِي التَّلَادِ
وَأَقْلَامٌ تَشْبِهُهَا سُيُوفًا مَهْنَدَةٌ هَوَادٍ فِي الْهَوَادِي

(١) فِي الْأَصْلِ « شُهْدُهُ » بضم الشين وهو سائق فقد جاء في القاموس

« الشهد بالمتح ويضم » .

يُخَطُّ بِهَا سَوَادٌ فِي يَبَاضٍ فَتَحْسَبُهُ يَبَاضاً فِي سَوَادٍ
 إِذَا فَرَعَ الصَّرِيخُ أَمْدَخِيلاً بِخَيْلٍ تَسْتَنَارُ مِنَ الْمَدَادِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَتَمَنِّطٌ مِّنْ جِلْدِهِ مَتَحْتَمٌ مِّنْ خَصْرِهِ
 أَبَدًا تَرَاهُ وَصَدْرُهُ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرُهُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِيدِ كَرِ أَرْضَةً أَكَلْتَ كِتَابًا :

شَغَلَنِي إِذَا مَا كَانَ لِلنَّاسِ شُغْلٌ دَفَتُرُ فِقْهِ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ غَزَلٍ
 أَرْقَطُ ذُو لَوْنٍ كَشِيبِ الْمَكْتَهْلِ تَخَالُهُ مَكْتَحِلًا وَمَا كَتَمْتَلِ
 رَاكِبٌ كَفَّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحَلَ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلٍ
 يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَتَعَدَلَ وَيُذَكِّرُ النَّاسِيَ مَا كَانَ أَضَلَّ
 كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنْ نَقْشِ حُلٍّ يَخَاطَبُ اللَّحْظَ بِنَظَرٍ لَا يَكُلُّ

وَلَا يَمْلُ صَاحِبًا حَتَّى يَمْلُ

ثُمَّ قَالَ فِي وَصْفِ الْأَرْضَةِ * تَأْكُلُ أَثْمَارَ الْقُلُوبِ لَا أكل * وَكَتَبَ الصَّاحِبُ
 فِي وَصْفِ كِتَابٍ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَجَعَلْتَ يَوْمَ وَصُولِهِ عِيدًا أَوْرَخَ بِهِ أَيَّامَ بِهِجَتِي
 وَأَفْتَتَحَ بِهِ مَوَاقِيتَ غِبْطَتِي وَعَرَفْتَ مِنْ خَبَرِ سَلَامَتِكَ مَا سَأَلْتَ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ
 يَصِلَهُ بِالْدَوَامِ وَيَرْفَعَهُ عَلَى أَيْدِي الْأَيَّامِ . وَكَتَبَ أَيْضًا : وَصَلَ كِتَابُهُ أَيْدِي اللَّهِ بِضَحْكَ
 عَنْ أَخْلَاقِهِ الْآرِجَةِ وَيَتَهَلَّلُ عَنْ عَشْرَتِهِ الْبَهْجَةِ وَيَخْبِرُ عَنْ عَارِيَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَمَّا رَأَيْتَ
 شَمْلَ الْحَرِيَةِ بِهِ مَنَظْمًا وَشَعْبَ الْمَرْوَةِ لَهُ مَلْتَمًا وَيَتَحَمَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ مَا أَقْصَرَ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَلَا أَطْمَعُ فِي شُكْرِهِ وَيُؤْدِي مِنْ لَطِيفِ اعْتِدَارِهِ فِي أَثْنَاءِ عَتَبِهِ مَا تَزْدَادُ بِهِ
 أَسْبَابَ السَّرْدُورِ تَمَهْدًا . وَقُلْتُ فِي كِتَابِ أَكَلْتَهُ الْأَرْضَةِ :

وَجَلِيسٌ حَسَنٌ الْمُحْسَنُضِرُ مَأْمُونٌ الْمَغِيبُ
 مَيِّتٌ يُخْبِرُ حَيًّا بِخَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ
 أَبْلَهُ غَيْرُ لَيْبٍ وَهُوَ فِي حَالِ اللَّيْبِ

جاهلٌ غيرٌ أديبٍ وهو عوفٌ للأدب
 أخرسٌ غيرٌ خطيبٍ وله لفظٌ الخطيب
 مفهمٌ ينظمٌ شعراً مثل إقبال الحبيب
 ساكتٌ يروى حديثاً مثل إعراض الرقيب
 نمتةٌ الكفٌ حتى هو كالوشى القشيب
 من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومشيب
 فيه إمتاعٌ لأبصارٍ رِ وأنسٌ للقلوب
 دبٌ فيهن ديبٌ كان من شرِّ الديق
 من صغيراتٍ جسومٍ وكبيراتٍ الذنوب
 أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبى
 أفرحت قلباً جهولٍ وكوت قلباً لبيب
 ويل هاتيك المعانى من بديعٍ وغريب
 وأفانينٍ كلامٍ بين سهلٍ وصايب
 من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيب
 بُدِّلَ الإصلاحُ منه - نَّ - بفسادٍ عجيب
 فنجومُ العلمِ والفهمِ تهاوت للغروب
 كلُّ شَيْءٍ سوفَ يفتى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديع ما وُصف به الوراق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى
 عن أحمد بن يزيد الملهبي عن أبي هفان قال سألت ورّاقاً عن حاله فقال :
 عيشى أضيق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج
 وحظى أخفى من شق القلم ويدي أضعف من قصبة وطعامي أمر من العفص وشرابي أسود من
 الحبر وسوء الحال ألزم لى من الصنع . فقلت عبرت عن بلاءٍ يبلاء فحسبك .
 وقلت في المحبرة والاقلام :

منهله من أشرف المناهل تضمن رى الصفر الذوايل
مركبها ذوائب الانامل إذا مشت عالية الاسافل
بكت على الطرس بدمع هامل فارتبطت شوارد المسائل
وكشفت عن غرر الدلائل بيضاء تبدو في لباس الثاكل
لكنها تلبسه من داخل

ومما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب^(١) :

لا أحب الدواة تحشى براعاً هي عندي من الدوى معيه
قلم واحد وجودة خط فاذا زدت فاستزد أنوبه
هذه قعدة الشجاع عليها أبداً سيره وتلك جنيبه

ومن البديع الظريف قول أحمد بن اسماعيل :

كأنما النقس إذا استمدده غالية مذوقة بنده

ونتن الكرسف^(٢) مما يُعاب به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو

أحمد عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل للحسن بن وهب^(٣) :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كرهفة الحراب
وقرطاس كرقراق السراب وألغاز كأيام الشباب
وقلت : أكثر ما نُثبته الأقلام لم تسع في زواله الأيام
بالك من خرس لها كلام موتى اليها النقض والابرار

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان

يتقنها : فالكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من أديب والجيم من الجنل

والميم من المنطق . ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد في اسمه طاء من طيب فقل

ط ككشاجم ولكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبد الله به حمدان والد سيف الدولة .

(٢) الكرسف : القطن ومنه كرسف الدواة .

(٣) كان معاصراً لأبي تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لما مات رثاه البحترى .

قِوَامٌ مَجْدٌ مَالُهُ قِوَامٌ نِظَامٌ مَلِكٌ خَانُهُ النِّظَامُ
أَصَاغَرُ شُؤْنُهَا الْعِظَامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ الْعَذَارَى وَسَوَادُ الدَّوِيِّ عِطْرُ الرِّجَالِ

وقلت في سكين :

أَنْجَازُ وَعْدِكَ فِي السَّكِينِ مَكْرَمَةٌ غِرَاءُ فَضْلِكَ فِيهَا غَيْرُ مَجْحُودٍ

أَحْسَنُ بِهِ أَزْرَقًا فِي أَيْضٍ يَقْوَى لَهُ مَنَاطِقُ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ

خَلْفُ الْوَعْدِ حَمِيدٌ لَا يَذْمُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ خَلْفُ مَوْعُودٍ بِمَحْمُودٍ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به

لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وإبرامه نقض تستغيث

الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان

حشثه بالانامل قطف فالفاظي في سنيه مأسورة ومعاني في شقيه محصورة وقد

صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عشرته وأقول لعله يصلح

بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناواة وهو يزدد نفاراً ويتضاعف زالاً وعثاراً .

ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطيء فيمحو

ما يخطئه بريقه وهو :

وَرَأَيْتُهُ فِي الطَّرْسِ يَكْتُبُ مَرَّةً غَلَطًا يُوَاصِلُ مُحْوَةً بِرُضَايِهِ

فَوَدِدْتُ أَنِّي فِي يَدَيْهِ صَحِيفَةٌ وَوَدِدْتُ أَنِّي لَا يَهْتَدِي لِصَوَابِهِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي

ابن سابق قال رأى المأمون في يد جارية له قلماً وكان ذا شغفٍ بها واسمها منصف فقال :

أَرَانِي مَنْحَتُ الْوَدِّ مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُ فَمَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْمَحَبَةِ مَنْصَفٌ

وَزَادَتْ لَدَيَّ حَظْوَةً يَوْمَ أَعْرَضْتَ وَفِي أَصْبَعِيهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ

أَصَمٌّ سَمِيعٌ سَاكِنٌ مُتَحَرِّكٌ بِنَالِ جَسِمَاتِ الْمَدَى وَهُوَ أَعْجَفُ

عجبتُ له أنى ودهرك معجبٌ يُقومُ تحريفَ العبادِ مُحرفٌ
وكتبُ الصاحبُ أبو القسمِ في وصفِ كتابٍ : ومن هذا الذى لا يحبُّ أن يواصل
علمَ الفضلِ وواسطةَ الدهرِ وقرارةَ الأدبِ والعلمِ ومجمعَ الدرايةِ والفهمِ أم من لا يرغب
في مكاثرةٍ من ينتسبُ الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنَه من طبعه ويتوشح
بأنوار لفظه ويتوضح بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابه فارتحتُ لعنوانه قبل عيانه
حتى إذا فضضتُ ختامه أقبلتُ الفكرةُ تتكاثرُ والذُررُ تتناثرُ والغُررُ تترامُ
والنُكُتُ تتزاحمُ فإذا حكمتُ للفظه بالسبقِ أنتِ أختها تنافسُ وأقبلتُ لدتها
تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومةِ ونفضتُ يدي من غبارِ الخصومةِ وأخذتُ
أقولُ كلُّكُنَّ صَوَادِرٌ عن أصولٍ بل أصلٌ واحدٌ فتسالنِ ونواقِدٌ عن معدنٍ فاردٍ
فتصالحنِ وقد وليتُ النظرَ بينها من كملٍ لنسجِ برودها ووفى بنظمِ عُقُودها .
ومثل ما تقدّم من قوله في ذم القلمِ قوله أيضاً : على أنى يامولاي أنشأتُ هذه
الأحرفَ وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يسلمُ معها فكرٌ ولا يسمحُ بينها طبعٌ وتناولتُ
قلاماً كالابنِ العاقِ بل العدوِ المشاقِ فإذا أدركته استطال وإذا قومته مال وإذا حششته
وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشقِ مضطرب الشقِ متفاوتُ البريِ معدومُ
الجرى مُحرفٌ القطِ مثبجُ الخطِ ثم رأيتُ العدوَّ عنه ضرباً من الانقيادِ لأمره
والانخراطِ فى سلكه فجهدته على رغبه وكددته على صغره لاجرم أن جنابة
اللجاجِ بادية على صفحاتِ الحروفِ لا تخفى وطادية المحكِ لا تُحجُّ على وجوه تتجلى .
وكتبتُ فى وصفِ كتابٍ : والله أعلم أنى أخبرتُ بورودِ كتابه فاستفزنى
الفرحُ قبل رؤيته وهزَّ عطفى المرحُ قبل مشاهدته فما أدري أسمعُ بورودِ كتاب
أم ظفرتُ برجوعِ شبابٍ ثم وصل بعد انتظارٍ له شديد وتطلع إلى وروده طويل
عريض فتأملته فلم أدر ما تأمات أخطأ مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منشوراً أم
وشياً منشوراً ولم أدر ما أبصرتُ فى أثناءه آياتِ شعر أم عُقُودٌ دُرٌّ ولم أدر
ما حملته أغيثٌ حل بوادِ ظمانٍ أم غوثٌ سيق إلى لَهفانٍ .

وكتب صاحب^١ : ووصل كتاب^٢ القاضي فأعظمت قدر النعمة في مطالعته وأجلت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلال وسرحت الطرف منه في رياض رقت حواشيها وحلل تأنيق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا الى أخضر منه فضلا ولم أتخط سطرًا الا إلى أحسن منه فظما ونثرا .

ورفع رجل^٣ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصة يعتد فيها فرأى خطه رديئاً فوقع : قد أردنا قبُولَ عذرك فاقطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك أو ما علمت أن حسن الخط يُنْاضِلُ عن صاحبه بوضوح الحجّة ويمكن له درك البغية .

وقال عليّ رضي الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً .

وقيل : حسن الخط إحدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتاب فقال : الكتاب وعاء^٤ ملي^٥ علمًا وظرف^٦ حشي ظرفاً^(١) وإناء شعن^٧ مزاحاً^(٢) وجداً ان شئت كان أبين من سبحان وائل وان شئت كان أعيان من باقل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت شجعتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغرٍ ويناسك فاتك وبناطق أخرس وبيارد حار ومن لك بطبيب أعرابي وبرومي هندي وفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت ممتنع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخِر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمون^٨ على بعض بنيه فوجده ينظر في كتاب فقال يا بني ما في كتابك ؟ قال بعض ما يشغذ الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذي رزقني ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظلّ مفكراً في قول ولده الطفل .

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

﴿ الفصل الثاني من الباب التاسع ﴾

في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال
يعنى قولاً واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من
أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الإيجاز وترك الفضول . وليس يصلح الإيجاز في
كل مكان كما لا تصلح الإطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه
ومقام يليق به ان أزله عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طريقه . وقال محمد الأمين
عليكم بالإيجاز فان للإيجاز افهاماً وللإطالة استبهاماً . أى عليكم بالإيجاز فيما كان
الإيجاز فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الإطالة أرد وأنفع فليس للإيجاز موقعٌ
يحمد ولا حالٌ تعتمد . والإيجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب
وقد يكون من الرسائل والخُطب ما يكون الإيجاز فيه عيباً ولا أعرفه إلا بالبلاغة
في جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي ومعانيه كالسحر مع قربها
من الفهم . . . والذي لا بدّ له منه حسنُ المعرض ووضوحُ الغرض كقول النابغة
الذياني * فانك كالليل الذي هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبه نهارٌ
وقال أعرابي : أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهةً . وهذا
حسنٌ جداً لأن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القرينة
والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكاف وتعسف ولا شيء أذهب بماء
الكلام وطلاوته وروقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف
المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومي في قوله : البلاغة حسنُ الاقتضاب
عند البديهة والغزارة يوم الإطالة . فجعل البلاغة في الغزارة كما جعلها غيره في الإيجاز .

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة واتساز الفرصة وحسن الاشارة .
 وقيل لا آخر ما البلاغة ؟ فقال تصحيح الأقسام واختيار الكلام .
 وقال الحسن بن سهل : البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة . وقال عبيد الله بن
 عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكنم بن صيفي
 أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه فمنها ما يكون شعراً
 ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامية ما يكون من
 هذه الأحوال فالوحى فيها والاشارة إلى المعنى أبلغ والايجاز البلاغة . وتأويل
 هذا ما قدمناه . وقال غيره : البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير .

وقال الآخر : البلاغة علم كثير في قول يسير . وقال جعفر بن يحيى :
 البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويجلي على مغزاك ولا تستعين عليه بطول
 الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد
 غنياً عن التأمل . وقال اعرابي : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من
 حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة .
 وقال محمد بن الحنفية : البلاغة قول مفقته في لطف . وقال علي رضي الله عنه : البلاغة
 إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يمكن من العبارات .
 ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة الإفصاح عن حكمة
 مستغلفة وإبانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه : البلاغة تيسير
 عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض من الحق
 وتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق . والذي قاله صحيح
 لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح
 الثابت المكشوف ينادى على نفسه بالصحة ولا يحوج إلى التكلف لتصحيحه
 حتى يوجد العيب فيه خطيباً وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس
 بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعاريض ليخفى موضع

الاساءة ويغرض موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تطفر بينيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قوم الإيجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال لـ كتابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الإيجاز كافياً كان التطويل عيًّا وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وقيل لأعرابي ما البلاغة ؟ فقال الإيجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الأعرابي فهو بليغ .

﴿ جمل من بلاغات العجم ﴾

العجم والعرب في البلاغة سواء فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، ويدل ذلك على هذا أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولدك من دمي عقيبك » ^(١) وقول الفرس « هرك نژاد نرود » واللفظ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم « كشند ميد » مثل قول العربي « من يسمع يخل » سواء في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم « أصيد بركة خورده » ^(٢) وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فعربده

عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابني ابني فأجابتها أمه بهذا المثل .

(٢) لعله « أصيد » به أزخوردن كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث

سأله عن صحة ذلك .

خير من المأكول » ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فإن حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حروفاً بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل « انتظار الحاجة خبر لك من قضائها » وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم « به شاه آشناء نرود همدوره » والعرب تقول « جاور بجرّاً أو ملكاً » . وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيل فيه ولكن لا يراد أمثلة في البلاغة تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول أبرويز : إذا نزل الخول استكشف النقص ، بحث على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور : الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسَّما رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعني العدل في الحكم . ونحوه قول علي رضي الله عنه : السفر ميزان القوم . وقول الآخر : العروض ميزان الشعر وقال الآخر منهم : أغلق أبواب الشهوات تفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصواب قرين التثبت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجمهر : عاملوا أحرار الناس بمحض المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرغبة وسوسو السفلة بالخافة والهيبه . وقريب من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف والثلثم يقسو إذا أطف . وقال بعضهم : ينبغي للوالى أن يتفقد أمور رعيته فيسدفافة أحرارها ويقمع طغيان سفلتها فانما يصول الكريم إذا جاع والثلثم إذا شبع . وقال بعض حكماء الفرس : أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده . وقال أنوشروان : القصد غاية المنافع ، وقال لابنه هرمز لا يكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية في القلة . ووافق هذا من العربي قول الافوه الأودى :

والخيرُ تزدادُ منه ما بقيت به والشرُّ يكفيك منه قلما زاد

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم .

وقال أبرويز : لا تغشوا قليلا فتغصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحذا مروء

منكم سيفه حتى يشد عقه . وأظنُّ المتنبي أُلِمَّ بهذا فقال :
 الرأيُّ قبلَ شجاعةِ الشَّجَمَانِ هو أوَّلُ وهي المحلُّ الثاني
 وقال لِكَاتبه : إذا فُكرت فلا تعجل وإذا كُتبت فلا تستعن بالأنصُول
 فإنها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فإنها مُهَيَّجَةٌ في المقالة ولا تلبس
 كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول .
 ووافق هذا قول العربي : ما رأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له في المعاني إطالةً وفي الألفاظ
 تقصيراً . يبحث على الإيجاز . وقال له إذا أمرت فأحكم وإذا كُتبت فأوضح وإذا
 ملكت فأسجع وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشي ^(١) فيسرع ويضرب في ذات الآله فيوجع
 وقال ازديشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبه وفحش
 حرصه ومن فحش حرصه ذلت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه
 الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه حزناً على ما لا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر :
 * ليس للحاسد إلا ما حسد * وقال : من شغل نفسه بالئني لم يخل قلبه من الأئني .
 وقال بعضهم : الحقوقُ أربعةٌ حقُّ الله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته
 وإكرام أوليائه ، وحقُّ نفسك وقضاؤه تعهدا بما يصاحبها ويصحها ويحسم مواد
 الادواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه عمومهم بالموَدَّة ثم تخصيص كل واحد منهم
 بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ما خفي عليه من منفعة
 رعية وجهاد عدوٍّ وعمارة بلدٍ وسدِّ ثغري . وقال بزرجمهر : لا ينبغي للعاقل أن
 يجزع من حطِّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فإن الاقدار لم تجر على قدر
 الاخطار . وقال بزرجمهر : الزام الجهول الحجة يسير واقارره بها عسير .
 وقال بزرجمهر : ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة من قلوب الخلق .

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « ويمضي فيسرع » .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .
وقيل له ما أشد الأشياء على الأحمق ؟ قال الشكوت . وقيل له ما أحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنغيص العيش . والى هذا
المذهب ذهب ابن أبي البغل في قوله :

الصَّغِيرُ يَصْفِرُ دَائِبًا وَلَا أَجَلَ . مُحِبِّسُ الْهِزَارُ لِأَنَّهُ يَتَرَنَّمُ
لَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ مَا عَلِمْتُ لَسَرَّنِي جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَ نِي مَا عَلِمْتُ

وقال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقلت : أو اصيلُ الهم في ضيق وفي سعة كأنَّ يميني وبين الهمَّ أرحاما
إنَّ إمراً عظمت في الناس همته رأى السرورَ جوى والوفرا إعداما
وقلت : وأكثرُ حالات الزمانِ بغمي وليس لغمِّ العارفينَ مفرج .
وروى الحسنُ البصريُّ حزينا قفيل له في ذلك فقال : غمي مكتسبٌ من
عقلي ولو كنت جاهلا لكنت في راحة من عيشي . وافتخر قوم بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتف سره .
وقال بعض أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجملُ بهامنه .
وقيل لسقراط أي السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل
استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالقفاف فما حصل
فيها يروم الخروج منها وما كان خارجا يبغي الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب
موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد
أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لي من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته ومبا سبق البريد خبر؟ قال عرفت ذلك يوم ولد . فعجب المؤمنون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتك قوام دينها ومفرز عها فيما ينوبها . وقال بعضهم حب المال وتدابيلها . وقال سقراط اللذة خناق من عسل .

وقيل لجاوس توفي ما نيدس فقال الويح لي قد ضاع مسن عقلي . وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذي تشتهي . وقريب منه قول الاعرابي * وقلة ما قرت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء . ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين : التبذير للمال ذمة كعب التقدير فاجتنب التقدير وإياك والتبذير . وقريب منه قول العربي وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لا أجد في حق ولا أزور في باطل . ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على خبج .

ونحو هذا قول بعض المحدثين :

ما ان يزال يبعث يذاحمنا على البراذين أمثال البراذين
وقلت وقد رأيت غلاماً مليحاً طرياً يخدم لثيماً دميماً :

ان كنت ترتاد منظرًا عجباً فانظر الى البدر في بدر القرد
وانظر الى الضب كيف يفترس السحبي على مرقد من الورد
وذم دهرًا يفيض أنعمه على اللثيم المذمم الوغد
وانظر الى حمرة وأنته فوق متون السوايح الجرد
فأسخن الله عينه زماناً ماذا رأى في تجنب القصد

وقال بعض اليونانيين لاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون . وقال بعض حكمائهم لتكبر : وددت أني مثلك في نفسك وان أعدائي مثلك في الحقيقة . وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه : أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ما تضرع في جنائك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الإنسان عما يشتهي
قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل
ما بقيت - يخاطب جاهلا .

﴿ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب ﴾

قال بعض حكمائهم : الصبر يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم قدام^(١)
السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان
والمودة قرابة مستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة
محتاجة إلى المودة والمودة مستغنية عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة
والقرابة : الصاحب مناسب . وقالوا عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن
موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاخشة كاسمها . وقولهم أصاب
متأمل أو كاد . وقولهم العفو زكاة الجاهل . وقولهم راجي البخل مكدر .
وقول بعضهم قلما تصدقك الامنية . وقيل الصيانة مآلف المروءة . وقال بعض
الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خول الذكر أسنى من الذكر الذميمة . وهذا
خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إلى من
أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قریش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب
محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ
فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير
الأنبياء أما بعد فإن الرغبة منك دعوتك إلينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن
بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختار عليك وقد زوجناك على كتاب الله

(١) القدام : شيء يشد على القدم .

وسنة نبیه صلی الله علیه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها للمراد .
ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية
لا تبلى . وقولهم لا ينفعك من جار سوء توق . وقولهم سرک من دمک . وقيل
من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلبه . ومن الصدق الذي لا ارتياب
فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ما روى ان بنی أمية
وقدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ما عسى أن يقول خطيبهم فقام
رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ وحقنا ما لا تنكر وجئناك من
بعد ومنتٌ من قرب فمهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهلُه ، فتناول عبد الملك وقال
يا أهل الشام هذا كلام قومي . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في
ظل رقيق الحواشي فطواه الدهرُ عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط
لسان اليد . وقال النبي صلی الله علیه وسلم (جَدَعَ الْحَلَالَ أَنْفَ
الغَيْرَةِ) وقالوا الفكرة مُخُ العمل . وقيل الشيبُ خطام المنية . وقالوا
المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الخمول دفن الحی . وقلتُ السخاءُ سلمُ المجد .
وقلتُ المراءُ ينقض سرَّ المودة والتواني يُشعِرُ الندامة والكسلُ يُنتجُ الفقر .
وقيل البياضُ علم الجمال . وقلتُ الحياءُ عنوان الكرم . وقلتُ العتابُ مُقَدِّمَةٌ
السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غُلٌّ لا يَفُكُهُ إلا شکرٌ أو مُكَافأةٌ ، وقلتُ
العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الذلُّ رَسيلُ الدِّين والشكرُ ضامنُ المَزيد والغنى
مظنة البطر . وقال آخرُ اللحظ طرف الضمير . وقلتُ الشكرُ مرتبط بالنعم . وقال
آخر من جرى في عنان أمله عَثْرٌ بأجله . وقال الأعمالُ ثمار النيات . وقيل
التواضعُ سَلَمُ الشرف . وقلتُ المالُ عدوُّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة .
وقال الاحنفُ الأدبُ عُزوةُ العزِّ . ومن أصدق كلمة أعرها قول ابن المعتز : من
قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريضةُ الفوت وبطيئةُ العود .
وقال نرَّعُ خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع ونجمع منها مالا يجتمع .

ووقع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضع العذر لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُشِيَّةٌ تَقْرِمُ جِلْدًا أَمْلَسًا * ^(١) وقال بعض الحكماء حصادُ المني الأُسفُ وعاقبتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم : الفرارُ بقرابٍ أكيَسُ ^(٢) . وعزى اعرابي رجلاً فقال لا أراك الله بهذه المصيبة ما ينسيكها . وعزى شبيب بن شيبه ذمياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بن زرارة أول المعرفة الاختبار . وقال رجلٌ للأحنف ممّن أنت قال ممن ودني . وقال البلاغة البلوغُ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصرُ واتدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب ^(٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت في الناس جولة ثم تاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله عليهم فقتل القضاء بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حماهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقيون ليلاً عن معسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ما وراءه الذي لا تنقطع موادُّ نعمه حتى تنقطع من خلقه موادُّ الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حالتين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله فقصع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى

الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيَس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة . وفي الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلى اليأس منك الى الصبر
عنك . وقال أعرابي لماوية هزرت ذوائب الرجال اليك إذ لم أجدُ معولاً إلا
عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار يقودني نحوك الرجاء وتسوقني
اليك البلوى والنفس مستبطنة والاجتهاد عاذر وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية أحطط
رحلك يا أعرابي . وقال سفيان الثوري رأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو
يقول يارب عندي لك حقوق فهبها لي وللناس عندي حقوق فتحملها عنى ولي عندهم
حقوق فقيضها لي وأناضيفك اليوم فاجعل قرأى الجنة . وذكر بعضهم رجلاً
فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يرضيه القليل ولا يسخطه الكثير .

﴿ أمثلة في البلاغة الكتابية ﴾

أولها التحميدُ ومن عادة العارفين أن يتدنوا في الأمور بالحمد لله رب العالمين
يقدمونه أمام طلابها كما أبدى بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمد بن مهران :
الحمد لله الذي كثرت أياديه عن الاحصاء وجلت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً :
الحمد لله ذي البلاء الجميل والمطاء الجزيل الذي جعل للأمر سنى الرتبة وعز الدعوة
ووصل له حسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجة بفضل الادالة حمداً
يؤدى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغب في زيادة الأمر
والزيادة به وعلى يديه والأيدى الصائلة على عدوه بمنتهى لطفه . فأخذ ابن دُرَيْد
قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمتري
المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيدى اليه في التوفيق لما يُدنى من رضاه
ويجبر من سخطه انه نعيم الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابي : الحمد لله
ذو المنن والطَّوَل والقوة والحول والغاية والصول رافع الحق ومُعليه وقامع الباطل
ومُرديه ومُعز الدين ومُديله ومُذل الكفر ومُذيله ^(١) المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانته .

في طاعته وإن عتق بته بمن جاهر بمعصيته التكفل بتأييد حربه حتى يظفر
 ويخذلان حربه حتى يدحر الذي لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يعيه
 المعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الأثقال الغنى المفتقر
 إليه القوي المعتمد عليه بالغ أمره بلا مؤازر وممضى حكمه بلا مظاهر ذاك الله
 ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب
 « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .
 وكتبت : الحمد لله الذي وفر على الأنام المحاسن واكتنفها بالميامن وبسط بالخير
 أيديها وأفاض بالاحسان وادبها وعلما البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار
 الخيرة للاخاء فمادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتنت أغصانها وتهديت
 أفنانها ولانت أعطافها وتناهت أطرافها فكانها هي أيام أبي تمام التي وصفها فقال :
 أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

بما منح من حسن رأيك أطال الله في كنف السلامة بقاءك وحجب غن
 عيون الغير نعماءك وخوئك من العز أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم
 أصفاها من الشوائب وأبدها من ملاحظة النوائب ومنحك من الخير برمة
 كما قاد اليك الفضل بأزمته ولا زال بك الزمان جديد الحلتين مطرز الطرتين
 متوج المفرق بما ترك حالي الجيد بمفاخرك ولا سلبك نعمة ألبسك جملها ولا نزاع
 عنك طارقة وفر عليك كمالها :

رأيت جمال الدهر فيك مجدداً فك. باقيا حتى ترى الدهر فانيا
 وكتب بعضهم : الحمد لله الذي استسلمت نهاية الشكر لدون ما أوزم بصنائه .
 وكتبت : الحمد لله على ما تطول به من البر وما أوزع ^(١) على ذلك من
 الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعي المزيد من جزيل إحسانه .
 وكتبت : الحمد لله الذي قبض لك السبق إلى البر والفوز بالمكرمة البكر

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمد لله الذي جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف
ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

﴿ ومن جيد الأدعية ﴾

ما كتب الصاحب أبو القسم بن عباد : أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد
والنيروز الحميد سعادة متصلة المادة حافظة لجليل العادة مؤذنة بظاهر العز والبسطة
وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادي الأيام وبوادر الزمان وأراه ستادتي
الفتيان قد اقتنى كل منهم مجده وحكى في طلب المعالي أباه وجدّه وجعل
سيدنا آخذاً من كل ماعى به ويدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .
وكتب الصابي الى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاي
الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجعله فيه وفي أيامه كلها
معافى سالماً فازاً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً مخنوماً له يبلوغ الآمال
مظروفاً عليه ^(١) عين الكمال محظور الافنية عن ^(٢) النوائب محي الشرائع عن ^(٣)
الشوائب مُبلغاً غاية ما تسمو اليه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة
بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب الله بقاءك عزاً
يبسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلاءة تذب عن ودائع مننه عندك وزاد في
نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وان بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبي نواس :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يُصيبهم إلا بما شاؤا

وكتب بعضهم عش أطول الاعمار موقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية
الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخر باغك الله نهاية من العمر لا نهاية
لمستزید وراءها . وقريب منه قول البختری :

(١) في الأصل (غنه) . (٢) في الأصل (على) .

تعمرت أبا السحق ما صلح العمر ولا زال معموراً بأيامك الدهر
وقول الآخر :

فلا زالت الأرض معمرة بعمرك يا خير عمارها

ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبي تمام :

من يسأل الله أن يبق سراتكم فإمّا رام أن يستبق الكرام

وقول المتنبي :

أعيدكم من صروف دهركم فإنه بالكرام . منهم

قلت : فلا زالت الأقدار دون محاكم سواقط والمكروه عنكم^(١) مقصراً

وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل مخدور في كنف .

وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة واليالي على هواك مساعدة تتلاقك

بأوفر الجبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجري مقاديرها لك بالمحسوب وتتقاعس

عنك بالمخدور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل

والقهاء^(٢) . وكتب ابن المعتز آخرتني العيلة عن الوزير أيده الله فحضرت

بالدعاء في كتابي لينوب عني ويعمر ما خلّته العوائق مني أسأل الله أن يجعل هذا

العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويحب له

ويتقبل ما تتوسل به إلى مرضاته ويضاعف إحسان إليه على الإحسان منه ويؤتممه

بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة نقيصة ولا يقطع عنه فيها عادة

جميلة . وهذا مأخوذ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمو :

الأعوام حتى يكون كما يوم منها موفياً على ما قبله مقدماً^(٣) بعده .

وكتب ابن المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى إصلاحك والإصلاح

لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلىنا بك .

وكتب إلى عليل : مسحك الله بيد العافية ووجه اليك وافداً السلامة وملاك

(١) في النسخ « منكم » . (٢) القهاء : الذل ، والعطف تفسيرى .

(٣) في الأصل « على ما بعده » .

ما أفادك وهناك ما قسم لك وأمتع بك وليك والآن لك طاعة عذوك وجمل
الدولة ببقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم
لمولانا ولي النعم التمكن والبسطة والعلو والقدرة والعز والنصرة ولا يسلب
القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ما ضمنها من خشية صولته ليزداد
أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قد ير على
ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعريفه الميامن
في ارتحال وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولي نعمته ويستديم المقسوم له من محمده .
وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى علي بن عيسى : وهنا الله الوزير
مأثاه وجعله أئمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفاتحة وأسلمه
مالاً وعاقبة وأطوله أمداً ومدة وأدومه انتظاماً واستقامة وأوفره كفاية لله
وجميل ولايته وصادق معاونته حظاً وسهمة^(١) ويسر لديه العسير وقرب على يده
البعيد والشطير^(٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاث نعمه^٣
في حال كونها ونعمة^٤ ترجى مستقبله ونعمة^٥ تأتي غير محتسبة فأدام الله لك
مأنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

المديح

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أوردته هنا
صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :
ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رخص السعر وأمن السبل
وادرأك الآثاني وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجري لك من ذكر
ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدز وعلو المنزلة والذكر
وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكال الاداة والآلة والتمهد في السياسة والايالة وحياطة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجري مثله عند كل ذكر يتجدد ذلك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاه الأصل ونماء الفرع وسقي الحساب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها فيه وتحقيقها^(١) غند مؤمليه لكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً^(٢) والأذن بياناً . ومما يجري مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عي اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان . وكتب الصاحب : وايس بيدع أن يجود كلامه وتعتدل أقسامه ويتهدب بيانه ويتسم جنانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان مُعد الفقه كان البازل الذى ذلل الفحول مُصاولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم ونخص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الأفراد وكثر مُكاثرة الآحاد وإن جُورى فى سوائر الأمثال وققر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جذيلها المحك وعذيقها المرجب وقد سُلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاده .

وقال رجل لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلً وتجبى ما عتل وتكثر ما قل . وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من ولاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتديره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزّه ويزيدُ فى تأييده .

(١) فى الاصل (تحقيقاً) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿ فاما الذم والتهجين ﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلاً : يقطع نهاره بألمني ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إدار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبته في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلاً : نزلت بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بندم وارحل بدم . وقال أعرابي : أولئك قوم سلخت أبقاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم فلبا سهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابي لا تُدنس شعرك بعرض فلان فإنه سمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لأدرى لسانى فيك لايجرى

إذا فكرت في عرضك أشقت على شعري

واستشارت امرأة امرأة في رجل تزوجه فقالت لا تفعل فانه وكلةٌ تكلةٌ يأكل خلاله . وكلةٌ وتكلةٌ بمعنى واحد وهو الذى يتكل في الأمور على غيره ولا يقوم فيها بنفسه والتاء في تكلة واوكما قيل تُراث وهو من ورث ، والخلل ما يخرج من بين الأسنان عند التخلل وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريب منه قولهم فلان يُشير الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طمعه وشره يُشيرها يطلب تحتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيت الكلاب طلبت عظماً لقد حدثت نفسك بالهال

﴿ في الشكر ^(١) ﴾

وكتب ابن المعتز في الشكر : قد جلت نعمتك عن شكرى فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ .

عن عجزى بعد جُهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورأفته ، وهذا من قول
طريح بن اسمعيل : فقصرت مغلوباً وإني لشاكرٌ * وكتب آخر : إذا كان
بجهودي في شكر النعمة واعترافي بحق العارفة يُبلغني أقصى نهاية الشاكرين
وأبعد غاية المترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكرى كزيادة قيمتك في
نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عنى . وكتب بعضهم قلبي نجى
ذكرك ولساني خادم شكرك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فإن
أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤمنين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عِرضه
فتدال لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان في رجائك وتأميلك ولسانه
فكان في ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رفضَ المكاسبَ واغتدى يتعلمُ الآدابَ حتى أحكما
فكسا وحلى كل أدوع ماجدٍ من حرٍّ ماحاك الضميرُ ونظما
مُتشاغلاً عما يُمارسُ غيره حتى لقد أثرى اللثامُ وأعدما
ثقةً برعى الأكرمين ذِمَامَهُ لأحقُّ مُلتمسٍ بأن لا يُحرما

وكتبت : وتأملتُ التوقيع في معنى المعيشة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى
بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتمنحت عن
ساحتي خطوبه وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعمُ في إداء شكرها بل عسى
أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شُكراً لها ومقابلة بما خلص إلى منها
وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .
وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال على بن عبيدة : النعمة كالروضة
والشكر كالزهرة . وكتب ابن المعتز في معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا في
حافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن
ثوابة : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة
أن يجعلنى وقاءً لك منها . وكتب في فصل : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

يضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية في البر والعقوق .
وكتب أبو علي الضرير : تجاوز بي ذكر فضلك ووصف محاسنك والاختبار
بما وهب الله للامام والأمة فيك إلى القول بحاجتي قبلك ليس لأني جهل
الحق على لك ولا لأني ادخرت الثناء الجميل اغيرك ولكني رأيتني فيما أتعاطى
منه كالخبر عن ضوء النهار الباهر الذي لا يخفى على ناظر وكلنبه على الأمر الواضح
الذي يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك وولت
الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القول في هذا الباب إلى هنا لعلمنا أنا ان أردنا استيعابه
لم نقدر عليه لكثرتة ونرجو أن يقع الاكتفاء به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا
ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي دل على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ما خلق من الصور
وتباين ما أنشأ من الفطر من ملك وإنسان وبهيمة وجان وطائر يمسح صفحات
التراب ويأخذ بأهاب السحاب وحش ينطوى على أدراجة ويستوى مرة في أعوجاجه
إلى غير ذلك من خلقٍ مختلفة وأجرام متباينة حقيرها جليل وصغيرها كبير
وجعل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً وفضله على كثير من خلق
تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسم فيها قولهم اتساعاً
شديداً وأناجىء بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرة واستفاضته
ولاحاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا بُدَّ
من إيراده لفقد شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ما جاء عن القدماء في صفة الفرس
قول أبي ذؤاد :

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب

وقول الاعرابي :

وأحمر كالديباج أما سماؤه فرأيا وأما أرضه فمحسول

سماؤه : أعاليه ، وأرضه : أسافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتيبي * كأن آذانها أطراف أقلام *
وأحسن ما قيل في اصطفاة الخيل قول الاسعر ^(١) :

يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور ألقى فاصطلى ^(٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فانه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لا تسبق إحداها الأخرى .

أى كلمن^٣ يُبادِرُ الغارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخذه على بن جبلة
فقال رحمه الله :

كَأَنَّ خَيْلَكَ فِي أَثْنَاءِ غَمَرَتِهَا أَرْسَالُ قَطَرٍ تَهَا مَى فَوْقَ أَرْسَالِ
يُخْرِجَنَّ مِنْ غَمَرَاتِ النَّقْعِ سَامِيَةً نَشْرَ الْأُنَامِلِ مِنْ ذِي الْقِرَّةِ الصَّالِي
وَالأَوَّلِ أَجُودَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّاجِزِ * مُسْتَوِيَّاتِ كَضُلُوعِ الْجَنْبِ *
وَفِي وَصْفٍ وَقَعَ قَوَائِمُهَا قَوْلُ مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ الْهَمْدَانِي :

وَتَهْدَى بِي الْخَيْلُ الْمَغِيرَةَ نَهْدَةً إِذَا صَبَرْتَ صَابَتْ قَوَائِمُهَا مَعَا
وَمَنْ أَحْسَنَ الِاسْتِعَارَةَ قَوْلُهُ :

وَإِنْ عَثَرَتْ أَحَدَى يَدَيْهِ بِشَبْرَةٍ^(١) تَجَاوَبَ أَثْنَاءُ الثَّلَاثِ بَدَعْدَا
وَكَانَ الْإِحْسَنُ أَنْ لَا يَصِفُهَا بِالْعَثَارِ إِلَّا أَنْ يَقُولَهُ * تَجَاوَبَ أَثْنَاءُ الثَّلَاثِ بَدَعْدَا *
مُسْتَعَارٌ حَسَنٌ يَعْنِي عَلَى إِسَاءَتِهِ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُ بِالْعَثَارِ ، وَدَعْدَعٌ مِثْلُ قَوْلِهِمْ «لَعَا» وَهُوَ دَعَاءُ
لِلْعَاثِرِ بِالْحَيَاةِ . وَأَهْدَى بَعْضُهُمْ شَهْرِيًّا^(٢) وَكُتِبَ : بَعَثْتُ بِشَهْرِي حَسَنَ الْمَجْمُوعِ لَيْنِ
الْمَوْضُوعِ وَطَىءَ الْمَرْفُوعِ هُمُ أَمَامُهُ وَسُوطُهُ لَجَامُهُ . وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِي قَوْلِهِ :

وَخَيْلٌ طَوَّاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا أَنَا يَدِيبُ سَمَرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِّ زَبَلُ
صَبَبْنَا عَلَيْهِمْ ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ
فَذَكَرَ أَنَّهُمْ ضَرَبُوهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمْنَعَ شَيْئًا مِنْ مَطْلُوبِ سِيرِهَا فَكَانُوا ظَالِمِينَ
أَيُّهَا . وَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا * أَضْيَعُ شَيْءٍ سُوطُهُ إِذَا تَرَكَبَهُ *
وَقَالُوا أَحْسَنَ يَدِيتِ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ جَرِيرَ :

وَطَوَى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بِطُونَهَا طَى التَّجَارِ بِمَحْضَرِ مَوْتِ بُرُودَا
وَقَدْ أَحْسَنَ الْأَعْرَابِيُّ الْقَوْلَ فِي سُرْعَةِ الْفَرَسِ حَيْثُ يَقُولُ :

غَايَةً مَجْدٍ رَفَعَتْ فَمِنْ لَهَا نَحْنُ حَوِينَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لَوْ تَرَسَّلَ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا

(١) الثَّبْرَةُ : السُّكُومُ مِنَ التَّرَابِ . (٢) الشَّهْرِيَّةُ بِالْكَسْرِ : ضَرْبٌ مِنَ الْبَرَادِيزِ .

وقول الآخر :

جاءَ كمثل البرقِ جاشَ ماطرُهُ يسبحُ أولاهُ ويطفؤ آخره
فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُهُ

وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفؤ آخره *
ردىء لانه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عبيدة بن الطيب في الثور :
يخفي الترابَ بأظلافٍ ثمانية في أربع مَسَّهنَّ الأرضَ تحليلُ
يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصاة الخاف بمينه بالتحلة لا تراخي
بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنَّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنَّ ما يهربُ منه يُطالبه

وقد أجاد القائل في صفة كلاب * كأنها يرفعن ملا يؤضع * ومن عجيب
ما قيل في ادامة الجري قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانهُ ويُبارى شبابة
الرمح . ويستحبُّ في الفرس، إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ما قيل في
ذلك قول علي بن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ في استقبالهِ حتى إذا استدبرتهُ قلتَ أكبَّ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله :

إن أدبرتْ قلتَ لاتليلَ لها أوأقبلتْ قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طرُف إذا استقبلته قلتَ حبا حتى إذا استدبرته قلتَ كبا

ذو أربع يلقى الصفا بمثلها وللحصى من خلفها وثب دبا

إذا ترامينَ به في سيرهِ تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهُورُها حِرْزٌ

وَبُطُونُها كَنْزٌ » وقال الأشعرُ الجمعي في معنى قول النبي ﷺ ظُهُورُها حِرْزٌ :

ولقد علمتُ على توقِّي الردي أن الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ما وصف به ^(١) الحضر^١ الفرس قول الاعرابي في فرسه
« يحضر ما وجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :
على هيكل يعطيك قبل ^{سؤاله} أفانين جرى غير كز ولا وان
قوله « قبل ^{سؤاله} » عجيب الموقع ، وقوله « أفانين جرى » أعجب وأبلغ .
وأجود ما وصف به ظفره عند الطلب قوله :
وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
فجعل الاوابد وهي الوحش مقيدة له بناها كيف يريد .
وقد أجاد أيضاً أحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول :
إذا ما ولدنا قال ولدان^٢ أهلنا تعالوا الى أن يأتي الصيد نمطب^٣
وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى :
وأرى الوحش في يميني اذا ما كان يوماً عنانه في شمالي
ونقله الشماخ بن ضرار^(٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :
قليل^٤ التلاد غير قوس وأسهم كأن الذي يرمى من الوحش نازر^٥
أي جامد بارد يصيبه كيف يريد . وجعله أبونواس في نعت كلاب فقال :
بأكلب تمرح في قاداتها تعد^٦ غير الوحش في أقواتها
وهو من قول أبي النجم : تعد غابات اللوى من مالها . وقوله :
يردى على حوافر لا تخذله صم الشوى يحملها وتحمله
حاف وما يحفى وما تنعله نار عجاج مستطيل قسطله
تنقش منه الخيل مالا تعزله في جنبه الطائر ديث عجله
كأن^٧ ترب^٨ التاع وهو يسحله ضيق^٩ شياطين رفته^{١٠} شماله

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازني ، من الجضر بين أدرك الجاهلية والاسلام ،

كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أَوْخَلَقَ يُنَشِّقُ عَنْفُسَهُ سَمَلَهُ تَرَى الْغَلَامَ سَاجِياً لَا يَرْكَلُهُ
يُعْطِيهِ مَا شَاءَ وَلَيْسَ يَسْأَلُهُ فَوَافَتْ الْخَيْلَ وَنَحْنُ نَشْكَلُهُ
وَيَسْتَعِجُّ فِي الْخَيْلِ سَعَةَ الْمُنْخَرِينَ فَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مُزَاحِمِ بْنِ
طُفَيْلِ الْعُقَيْلِيِّ * مَنْ مَنَخَرٍ كَوَجَارِ الثَّعْلَبِ الْخَرْبِ فَجَعَلَهُ خَرْباً لِيَكُونَ أَوْسَعُ .
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

مِلءَ الْحَزَامِينَ وَمِلءَ الْعَيْنِ يَنْفَشُ عِنْدَ الرِّبُو مَنْخَرِينَ
كَنَفَشِ كَبِيرِينَ بِكَفَى قَيْنِ
وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ عُنُقِ الْفَرَسِ قَوْلَ مُزَاحِمِ الْعُقَيْلِيِّ أَيْضاً
كَأَنَّ هَادِيَهُ جَذَعَ عَلَى شَرَفٍ * فَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَهَا جَذْعاً حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى شَرَفٍ
كَصَنِيعِ الْخَنَسَاءِ فِي قَوْلِهَا - كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ * وَقُلْتُ :

بِمَعْقُودِ السَّرَاةِ عَلَى انْدِمَاجِ وَمَزْرُورِ الْقَمِيصِ عَلَى انْشِمَارِ
يُرِيكَ جَبِينَهُ لِمَعَانَ بَرَقَ وَسَاثُرُ جَسَمِهِ لِمَعَانَ قَارِ
فِي شَبِّهِ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلًا وَيَحْكِي الْخَالَ فِي خَدِّ النَّهَارِ
وَيُقْبَلُ حِينَ يُقْبَلُ فِي سَمَوِّ وَيُدْبِرُ حِينَ يُدْبِرُ فِي انْحِدَارِ
وَيُمْسِكُ وَهُوَ كَالْعَدْنِ الْمَعْلَى وَيَحْضُرُ وَهُوَ كَالْمَسْدِ الْمَغَارِ
يَلُوحُ الْبَدْرُ مِنْهُ فِي جَبِينِ وَتَتَضَحُّ الثَّرِيَا فِي عِذَارِ
وَقَدْ أَبْدَعَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَبْلَقَ أَغْرَقَالَ :
وَكَاثِمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَاءِهِ
إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّطْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخَدِّ وَضَرْبُ الْجَبِينِ
لَا يُسَمَّى لَطْماً وَالْقَصَاصُ يَكُونُ بِمَثَلِ الْفِعْلِ فَالْقَصَاصُ بِاللَّطْمِ اللَّطْمُ لَا الْخَوْضُ
فِي الْإِحْشَاءِ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ وَأَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْغُرَةِ وَالتَّحْجِيلِ :
كَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ فِي أَرْسَافِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ
وَنَحْوَهُ قَوْلُ كَشَاجِمِ :

قد راحَ تحت الصبح ليلٌ مظلمٌ لو راحَ في السرج المحلى الأدهم
 ضحك اللجين على سود أديمه وكذا الظلام تنير فيه الأنجم
 فكانه بينات نعش ملببته وكأنما هو بالثريا ملجم
 وقلت: عارضت فيه النجم فوق مطهم يهوى لطيفه هوى الأعقب
 ذاوى المسيب قصيره ضافى السيب طويله صافى الأديم محب
 كالنور بين العشب يمهز حسنه بين الجياد إذا بدا في موكب
 وتطير أربعة به في أبطح فكانه من طولها في مرقب
 صم الحوافر شرب صم الصفا منها الاهلة في الصفا والصلب
 وكان غرته نفضض وجهه والنقع يذهب وإن لم يذهب
 وكان في أكفاله وتليله غسق النجوم فتستطيل وترتي
 وكأنما الارساغ ماء لم يسلم والجسم كأس مدامة لم يقطب
 لم يطلب إلا يفوت ويطلب إلا يفوز فلم يخب في مطلب
 والعاصفات حسيرة والبارقا تأسيرة في شدة الملهب
 وكأنما يحوى مدار حزامه احناء بيت بالعراء مطلب
 وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله * يرمى الجلاميد بأمثالها *
 ثم قال رؤبة * يرمى الجلاميد بجلود مدق * وأبلغ ما وصف به شدة
 قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاشناندى عن الجرهمي :
 سِيانَ تحت طموه وطموه أكم الفلا ومقابل الولدان
 يطاء الخبار فلا يطير غباره ويرض حافره حصى الحزان
 يقول سواء غلبه إذا طما في سيره أى ارتفع وإذا طمر أى وثب ، الأكم
 وهى المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهى ملاعب الصبيان
 إذا لعبوا بالتراب فمدوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبوا خبيثاً فمن أخرجه
 فقد غلب ، والخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهي الغليظ من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول
 جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار في الرقاق من
 الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهي مواضع الحجارة ناقل فيها
 لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر : شاذخة تشدخ من أدلاها :
 يقول تبعد عن الطريق ولا تبالي سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذي لاشبيهه له قول ابن المعتز :

ولقد غدوت على طمر قادح
 ومحبّل غر اليمين كأنه
 رفعت قوائمه غمامة قسطل
 متبختر يمشي بكم مسبل

وقد أحسن القائل في قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه
 وقد قطعت من لونها الشمس غرة
 وأولّه في منعه الخطو آخره
 له وحجولاً ثم كالظل سائرُه

وقال ابن المعتز :

تمت له غرة كالشمس مشرقة
 إذا تقرّط يوماً بالعدار غدا
 وكنت : إذا تحلى بالعدار ومشى
 كأنه تحت الحلى روضة
 يكاد سائلها عن وجهه يكف
 كأنه غادة في أذنها شنف
 قلت فتاة تتصدى لفتى
 درّ عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ما قيل في طول الفرس في الهواء قول أبي دؤاد :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه
 كأنى إذا حليت حوزة متنه
 وببيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل ، فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .

وقلت : مضطرم الغدو والرواح
 وأخبرنا أبو القسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال أهدى رجل
 من الدهاقين إلى خالد بن عبد الله القسري برذونا وقعد بين يديه فقال ما هذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نفس وان حر كته طار . فقال صفته خير منه .

وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عنانه إذا جذب
ويشبه الفرس في عدوه بالنار فأجمع ما جاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتى طرف^١ لاحق^٢ بالمهاديات^٣ طمر

طوى الشحم على متنتيه مثل ما يطوى القباطى تجر
فهو نار^٤ والتراب^٥ دخان^٦ مستطير^٧ وحصى الأرض جمر^٨

وقال : وكم غدوت بفتيان تسيل بهم سوابق^٩ أحكمتهن^{١٠} المضامير

مكنفات باذان^{١١} نواصيها كما يشق^{١٢} عن الطلع الكوافير

تنزوا كراتهم^{١٣} فى كل معترك^{١٤} كما يطير^{١٥} من الذعر^{١٦} العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ما وصف به الجرى السهل . ويستحب

فى الفرس الشدق وهو سعة الشدقين فمن المذكور فى ذلك قول بعض العرب

* وان يلق كلب^{١٧} بين لحييه يذهب * ومن مליح ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر فى غرة^{١٨} شمها واسترطا

وإذا سار رمى يده والتقطا

وكأن ملجمه يفتحان سفظا

وقال : وغدونا بأعنة خيل تأخذ^{١٩} الأرض بأيدى عجال

زينتها غرر^{٢٠} ضاحكات^{٢١} كبذور^{٢٢} فى وجوه^{٢٣} الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب

بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلاب^{٢٤} بيض دون صافيه الى التعريض

وقال العماني الراجز :

(١) فى نسخة (بالمهاديات) .

كَأَنَّ تَحْتَ الْبَطْنِ مِنْهُ أَكْلِبًا بَيْضًا صَغَارًا يَنْتَهَشِنُ الْمَنْقَبَا
وَتَبِعَهُ الْجَمَانِي فَقَالَ :

وَلَيْلٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغَرَابِ عِيٌّ مِذَاهِبٌ وَخَفِيٌّ بَابٌ
دَلَفْتُ لَهُ بِأَسْوَدَ مُسْتَعْمَرٍ كَمَا نَظَرَ الْغَضَابُ إِلَى الْغَضَابِ
أَجَشُّ كَأَنَّمَا قَابَلْتُ مِنْهُ تَبَعُوقَ الْجَلَّةِ وَحَرِيقَ غَابِ
تَرَاهُ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ إِذَا وَصَلَ الْوُثَابُ إِلَى الْوُثَابِ
كَأَنَّ لَدَيْ مِغَابِنِهِ التَّمَاعَا سِهَادِسَ عِنْدَهُ يُبْقِعُ الْكَلَابِ
وَلَيْسَ نَظْمُ هَذَا الْبَيْتِ بِمُخْتَارٍ ، وَذَكَرَ قَوَائِمُهُ ثُمَّ قَالَ :

يَخَالِسُ بَيْنَهَا رَفْعًا وَوَضْعًا كَمَا خَفَقَتْ بِنَانُكَ بِالْحِسَابِ
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الْحَصَى الَّذِي يَتَرَامَى بِسَنَبِكَ الْفَرَسِ إِذَا جَرَى قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَتْهُ ^(١) رَجُلُهَا خَذَفَ أَعْسَرَا
وَجَعَلَهُ أَعْسَرَ لَذَاهَا بِهِ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ ، أَخَذَهُ ابْنُ الْمَعْتَزِ فَقَالَ وَغَيْرَ لَفْظِهِ وَأَتَى بِمَعْنَاهُ :

يَقْذِفُ بِالرَّجْلِ حَصَى الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ رَامٍ بِلَا تَحْقِيقِ
وَقَالَ : يَنْفِي خَفَافَ الْحَصَى وَالنَّقَمَ مُنْتَشِرًا كَأَنَّهُمَا خَلْفَ رَجُلَيْهِ الزَّنَائِيرِ
وَقَدْ أَجَادَ الْكَمِيتُ فِي قَوْلِهِ :

كَأَنَّ حَصَى الْمِزَاءِ بَيْنَ فُرُوجِهَا نَوَى الرِّضْخَ يَلْقَى الْمَصْعَدَ الْمَتَصَوِّبَ
فَجَعَلَهَا لِكَثْرَتِهَا تَتَلَاقَى فِي الْهَوَا وَزَادَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَمْرُوقِ وَمِنْهُ أَخَذَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :
كَأَنَّ حَصَى الْمِزَاءِ بَيْنَ فُرُوجِهَا بَوَادِي نَوَى رِضَاخَةٍ لَمْ تَدْفُقْ
وَقَدْ أَجَادَ الرَّاجِزُ فِي قَوْلِهِ * يَرْضِخُ مَا يَرْضِخُ مَا لَا يَرْضِخُ ^(٢) * يَقُولُ إِذَا
وَطَأَ الْحَصَى نَبَتٌ مِنْ تَحْتِ سَنَبِكَ فَأَصَابَ مَا لَمْ يَطَأْ فَدَفَعَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَكَأَنَّ رِضْخَهُ
أَيَّ رِجْلِهِ وَالرِّضْخُ الرِّمْحُ . وَيَشْبَهُهُ الْحَافِرُ بِالتَّعْبِ فَمِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ *
لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ * أَخَذَهُ ابْنُ الْمَعْتَزِ فَقَالَ :

(١) النَجَلُ : الرَّمْيُ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ . (٢) فِي الْأَصْلِ (يَضْرُخُ) فِي مَوَاضِعَ .

قد اغتدى بقادحٍ مُسومٍ يعبوب
 ينقى الحمى بخافرٍ كالقذح المكبوب
 قد ضحكت غرته عن موضع التقطيب
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بحوافٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعرٍ وحلقٍ أحلق
 فجعل البيت كله تجنيساً ولعله ماسبق إلى ذلك . وقد طاب الأمدى قوله « وصلب
 صلب » وقوله « وحوافرٍ حفرٍ » وقال ان الحوافر لا تحفر الأرض وأكثر
 ما ذكر في ذلك انها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن
 ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور في صفة الفرس قول البحري وهو أوصف
 المحدثين للخيل وأكثرهم إجادة في نعمتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومه وكفى بيوم مخبراً عن عامه
 جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
 جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجيء البدر حين تمامه
 واسودَّ ثم صفت^(١) لعيني ناظر جنباته^(٢) فأضاء في إظلامه
 مالت نواحي عُرْفه فكأنها عذباتٌ أثل مال تحت حمامه
 ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
 وكان فارسه وراء قذاله ردفٌ قلست تراه من قدامه
 لانت معاطفه فخيل أنه للخيزرانٍ مناسبٌ بعظامه
 وكان صهيله إذا استعلى بها رعدٌ يقعق في ازدحام غمامه
 مثل الغراب بدايبارى صمبه بسواد صبغته وحسن قوامه
 والظرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه^٣ ولجامه
 وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيمُ محجَّلٌ قد رُحَّتْ منه على أغرَّ محجَّل

(١) فى الأصل (صفا) . (٢) كذافي الديوان ، وفى الأصل (جلبابه) .

كالهيكَل المبني إلا أنه
 ذنبٌ كما سحب الرداء يذبُّ عن
 جذلانٍ ينفضُ عذرةً في غرةٍ
 تسوهمُ الجوزاءُ في أرساغه
 وتراهُ بسطعٍ في الغبار لهيبه
 هزج الصهيل كأنَّ في نغماته
 ملكَ العُيون فان بدا أعطينة
 وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

عجباً لشمسٍ أشرقت في وجهه
 وإذا تمطر في الرهان رأيتُهُ
 وقال ابن المعتز :

تحملي طرفة صادرةً واردةً
 ترضيك في يومها وهي غداً زائده
 ورجلها تقتضي ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البداء قول أبي نخيلة :
 لما رأيتُ الدين ديناً يُؤفك وأمست القبة لا تستمسك
 تُفتق من أعراضها وتهتك سرت من الباب فسارت دكرك
 منها الجوجى ومنها الارمك كالليل إلا إنها تحرك
 فقال لعنك الله ان كنت أنشدتها وأنت على غير وضوء ، قوله
 * كالليل إلا إنها تحرك * استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

إذا ما بدا أبصرت غرة وجهه
 وردفاً كظهر الترس أسبل خلفه
 كعنقود كرم بين غصنين نوراً
 عسيباً كبيض الطود لما تحدرأ
 ومما يجري مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهد^(١) الليل بفتيان غرر على جياذ كتمانيل الصور
 كأنما خيطوا عليها بالابر أو ممر الفارس فيها فانسم
 وباسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكتابه أنا^{مه}
 أنت ؟ قال لا وأيد الله الأمير ، قال ما طيب الطعام ؟ قال طعام شهوة في
 أبان جوعة ، قال فما الذ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفى بها غليلك
 أو كأس^{مه} تعاطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التي تدخل اليها
 والهأ وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسبق الأعنق الذي اذا
 طلب لحق واذا طلب سبق واذا صهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت
 لله درك ، اعطه يا غلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا
 دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقق ظنه
 يا غلام . فأعطاه ألفي دينار .

وقيل لاعرابي أتعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد
 المبرز فهو الذي لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسهب^{مه} واذا انتضب
 اتلاب^{مه} ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجة القحم الارنية الغليظ الرقبة
 الكثير الجلبة الذي اذا قلت أمسكه قال أرساني واذا قلت أرسله قال أمسكني .
 وقال المهدي لمطر بن دراج : أي الخيل أفضل ؟ قال الذي اذا استقبلته
 قلت نافر واذا استدبرته قلت زاهر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى
 البراذين خير^{مه} ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شر^{مه} ؟
 قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة اذا أرسلته قال أمسكني واذا أمسكته قال أرسلني .
 ووصف رجل^{مه} من العرب خيلاً فقال : إنها خلقة للجودة وآية ذلك انها سامية
 العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات
 الحجيات وحاب المناخر صلاب الجوافر وقمها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فانت

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير
الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث
أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والعسيب
والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ،
صليب الدخيس والسكاهل والعجب ، عريض اللباب والحجبة والخذ ، منيف الجوانح
والقذال والقوائم ، أسود الذكر والخافر والعين . وقال محمد بن منادر في وصف فرس :

وَإِذَا أُعْرَضَ قَطْرِيهِ لَنَا وَفِيَا وَاسْتَوْفِيَا قَدَّاءَ بَقْدٍ

فَهُوَ كَالْقَدْحِ أَقَامَتْ دَرَاهُ كَفُّ بَارِيهِ فَمَا فِيهِ أَوْدٌ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب
نقى العصب يبيع بيديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه
يلحق الأرانب في الصعداء ويمجاوز الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن
زجرته حار وإن طرحته عنانته سار كموج في لجة أو سيل في فجوة ان وجد علفاً
أمن وإن فقدته ضغن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب إليه :
قد بعثت إليك ببرذون لين المرفوع وطيب الموضوع حسن المجموع طويل العذار
أمين العثار . ومما يجري مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد
ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه لجاماً لحاره :

جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدْ أَمْسَى حَمَارِي لَهُ سَرَجٌ وَلَيْسَ لَهُ لُجَامٌ

كَمَثَلِ الْعَاطِلِ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ لَهَا حَكْلٌ وَلَيْسَ لَهَا نِظَامٌ

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها
أطراف ما قيل في صفة الابل قول القطامي :

يَمْشِينَ زَهْوًا فَلَا الْإِعْجَازُ خَاذِلُهُ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْإِعْجَازِ تَتَكَلَّمُ
فَهْنٌ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمَضٌ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَوْ كَانَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي صِفَةِ النِّسَاءِ لَكَانَ أَحْسَنَ وَذَلِكَ لِمَا رَأَوْا
مِنْ تَمَامِ حُسْنِهِ وَظَرِيفِ لَفْظِهِ . وَالْبَيْتُ الْآخِرُ هُوَ مِنْ أَبْلَغِ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ هَاجِرَةٍ .
وَمِنْ مَلِيحِ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ النَّاقَةِ قَوْلُ ابْنِ الْخَطِيمِ :
وَقَدْ ضَمَرْتُ حَتَّى كَأَنَّ وَضِئَهَا ^(١) وَشَاحُ عُرُوسٍ جَالٍ مِنْهَا عَلَى خَصْرِ
وَيُشَبِّهُ الزَّمَامَ بِالْحَيَةِ فَمِنْ أَوَّلِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
يَعَالِجُ مِثْنَى حَضْرَمِي كَأَنَّهَ حَبَابٌ نَقَا يَتْلُوهُ مَرْتَجِلٌ يَرْمِي
وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

رَجِيمَةٌ ^(٢) . أَصْفَارٌ كَأَنَّ زَمَامَهَا شَجَاعٌ ^(٣) عَلَى بَسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مَطْرَقٌ
وَأَخَذَهُ الْمُتَنَبِّيَ فَقَالَ « كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا الْأَقَاعِيَا »
مِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ الْأَبْلِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :
إِذَا مَا أُنِيخْتُ قَابِلْتُ عَنْ ظَهْوَرِهَا حَرَا جِيجَ أُمَثَالِ الْأَهْلَةِ شَسْفٌ
شَبَّهَهَا بِالْأَهْلَةِ لَضَمْرِهَا وَاحِدٌ يَدَابُهَا . وَتُشَبِّهُ بِالْقَسِيِّ فَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي
ذَلِكَ وَأَجْمَعُهُ قَوْلُ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ :

وَحْدَانِ الْقَلَاصِ ^(٤) حَوْلًا إِذَا قَا بَلَنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ ^(٥) وَقَدْ خَضْنَ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
كَالْقَسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْهَمِ مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَادِ
وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النِّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَارِ الْفَلَا

(١) الْوَضِئُ كَالْحَزَامِ . (٢) أَيْ مَعَاوِدَةٍ . (٣) الشَّجَاعُ هُنَا . الْحَيَّةُ .

(٤) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « وَحْدَانُ الْقَلَاصِ » .

(٥) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « بِالسَّرَابِ » .

خوص كأشباح الحنايا ضمير
يرعفن بالامشاج من جذب البرى
يرسبن فى بحر الدجى وفي الضحى يطفون فى الآل^(١) اذا آل طفا

ومن غريب ما قيل فى عين الناقة قول ذى الرمة :

كأنما عنها منها وقد ضمرت^٢ وضمها السير فى بعض الاضى ميم^٣
فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهى الغدير ، وقد
قصر بنى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن
عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره
فراه ترك فى الخط لأمأ فقال له ذوالرمة أكتب لأمأ فقال حماد وانك لتكتب قال
لا أكتب عليك فانه كان يأتى باديئنا خطا فعملنا الحروف تخطيطاً فى الرمل فى
الليالى المقمرة فاستحسنتها فثبتت فى قلبى ولم تخطها يدي .

ودخل أبو تمام على المأمون فى زى^٤ اعرابى فأنشده :

دمن^٥ ألم بها فقال سلام^٦ كم حل^٧ عقدة صبره الامام^٨
فجمل المأمون^٩ يتعجب من غريب ما يأتى به من المعانى ويقول ليس هذا
من معانى الاعراب . فلما انتهى الى قوله :

هن^{١٠} الحمام فان كسرت عيافة^{١١} من حائهن^{١٢} فانهن^{١٣} حمام^{١٤}
فقال المأمون الله أكبر^{١٥} كنت يا هذا قد خلطت على الامر منذ اليوم
وكنت حسبتك بدويا ثم تأملت معانى شعرك فاذا هى معانى الحضريين واذا أنت
منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس فى فى وصف الناقة :

ولقد تجوب^{١٦} بى القلاة اذا صام النهار وقالت العفر^(٢)
شدنية^(٣) رعت^(٤) الحمي فانت ملء^(٥) الجبال كأنها قصر

(١) فى الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الظباء التى يعلو

بياضها حمرة (٣) شدن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .

(٤) فى نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنثرة :

فوقفتُ فيها نائتي وكأنها قد ن لأقضى حاجة المستلوم

إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامدة^(١) فتقول رنق فوقها كسر

أما إذا وضعته عارضة فتقول أسبل خلفها^(٢) ستر

أخذه من قول أبي دواد : قواد من نسور مضر جات * وليس بيت أبي

دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسف أحياناً فتحسبها مترسماً يقتاده أثر

فاذا قصرت لها الزمام سباً فوق المقادير ملطم حر

وكانها يُصنع لتسبحة بعض الحديث بأذنه وقر

ومين أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

ألمن يقصرن من نجب نخلسة ومن عراب بعيدات من الحادي

أى يسبقن الحادي فيعبدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تذر المطي وراءها فكانها صف تقدمهن وهي امام

وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقة في مهم رمى بها هم إذا نام الوري سرى بها

فهى أمام الركب في ذهابها كسطر بسم الله في كتابها

ومن مصيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

تأتي الفلاة بجف لا يقر لها كأن مسقطه في تربها طبق

وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمتها :

كانا عند نهضته رفعا خباء فوق أطراف الرماح

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامدة» وهي الناقة

التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) في ديوان أبي نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرة كأن حجاجها وقب أناف بشاهق لم يحال
وكان مسقطها إذا ما عرست آثار مسقط ساجد مبتل
وكان آثار النسوع بدفها مسرى الأساود في دهاس أهيل
ويشد حاديهما بحبل كامل كعسيب نخل خوصه لم ينجل

وقال أيضاً :

كان المطايا إذ غدوّن بسحره تركن أفاحيص القطا في المبارك

ثم قال وهو من أجود ما قيل في سمن الابل :

لنا إبل ملء الفضاء كأنما حملن التلاع الجو فوق الحوارك
وقد أحسن القائل في وصف سرعتهن حيث يقول :

مُحوص نواج إذا حث الحداة بها حسبت أرجلها قدّام أيديها

وذكر دعبل بن علي الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً

سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذه ابن المعتز فقال :

تخال آخره في الشد أو له وفيه عدو وراء السبق مذخور

وقد أحسن مسلم في قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلق من الريح في أشباح ظلمان
كان أفلاتها والفجر يأخذها أفلات صادرة عن قوس حسان

وقال آخر :

كان يد يها حين يجري ضفورها طريدان والرجلان طالبتا وتر

ومن بليغ ما جاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرت بها سباح قفر كأنه يخاف لحاقاً أو يبادر أولاً
توارثه الايجاف حتى كأنه ليس ضنى أعبا الطيب المعدلاً

ومن بديع ماجاء في ذلك قول رؤبة بن العجاج^(١)
 كأن أيديهن بالقاع القرق أيدي المذارى يتعاطين الورق
 وقد أحسن أبو الشيص^(٢) في قوله :

وايل يركب الركبا ن في أمواجه الخضر
 توكلت على أهوا لها بالله والصبر
 وأعمال بنات الريح في المهمة القفر
 شمائل يباحن متون الصخر بالصخر
 بايجاف يقد اليـل عن ناصية الفجر
 وقلت : لنا هجمات تنثني سرواتها بأسنة مثل الاكام سوامق
 خبطن الريح وانتسفن نباته كمرت الاجلام فوق المفارق
 بناها بناء البيت حون رواعد نجى على آثار جون بوارق
 تدور بأحقها البروق وتنثني كأن عليها مذهبات مناطق
 وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العين خضت ظلامه بأزرق لماع وأخضر صارم
 وطيارة بالرحل صرف كأنها تصافح رضراض الحصى بجماجم
 وقلت : وليلة خبطت من ظلماتها بنازح الخطو إذا الخطو دنا
 قد انبري يعترف السير بنا في طرق يخبط فيهن الهدى
 ينهي الوجي^(٣) أمثاله عن السرى وساعدته مبة تنهي الوجي
 ومن مصيب التشبيه قول الزاعي :

في مـهـه قلقت بها هاماتها قلق القؤوس إذا أردن نصولا

(١) كان حارفاً باللغة وحشيها ، وغريبها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر
 واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعي ، كان معاصراً لأبي نواس
 ومسلم بن الوليد ، في شعره رقة . (٣) الوجي : الحفا .

وقول الآخر: حرام من نسل المهاري نسلها إذا ترامت يدها ورجلها
حسبتها غيري استغفر عقلها أتي التي كانت تخاف بعلمها
أي كأنها من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياها غيري تخاصم وتشير
بيديها لا تفتري. وقلت:

ومهمه^(١) قلقت فيهار كائبنا والليل في قلق تسري ركائبه
ركبته فكان الصبح راكبه وجبته فكان النجم جائبه
بكل ذي ميمة جد الوجيف^(٢) به فانه غاربه وانضم حاله
وبات ينهب جنح الليل في عجل كأنه لاعب طابت ملاعبه
حتى بدا الصبح مبيضاً ثائبه وأدبر الليل مخضراً شواربه
وإنما النجح في ليل ترادفه إذا تأوب أو صبح يواكب
وساهر الليل في الحاجات نائم وذهب المال عند المجد كاسبه
وقال أبو تمام:

على كل رواد^(٣) الملاط تهدمت عريكته العليا وانضم حاله
رعته الفيا في بعد ما كان حقبة رطاه وماء الروض ينهل ساكبه
وقلت: واستنفضتكم إلى المآثر والعلا همم تخال زهاؤهن جبالا
أردفت مرهفة النصال نصالا أردفت عرائم فكانما
حملتها قلص الركاب كأنها قلص النعام إذا اتبعن ريالا
مهريه الري السفاد بنحضا فتخالها تحت الرحال رحالا
وقال مسلم:

إليك أمين الله رامت بنا السرى بنات الفيا في كل مرت وفد^(٤)
أخذن السرى أخذ العنيف وأسرعت خطأها بها والنجم حيزان مهتدي

(١) المهمة: المفازة. (٢) الوجيف: ضرب من سير الخيل والابل.

(٣) في ديوان أبي تمام (موار) أي مضطرب. (٤) أي المفازة.

لبسن الدجى حتى نضت وتصوبت هوادى نجوم الليل كالدهو باليد

وهذه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :

يكتسى عُثْنُونُهُ زبدًا فنصبلاهُ الى نحره ^(١)

ثم يعمُّ الحجاج ^(٢) به كاعتام النوف في عشره

ثم تذروه الرياحُ كما طارقن الندف عن وتره

ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفحن الاغام الجعد ثم ضربنه على كل خيشوم كريم الخطم ^(٣)

وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعيها ذراجا مدلة بعيد الشباب حاولت ان تعذرا

من البيض أعطافا إذا اتصلت دعت فراس بن غم أولقيط بن يعمر

بها شرف من زعفران وغدير أطارت من الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها أبت عفتى أو منصبي أن أعبرا

كأن بذفراها مناديل قارقت أكف رجال يمصرون الصنوبرا

وقال الراجز : كأنها نائحة ترجع تبكى بشجور وسواها الموجه

وهو نحو قول الراجز : حسبتها غيرى استفز عقلها * ومثله قول الآخر :

كأن ذراعيها ذراطا بذية مفجعة لاقت حلائل من عفر

سمن لها واستفرغت من حديثها فلا شئ يفرى باليدين كما تفرى

فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفر أى بعد

زمان وتلك الشكوى فى نفسها فجعات تحدث وتحرك يديها فى حديثها فلا تكاد

تسكنهما . وقال أبو تمام :

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج :

العظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبي نواس (نيل الخطم) ونفحن :

حركن ، والاغام : الزبد ، والخطم : أنف البعير يوضع فيه الخطم .

فما صلائي إذا كان الصلاء بها جمر الغضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهي الشرذ الضلل
وقال البحتري :

والعيس تنصل من دجاءه كما انجلى صبغ الشباب على القذال الاشيب
وقال ابن المعتز :

ولم تزل نخبط الفلاة بأخفاف المطايا والظل معتدل
كأنما طار تحتنا قزع^ه على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون النقا النقى كما يطعن بيض الجوانح الاسل
وقال في الناقة :

تصغى الى أمر الزمام كما عطفت يد الجاني ذرى الغصن
وقال في لقاح :

حوامل شحم جامد فوق أظهر وان تستغث ضراتهن به ذابا
إذا مامكاء الدر جاءت بمشعب كما مل خيط من سدى الثوب فانسابا
وهذا في دقة الشخب^(١) حسن جدا :

رأيت انهمار الدر فوق فروجها كما عصرت أيدي الغوازل أثوابا
خوازن نحض في الجلود كأنها تحمل كشباناً من الرمل أصلابا
وقد أحسن في الناقة والزمام :

وسل البیداء عن رجل يخطم الرياح بشعبان
وقال : وقفت بها عيسى تطير بزجرها ويأمرها وحي الزمام فترقل
طلوباً برجليها يديها كما اقتضت يد الخصم حقاً عند آخر يطل
وقال بعض العرب :

تطير مناسمها بالخصى كما نقد الدرهم الصيرف

(١) الشخب و يضم : ما خرج من البصر عن العين ، وفي الاصل بالسین المهملة .

ومن غريب ما قيل في تقدم الناقة صواحبتها^(١) في السير قول بعض العرب :

جاءَ وقد ملَّ ثَوَاءَ البحرينِ يَنْسَلُ مِنْهُنَّ إذا تدانين

مِثْلَ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفَنِ الْعَيْنِ

وأبلغ ما قيل في غزر الناقة قول أبي حبة :

تَدِرُّ لِلْمَصْفُورِ لو مراها يَمْلَأُ مَسْكَ الْفِيلِ لو أتاها

ومن جيد ما وصف به سعة الاختلاف قول ابن لجأ :

كَأَنَّا نَصَّتْ إِلَى ضُرَّاتِهَا مِنْ نَحْرِ الطَّلَحِ مُجَوِّفَاتِهَا

وقال مسلم بن الوليد في غير هذا المعنى :

أَتَتِكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمِطْبِئَةٍ عَلَيْهَا فَتَى كَالنَّصْلِ يُونِسُهُ النَّصْلُ

وقال أبو نواس :

أَيَا حَبِذَا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضُجْعَةٌ إِلَى دَفِّ مَقْلَاقِ الْوَضِيِّنِ سَعُومِ

تَرَامِي بِهَا الْإِيْجَافُ^(٢) حَتَّى كَأَنَّا تَحْيِفُ مِنْ أَقْطَارِهَا بِقَدُومِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصبعي عن أبي عمرو قال

سمعت جندل بن الراعي ينشد بلال بن أبي بردة :

نَعُوسٌ إِذَا دَرَّتْ جُرُورٌ إِذَا غَدَتْ يُوَيِّزُ حَامِ أَوْسَدَيْسٍ كَبَازِلِ

قال فكاد صدري ينفرج من جودتها حتى كتبها . ودرة الأبل مع الناس

والغنم تدر مع الاحتراس فمن أجود ما قيل في ذلك قول جبيها الأشجعي :

رَقُودٌ لَوْ أَنَّ الدَّفَّ يُضْرَبُ تَحْتَهَا لَتَنَحَّاشَ مِنْ قَاذُورِهِ لَمْ تَنَّا كَر

أي من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة إذا كان يتجنب النساء ويتقي مجامعتهم .

ومن الوصف الحسن قول القطامي في نوق :

جَفَادٌ إِذَا صَافَتْ هَضَابٌ إِذَا شَتَّتْ وَفِي الصَّيْفِ يَرْدُدُنَ الْمِيَاهُ إِلَى الْعَشْرِ

يشبهها بالآبار من كثرة ألبانها في أيام الربيع والقيظ وهي في الشتاء كالهضاب

(١) في الأصل « حواجبها » . (٢) في ديوان أبي نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً وإذا شربت في اليوم العاشر التفت في مثله وفي كروشها بقية^{له} من المساء .
 عرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري كيف لبنها ؟ قال احلب في أى اناء
 شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على
 الحائط ما شئت ، قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير
 شيئاً مما توهمه بصفة شريح فماد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك
 قال فأقلنى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على أخرها
 مشى العروس قصرت خطاها فاسمطت القيمان من رغاها
 واتخذتنا كلنا طالاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فايضت القيمان منها والرضا
 جمع رغوّة ، واتخذتنا كلنا طالاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسمتها قول أبي دؤاد :
 فاذا أقبلت تقولُ اكأمُ مشرفاتُ فوقَ الأكامِ اكأمُ
 وإذا أعرضت تقولُ قصورُ من سماهيج فوقها آطامُ
 وإذا ما فجيتهما بطن غيبٍ قلت نخلٌ قد حان منه صرام
 الغيب ما وارك من الشجر ، وسماهيج أرض بالبحرين .

(الفصل الثالث)

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك

فمن أبلغ ما قيل في صفة بعد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :
 ومهمه فيه السراب يلمح يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
 ثم يظنون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا
 وقال رؤبة بن العجاج * يكلُّ وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لمعده ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شراً
* ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي * وقال مسلم بن الوليد :

تجري الرياح بهامضي موله^١ حسري تلوذ بأطراف الجلاميد
قوله « بأطراف الجلاميد » زيادة^٢ ليست في بيت رؤبة . ويشبهون استواء الفلاة
باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمه^٣ كمثل ظهر الترس *
وأحسن ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :

ودو^٤ ككف المشتري غير أنه بساط^٥ لأخماس المراسيل واسع
شبهه بكف المشتري لأن كفه الصق ، وفي رواية أخرى لأن المشتري يبسط
كفه للصفق . وقلت في نحوه :

وبحر ككف^٦ الأكرمين يحفه^٧ صعيد^٨ كأيدي السائلين مديد
وقال بعض المحدثين :

ودوية^٩ مثل السماء قطعها مطوقة آفاقها^{١٠} بسائرها

ومن عجيب التشبيه في وصف الآل قول بعض الاعراب :

كني حزناً أني تطالتي كي^{١١} أرى ذرى على دمع فما يريان
كأنهما والآل^{١٢} ينبجأ^{١٣} عنهما من البعد^{١٤} عينا برقع خلقتان

وهذا من أغرب ما روي من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر في السراب :

ألا تيكا^{١٥} أعلام^{١٦} بثنة^{١٧} قد بدت^{١٨} كأن^{١٩} ذراها^{٢٠} عمته^{٢١} سيب

طوامس^{٢٢} لي من^{٢٣} دونهن^{٢٤} عداوة^{٢٥} ولي من وراء^{٢٦} الطامسات^{٢٧} حبيب^{٢٨}

بعيد^{٢٩} على كسلان^{٣٠} أودى^{٣١} ملالة^{٣٢} وأما على ذى^{٣٣} حاجة^{٣٤} فقريب

والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآل^{٣٥} ينزو بالصوى^{٣٦} أمواجه^{٣٧} نزو القطا^{٣٨} الكدرى^{٣٩} في الاشراك

والظل^{٤٠} مقرون^{٤١} بكل^{٤٢} مطية^{٤٣} مشى^{٤٤} المهار^{٤٥} الدثم^{٤٦} بين رماك

ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* واتعل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

إذا شئت أداني صروم^{هـ} مشيع^{هـ} معى وعقام^{هـ} تنقى الفحل^{هـ} مقلت^{هـ}
يطوف بها من جانبيها ويتقى بها الشمس^{هـ} حتى في الأكارع ميت^{هـ}
أداني : أماني ، صروم^{هـ} : أى صارم^{هـ} ، مشيع^{هـ} : شجاع كأن معه أصحاباً
يشيعونه فهو جرى^{هـ} يعنى قلبه ، العقام^{هـ} : التى لا تلد فذاك أشد لها يعنى ناقة ،
والمقلت^{هـ} : التى لا يبقى لها ولد^{هـ} ، وحى^{هـ} فى الأكارع ميت^{هـ} : يعنى ظلا قد ضارع
عند انتصاف النهار . ومن بديع ما قيل فى السراب قول ابن المعتز :

وماراعنى بالبين إلا ظمائن^{هـ} دعون^{هـ} بكائي فاستجابت سوا كبه
بدت^{هـ} فى بياض الآل والبعث^{هـ} دونه كأسطر رقيق^{هـ} أمرض^{هـ} الخط كاتبه
ولهم فى وصف الاسفار فى البحار شعر قليل^{هـ} فمن أجود ما وصف به الموج قول الهذلى :
* نعاج^{هـ} يرمين الى نعاج *
ولا أعرف فى السير والنماس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقول^{هـ} وقد مالت بنا نشوة الكرى^{هـ} نماساً ومن يعلق^{هـ} سرى الليل يكسل^{هـ}
أنخ^{هـ} نعط^{هـ} انضاء النماس^{هـ} دواءها قليلاً ورقه عن قلائص ذبل^{هـ}
فقلت^{هـ} له كيف الاناخة^{هـ} بعبد^{هـ} ما حدا الليل عريان^{هـ} الظريفة^{هـ} منجلى^{هـ}
ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عود^{هـ} على عود^{هـ} على عود^{هـ} خلق كأنه والليل يرمى بالغسق
مشاجب^{هـ} وفلق^{هـ} سقب^{هـ} وطلق^{هـ}

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير^{هـ} مسين^{هـ} ، على عود خلق أى
طريق قديم دارس فكأنه يريد^{هـ} كأن ذلك كما قال رؤبة :

فيها خطوط^{هـ} من سواد وبلق^{هـ} كأنه فى الجلد^{هـ} توليع^{هـ} البهق^{هـ}
أى كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمود^{هـ} من عمد

الخباء ، وشبهه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريب منه قول الآخر :
عودٌ على عودٍ قوود للابل يموت بالترك ويحيا بالعمل
عودٌ : بعير ، على عود بمعنى طريقا ، يموت بالترك : يعنى الطريق يدرس اذا لم
يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار في صفة النعاس قول الآخر :
فأصبحن بالمومة يحملن فتيةً نشاوى من الادلاج ميلُ العمام
كأن الكرى سقام صرخديةً عقاراً تمشى في المطا ^(١) والقوائم
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو
ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدير ويعجب منه غاية العجب :
كان يديها وقد أركلت وقد حرن ثم اهتدين السبيلا
بدا سابح خراً في غمرة فادرکه الموت إلا قليلا
ومما يجري مع ذلك قول الاعرابي :
بدآن بنا وابن الليالى كأنه حسامٌ جلا عنه القيون صقيل
فما زلت أقتى كل يوم شبابةً الى أن أتتك العيس وهو ضئيل

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجري مع ذلك)
فمن أجود ما قيل في وصف الثور اذا عدا فيخفي تارة ويظهر أخرى قول
الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :
يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيفٌ على شرف يسل ويغمد
وقد أحسن عدى بن الرقاع ^(٢) في وصف ثورين وما يشيران في عدو هما من الغبار وهو
يتعاوران من الغبار ملاء بيضاء مخملة هما نسجاها

(١) المطا : الظاهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملي ، من معاصري جرير

مدح بني أمية في الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنايك أسهلت نشرها
لأعرف في صفة الفبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الطي فليس
له شبيه وهو من المشهور :

يُزجى أغنّ كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها
وقد أحسن الراعى في وصف الوعل :

برودُ بها ذبُّ الرياد كأنه فتى فارسي في سراويل راح
ذبُّ الرياد أوى^(١) الوعل ، ويرود يجرى ، ويذهب ، شبه ما على قوائمه من الشعر
بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنى على طائر من الوحش ناشط تخال قرون الأجل من خلفه غابا
الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا صنعاً جاذر رملة تلو المها كاللؤلؤ المتبدد
قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراءود من سحيق الأثمد
وقال ابن المعتز :

شغلته لواقح ملأته غيرة فهو خلفهن كمى
قابض جمعها اليه كما يجمع أيتامه اليه الوصى
كلما شم لا قحاسى منها رأس فحل برجلها معلى
خارج من ظلال تقع كما مسزق جلباب به الخليع الغوى
قد طواها التسويق والشدحتى هى قبى كأنهن القسى
هربت في رؤوسهن عيون غائرات كأنهن الركى
وقال أيضاً : كأن آثاراً أظلاف الظباء به ودع يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ما قيل في الكلب وبليغه قول أبي نواس :

كأن لحية على افتاراه^(٢) شك مسامير على طواره

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتاراه » .

طواره : نواحيه .

سمع^(١) إذا استروح لم يماره إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير موهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره^(٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخذى ميسان المنكب يشب في القود مشبوب المقرب
يلحق أذنيه بحد الخلب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى
من سعة جلده يمس منكبه . ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفور في قنابه موسى صناع رد في نصابه
تراه في الحضر إذا هابه يكاد أن يخرج من اهابه
أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الأيغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب
والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء يزعجها على شياتها شم العراقيب مؤنقاتها
مفروشة الأيدي شربثاتها مشرقة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطاتها غر الوجوه ومحجلاتها
الموفدات : المشرقات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أقماراً على لبساتها ذل المآخير عملساتها^(٣)
لثقتاً الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في

احضاره) . (٣) في الأصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقِ الأطواقِ ضواحك من سعة الأَشْدَاقِ
 وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تعجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس
 * كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحرار في الثور:
 وكأنما جهدت أليته أن لا تمس الأرضَ أربعة

ومن جيد وصف السرعة قول الحماني :

يبادر الناظر وهو يبدُرُهُ كأن من يُبصرُهُ لا يبصرُهُ

وقال الأصمعي وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور :

تري طرفيه ينسلان كلاهما كما اهتزَّ عُودُ النبعة المتتابعُ
 ينامُ باحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ

وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب :

أطلس يخفي شخصه غباره في فيه شفرته وناره

هو الخبيث ^(١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن
 عن عمه عن أبي عمرو قال : رأيتُ باليمن غلاماً من جَرَمٍ ينشدُ عنزاً فقلت
 له صفها يا غلام فقال : حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عشرة الدهسة وقنو الدبسة
 سجعاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زمنيها تتوا قلنسوة يالها
 أم عيال وثمال مال . الحسراء : التي قل شعر مقدمها ، والشعراء : التي قد كثر
 شعرها ، والعثرة غثرة كدرة ، والدهسة لون الأرض ، والقنو شدة الحمرة ،
 والدبسة حمرة كدرة ، والسجعاء السهلة الخدين ، والخطلاء الطويلة الأذنين
 المضطربتهما ، والفقساء المتباعدة بين طرفي القرنين ، والصور : القرن .

(١) في النسخ غير منقوطة فصحيحناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث

عينه فراره : تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته » . وفي النسخ « عيبه » بالباء وهو تصحيف .

الزئمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة^(١) ، والتتو ذوابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلبس ملء العين يحمل زوره	وأضلاعه من جانبيه شوى النهد
له ذئب مثل الشواء يمدّه	ومتن كتن القوس أعوج مناد
طواه الطوى حتى استمر مريره	فما فيه إلا الروح والعظم والجلد
يقضض عضلاً في أمرتها الردى	كقضضة المقرور أرعداه البرد
عوى ثم أقمى فارتجرت فهجته	فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأبعته أخرى وأضلت نصله	بحيث تلوى اللب والرعب والحقد

وقال غيره في الفيل :

أجرّد كالعود طويل النابن بعيد ما بين محطّ الرجلين

ينفض أذنين كفضلى بردين

وقال ابن الرومى فيه :

ولا أعضل النابن حامل مخطم	به حجن طوراً وطوراً به فعم
يقلب جثماً عظيماً موثقاً	يهد بركنيه الجبال اذا زحم
ويسطو بخراطوم يطاوع أمره	ومشتبهات ما أصاب بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه	إذا عمل النابن فى الناس أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الطيور

مما جاء من منشور الكلام فى وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين طاجى

(١) قال المحبى فى جنى الجنين فى تمييز المثنيين « الزئمتان هنتان تكون للعمز

فى حلوقها ، فان كانتا فى الاذنين فهما زئمتان بالنون » ولم يخص

فى القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين ^(١) سبجى الجناحين كأنما خطا بقلمين درى الدفتين
فضى الحقيبة والبطن والكشحين أرجوانى الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ
الحدقين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدين محدد المنكبين
والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخواقي
والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب
الهامة ذكي الحركة بعيد الذرقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق عاجي المنقار
أغنُّ الهدير ذا ذنبٍ قصير يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق
قرطاسيَّ الدفتين سبجى الجناحين كأن رجله خاضتا دماً أو شربتا عندما وكأن
عينيه جمره ورأسه زبدة . وقلت في حمام أبلق :

وَمُتَّفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ	لِبَسْنٍ ظَلَامًا بِالصَّبَاحِ مَرَقَّمَا
أَخَذَنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفًا وَمَنْسَرًا	وَجُضْبِينَ بِالْحَنَاءِ كَفًّا وَأَصْبَعَا
وَتَدْنُو بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَتْهَا	جَلُونَ عَقِيْقًا لِلْعَيُونِ مَرْصَعَا
تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجَلَامِ كَأَنَّمَا	جَنَادِلُ تَدَحُّوْهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعَا
تَبُوعٌ ^(٢) بِهَا فِي الْجَوِّ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ	كَأَنَّ مَجَاذِيْفًا تَبُوعُ بِهَا مَعَا
إِذَا هِيَ عَبَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسْبَتَهَا	تَزُقُّ فَرَاخًا فِي الْمَغَادِرِ مُجَوَّعَا

وقال بعضهم في عين العقمق :

يُقَلَّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا نَقَطَتَا زُبُق

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كَأَنَّ الدِّيكَ دِيكَ بَنِي نَمِيرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّرِيرِ

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره - كما في جنى الجنتين للمحبي .

(٢) أى تسرع .

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِيَا حَةً لَسْنَى الصَّبْحِ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسْفَا
وَقَالَ دِيكَ الْجَنِّ :

أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ مَفْرَقُهُ كَدْرَةً التَّاجِ لَمَّا عُلِّيتْ شَرْقَا
وَقَوْلُهُ « صَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ » يَعْنِي شَقَائِقَ النَّعْمَانِ ، وَهَذَا كَلَامٌ بَعِيدٌ الْمَتَنَاوُلِ ظَاهِرُ
التَّكْلَافِ . وَقُلْتُ فِيهِ :

مُتَوَجِّجٌ بِمَقْيَقٍ	مَقْرَظٌ بِلَجِينِ	عَلَيْهِ قَرَطُ وَشِيٍّ	مُشْمَرٌ الْكَفِينِ
قَدَزِينَ النَّحْرَمَنَةِ	ثَلَاثَانِ كَالْوَرْدَيْنِ	حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يَبْدُو	مُطَرِّزُ الطَّرَّتَيْنِ
دَعَا دُعَاءَ طُرُوبٍ	مُصَفَّقُ الْكَفِينِ	يَزْهِي بِتَاجٍ وَطُوقٍ	كَأَنَّهُ ذَوْرَعَيْنِ

وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّفَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَاحُ قَنَاءَهُ فَتَأَلَّقَا	وَسَطَا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فَاطْرَقَا
وَعَلَا فَبَشَرَ بِالصَّبَاحِ مُدْرَعٌ	بِالْوَشِيِّ تَوَجَّجَ بِالْمَقْيَقِ وَطُوقَا
مُرَخًى فَضُولَ التَّاجِ فِي لُبَّاتِهِ	وَمُشْمَرٌ ثَوْبًا عَلَيْهِ مَغْمَقَا

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

وَقَامَ فَوْقَ الْجِدَارِ مُشْتَرَفٌ كَثَلُ طَرَفٍ أَعْلَاهُ أَسْوَارُ
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ كَأَنَّمَا الْعَرَفُ مِنْهُ مَنْشَارُ
وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النَّعْمَانِ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَمِمَّا كَانَ زَعْلٌ ظَلَمَانُهُ كَرَجَالِ الْحُبْشِ تَمْشِي بِالْعَمْدِ
فَقَالَ شَبَّهَ أَعْنَاقَهَا إِذَا مَدَّتْ بِالْعَمْدِ . وَمِنْ أَحْسَنِ تَشْبِيهِ أَخَذَهُ الْعَمَانِي :
كَأَنَّمَا حِينَ مَدَّتْ عُنُقَهَا حَرَقَا سُودُ الرِّجَالِ تَعَادَى بِالْمَزَارِيقِ
وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ « مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا » وَالَّذِي قَالَ رَدِيءٌ ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ :

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ :

يَا جَنَّةَ قَانَتْ الْجَنَانُ فَمَا تَبْلَغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا تُنْمِنُ
أَلْفَتَهَا فَاتَّخَذَتْهَا وَطَنًا إِنَّ فُؤَادِي لِحُبِّهَا وَطَنُ

أنظر وفكر فيما تطيفُ به إنَّ الأريبَ المفكر الفطن
من سفنٍ كالنعامِ مقبلةٍ ومن نعامٍ كأنها سفنٌ
ومثله قوله :

زروادى القصرِ نعم القصرِ والوادي وجبذا أهلهُ من حاضرٍ بادي
ترقى قراقيرهُ والعيسُ واقفةٌ والضبُّ والنونُ^(١) واللاحُ والحادي
وقول الآخر :

كانَّ بالسهبِ على خربائه عرشاً يخر الریحُ فى قصبائه
يضحك جنُّ الأرضِ من نحائه كأنَّ قوسَ الغيمِ من ورائه
يعنى الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ فى فاختة :

مررتُ بمطرابِ الغداةِ كأنَّها تُعلُّ مع الاشرارِ راحاً مُفلّلاً
ويروى « تُعلُّ رحيقاً فى الغُصونِ مُفلّلاً » :

منمّرة كدراء تحسبُ أنها تجلُّ من جلدِ السحابةِ مفصلاً
بدتُ تجلُّ للعينِ طوقاً ممسكاً وطرفاً كما ترنو الخريدةُ أكحلاً
لها ذنبٌ وفى الجوانبِ مثل ما تُقشِّرُ طلعاً أو تجرّ دُ منصلاً
إذا حلت فى الجوِّ خلتَ جناحها يردُّ صغيراً أو يحركُ جليلاً
وقال أبو نواس فى حياريات :

يخطرُنَ من برانس قُشوب من حبير عولينَ بالذهبِ
فهنَّ أمثال النصارى الشيب

وقلتُ فى قبجة^(٢) :

أهديتها كاهدى آتسة وهى سليلُ النواشِرِ النفرِ
تلبسُ سُمُورةً مُشَمِّرةً تصنُونُ أطرافها من العفرِ
وقد جرى المسكُ من محاجرِها فضمَّ لَبَّاتها مع الثغرِ

(١) النون : الحوت . (٢) وهى الحجلة .

تُخَطَّرُ فِي حِلَّةٍ مُصَدَّرَةٍ كَأَنَّهَا حِينَ نَقَطَ قَرَطُهَا
وَاحِرٌ مُنْقَارُهَا وَمُنْخَرُهَا وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي طَيْرِ الْمَاءِ :

كَأَنَّا يَصْفَرْنَ مِنْ مَلَأَقٍ صِرَصِرَةُ الْأَقْلَامِ فِي الْمَهَارِقِ
وَنَقْلُهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ أَيْضًا :

يَصْفَرُّ أَحْيَانًا إِذَا لَمْ يَهْزَجْ مِنْ مِثْلِ حَرْفِ الْمَجْدَحِ الْمَغْنَجِ

المجدح : ما يجده به السويق ، والمغنج : المعطف .

وَأَحْسَنَ مِثْبَبَةً بِهِ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ يَصِفُ طَيْرًا أَنْشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ :

يَضْرِبْنَ أَحْنَاكَ إِلَى الْمَاءِ كُلِّهَا لَبِيقٌ كَمَفْرُوجِ الْمُنَاقِيشِ أَسْجَحُ
لَبِيقٌ : أَيْ رَفِيقٌ بِذَلِكَ حَازِقٌ بِهِ ، يَقُولُ هَذِهِ الْأَحْنَاكَ لَبِيقَةٌ بِالشَّرْبِ ،
وَالْمَفْرُوجُ : الْمَفْتُوحُ مَا يَبْنِيهِ . وَقُلْتُ فِي الْخَطَافِ :

وَزَائِرَةٌ فِي كُلِّ حَامٍ تَزُورُنَا فَيُخْبِرُنَا عَنْ طَيْبِ الزَّمَانِ مَزَارُهَا
تُخْبِرُ^(١) أَنَّ الْجَوَّ رَقَّ قَبِيصُهُ وَأَنَّ الرِّيَاضَ قَدْ تَوَشَّى أَزَارُهَا
وَأَنَّ وُجُوهَ الْغُدْرِ رَاقَ يِيَاضُهَا وَأَنَّ وُجُوهَ الْأَرْضِ رَاعَ أَخْضَرَارُهَا
تَحْنُ الْيَنَاءُ وَهِيَ مِنْ غَيْرِ شَكْلِنَا فَتَدْنُو عَلَيَّ بَعْدَ مِنَ الشَّكْلِ دَارُهَا
فَيُعْجِنُنَا وَسَطَ الْعَرَاصِ وَقَوْعُهَا وَيُؤْنِسُنَا بَيْنَ الدِّيَارِ مَطَارُهَا
أَغَارَ عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ قَبِيصُهَا وَفَازَ بِالْوَانِ اللَّيَالِي خَارُهَا
تَصْبِيحٌ كَمَا صَرَّتْ نَعَالُ عَرَائِسِ تَمَشَّتْ إِلَيْهَا هَنْدَاهَا وَنَوَارُهَا
تَجَاوَرُنَا حَتَّى تَشَبَّ صَفَارُهَا وَتَقْضَى لِبَانَاتِ النُّفُوسِ كِبَارُهَا

وَلَمْ أَسْمَعْ فِي ذَلِكَ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

وَعَرِيبَةٌ حَنَّتْ إِلَى أَوْطَانِهَا جَاءَتْ تَبْشُرُ بِالزَّمَانِ الْمُقْبِلِ

(١) فِي الدُّسَخِ مَهْمَلَةٌ مِنَ النُّقْطِ .

فرشت جناح الآبنوس وسطرت
وقلت في أصواتها :

أيا عجباً من آنس لك نافر
يُعاوِدُ وصلًا وهو في حالٍ هاجر
يزور على بُعد المكان ولم يُرد
وصالاً فقل في زائر غير زائر
له في الذرى شذرٌ يمرُّ وينثى
كما حرك الكعبين كفٌ مقامر

وهذا معنى لم أسبق إليه . وقال أبو نواس في أصوات الخطاف :
كأن أصواتها في الجو طائرة
وقال ابن المعتز في البازي :

فارسٌ كفٌّ مائل كالأسوار
ذو جُؤجؤٍ مثل الرخام المرمار
أو مصحفٌ منمنم بأسطار
ومقلة صفراء مثل الدينار
يرفع جفنًا مثل حرف الزنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول أبي نواس :
ومنسر أكلف فيه شيخا كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه :
ومقلة تصدقه إذا رَمَقَ
كأنها نرجسة بلا ورق
وقال أبو نواس :

في هامة عليها تهدي^(١) منسراً
كمطفة الجيم بكفٍّ أعسرا
وقال ابن المعتز في بُزاة :

وقتيان غدوا والليل داج
وضوء الصبح متهم الطلوع
كأن بُزاتهم أمراء جيش
على أكتافها صدأ الدروع
وقال في عين البازي * كأنها في الرأس مسمار ذهب *

(١) في الأصل « غلباء تهدي » .

وقال أيضاً : ومنسر غضب الشباه دام كعقدك الحسين بالايهام
وخافق للصيد ذي اصطلام ينشره للنهض والاقدام

كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً : ذي جؤ جؤ محبر موشى ومقلة تلحق بالقصى
كانها دينار صيرفى واتصلت براته القوي

صاف كغصن الذهب المجلى

وقال أيضاً : أقر من ضرب بزاة قمر بصقل حملاً شديد الطحر
كانه مكتحل متبر في هامة لمت كلم الفقر
تريح ان راح لأمر بهر من منخر رحب كعقد العشر
وقلت في الصقر :

وصلتان فلتان أتمر ومعنبر يهوى الى مزعفر
بأبيض من البزاة أقر بمنم الصدر كصدر الدفر
تخاله في مفصل مزور وقلت : بصلتان سلط جسور
ضم جناحيه على ممر معوج المنسر والأظفور

كالجيم في منقطع السطور

وقلت في عصفورة يقال لها السقا :

ومفتنة الألوان بيض وجوها ونمر تراقبها وصفر جنوبها
كان دراريماً عليها قصيرة مرقعة أعطافها وجيوبها
تعدل ألوان الأغاني كأنما تبدل أوزان الأغاني عريها
تسام استقاء في العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الأصمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح في صفة الظليم

بجتاب ، وقلت في بلابل :

مررتُ بدكن القمص سودِ العائم تفنى على أعرافٍ غيدرِ نواعم
 زُهينَ بأصداغِ تروقُ كأنها نجومٌ على أعضادِ أسودِ فاحم
 ترى ذهباً ألقته تحتَ ماخرِها ولجيناً بطنه بالمقدام
 فباحسنَ خلقٍ من نضارِ وفضة وخزٍ وديباجٍ أحمرٍ وقاتم
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي ذكوان وأبي خليفة عن التوزى قال
 قال عمرو بن الحارث الجمحي ما رأى الاُصمعي مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا
 أحسن ما قيل في وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشيء فقال الاُصمعي أحسن ما قيل فيها:
 باتتُ يورقها في وكرها سغبٌ وناهضٌ يخلص الأتوات من فيها

وقال امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
 فقال الرشيدُ ما بعل^(١) القوم بشيء إلا وجدت عندك فيه شيئاً .
 وقال آخر في الغراب :

وجرى بينهم غداةً تهملوا من ذى الأبارقِ شاجحٌ يتفندُ
 شبحُ النسا خرقُ الجناحِ تخاله فى الدارِ إثرَ الظاعنينَ مُقيدُ
 وقال آخر فى عقق :

إذا بارك الله فى طائرٍ فلا بارك الله فى عقق
 طويل الذنابِ قصير الجنا حمنى ما يجد غفلةً يسرق
 يُقلِّب عَيْنينِ فى رأسه كأنهما قطرتا زئبق
 وقال آخر فى الزناير :

لها حاةٌ كأنها شعر تظهرُ مسودةً وتستترُ
 قد أذهبت فى الجبينِ غرته إذ فضضت فى جنادنا الغرر
 وقلت فى ظبية داجنة وقمارى :

(١) بعل بأمره كفرج : دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع .

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ تومى بناظرها إلى ظمياء
 تختالُ في متصنلٍ متكفر تبراّ أضراً بفضةٍ بيضاء
 ودقيقة الأطرافِ وهي جسيمةٌ رياء تمرمر في متونٍ ظماء
 ومغنيات من وراء ستائر مشقوقة الأوساط والاحناء
 غنّت فلم تحوج إلى مشهورة وشدت فلم تفقر إلى الميلاء
 تبدو على أعناقهن أهلة سود تبذل ظلمة بضياء

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء
 والضب والبق والبراغيث وما يجري مع ذلك)

كتب الصاحب أبو القاسم في وصف قنفذ : قد أتحفتك ياسيدي بعلق نفيس
 يتمعجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر في أوصافه ويتبدل المعتبر في آياته فما تعرف
 بديهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن
 الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس
 حتى إذا أعطى متديره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حي
 سلاحه في حصنه ورام سهامه في ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف
 جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بأبين من
 مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه راوية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط
 أكنافه وهي أمضى من الأجل وأرمى من ثعل ان رأته الأراقم رأته حينها أو
 عاينته الأسود عاينت حتفها صعلوك ليل لا يحجم عن دامسه وحارس ظلام لا يجبن
 في حناده - شعر :

كغشم الفتيان غير مهبل سهد إذا مانام ليل الهوجل

لجـرمه من الضب شبه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدليل
سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضاً ولم يرقد حثاثاً
بات بليلة الأتقد ، وذكره الشيهم وهو الشيطم وأثناء عيمة معرفة لا يدخل الألف
واللام عليها كمنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب
تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنفـس ما كلفوا وأفخر مطاعمها حتى تراه
أرفع من الأفاعى وأنفع من الجرذان وتدعى جهلة الأعراب انه من مراكب
الشیطان وهو الطف من الفرس حساً وأصدق سمماً وقد جاء في المثل (أسمع من
قنفذ) ومن أوايده أنه يسود إذا هرم ويصير كأبر ما يكون من الكلاب وأعظم
ويشبهه به ركب المرأة عقب التنف والنورة ولذلك قال ابن طارقي أرجوزة له :
يصيرُ بعدَ حلقهِ ونورته كقنفذٍ القف اختبي في فروته
ويشبهه الساعى والتمام به نخبته ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :
كقنفذِ الرملِ لا تخفى مدارجُه خب إذا نامَ ليلُ الناسِ لم ينم
وقال عبدة بن الطبيب (١) :
قومٌ إذا دمسَ الظلامُ عليهم حـدجوا قنـافذَ بالميمـة تمرعُ
وقال جرير :

يدبسون حولَ ركبائهم . ديبَ القنـافذِ في العرفج
فخذَه بإسـيدي ممتعاً وأقبله شاكراً برى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح
على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو
حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوي الأصفهاني قال فيها :
أرقت مُقلتي لبَّ عروس طفلة في الملاح غير شمس
فتنتني بظلمة . وضياء إذ بدت لي كالعاج في البنوس

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تتلقى الظلام من مقلتها بشعاع يحكى شعاع الشموس
ذات دل قصيرة كلنا قا مت نهادى طويلة فى الجلوس
لم تزل تسبغ الضوء وتنقى كل عضو لها مس التنجيس
دأبها ساعة الطهارة دفن السعير الرطب فى الحنوط اليبس
ومن أجود ما قيل فى الحية قول النابغة :

صل صفا لا ينطوى من القصر طويلة الاطراف من غير خفر
مهرونة الشدقين^(١) حولاء النظر تفر عن عوج حداد كالأبر
داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر : خلقت لها زمة عرين ورأسه كالقرص فطح من دقيق شعير
فكان شديقه إذا استعرضته شدا عجز مضمضت لظهور
وأجاد خلف فى قوله :

ثم أتى بحية مائنجي أبت مثل يذق الشطرنج
وليس من شعر المحدثين فى الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأننى ساورتى يوم بينهم رقصاء مجدولة فى لونها بلق
كأنها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه النور والورق
ياسل منها لسان تستغيث به كما تعود بالسبابة الفرق
وقوله أيضاً :

أنعت رقصاء لا يحى لديعتها لو قدما السيف لم يعلق به بلل
تلقى إذا انسلخت فى الأرض جلدتها كأنها كم درع قد بطل
وقلت : وخفيفة الحركات تقترع الربى كالبرق يلمع فى الغمام الرائج
منقوطة تحكى بطون ضحائف أبان تبدو من بطون صفائح
ترضى من الدنيا بظل صخيرة ومن المعاش باشتام روائح

(١) أى واسعة الشدقين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعام واكتفت بالنسيم .
وقال اعرابي :

وحش كحلقة السوار غاية شبر من الاشبار

كأنه قضيب ماء جارى يفتّر عن مثل تلظى النار

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعنى برقيته سواه

وقال أبو العباس ثعلب : يقال أنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد :

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكبه

وقال عبد الصمد بن المعدل في العقرب :

يارب ذى إفك كثير خدعه يبرز كالقرنين حين يطلعه

في مثل ظهر السبت حين تطلعه أسود كالسيحة فيه مصبعه

لا تصنع الرقشاء مالا تصنعه

وقلت فيها أيضاً :

وإذا شتوت أمنت لسعة عقرب كالنار طازت من زناد القادح

قد خلتها تمشى بسبحة عابد كالأقدام تمشى بصعدة راح

وقال آخر : يحمل رمحاً إذا كعوب مشتهر فيه سنان كالخريق يستعر

أنف تأنيفاً على حسن قدر تأنيف أنف القوس شدت بالوتر

ومن أحسن ما قيل في الحرباء وهي دويبة شبيهة بالمظاة تأتي شجرة بالتنضبة
فتمسك يديها غصنين منها وتقابل الشمس بوجهها فكما زالت عين الشمس
عن ساق منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح
في الأرض وترتع قال أبو دواد :

إني أتبع لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً

والعرب تقول أحزم من الحرباء لأنها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخر ،

ويشبهه به الرجلُ الحصيف^(١) الذي لا يترك سبيّاً إلا أخذ بسبب أمتن منه .
قال ابن الرومي في امرأة ورقبيها :

ما بالها قد حسنت ورقبيها أبداً قبيحٌ قبح الرقباء
ما ذاك إلا أنها شمسُ الضحى أبداً يكونُ رقيها الحرباء
وقال بعض العلماء : الحرباء فارسيّةٌ معربةٌ وأصلها خورباء أى حافظ الشمس ،
وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرّمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودويّةٌ جرداء جداء خيبت بها صبواتُ الصيف من كل جانب
كأنَّ يدي حربائها متمسكاً يدا مُذنب يستغفرُ الله تائب
وقال أيضاً : وقد جعل الحرباء يصفرُّ لونه
ويسبح بالكفين سبجاً كأنه
وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس مائلاً
إذا حوّل الظلَّ العشيُّ رأيتُه
حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصّر

وهذه تشبيهاتٌ مصيبةٌ عجيبةٌ الاصابة دالةٌ على شدة الخلق وثقوب الذهن ، وقد
أجمعت العرب أن ذا الرّمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمه فيه بيضات القطا كسرا كأنها في الأفاحيص القواريرُ
كأنَّ حربائها والشمسُ تصهرُ صال لنا من لهيب النار مقرر
وهذا تشبيهٌ مصيبٌ أيضاً إلا أنَّ للأول ماءً وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ما قيل في الضب قول الحماني :

ترى ضبّها متسعاً رأسه كما مدَّ ساعده الأقطع
له ظاهرٌ مثل بردِ الوشيِّ وبطنٌ كما حسر الأصلع
هو الضبُّ مامدٌ سكاكه فاذ ضمه فهو الضفدع

ومن أجود ما قيل في البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

(١) في نسخة « الخصيف » وفي أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ما أثبتناه .

إذا البعوضُ زجَلَتْ أصواتها وأخذَ اللحنُ مُغْنِيَاتِهَا
 لم تُطرب السامعَ خافضَاتِهَا وأرقَّ العَيْنينَ رافِعَاتِهَا
 صغيرةٌ كبيرةٌ أذَاتِهَا يقصرُ عن بُغْيَتِهَا بُغَاةِهَا
 ولا يصيبُ أبداً رُمَاتِهَا راحمةٌ خرطومِهَا قَنَاتِهَا

وقال آخر : * حنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز :

بِتُّ بِلَيْلٍ كَلَهُ لَمْ أَطْرِفِ قِرْقَسُهُ ^(١) كَالزَّيْبِ الْمُنْتَفِ
 يَثْقُبُ الْجِلْدَ وَرَاءَ الْمَطْرِفِ حَتَّى تَرَى فِيهِ كَشْكَالَ الْمُصْحَفِ

أو مثل روس العصفَرِ المُنْدَفِ

وقلت : غناءٌ يسخنُ العَيْنَ وينفَى فَرَحَ الْقَلْبِ
 ولا يَأْتِي عَلَى الزَّمْرِ ولا يَجْرِي مَعَ الضَرْبِ
 غناءُ البَقِّ بِاللَّيْلِ يَنَافِي طَرَبَ الشَّرْبِ
 إِذَا مَاطَرَقَ الْمَرْءَ جَرَى فِي طَلْقِ الْكَرْبِ
 نَحِيفٌ رَاحَ كَالشَّنِّ وَلَسْكَنَ بَاتَ كَالوُطْبِ
 إِذَا مَانَقَبَ الْجِلْدَ عَ أَخْفَى مَوْضِعَ النَّقَبِ
 سَوَى حَمْرِ خَفِيَّاتِ تَحَاكِي نَقَطَ الْكَتَبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذته المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول
 عنتره في الذباب فإنه لم يتعرض ^(٢) له ولو رامه من رامه لاقتضح وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُغْنِي وَحْدَهُ زَجَلًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمَتْرَمِ
 هَزْجًا يَحْكُ ذَوَاعَهُ بِذَوَاعِهِ فَعَلَ الْمَكْبَّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
 وقلت : وبدا فغناني البعوضُ مُطْرَبًا فهِرَقْتُ كَأْسَ النُّومِ إِذْ غَنَانِي
 ثم انبرى البرغوثُ يَنْقُطُ أَضْلَعِي نَقَطَ الْمَعْلَمِ مُشْكَالَ الْقُرْآنِ
 حتى إذا كَشَفَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهُ قَرَأْتُ لِي الذُّبَابُ بِاللَّحْنِ

(١) القرقس بالكسر : البعوض . (٢) في الاصل « لا تعرض » .

وكتب أبو القسم الأمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام سابط وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخ^ه كان يخلقني ويخلق من كان يلى الديوان قبلى يُعرف^ه بآبن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيته لقلت هذا نوح النبي عليه السلام ممتاً ووقاراً وليس له عمل^ه خلف سلته إلا صيد الذبان فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مر^ه به ذبان يطير^ه عرفه بطيرانه قبل أن يسقط فيقول هذا ذكر^ه وهذا أنثى وهذا ربيع^ه وهذا صيفي وهذا ملح^ه وهذا لجوج^ه يسقط على العين والأنف ويترد^ه فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلساع وهذا يقع على الأقدار وهذا تر^ه عيوف لا يقع إلا على الماء كل الخلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق - وهو العنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفد وهو يطير وهذا لا يسفد إلا واقماً وهذا عما يدخل^ه رأسه في رؤوس الذبان السبعة التى تقع فى الكحال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه فى كل عبي من يكتحل به لأنه أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هزج^ه مغن^ه وهذا صموت^ه وهذا يند^ه وهذا يبشر^ه بطنينه وزمرته فيصدق فيما يعد^ه ويوعد^ه ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وعبر . وظننته قد نظر فى باب الذباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هناك ففاتيحه فاذا هو لا يعرف الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فاذا أبو عثمان لم ينته فى معرفة الذباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ما قيل فى البراغيث قول بعضهم وقد ظرف فى ذلك :

فيا لعماد الله مالم قبيلة إذا ظهرت فى الأرض شد^ه مغيرها
فلا الدين^ه ينهاها ولا هى تنهى ولا ذو سلاح من معد^ه يضيرها

وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرى طيب بلادهم وأن أمير الرى يجيى بن خالد

بلادٌ إذا جنَّ الظلامُ تقاقرت
ديارِجُهُ سودُ الجلودِ كأنَّها
وقلت: ومن براغيث تنفي النوم عن بصرى
يطلبن مني ثأراً لست أعرفه
وقد شكاهن الرماح الأُسدى فأحسن في قوله :

تطاوَلَ بالفسطاط ليلي ولم يكن
يؤرقني حُجبٌ صغارٌ أذلةٌ
إذا ما قتلناهن أضعفن كثرةً
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً
وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرن بجسمي
وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم :

للقمل حول أبي العلاء مصارعٌ
وكأنهن إذا علون قميصه
وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصبيان ما كفة عليه
وقلت في النمل :

وحى أناخوا بالمنازل باللوى
إذا اختلفوا في الدار ظلت كأنها
إذا طرقوا قدرى مع الليل أصبحت
لهم نظرةً يمى ويسرى إذا مشوا
ويمشون صفًا في الديار كأنها
ففي كل بيت من يسوتى قريةً
فصاروا بها بعد القطار قطينا
تبدد فيها الريح برزاً قطونا
بواطنها مثل الظواهر جونا
كما مر مرعوب يخاف كينا
يجرون خيطاً في التراب مبيدا
تضم صنوفاً منهم وفنونا

فيا مَنْ رَأَى يَتَأْ بَضِيقُ بَخْمَسَةٍ وفيهِ قَرِيَّاتٌ يَسْعَفُنْ مِثْنًا
قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرِّ قول بعض القدياء :

به البقُّ والحُمى وأسدٌ خَفِيَّةٌ وعمرو بن هند يعتدى ويجورُ
وبالمصر برعوثٌ وبقٌ وحَصْبَةٌ ومُحَمَّى وطاعونٌ وتلك شرورُ
وبالبدو جُوعٌ لا يَزَالُ كَأَنَّهُ دُخَانٌ عَلَى حَدٍّ الْأَكَامِ يَمُورُ
ألا أئِمَّا الدنيا كما قالَ رَبُّنَا لأحمدَ حُزْنٌ تَارَةً وَسُرُورُ

وقلت في الجراد :

أَجْنَحَةٌ كَأَنهَا أَرْدِيَةٌ مِنْ قَصَبٍ لكنها مَنْقُوطَةٌ مثل صدورِ الكُتَبِ
وأرجلُ كَأَنهَا مناشِرٌ مِنْ ذَهَبٍ

وقلت : وأعرابية تَرْتَادُ زَادًا فترقُّ من بلادٍ في بلادٍ

غدت تَمْشِي بِمَنْشَارٍ كَلِيلٍ تبوعُ به قَرَارَةً كُلِّ وادِي

وتنْشُرُ فِي الْهَوَاءِ رِداءَ شَرِبٍ على أَرْجَائِهِ نَقْطُ الْمِدَادِ

وتلبسُ تَحْتَ ذَاكَ عَطَافٍ لاذٍ على أَكْنافِهِ وَدَعِ الْجَسَادِ

ومن عجيب ما قيل في الفأر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن

سعيد عن الرياشي قال دخل اعرابي البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال في ذلك :

عَجَلَ رَبُّ النَّاسِ بِالْعِقَابِ لعامراتِ البيتِ بالخرابِ

كحلَ العيونِ وقبضَ الرقابِ مجرداتِ أحجلِ الأذنانِ

مثلَ مدارِ الطفلةِ السكابِ كيف لها بأمرِ وثابِ

مُسْنَهَرَتِ الشدو حديدِ النابِ كأنما يكشُرُ عن حرابِ

يفرّسها كالأسدِ الوثابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده وصلواته على

محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتنته وراهنه فجعل لنا في
أنفسنا مواعظاً وفي أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفنا عما يُردينا من مرض بعد
صحة وشيبة بعد شبية لنعتبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدثان إيانا حمداً تتألف
أشتاتُه وتتصلُ مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

(هذا كتاب المبالغة)

(في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرأى)

والزهد وما يجرى مع ذلك وهو :

(الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى)

فأول ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الأعرابى يقولُ
لأعرفُ في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبى حازم الباهلى
على قُرب عهدِه :

لا تكذبينَ فما الدنيا بأجمعها من الشبابِ يوم واحدٍ بَدَلُ
شَرخِ الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً ما جدَّ ذكرك إلا جدَّ لى ثكلُ
كفالك بالشيب ذنباً ^(١) عندَ غانيةٍ وبالشبابِ شفيعاً أيها الرَّجُلُ

(١) في نسخة « كفالك بالشيب عينا » .

وأحسن منه غندي قول منصور النمرى^(١) :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع^١ إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع^٢
 بأن الشباب ففانتنى بشرته^(٢) صروف دهر وأيام لنا خدع^٣
 ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
 قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأوجزه ، وسمعه الرشيد
 فقال نعم لا خير في دنيا لا يخطر فيها يبرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالات والخضاب
 كل نعيم وكل عيش قبل الثلاثين يستطاب

وقال غيره :

فقلت وهل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب^٤
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي
 قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل
 وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل
 ذلة . وقال ابن المعتز :

لمنى على دهر الصبا القصير وغصنه ذى الورق النضير
 وسكره وذنبه المنفور ومرح القلوب فى الصدور
 وطول حبل الأمل المجرور فى ظل عيش غافل غرير
 أغدو وجنى الصبا أميرى ملء العيون الغايات الحور
 وقال الحماني :

وأيامه الغر مثل الخطوط فى المسك فوق خدود الحسان

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحبي واستصحبه ثم وصله
 بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شرة الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني (بلذته) .

ليالى أنت جُذيل الصِّبا وأيامه وعُذيق الغواني
وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغواني كالسوادِ من القلوبِ
فاذا استطعنَ خبأني بين الخافقِ والجيوبِ
وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ الى الصِّبا من مرجع فاحزنْ فليستَ بمثله مفعوعا
وقال يصف نفسه في شبَّيته :

من بعدِ ما قد كنتُ أى فتى كقضيبي بانٍ ناعمٍ رطبِ
فاذا رأتني عَيْنُ غانيةٍ قالتْ أوابدُ طرفها حسي
ونحوه قوله : إذا ما تمشت في عين خريدة فليست تخطأني الى من ورائها
وقال أعرابي : سقى الله أياماً لنا وليالياً لهنَّ بأَ كفافِ الشبابِ ملاعبُ
إذ العيشُ غُضُّ والشبابُ بغرة وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ

وانما آتى بالبيت والبيتين لأنَّ في اعتماد الفقرة فأوردها وأقصد النادرة فأكتبها
وأتوخي المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوها عليك ولو
تحدقت^(١) في المعاني وأضفت^٢ الى كل شيء منها شكله وقرنت^٣ إليه مثله أو أكثر
من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل
باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جذيراً بالاملال والاضجار وداخلاً في حدِّ

الاكثار والاهذار ونموذ بالله منهما . وقلتُ في معنى ابن المعتز :
تذكرُ إذ أنتَ قضيبي رطيبِ عليه للحسنِ رداءُ قشيبِ
خالطَ ماء الحسنِ في وجهه ماء شبابٍ لم يرقه المشيبِ
إذا مشى يخطر في برده غابر فيه الشكل حسن رطيبِ
كنتَ قضيبي البانِ لم يقتضب وأنتَ من بعدُ قضيبي قضيبي
فاللهو مُغبر مُقاديسه معفرُ الوجهِ حريبُ سليبِ

خذ بنصيب من سرور الصبا فما لشيخ من سرور نصيب
وأول من بكى الشباب وذم المشيب عبيد بن الأبرص في قوله :
والشيب شين لمن أمسى بساحته لله درُّ الشباب الله الخالي
وقال مزاحم العقيلي (١) :

عزاء على مافات من وصل خلة وريق شباب سله الشيب منجلي
ومثل ليالينا بحطمة فالوى بلين وأيام قصار بمأسل
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :
عريت من الشباب وكان غضاً كما يعرى من الورق القضيف
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب
وقلت : قوامه كما شاء المشيب معوج ووجهه كما لا تشتهي مشنج (٢)
وفرع جلاء الشيب حتى كأنما تغشاه معروف من الصبح أبلج
وعهدى به بالأمس جونا كأنما تجلله عرف من الليل أدهج
ليالى جاءتك الليالى عرائساً تروق ونصبى أو تضوع وتأرج
حسان الوجوه كالرياض أنيقة تخطيط لها كف الغمام وتنسج
رقاق جلايب النسيم أريجة لها نكهة كالسك ابان يمزج
وقال رؤبة وأحسن في ذلك :

كرّ الجديدان بنا وانطلقا ولا يجدان إذا ما خلقا

(١) شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجربير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الأبل وينمت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء ذوالرمة فسأله كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشباب أنفقا والشيب لا سوق له أن سوقا
وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيض^ه لها في مفرق الرأس انتشار
جديد^ه واللبس^(١) أعز^ه منه وأحرى أن ينافسه التجار
وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيب لذات^ه نخادع نفسه ومن قبله عيش^ه تعلل جادبه
ومن الشعر الجذل السهل المطيع الممتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى:
ومنازل لك بالحي وبها الخليط^ه نزول^ه
أيامهن^ه قصيرة^ه وسرورهن^ه طويل
وسعودهن^ه طوالع ونحوهن^ه أفول
والمالكية والشبا ب وقينة^ه وشمول

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول البحترى :
وددت^ه يياض^ه السيف يوم^ه لقبتى مكان^ه يياض^ه الشيب حل^ه بمفرقي
وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله :
فأصغرى أن شيباً لاح^ه بي حدثاً وأكبرى أنني في المهد لم أشب
لاتنكرى منه تجديد^ه تجلله^(٢) فالسيف لا يزدرى أن كان ذا شطب
ولا يروعنك ايماض^ه القدير به فان^ه ذاك ابتسام^ه الرأى والأدب
ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجوم^ه مشيب^ه في ظلام شبيهة وما حسن^ه ليل^ه ليس^ه فيه نجوم
وقال أبو عبد الله الأسباطى :
لا يرعك^ه المشيب^ه يا ابنة عبد الله فالشيب^ه زينة^ه وزقار
انما تحسن^ه الرياض^ه إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار
وقال الخوارزمي - متأخر :

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام «تجديداً تخلله» .

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا فقد لاح صبح في دجالك عجيب
قلت لهم كفوا الملام وأقصروا فان الكرى عند الصباح بطيب
وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله :
يقول العاذلات علاك شيب أهذا الشيب بمنعنى مراحى
وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :
لاح شبي فرحت أرح فيه مراح الطرف في العذار المحلى
وتولى الشباب فازدت غياً فى ميادين باطل اذ تولى
إن من ساءه الزمان بشيء لأحق امرئ بأن يتسلى
وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيت الشيب حل يياضه بمفرق رأسى قلت للشيب مرحبا
ولو خلت أنى إن كفت تحيتى تنكب عني رمت أن يتنكبها
ولكن إذا ما الكره حل تساحت به النفس يوماً كان للكره أذهبا
وفى ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ
والمعنى مع أصابة تشبيهه فى قوله * مرح الطرف فى العذار المحلى *
وقد بالغ فى ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقة فى الحياة تدعى جالاً^(١) مثل ماسمى اللديغ سليما
غرة مرة^(٢) ألا إنما كنت أغراً أيام كنت بهما
وقال ابن المعتز :

لقد أبغضت نفسى فى مشيبي فكيف تحبني الخود الكعاب
وقلت : فلا تعجبا أن يعين المشيب فما عين من ذاك إلا معيبا
إذا كان شبي بغيضاً إلى فكيف يكون إليها حبيباً
وقد كنت أرفل برد الشباب قشياً وأرفل وشياً قشيباً

(١) فى ديوان أبى تمام (جلالاً) . (٢) فى الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضييًّا رطيباً وإن صلت صلت قضييًّا قضيوباً
ومن ملبح ما قيل في الشيب وهزم النساء من صاحبه قول كشاجم :
ضحكت من شيبه ضحكت في سواد اللمة الرجله
ثم قالت وهي هازلة جاء هذا الشيب بالمعجله
قلت من حبيك لا كبر شاب رأسي فأنثت خجله
وثنت جفناً على كل هي منه الدهر مكثله
أكثر منه تعجبها وهي تجنيه وتضحك له

ومن ملبح ما قيل في ذلك وغريبه قول الآخر :

فطلت أطلب وصلها بتعطف والشيب يغمزها بأن لا تفعل
وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقتها إذا جاء فأحسن حيث يقول :
الشيب كره وكره أن يفارقي أحب بشي على البغضاء مودود
فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكي للشيب ثم بكى عليه فكان أعزّ فقداً من شباب
فقل للشيب لا تبرح حيداً إذا نادى شبا بك بالذهاب
ونقله إلى موضع آخر فقال :

لعمرك للشيب على مما فقدت من الشباب أشدّ فوتاً
هذا البيت مضطرب اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تمليت الشباب فكان شيباً وأبليت المشيب فصار موتاً
وكان من تمام الصنعة أن يقول « أشدّ فقداً » لقوله « فقدت من الشباب ». وقلت :

والشيب زور يجتوى وقربه لا يرتضى وقده لا يشتهى
قد يشتهى كل أمرى بلوغه وقل من يبلغه إلا شكا
كأنما الشباب كان فرقة له من الأنفس حب وقل
وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكاف مدح الشيب عندي مُعَمَّرٌ وهل يمدحن الشيب إلا تكلفا
فقلت انظرني أولاً منه مؤلماً لقلب فتى أو آخراً منه مُتلفا
نصرم من عمرى ثلاثون حجةً لبست بهاثوب الشباب مُطرقاً
شباب أطار الوجد عني غيابه وصرف زمان لم أجد عنه مصرفاً
أقمت به صدر السرور فلم يزل به الشيب حتى رده مُتحنفاً
فطر بجناح اللهو في زمن الصبا فأخلق به إن شئت أن يتحيفا
تناول وخط الشيب أطراف عارضى فأصبح ليلاً بالصباح مُشنفاً
ومن المشهور قول دعبل الخزاعي^(١) :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
ومما يحتج به للمشيب على الشباب أن الشباب قلما يبق أكثر من أربعين
سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسمين والمائة ، وقال امرؤ القيس في ذلك :

ألا إن بعد الفقر للمرء قنوةً وبعد المشيب طول عمر وملبساً
وقال أعرابي : ما بال شيخ قد تخددلحه أبلى ثلاث عمام ألواناً
سوداء داجية وسحق مفوف وأجد لونا بعد ذاك هجاناً
قصر الليالي خطوه فتداني وحنون قائم ظهره فتحاني^(٢)
والموت يأتي بعد ذلك كله وكأنما يعني بذلك سوانا
لأعرف في وصف الشيب من أول ما يتبدى إلى أن ينتهى أحسن من
هذا ، وقوله (وكانما يعني بذلك سوانا) من أبلغ ما يكون من الموعظة . وقلت :

وشباب خف نازله ليته عاد كما كانا
ومشيب آب نازله ليته إذ كان ما بانا

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا

ينتقموا منه . (٢) في الاصل « فتدانا ، فتحانا » .

خانى دهر^١ وثقت به^٢ . رب^٣ موثوق به خانا

وأنشدنا أبو أحمد :

وأنكرت^٤ شمس^٥ الشيب^٦ في ليل^٧ لمتي^٨ لعمرى^٩ لليلي^{١٠} كان^{١١} أحسن^{١٢} من شمس^{١٣}
كان^{١٤} الصبا^{١٥} والسمت^{١٦} يطمس^{١٧} نوره^{١٨} عروس^{١٩} أناس^{٢٠} مات^{٢١} في ليلة^{٢٢} العرس^{٢٣}

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحترى :

في الشيب^{٢٤} زجر^{٢٥} له^{٢٦} لو كان^{٢٧} ينزجر^{٢٨} وبالغ^{٢٩} منه^{٣٠} لولا^{٣١} أنه^{٣٢} حجر^{٣٣}
إبيض^{٣٤} ما اسود^{٣٥} من فوديه^{٣٦} وارتجعت^{٣٧} (١) جليلة^{٣٨} الصبح^{٣٩} ما قد^{٤٠} أغفل^{٤١} السحر^{٤٢}
وللفتى^{٤٣} مهلة^{٤٤} في^{٤٥} الحب^{٤٦} واسعة^{٤٧} مالم^{٤٨} يمت^{٤٩} في نواحي^{٥٠} رأسه^{٥١} الشعر^{٥٢}

ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا^{٥٣} الشيب^{٥٤} (٢) محتطاً^{٥٥} بفودي^{٥٦} خُطّة^{٥٧} سبيل^{٥٨} (٣) الرّدى^{٥٩} منها^{٦٠} إلى النفس^{٦١} مهيع^{٦٢}
هو^{٦٣} الزور^{٦٤} يجنى^{٦٥} والمعاشر^{٦٦} يجتوى^{٦٧} وذو^{٦٨} الألف^{٦٩} يقلى^{٧٠} والجديد^{٧١} يرقم^{٧٢}
له^{٧٣} منظر^{٧٤} في^{٧٥} العين^{٧٦} أبيض^{٧٧} ناصع^{٧٨} ولكنه^{٧٩} في^{٨٠} القلب^{٨١} أسود^{٨٢} أسفع^{٨٣}
ونحن^{٨٤} نرجيه^{٨٥} على^{٨٦} الكرم^{٨٧} والرضا^{٨٨} وأنف^{٨٩} الفتى^{٩٠} في^{٩١} (٤) وجهه^{٩٢} وهو^{٩٣} أجدع^{٩٤}

ومن أعجب ما سمعت في الخضاب قول بعضهم :

عجبت^{٩٥} لما^{٩٦} رأيت^{٩٧} غادة^{٩٨} ما بين^{٩٩} غيد^{١٠٠}
ضحكت^{١٠١} إذا^{١٠٢} بصرت^{١٠٣} قد^{١٠٤} تزينت^{١٠٥} لعيد^{١٠٦}
ثم^{١٠٧} نادى^{١٠٨} جميعاً^{١٠٩} يا^{١١٠} عتيقاً^{١١١} في^{١١٢} جديد^{١١٣}
غرّنا^{١١٤} منك^{١١٥} خضاب^{١١٦} قد^{١١٧} تراءى^{١١٨} من^{١١٩} بعيد^{١٢٠}
لاتغالطنا^{١٢١} فما^{١٢٢} تصلح^{١٢٣} إلا^{١٢٤} للصدود^{١٢٥}

وقال ابن الرومى :

فدعته^{١٢٦} إلى^{١٢٧} الخضاب^{١٢٨} وقالت^{١٢٩} إن^{١٣٠} دفن^{١٣١} المعيب^{١٣٢} غير^{١٣٣} معيب^{١٣٤}

(١) في الأصل (إرتجعت) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا اللهم) .

(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال : عذار^ه كمثل^ه الانحى مطر^ز وفرع^ه كلون^ه البقرى^ه محبر^ه

وقد كان من صبغ الشباب ممسكا فأصبح في كف^ه المشيب مكفر^ه

فقل^ه للعدول أقصر الآن إننى على الرغم من أنف الصباية مقصر^ه

كفالك تكاليف الملام كرا كب^ه من الشيب في ليل الشيبية تزه^ه

لوائح من تحت الخضاب كأنما منى الصبح في وجه الدجفة بكشر^ه

وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل^(١) في قوله :

ماشبت^ه من كبر^ه وإكنى^ه أمرؤ^ه عالت قرع^ه نواشب^ه الدهر^ه

فرايتها عضلا موقحة عزت فما تسطاع بالكسر^ه

فلذاك صرت مع الشيبية نازلا في غير منزلى من العمر^ه

ومن أجود ما قيل في تقارب الخطو قول أبي الطمحان :

حنتى حادثات^ه الدهر^ه حتى كأتى خاتل^ه أدنو لصيد^ه

قريب الخطو يحسب^ه من رأتى ولست^ه مقيدا^ه أنى بقيد^ه

وقد أحسن الآخر في قوله أيضا :

الدهر^ه أبلانى وما أبليته^ه والدهر^ه غيرنى وما يتغير^ه

والدهر^ه قيدنى بقيد^ه مبرم^ه فمشيت فيه وكل يوم يقصر^ه

وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقصير الخطو

في كل يوم . ومن أعجب ما قيل في الصلح قول الاعرابي :

قد ترك الدهر^ه عصاتى صنفنا فصار رأسى جبهة^ه الى القفا

كأنما قد كان ربما^ه فمعا يمسى ويضحى^ه المنايا هدا

ومثله قول الآخر :

ثم حسرت عن صفاة^ه تلمع فأقبلت^ه قائل^ه تسرجم^ه

مارأس^ه ذا إلا جبيننا أجمع

(١) هو تميم بن مقبل من بنى العجلان ، فخصم معدود في الفحول .

(٣١ - ثاني المعاني)

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهل الهوى قبح الجلا . جبين وجهه وجبين في القفا
وقال ابن الرومي في معناه يهجو رجلاً يجذب طرته من قفاه الى وجهه :
يجذب من نقرته طرة إلى مدى تقصر عن نيته
فوجهه يأخذ من رأسه أخذَ نهار الصيف من ليله
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي خلف بن خليفة :

وقام إلى رأسه حاذقٌ فصير من رأسه قرعه
يريك بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطلعه
فما شوق عيني إلى قرة كشوق يميني للصلعه
يكاد وإن لم يردّها الضمير تشوق الحليم إلى صفعه
فملنا عليه بأيماننا نسائله عن خبر الوقعه
وقال مالك بن أسماء :

أواري بذئال على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلائس
تود النساء المبصراتي أنه يمار فيستأجرنه للعرائس
وقلت في مدح الخلق :

قتل الشعر من خفيف ثقيل وكثير على الرؤوس قليل
ضيق الشعر حين طال قليلاً ضامه الله من قصير طويل
إنما الخلق راحة وجهه فاشدد الكف بالمريح الجميل
مأرى للحسام يصدأ حسناً إنما الحسن للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد
عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثيرة زير نساء يتحدث إليهن فتحدث
إلى امرأة من بنى أسد فهو بها وهوته فخطبها إلى أبيها فردّه ، وخطبها ابن عم له
فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبعاً وعظماً وأدمعاً تنهلُ منها سحبا
 علمت مابى فجفوت علماً من سشم الوصل تجنى الجرما
 فنهاها زوجها أن تمثل فأنشأت تقول :
 تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعاً فمن لامننى فيه فبدل مايا
 فما أشرف الايقاع إلا صبايةً وما أضربُ الأمثال الا تداويا
 فأتى الزوج أباهما فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك
 وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهى تقول :
 فان تضربوا ظهري وبطنى كلاهما فليس لقلب بين جنبي ضارب
 فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد بفنائها وهو يقول :
 تراءتُ وأستارُ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد
 بعينى مهابةً تحدرُ الدمع منها برمين شتى من دموع وأثمند
 فجمع أهل بيته واخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال
 وهو يحلق :

أقول لثور وهو يحلق لتى بعقواء مردودٌ عليها فصاها
 ترفقُ بها يثورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
 فياربَّ يوم قد تغلل وسطها أنامل رخصات حديث خضاها
 تولى بها ^(١) نورٌ ترفُّ كأنها سلاسل درع لينها ^(٢) وانسكابها
 وأصبح رأسى كالصخرة أشرفتُ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها
 وقد أحسن الفرزدق الاستعارة فى وصف الشيب وهو قوله :
 والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانيبه كنهار
 ولأبى إسحق الصابى أيات فى الصنع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :
 لما رمانى الزمان بالصلع وقلَّ مالى وضاق منسعى

(١) رواية الاغانى « فراح بها » (٢) فى الاغانى « خبوها » .

حاصبت عن لتي مزيتها حساب شيخ الحق متبع
قلت له اتنع من أصل واجبها بالثلث مما به عملت معي
واعمل على أنها مزارعة شكوت فيها شكاة متضع
فاحطط خراج الذي أصبت به وأستوف مني خراج مُزدرع

ومما جاء في مدح الصلح ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب
عن ابن الأعرابي قال ألح رجل النظر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له
إلى أي شيء تنظر؟ قال إلى بطن منده وهامة صلحاء فقال عليه السلام أما البطن
فأسفله طعم وأعلاه عِلْم وأما الهامة فكما قال الشاعر:

بنى إنا المجد آباء لهم شرف صلح الرؤوس وسبى السؤدد الصلح
وقال آخر: كفى حزنًا أني أدب على العصا فيأمن أعدائي ويغضني أهلي
ويوصي بي الوغد الضعيف مخافة على وما قام الخواضن عن مثلي
أقيم العصا بالرجل والرجل بالعصا فما عدلت مبلى عصا ولا رجلى
وقال محمود الوراق في ذم الخضاب:

يشيب الناس في زمن طويل ولي في كل ثلاثة مشيب
وأخفى الشيب جهدي وهو يبدو كما غطى على الريب المريب
وقلت: جريت لعارض غيث الليالي تحالك لونه فابيض جله
وصرت تقص ما يبيض منه أتلقه إذا ما يبيض كله
تعز عن الشيبة واله عنها فان الليل ليس بدوم ظله
وخل الشيب يضحك ناجداه فان الصبح لا يخفى مظهله
وان حلت عرى اللذات فيه فلست بعاقب ماجد حبله

﴿ الفصل الثاني من الباب الحادى عشر ﴾

(فى ذكر العلل والامراض والمرائى والتعازى والزهد)

أحسن ما قيل فى الرمد قول الوراق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ
مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الوراق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى اليه لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينه لتجحد قسلى ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتداول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكت عينه فقات لهم من كثرة القتل مسها الوصب
محرقتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسر لى طرفاً به حمرةٌ قد خلط الترجس فى ورده
ما احمرت العين ولكنة يكحلها من وردتى خدّه

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ قد حازها من وردة الخدّ

فقلت لم يرمد ولكنة يصفح الترجس بالورد

ومن مليح ما قيل فى شكاية الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارت تحم ابتلى الله بهذا من زعم

اشتكت أكل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسن والملاحة قد أصبح للسقم معدناً وقراراً

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ؛ قدمه المبرد على

نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه ؛

لم تشن وجهه الجميل ولكن حملت وردد جنتيه بهارا
ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقاني :

لقد حلت الحمى بساحة - خدره فأبدلت التفاح بالسوسن الغض
والأصل في ذلك قول عبد بنى الحسحاس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامي قال حدثنا عبد
الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن
ظامر إلى عثمان بن عفان : انى اشريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب إليه عثمان
لا حاجة لى فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريماتهم
فاشتراه بنو الحسحاس وكان يكسر في كلامه فقال يوسف فحدثني من رآه
في شجرة واضعاً إحدى رجله على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسيب ويقول :

ماذا يريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جمالٍ لوجهه تبعُ
ما يبتغى خاباً من محاسنها أمله في القباح متسع
لو كان ينبغي الفداء قلت له ها أنا دون الحبيب يا وجم
ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان
رضي الله عنه فانه ما زال يهجو مواله ويشبب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه
امراًة وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فيارب ليلة جعلتك فيها كالقباء المفرج
وقال أيضاً :

ولقد تحدر من جبين فتاتكم عرق على وجه الفراش وطيب
ومن عجيب ما يروى له قوله يمدح نفسه :

إن كنت عبداً فنفسى حرة كرماء أو أسود اللون انى أبيض الخلق
وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هاني :

ياقمرًا للنصف من شهره أبدى ضياءً ثمان بقين
ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :
قالوا محمدٌ الحممدُ مَوْجِعُ والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ
فلئن سُحمت فلا سُحمت فانها داءُ الاسودِ وفي الرجالِ أسودُ
وهذا عندي أحسن من قول البحترى :

وما الكلبُ محمومًا وإن طال عُمره ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد
على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :
وقد سرّني اني رأيتك واطئًا على عقي داء تراخى فأدبرا
وقد ظلّ يبغي رائد البرء مورداً لديك ويبغي فارط السقم مصدرا
ولا غرو أن يغشاك عارضٌ علة فاني رأيتُ الورد يغشى الغضنفر
ولو كنتَ نجمًا ما كسفتَ وإنما كسوفك ان أمسيتَ بدرًا منورا
ومن ذلك قول علي بن العباس النوبختي :

لئن تخطتُ اليك نائبةً حطتْ بقلبي ثقلًا من الألم
فالدهرُ لا بُدَّ محدثٌ طبعًا في صفحتي كلُّ صارمٍ خديم^(١)
وفي الفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً في رَجَلٍ اعتل :

طالَ فكري تمجباً لمصوغ ذهباً كان يقبلُ الاقضاء
والحسامُ الهذاذ^(٢) يزدادُ حسناً كلما زادهُ الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين في معناهما وأما سبكهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت
الثاني أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن الممزل^(٣) يذكر الحمى :
فطوراً ألقيا سُخنةً وطوراً ألقيا فتره

(١) سيف خديم : أي قاطع . (٢) أي القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد
العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

رَقْدَ أَعْيَيْتُ خَلَوُ حِدَّةً وَأَوْرَثُوْهُنَّ أَلْفَا ضَبْجَرَهُ
لِلْعَبِيدِ أَنْ فَاطِنِي لَطْمَةً وَلِلْعَرَّانِ سَاءَ زُجْرَهُ
وَيَرْبُو الطَّحَالُ إِذَا مَا شَبِعَتْ فَعَمَلُوا السَّرَائِبَ وَالصَّدْرَهُ
وَأَمْسَى كَأَنِّي مِنْ مَعْدَنِي لَبِستُ نِيَابِي عَلَى ذِكْرِهِ
أَسَائِلُ أَهْلِي عَنْ سَحْنَتِي وَأَمْنَحُهُمْ نَظْرَةً نَظْرَهُ
وَأَجْزَعُ إِنْ قِيلَ بِي صَفْرَةٌ وَأَشْفَقُ إِنْ قِيلَ بِي مُحْرَهُ

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي :

أَيُّهَا الْبَدْرُ لَمْ تَزَلْ فِي كَالِ الْأَمْرِ بَدْرًا وَفِي الْمَاءِ هَلَالًا
كَيْفَ كَانَتْ عَقْبِي اقْتِصَادُكَ كَانَتْ صِحَّةً مُسْتَفَادَةً وَانْدِمَالًا
وَاعْتِدَالًا بَيْنَ الْمَزَاجِ كَمَا أَوْ تَبِتَ فِي الْخَلْقِ وَالْخَلَاقِ اعْتِدَالًا
فَعَلَ اللَّهُ ذَاكَ إِنَّكَ مَا زِلْتَ لِمَرْضَى مَا ارْتَضَى فَعَمَالًا
وَفِي الْفَصْدِ شَعْرٌ كَثِيرٌ أَيْسَ فِي أَكْثَرِ مَا مَرَّ بِي مَخْتَارٌ إِلَّا مَا أَنْشَدْتُهُ لِعَلِي بْنِ

عبد العزيز الجرجاني :

يَا لَيْتَ عَيْنِي تَحَمَّلَتْ أَلَمَكَ وَلَيْتَ نَفْسِي تَقَسَّمتْ سَقَمَكَ
أَوَلَيْتَ كَفَّ الطَّيِّبُ إِذْ فَصَدَتْ عَرَقَكَ أَجْرِي مِنْ نَاطِرِي دَمَكَ
أَعْرَتُهُ حَسَنَ وَجْنَتِكَ كَمَا تَعْبِيرُهُ إِنْ لَمْتُ مِنْ لَمَّتِكَ
طَرَفَكَ أَمْنَفِي مِنْ حَدٍّ مَبْضَعِهِ فَالْحَظُّ بِهِ الْعَرَقَ وَاغْتَنَمَ أَلَمَكَ

ومن مליح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذر كوان
الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع إلى الغداء فقال : أعزك الله
لست يومى هذا للسكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكوم والزكاة قبيحة
الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عجوز من بنى عجل تقول :
حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بى فى الصداع شيء ملىح أثبتته لك غير أنى سمعت
لبعضهم أياتا فى صغر العمامة حتى أشبهت عصا به يعصب بها الصداع وهى هذه الايات :

وقدّمتْ إلهي وعداً بأنك مُلبّسى ثياباً اليهنّ المحاسنُ تُنسبُ
 فلا تكسني منهنّ إلا عمامةً بأمثالها الامثالُ في النقص تضربُ
 يقول أناسٌ لي إذا مالبستها رأسك هذا من صدادٍ مُعصّبُ
 على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٍ فيه ذكرا الصداد وهو قوله :
 حلّ من قلبه محلّ شرابٍ يشتهي شربه ويخشى صدّاعه
 وقد قارب الآخر :

لطيرتي بالصداع نالتُ فوق منال الصداد مني
 وجدتُ فيه اتفاقَ سوءٍ صدّعتني مثل صدّعتني
 وقلت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنواةٍ قسبٍ وينشر لحية مثل الشراع
 عليه عمامةٌ قصرت ودّقتُ فتحسبه تعصباً من صداد
 وقال بعضهم في الجدرى :

وجهه للحسن معدنٌ فتأمل وتبين
 نقطٌ من جدريٍّ كدباقي معين

وأما النقرس فقد مرّ بي فيه آياتٌ جيّادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن
 سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل
 ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه
 اسماعيل يعودُه فقال له كيف أنت يا بني ؟ فقال :

أشكو إلى الله ما أُصبتُ به من ألمٍ في أنامل القدم
 كأني لم أطأ بها كبدًا من حاسدٍ سرَّ قلبه ألي
 والحمد لله لا شريكَ له لحى للأرضٍ بدمها ودمي
 مامنٌ صحيحٌ إلا ستقله إلا بامٍ من صعبةٍ إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المبرد وأبي العينا قال كان أبو علي الحرمازي

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجري عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتختلف
الحرمازي ببغداد لنقرس ناله فقال :

أقام بأرض الشام فاختل جاني ومطلبه بالشام غير قريب
ولاسيما من مفلس حلف نقرس أما نقرس في مفلس بعجيب
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابي رجلاً قد
أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة
والترفه ، ومنه قول الاعرابي :

فصرت بعد الفقر والتأيس يخشى على القوم داء النقرس
ويقال للرجل العالم نقرس وللداهية نقرس قال المتلمس * يخشى عليك من الحباء النقرس *
ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال
حضر الجمار عند أبي يوماً ودخل رجلاً فقال له ما أخرجك عنا فقال أصابتنى خلفه
أما ترى وجهي فقال الجمار ما بين الاختلاف على وجهك . وقال استني في الحمى :

وزائرتي كأن بها حياة فليس تزور إلا في الظلام
جعلت لها المطارف والحشايا فعاقتها وباتت في عظامي
إذا ما فارقتني غسلتنى كأننا عاكفان على حرام
وهذا البيت معيب لأن الفصل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال
والحرام جميعاً فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت في حمى نالتني :

وأخيرا أتى رحت في حلة الضنى ليالى عشر أضامها الله من عشر
تنفضني الحمى ضحى وعشية كما تنفضت في الدجن قادمى نسر
تذكر على الورس في وضوح الضحى وتبدله بالزعفران لدى المصر
إذا انصرفت جاء الصداع مشرأ نأري عليها في الاذية والشر
وتجمل أعضائي عيوناً دواما نواصل بين السكب والسجود والهمر
فتحسه طلاء على أقحوانة وعهدى به يحكى حباباً على حر

ولما تمادت عذتُ منها بحمية كن ترك الرضاء وانفل في الجمر
وما منهما إلا بلاءٌ وقتنةٌ وضرتُ على الأحرار يالك من ضر
من مرض لمرض الجفون : أنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني أبو عبيد الله
ابن عبد الله لنفسه :

تمارضت لما لم تكن لك علةً وقلت شهيدى ما بطرفي من السقم
فلا تجعل سقماً بطرفك علةً فقد كان ذلك السقم في صحة الجسم
وقال غيره :

أحببت من أجله من كان يشبهه وكلُّ شيء من المعشوقِ معشوق
وقد جلبتُ بجسمي سقماً مقلته كأنَّ جسمي من عينيهِ مسروق
وقال الأخطل : كيف يضني بعد ما كان ن الضنى عوناً لعينه

وقال ابن الرومي وقد مرض فتخلف أخوانه عن عيادته :

عليكم لا يعادُ من علةٍ وضيغكم لا يسدُّ من خلله
لا ان جفوتكم دنا المماتُ ولا ان زرتُم تُنسَوْنَ في أجله
ما ضرَّ مجفوتكم جفاؤكم بالامس في جسمه ولا أمله
وأنشدني أبو أحمد عن الصولي لمحمد بن محمد بن إبراهيم اليزيدي :

مالي مرضتُ فلم تعد ودرغتُ فيك فلم تجد
الحبُّ يذهبُ الأذى فاحذرْ عليه ولا تعد

وهذا شعرٌ مطبوعٌ مختار ، والبيت الأخير مأخوذٌ من قول الأعرابي :

فاني رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ
وقلتُ : وقد مادني الإخوانُ من كلِّ جانب وما قصرُوا في العرفِ والفضل والبر
فلم لم تكن فيهم فيكمل حسنهم أيا ظالماً أخلى النجوم من البدر
وإذ كنت لم تنهض إلي ولم تكد فلم لم تسل غنى فتخبر عن أمرى
ومالك لم تبعث إلي بأسطرى تمجمجها إحدى يمينك في ظهر

تضمن بتسليم وزرة ساعة فكيف يرحى جودك كفيتك بالوفر
 فان كنت لا تبقى على الحال بيننا فهلا تخاف سوء بادرة الشعر
 إذا لم تكونوا للحقوق فمن لها وأنتم كرام الناس في البدو والحضر
 وأنت إذا أنجيت تفرى أديهما فما ذنب ذى جهل فرى مثل ماتفرى
 وما لعداء العلم تذكر عيهم وأنت على أمثال غايرهم تجرى
 ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومى :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثرُوا للموت ألف فضيلة لا تعرف
 فيها أمان لقاءه بقاءه وفراق كل معاشر لا ينصف
 ومن أحسن ما قيل فى مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :
 بات الأمير وبات بدر سماننا هذا يؤدعنا وهذا يكسف
 ولعل ذلك مأخوذ من قول الأول :

ألم يبلغك والأنباء تنمى وللدنيا بأهلها صروف
 صريع لم يؤسده قريب ولم يشركه فى الشكوى أليف
 يظل كأنه قمر منير يجول على محاسنه كسوف

ولهذا البيت رونق عجب وطلاوة حسنة . ومن عجب ما جاء فى وصف
 المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا صغيرا ثم يكبر
 إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيب لا يتارى به ومنه أخذ قوله :
 وكما تبلى وجوه فى الثرى فكذا يبلى عليهن الحزن

ولأعرف فى التعزى عن المصيبة كلاما أحسن تقسيما من قول الأعرابى ومات له
 ثلاثة بنين فى يوم واحد فدفنهم وعاد الى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يقعد واحدا
 فليم على ذلك فقال : ليسوا فى الموت يبدع^(١) ولا أنا فى المصيبة بأوحد
 ولا جدوى للجزع فعلا تلموننى . فهذه الثلاثة الأقسام لأربع لها .

وعزى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجره فيما أباد وأجزل حظك فيما أفاد .

ولأنعرف أحداً أجاده هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيدي أن عبد الملك بن صالح يُعبد كلامه ويفكر فيه فلذلك بانت بلاغته فأنكر ذلك الرشيد وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريري فقل له ولداً لأمر المؤمنين في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدةً بواحدة ثواب الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيد أهذا الذى زعموا أنه يتصنع الكلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط ^(١) . وعزى اعرابى رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل في مدفون قول ابن الرومى فى بستان جارية أم على بنت الراس :

الله ما ضمنت حفيرتها من حُسنِ مرأى وطهر مُختبر

أضحت من الساكني حفائره من سكى الغوالى مداهن السرر

لو علم القبر من أتيح له لا تخفض القبر غير محتفر

وهذا البيت مأخوذ من قول الأول :

لو علم القبر من يوارى تاه على كل من يليه

وقالوا أحسن مرتبة للعرب ابتداء قول أوس بن حجر :

أيتها النفس أجلى جزءاً ان الذى تحذرين قد وقعا

وأحسن مزمية لمحدث ابتداء قول أبى تمام الطائى :

أصم بك الداعى ^(٢) وإن كان أسماً وأصبح مغنى الجود بمدك بلقعا

فقال فيها : فتى كان شرباً للعناء ومرتبى فاصبح للهنديّة البيض مرتباً

(١) تقدمت هذه القصيدة (٢) فى ديوان أبى تيمام « الناعى » .

إذا ساء يوماً في الكربة منظرًا تصلاهُ علمًا أن سيحسنُ مسمعا
فان ترم عن محسر تداني به المدى فخانك حتى لم يجد فيك منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها ثم انثنى فتقطعا
وقالوا أرثي بيت قالتها العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل
في الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن
أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً
إلا بكى عنده فقبل له يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :
لقد لا منى عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك
هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :
أمن أجل قبر بالملأ أنت نائح على كل قبر أو على كل هالك
فقلت له إن الشجي يبعث الشجي فدعني فهذا كله قبر مالك
يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا
أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأثير عن ثعلب عن
الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثي ما قيل :
لهفي عليك للهفة من خائف كنت المجير له وليس مجير
عمت صنائعه فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
فالناس ما تمهم عليه واحد في كل واد رنة وزفير
يثني عليك لسان من لم توله خيراً لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور
والصحيح أن يقول « منشور » لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثي بيت قالتها العرب قول المحدث :
على قبره بين القبور مهابة كما قبلها كانت على صاحب القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر
وقالوا أرثاه قول ابن منادير :

أنعي فتى الجود إلى الجود مامثل من أنعي بموجود
أنعي فتى مص الثرى بعده بقيّة الماء من العود

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول
لو سئلت عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم اختر على أبيات الخزيمي :

ألم ترني أنبي على الليث بنية وأحني عليه الترب لا أتخشع
وأعدده ذخرًا لكل ميلة وسهم المنايا بالذخائر مولع
واني وإن أظهرت مني جلادة وصانعت أعدائي عليه لموجع
ولو شئت أن أبكي دما لبكيتيه عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثي بيت قول عبدة :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
وقال خلف الأحمر أرثي بيت :

الآن لما كنت أكمل من مشي وافترّ نأبك عن شباه القارح
وتسكملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بالفعال الصالح

وقال الأصمعي أرثي بيت للعرب :

ومن عجب أن بت مستشعر الثرى وردن^(١) بما رودتني مُمتعا
ولو أنني أنصفتك الود لم أبت خلافا حتى تنطوي في الثرى معا

ومن أحسن ما قيل في بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير^(٢) :

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(١) لعله (وبت) . (٢) في الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمي الدولتين

الأموية والعباسية. قدم في القصيد والرجز فصيح .

وفي هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرضِ خطتُ للسماحةِ مضجعها
وياقبرَ معنٍ كيفَ وارىتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدما
فلما مضى معنُ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المكارمِ أجدا
وأنا أقول إن هذه الأبيات أرتي ما قيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرتي بيت قبل قول مهلهل في كليب :

نبتتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتُ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا في أمرٍ كلٌّ عظيمةٌ لو كنتَ شاهدهم إذا لم ينبسوا
وكان كليب إذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ إلا عليه وإذا
جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحدٌ إلا هو .

وقالوا أحسن ما قيل في المرائي قول متمم بن نويرة في أخيه مالك :

وكنا كندمانى جزيمةً حقبةً من الدهرِ حتى قيلَ لن نتصدما
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطولِ اجتماعٍ لم نبت ليلةً مما

وليس في المحدثين أحسن مرأى من أبي تمام فمن ذلك قوله :

غدا غدوة والمجد^(١) نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر^(٢)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقومُ مقام النصرِ إن فاته النصرُ
فتى سلبته الخيل وهو لها حى وبزته نارُ الحربِ وهو لها جمر
كأنَّ بنى نهان يومَ وفاته نجوم سماءٍ جرمٍ من بينها البدرُ
مضى طاهر الاثوابِ لم تبق روضةٌ غداة ثوى إلا اشتتت أنها قبرُ
وكيف احتمالى للسحاب^(٣) صنيعه بأسقائه قبراً وفي الحسد البحرُ
ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها إلا مختارٌ .

(١) ديوان أبي تمام «والحمد» . (٢) في الأصل (أجر) . (٣) في الديوان (للغيوث) .

وقوله ^(١) في ادريس بن بدر السامي :

أدريس ضاع المجد بعدك كله
وضل بك المرتاد من حيث يهتدى
وتبسط كفاً في الخطوب ^(٢) كأنما
ولم أنس سعي الجود حول سريره
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً

وقوله في بني حميد :

عهدي بهم تستنير الأرض ان نزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
فيما الشماتة إعلافاً بأسد وغى
وقوله أيضاً: إذا فقد المفقود من آل مالك
خليلي من بعد الأسي والجوى قفا
المّا فهذا مصرع البأس والندی
المّ تريا الأيام كيف فجعنا
خطوئاً إليه من نداء وبأسه
وقد كثرت على محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أورد وما أترك . وقد أحسن القائل :

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن
تيممت فيه الفأل حين رزقه
الى ردّ أمر الله فيه سبيل
ولم أدري أن الفأل فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

* وجفن سلاح من معدّ رزقته : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن الليالي أنبأته لياليا

(١) أي قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق » .

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

(٣٣ — ثاني المعاد)

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام
وزاد زيادة أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين
لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجهان شاء الله أن لا يطالما إلا ارتداد الطرف حتى يأفلا
أن الفجعة بالرّياض نواضراً لا أجلٌ منها بالرياض ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غارباً للمكرّمات وكان هذا كاهلاً
أهفى على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت^(١) حتى تكون شمائلها
لغدا سكونهما حجا وصباحها حلاً وتلك الأريحية نائلها
أن الهلال إذا رأيت نموء^(٢) أيقنت أن سيكون^(٣) بدرأ كاملاً
ثم قال بوسيه :

أن ترز في طرفي نهار واحد رُزّين هاجا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهماً بازلاً
ثم قال أيضاً :

شمخت^(٣) خلا لك أن بوسيك امرء^(٤) أو أن تذكر^(٤) ناسياً أو غافلاً
إلا مواعظ قادهالك سمحة اسبحاح لبك سامعاً أو قائلها
هل تكاف الأيدي بهزّ مهنّد^(٥) إلا إذا كان الحسام الفاصلاً
وقالوا ليس للرب مزية أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرى فيها أخاه
أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دون حلو العيش حتى أمره^(٦) منكوب^(٦) على آثارهنّ منكوب
هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدى الليل حين يؤوب
حلّيم إذا ما الحلم زّين أهله مع العلم في عين العدو مهيب

(١) في الأصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام « سيعود » .

(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوت أمه ماذا تضمن رحله
فتى أربحي كيف بهتر للندى
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
فان تكن الأيام أحسن مرة
وحدتني انما الموت بالقرى
وقال فيها: وداع دعا من يجيب الى الندى
فقلت ادع أخرى وارفض^(١) الصوت مسمعا
ومن عجيب المرائي قول الرقاشي في البرامكة :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا
وقل للمطايا قد أمنت من السرى
وقل للمنايا قد ظفرت بجمعفر
وقل للمطايا بعد فضل تعطلى
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً
ومن جيد المرائي قول الآخر :

سأبكيك للدينيا والدين انى
ربيع إذا ضن الغمام بمائه
وقد أحسن أبو الحسن بن الأنباري القول في ابن بنية^(٢) حين صاب :
علو في الحياة وفي المات بحق أنت^(٣) احدى المعجزات
كان الناس بعدك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلوات
وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز في عبد الله بن سليمان حين توفي :
وصلوا عليه خاشعين كأنهم قيام خضوع للسلام عليه

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان برا جواداً ، نقم عليه عز الدولة أمراً
فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة ضلبه (٣) وفي رواية (لحق تلك) .

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا وَكَلِمُهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاتِ
 مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ جَمِيعًا كَدُّ كَمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ
 وَلَا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمُّ عَلاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
 أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا^(١) عَنْ الْأُكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ
 فَلَمْ أَرَ قَبْلَ جَذْعِكَ قَطُّ جَذْعًا تَمَكَّنَ مِنْ عُنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ

وَمَنْ جَيِّدٌ مَا قِيلَ فِي عَظَمِ شَأْنِ الْمَيِّتِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ:

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

بَنِي مَالِكٍ قَدْ نَبِهَتْ خَامِلَ الثَّرَى قُبُورُكُمْ مَسْتَشْرِقَاتُ^(٢) الْمَعَالِمِ
 رَوَاكِدُ قَيْدِ^(٣) الْكَفِّ مِنْ مَتَنَاوِلِ وَفِيهَا مُعَلَّا لَا يُرْتَقَى بِالسَّلَامِ
 وَقُلْتُ: سَأَلْتُ الْقَبْرَ كَيْفَ أَضْمَرْتَ قَدْسًا وَأَبَانًا وَيَذْبَلًا وَحِرَاءَ
 مَنْ رَأَى الْبَدْرَ بِالتَّرَابِ تَوَارَى أَوْ عَلَى ذُرْوَةِ النَّمُوشِ تَرَاءَى
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ وَأَحْسَنُ :

تَعَالَوْا نَزُرْ قَبْرَ السَّاحَةِ وَالرَّفْدِ وَلَا نَعْتَذِرُ مِنْ دَمْعِ عَيْنٍ عَلَى خَدٍّ
 لَقَدْ عَشْتُمْ لَمْ يَمَلُقْ بِفَعْلِكَ ذِمَّةً وَمُتَّ عَلَى رَغَمِ الْحَامِدِ وَالْمَجْدِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَسْتَ تَرَى مَوْتَ الْعَلِيِّ وَالْحَامِدِ وَكَيْفَ دَفَنَّا الْخَلْقَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ
 وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ يُسْتَنُّ عَوَامِدًا وَيَحْسَنُ أَنْ أَحْسَنَ غَيْرَ عَوَامِدٍ
 وَقَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ :

حَنَظَّتَهُ يَا نَصْرُ بِالْكَافُورِ وَرَفَعَتْهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ
 هَلَا يَبْعُضُ خِلَالَهُ حَنَظَّتَهُ فَيَضُوعُ أَفْقُ مَنَازِلِ وَقُبُورِ

(١) فِي رَوَايَةٍ (وَاسْتَعَاذُوا) . (٢) فِي الْأَصْلِ (وَذَا كَمْ مَشْرِقَاتٍ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ (رَوَاكِدُ قَيْسٍ) .

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلی
 ألم تر أن البأس أصبح بعده
 غدت داره قفراً ومغناه بلقعا
 أشل وأن الجود أصبح أجدا
 إلى المجد والعلیاء كيف تخشعا
 على الجود والمعروف والفضل أربعا
 ونوحاً لفقد العارفات مرجعا
 ولكنه بنيان قوم تضعضعا
 ولا تحسبا أنى أواریه وحده
 ولكنى واریته والندی معا

ومن بارع المرائی قول دیک الجن الحمصی :

مات حبيب فمات ليث
 غاض بحر وباح نجم
 سميت عيون الردى إليه
 وهى إلى المكر مات تسمو
 ما أمك اجتاحت المنايا
 كل فؤاد عليك أم

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مقفر الجنب
 يزداد عمرانا على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
 له عن عدو في ثياب صديق

وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا
 بأسهم أعداء وهن صديق

وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول :

محتوفها رصد وعيشها نكد
 وصفوها رتق وملكها دول

وقلت : ما بال نفسك لانهوى سلامتها
 فأنت فى عرض الدنيا ترغبتها

دار إذا أتت الآمال تعمرها
 جاءت مقدمة الآجال تخربها

أصبحت تطلب دنيا لست تدركها
 فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز :

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ وأيامنا تطوى ومهنٌ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه إذا ما تخطته الأمانى باطلُ
وقلت: ألسَت ترى موتَ الغدِ والفضائلِ وكيف غروبُ النجم بين الجنادلِ
فما المنايا أغفلتُ كلَّ ناقصٍ ونقبن في الآفاقِ عن كلِّ فاضلِ
على الرِّغم من أنفِ العلا سبقَ الردى بكلِّ كريمِ الفعلِ حرَّ الشَّائلِ
على أن من أبقتَه ليسَ بخالدٍ وليسَ امرؤٌ يرجو الخلودَ بعقلِ
رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائحٍ فما للبرايا بينَ ساءٍ وغافلِ
ولم أرَ كالدينا حبيباً مُضرّةً ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كباطلِ
وقال ابن المعتز :

كم بدارِ الموتِ من ذى إربةٍ عجزت منه على الموتِ الحيلُ
وملوكٌ بليتُ أيديهم ولقد كانت مطايا للقبلِ
وقلت: فتعجبتُ كيفَ لا نحذرُ الموتَ وأنفاسنا خطانا إليه
وقرأت للجاحظ كلاماً مفقودَ النظيرِ معدومِ الشبيهِ لا أعرف لأحد مثله
وهو : أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً ويومها لك من
غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك
الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها
ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها . ووقفتك بقطع الشمس والقمر
قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تنهاى أمدها وأبان
لك دُوبُ اطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة
بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محثوثة
إلى أمدها كما تحت براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها . ثم قال وتحدث ما تخوفك به
طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثمانها حدثاً من أحداثها لا تمسك منها
بعمرة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدق لك من نصيحتها أو عظة أشفى

وأبلغ من عظمتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالبقاء على نفسها ، ألم تر أجزاءها
مؤلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إبراهيم تقضاً ، فيا ناسياً للصخر
وتهدمه وللحديد وتلده واثقاً ببقاء لحمه ودمه ومساعفاً لشبهه وقرمه إذ كر أن جسدك وشيكا
مفارقك وأنه وإن جددته مخلقتك وأنتك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب
ويوبقك فقيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تتكل في عقبيك - إلى أن قال وتقوى على الزهد
فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجأته وبقتاته ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخزال
المحالة عن دفعه وبأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليه لها
من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الأغاض
والأوصال سياق رهاق مضيق للحناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه
بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرة
وفي الجوانح ررجة وفي اللهوات غرغرة وفي الخلقوم خرخرة بالترزع الجاذب
والعلن الكاذب والفُواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصعداء
وتوقد البرحاء وفي سممه وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأمواله
نهى وجموعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب
عليه مشققة والشعور مقطعة والحدود باللطم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم
بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها إلى الهلاك قول النعربن تولب :
تدارك ما قبل الشباب وبعدهُ حوادث أيام تمرُّ وتغفل
يودُ الفتى طولَ السلامة والغنى فكيف تربي طولَ السلامة تعقل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ إذا دام القيام ويحملُ
وقيل لرجل من الأوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .
وقال بعضهم في معناه :

مأبالٌ من آفته بقاءهُ نقصَ عيشي كله فناؤهُ

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ماتراً من الأشياءِ تحلو في الخلق
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرومي :

بكأوكما يشفى وإن كان لا يجدي فجوداً فقد أودى نظيرُ كما عندى
توفي حمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فله كيفَ اختارَ واسطةَ العمدِ
طواه الردى غنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعدِ
عجبت لقلبي كيفَ لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر الصلدِ
وماسرني أن بعته بشوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلدِ
ولا بعته طوعاً ولا مكرهً وليسَ على ظلم الحوادثِ من معدى

وأما موت الأخ فقد رويناه فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف
قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني
يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل
ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمن من سفر فلقي غلاماً له فقال
له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكك أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي
قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتني قال فما فعلت امرأتني؟ قال ماتت قال
جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع

كيف قال مطيع بن إلياس فأنشده :

يا أهل بكوا لقلبي القريح وللدُموعِ الدوارفِ السفنج
راحوا يبيحي ولو تطاوعني الأقدار لم تتكر واهم ترح
ياخير من يحسن البكاء له اليومَ ومن كان أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، تم أذن للناس قدخلوا
ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمدّ يده من الجزع الذى كان خامره فقام شبيب بن
شيبه فأنشده قول الثقفى في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله
بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمري لقد أودى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنماءٍ والليث الهزبر أبى الأجر
تأملُ فإن كانَ البكا رَدَّ هالكاً على أحدٍ فاجهدُ بكاك على عمرو
فسرّى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجم :
مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مَشرقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مَدحٌ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفه على الناسِ حتى غيبتهُ الصنائحُ
فأصبحَ في لحيدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطحُ
سأبكيك ما فاضتْ دُموعى وإن تغض فحسبك منى ما تحنُّ الجوانحُ
كأن لم يمتَ حتى سواك ولم تقم على أحدٍ إلا عليك النوائحُ
لئن حسنتُ فيك المراثى وقيلها لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدائحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جَلَّ جازعٌ ولا يسرورٍ بعد موتك فارحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم قال أنشدنا العقدي قال أنشدنا
أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفى سرّواتنا كأنَّ المنايا تبتغي من تفاخره
فما كانَ قيسٌ عاجزاً غير أنه حتى أنفه من أن يضيعَ مجاوره
وظابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخم وقد ضاقَ بالنكس اللثيم مصادره
فصادفَ رق الموتِ حرّاً مميدعاً إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
حتى أنفه أوس ولم يثن وجهه وبغنى الحياء المرءَ والرمح شاجره
ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كان فوت الموت سهلاً فرَّدهُ عليه الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعر
وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فإن استطعت أن
يكون شكرُ الله حين أخذه أكثر من شكرِ الله حين وهبه فافعل فإنه حين قبضه
أحرز لك هبته ولو بقي لم تسلم من فتنه ، عجيباً لجزعك على ذهابه وتلفك على
فراقه أَرْضِيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خُص من الكدر وبقيت
معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمدده ، وصلواته على سيدنا ونبيينا محمد
وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعاني وهو :)

﴿ الباب الثاني عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول في الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعني
أبو دُلف أنشد :

لا يمنعك خفض العيش في دعة تزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال : هذا الأُم بيت قالته العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا ردىً والجيد النزاع، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأُم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطائفة وتمام العقل . وقالت الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد . وقال بزرجمهر : من أمارات العاقل بزه بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تشك بداً فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيه قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها خوفاً^(١) من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس أفهمهم للناس . وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنِ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجهم إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السبابين والجللاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا أرطحت نحو اليمامة رفقةً دطاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إنَّ الهجر يشفى من الهوى وما زددت إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثير من العرب ممن يعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعت الرُّمَحَ^(٢) إذ قالوا قريشٌ وشبهت الشَّائِلَ والقبايا^(٣)

(١) سقط من الأصل «خوفاً» أو ما بمعناها . (٢) في الأغاني «السيف» .

(٣) في الأغاني «وبينت الشائل والعبا»

ولو أنى أطاوعُ كنتُ فيهم وما سِرتُ أتبع السحابا
وقال الخويدرة (١).

وتقيمُ في دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظنُّ غيرنا للأمرع
والأمرع جمع لأواحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم
كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .
وقال أبو تمام : كم منزل في الأرض يألفه الفتى . وحنينه أبدأ لأول منزل

وقد قالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لان غذاءك منها
وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظنُّه وداره مهده . وقال آخر : الحنين الى
الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرأية والرأية من الرحمة والرحمة من كرم
الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :
لقرب الدار في الاقتار خير من العيش الموسع في اغتراب

وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أهله كما تنقوت الحبة بيل المطر إذا
أصاب الأرض . وقال أفلاطون : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال : يداوى
كل عليل بمقايير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا :
ليس الانسان أقنع بشيء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شيء ردىء ويتذمم من
كل شيء كرهه إلا من وطنه وان كان ردىء التربة كرهه الغذاء ولولا حب الناس
للأوطان لخرب أخابث الأرض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعري هل تمحنُ ناقتي بصحراء من فجران ذات ثرى جعد
وهل تنفضنُ الريحُ أفنانَ لمتى على لاحقِ الأطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر حسى مزاحم وقد ضربته نفحة من صبا نجد

وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الاصل «الخويدرة» بالخاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب
عليه ، والخويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الأرضَ تسكنها سليبي وان كانت بواديها الجدوب
وما دهرى يحب تراب أرض ولكن من يحمل بها حبيب

وقال ابن الرومي :

ولى وطنٌ آليتُ أن لا أبيعهُ وألا أرى غيرى له الدهر مالكا
عهدتُ به شرحَ الشبابِ ونعمة كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفتُهُ النفسُ حتى كأنهُ لها جسدٌ لولاهُ غودرتُ هالكا
وحببَ أوطانَ الرجالِ إليهم ما رُبُّ قضاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
وقد ضامني فيها اللئيم وغرني وها أنا منه معصمٌ بمجالكا
فإن أخطأتني من يمينك نعمة فلا تخطئنه نقمةٌ من شمالكا
وقلت في نحو من ذلك :

توى في حفرة العانات يمن تغافل في المنازلِ والرِّباع
وإن تهوَّ البقاع فليس غرواً هوى أهل البقاع هوى البقاع

وقال ابن الرومي :

فاذا تصوَّرتُ في الضمير وجدته وعليه أفنانُ الشبابِ تميدُ
وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدَّ القيظُ وانتعل كل شيء ظله ؟
فقال وهل العيش إلا ذاك يمشى أحدنا ميلاً ويرفض عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقى
عليها كسائه ويجلس يكتال الريح فكأنَّه في إيوان كسرى . وذكر أعرابي
بلده فقال رملته كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت
في غير أهلِكَ فلا تنس نصيبك من الذلِّ . وقال الشاعر في معناه
* نصيبك من ذلٍّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ بكثرةً في التناي فكان الخيرُ أكثرُ في التداي

ذكرتُ مقامنا بسراة حزوى فسرت مع الوسوس في عنان
 ألا لله حزمٌ واصطبارٌ تقاسمه بنيات الزمان
 عزيزٌ أضمرته نوى شطون فظل من المهانة في ضمان
 ينأط إلى العزيز إذا تبوى بمنزل غربة طرف الهوان
 وقال آخر : يحنُّ اليبُّ إلى وطنه كما يحنُّ النجيب إلى عطنه . وقلت :
 إذا أنا لا (١) اشتاقُ أرضَ عشيرتي فليس مكاني في النهى بمكين
 من العقل أن اشتاقَ أوَّلَ منزلٍ عنيتُ بخفضٍ في ذُراهٍ ولسين
 وروضٍ رعاهُ بالأصايل ناظري وغصن ثناء بالغداة يميني
 وقال ابن المولى :

سُـرِـرْتُ بِجَمْعِهِ وَالْقَرَبِ مِنْهُ كما سُـرُّ الْمَسَافِرِ بِالْأَيَابِ
 كَمَطُورٍ - بِلَدَّتِهِ فَأُضْحَى غَنِيًّا عَنْ مَطَالِمَةِ السَّحَابِ

وهو من قول الآخر :

فكنتُ فيهم كَمَطُورٍ بِلَدَّتِهِ فسرُّ أن جمعَ الاوطانَ والمطرا
 وفضل بعضهم السفر على المقام واحتج بقول الله تعالى (عِلِمَ أَنْ سَيَكُونُ
 مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ
 اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال فقسم الحاجات فجعل أكثرها
 في البُعد ، وقال تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
 وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قال فأخرج الكلام مخرج العموم ولم يخص أرضاً
 دون أرض ولا قرباً دون بعد ، ويُنشد في هذا المعنى قول أبي تمام :

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحَيِّ مَخْلَقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَاغْتَرَبُ تَتَجَدَّدُ
 فإني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ حُبَّةً إلى الناسِ إذ ليست عليهم بسرمد

وقال (٢) في الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة : الراحة

(١) في الأصل « لم » ويصح « لم أشتق لأرض » . (٢) كذا .

عقلةٌ والبركاتُ في الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهوينا يكسب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وانَّ التواني أنكحَ العجزَ بنته وساقَ إليها حينَ أنكحها مهرًا

فراشًا وطيبًا ثمَّ قال لها اتكى فقصرًا كالأبد أن تلد الفقرا

وقال نهيك بن أساف :

أأمُّ نهيك إرفعى الطرفَ صادقًا^(١) ولا تياسى أن يثرى الدهر بائس

سيغنيلك سعي^(٢) في البلادِ وغربتي^(٣) وبل التي لم تحظَ في البيتِ^(٤) جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أ كثم بن

صيفي : ما بودنى أنى مكفى وأنى أسمنت وأليزت ، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة العجز .

وفي الحديث المرفوع « سافروا تغنموا »^(٥) وقال الشاعر وذمَّ طول الضجعة :

فانَّ تأتيانى بالشتاء وتلما مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر : أبيض بسام يرود مضجعه واللقة الفردُ مراراً تُشبعه

وقال الخطيئة يهجو القعود والراحة :

دع المكارم لا ترحلْ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكامى

وقال أبو عبيدة البُحرى :

وقد سألتُ فما أُعطيتُ مرغبةً وكان حقى أن أُعطى ولم أسل

أرمى بظنى ولا أعدو^(٦) الخطاء به فاعجب لا خطاء رام من بنى ثعل

أسيرُ إذ كنت في طولِ المقام بها أ كدى لعلى أجدى عند مُرحلى

شرق وغرب فعهد العاهدين بما طالبت في ذملان الأبنق الذمل

(١) في الأغانى (صاعدا) . (٢) في الأغانى (سبرى) . (٣) في الأغانى

(ومطلي) . (٤) في الأغانى (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بأنماظ

مختلفة وزيادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البُحرى « فما أعدو » .

ولا تقل أمم شتي ولا فرق (١) فلا أرض من تربة والناس من رجل
وقال بشار بن برد :

تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي كأن المنايا في المقام يناسيه
أخذه من قول الأعمش : وكم من رد أهله لم يرم : والأول أجود سبكاً
وأفصح لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن
كان خالد بن عبد الله القسري يطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم
يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فانه
يطعم الأعراب فقال :

يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت مزالا بجران تماوى كلابها
فقد خبر الركبان أن جديده تباح ورغفانا شباعاً رغابها
وماء فرات ما شهيت وقرية تدب ديب النمل فيك شراها
فأقسم لا أبتاع روغان خالد بأرواح نجيد ما أقام تراها
إذا باحت بالعرمتين وصارة رياح الخزامى حين تندى رحابها
وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الفضل بن محمد
العلاف قال لما قدم بغاييتي نمر كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم
الفصيح فجئت يوماً إليهم في عقب مطر فاذا شاب جميل قد نهكه المرض فليس
به حراك وإذا هو ينشد :

ألا ياسني برق على قلل الحمى ليهنك من برق على كريم
لمت اقتداء الطرف والقوم هجع فهيجت أسقاماً وأنت سقيم
فهم من معير طرف عين خلية فانسان طرف العامري كلم
رمى قلبه البرق اليماني رمية بذكر الحمى وهناً فبات بهم
قال فقلت ان فيما بك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني .

وقال عبد الله بن محمد القعسي :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة
وهل أحد باد لنا وكأنه
يحول^(١) السراب الطلح يني وينه
فاني لأرعى النجم حتى كأنني
وأشتاق للبرق اليماني إذا بدا
وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياء وأنتي
مسيرى مع الفتيان في طلق الهوى
فلم يبق من تلك^(٢) اللذازة عندهم
وقال أعرابي :

أُمُغْتَرَباً أصبحت في رآ مَهْر مَز
إذا راح كعب مصعداً أن قلبه
وان الكئيب الفرد من أيمن الحمى
تفوقت ذرات الصبا في ظلاله
إذا هب علوى الرياح استمالني
ومما يجري مع ذلك قول الآخر :

إذا عقد القضاء عليك أمراً
فمالك قد أقمت بدار ذل
تبلغ بالكفاف فكل شيء
وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفت في الآفاق حتى
رضيت من السلامة بالاياب

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحتري :

وكانَ رجائي أن أؤوبَ مُمَلِّكاً فصارَ رجائي أن أؤوبَ سليماً

﴿ فصل في مدح الاخوان ﴾

من أحسن التشبيه في مدح الأخ ما^(١) أنشدني أبو علي بن أبي حفص عن جعفر بن محمد :

أخٌ لي كأيام الحياةِ أخاؤه تلون ألواناً على خطوبها
إذا عبتُ منه خلةٌ فهجرتُهُ دعني إليه خلةٌ لأعيبها

وقال البحتري :

قدمتَ فأقدمتَ الندى يحمل الرضا إلى كل غضبانٍ على الدهرِ عاتبٍ
وجئتُ كما جاء السحابُ^(٢) محرّاً يدبك بأخلافٍ تفي بالسحابِ
فمادتُ بك الأيامُ وهي كواكبُ^(٣) جلا الدهرُ منها عن حدود الكواعبِ
وما أنسَ لأنسَ اجتذابك همّي إليك وتزيني بأعلى^(٤) المراتبِ
فياخيرَ مصحوبٍ إذا أنا لم أقمُ بشركٍ فاعلمُ أنني شرُّ صاحبِ
وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .

وقريبٌ من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ماجئتُ أبغيه حاجةً رجعت بما أبغى ووجهي بمائه
بلوت رجالاً بعده في إخائهم فما ازددت إلا رغبة في إخائه

وقال دعبل بن علي :

أخٌ لي طاده الزمانُ فأصبحتُ مذممةً فيما لديه المطالبُ
متى ما تدوّقه التجاربُ صاحباً من الناس ودته اليك التجاربُ

وقال إبراهيم بن العباس :

(١) «ما» ساقطة من الأصل . (٢) في ديوان البحتري (الربيع) .

(٣) في الديوان «الأيام زهراً كأنها» . (٤) في الديوان (وترتيبها أخص المراتب) .

ومؤمل للنائبات إذا هب الزمان بأفرو هباً
لما رآني نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضا :

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب
بطيء العهد ما استغثت عنه وطلاّع عليك مع الخطوب
والبيت الأخير يشير إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *
ونحوه قول إبراهيم أيضا :

أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ماقدرا
يعرف الأبعد إن أترى ولا يعرف الأدنى إذا ما افتقرا
وقال أيضا :

ولكن عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين أخوانه مال
رأى خلة منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال
ونحوه قوله أيضا :

بدا حين أترى بأخوانه فقلل عنهم شباه العدم
وذكره الحزم غيب الأمور فبادر قبل انتقال النعم
ومما هو في هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصت حتى شخص عقلي فصار
عديلك واستقل ودي فأضحى زميلك ولا مطمع لي في مستقرهما حتى تستقر
النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالي نحن في غفلات عيش^(١) كأن الدهر منها في وثاق
وأياما لنا وله^(٢) لدانا عرينا^(٣) في حواشيها الرقاق
وفي هذا الموضع أيضا قوله :

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعمده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .

(٣) في الأصل «عرييا»

أَيَّامُنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مُوَاهِبًا وَكُنْتُ بِاسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبًا
سَنُغْرِبُ تَجْدِيدَ الْعَهْدِ فِي الْبُكَاءِ فَمَا كُنْتُ فِي الْأَيَّامِ إِلَّا غُرَائِبًا

وَقُلْتُ فِي فَضْلِ الصَّدِيقِ عَلَى الْقَرِيبِ :

رَأَيْتُ بِالْوَدِّ عَنِ الْقَرِيبِ غَنًى وَلَيْسَ بِالْقَرِيبِ عَنِ الْوَدِّ غَنًى
وَصَاحِبِ الْوَدِّ^(١) حَسَامٌ مُنْتَضِي يَزِينُ فِي السَّلَامِ وَيَكْفِي فِي الْوَعْدِ

وَقُلْتُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ :

لَيْسَ حَدُّ الْحَسَامِ أَكْفَى وَأَغْنَى مِنْ أَخٍ ذِي كَفَايَةٍ وَغَنَاءِ
وَأَخُ الْمَرْءِ عَصِيَّةٌ فِي بِلَاءِ يَغْتَرِبُ وَزِينَةٌ فِي الرِّخَاءِ

وَقَالَ شَيْبُ بْنُ الْبَرَصَاءِ :

إِذَا الْمَرْءُ أَغْرَاهُ الصَّدِيقُ بِدَالِهِ بِأَرْضِ الْأَعْدَى بَعْضُ الْوَانِهَا الرِّبْدِ

وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْأَغْضَاءِ عَنِ الْأَخِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخًا لَا تَلَمُّهُ عَلَى شَمْتِ أَىِّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ

وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مَعَاتِبًا صَدِيقُكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَمَاتِبُهُ
فَمَشَّ وَاحِدًا أَوْ صِلَ أَخَاكَ فَانَهُ مُقَارَفُ ذَنْبِ مَرَّةٍ وَمُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلَمْتَ وَأَىُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ : إِبْلِسَ أَخَاكَ عَلَى تَصْنُوعِهِ فَلَرَبٌّ مُفْتَضِحٌ عَلَى النَّصِ
مَا ظَلَمْتَ أَحْفَصَ عَنْ أَخِي ثِقَةً إِلَّا ذَمَمْتُ عَوَاقِبَ الْفَحْصِ

وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى الْمَرْءَ نَبَلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَاتِبُهُ

وَكُتِبَ لِلصَّاحِبِ فِي فَصْلِ : وَتَمَثَّلْتُ لِي أَخْلَاقُكَ الَّتِي لَوْلَاهَا لَمْ يَسْلَسِ الْمَاءُ
وَلَمْ يَرِقِ الْهَوَاءُ وَلَمْ تَرَعْ الْحَقُّ . الذَّمُّ وَلَمْ يَعْرِفِ الْمَجْدُ وَالْكَرَمُ أَخْلَاقُ جَدِّهِ غَيْرِ

(١) فِي نَسْخَةِ « الصَّدِيقِ » .

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالي بردتها .

ومن جيد ما قيل في اظهار الرغبة في الاخوان قول أبي فراس بن حمدان :

قل لآخواننا الجفأة رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملل
ان ذاك الصدود من غير جرم لم يدع في موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيئوا لا عدمناكم على كل حال

وقلت في معناه :

كم قد منحتك حسناً وليس منك جزاء
ترى يضرُّك أن لو يكون منك وفاء
لا تبلنا بصدود إن الصدود بلاء
بل مالنا منك بد فاصنع بنا ما تشاء

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى الله محبته إني وإن كنت لألقاه ألقاه
الله يعلم أني لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال الخريجي :

أخ لي كذوب الشهد طعم إخائه إذا اختلفت بيض الليالي وسودها
كأمنية الملهوف حزماً ونائلاً وعوناً على عماية أمر يكيدها
له نعم عندى ضعفت بشكرها على أنه في كل يوم يزيدُها
تحمل عني شكرها فأراخني وللشكر مرقاة كزود صمودها

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني أبو إسحق الشطبي قال أنشدنا حماد الراوية^(١) :

(١) هو حماد بن سabor بن المبارك ، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتهما . ولد في الكوفة وجال في البادية ودخل الشام فحظي عند بني أمية ، قال له الوليد الأُموي : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال بآني أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشيدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخواني بعينِ عنابةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادِهِ وفي دونِ مأوليتِ ما اجتهدَ الشكر
ومن ملبح ما قيل في مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتي ورثي لطولِ تحرُّفي
فأنالني ما أشتهي وأراحَ مما أتقي
فلاُغفرنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السُّبقِ
حتى جنائتهُ بما فعلَ المشيبَ بمفرقي

﴿ في ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك ﴾

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :
ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خافِ كجلدِ الأُجربِ
وضمَّنه جعظة البرمكي فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهم فكأثني حاولتُ تنفَ الشعرِ من آنافهم
قمُ فاستقنيتها بالكبيرِ وغنَّي ذَهَبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافهم
وأنشدنا أبو القسم عن المُعَدِّي عن أبي جعفر لأبي الشيص :

وصاحب كان لي وكنتُ له أشفق من والدٍ على ولدٍ
كنا كساقٍ يمشي بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطتْ إلى عضدٍ
حتى إذا دانت الحوادثُ من خطوى وحلَّ الزمان من عقدى

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكني
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات
من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد
فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم - كما في الاغاني وغيره .

أحول غنى وكان ينظر من
وكان لي مؤنساً وكنت له
حتى إذا استرقدت يدي يده
عيني ويرمي بساعدي ويدي
ليس بنا حاجة إلى أحد
كنت كمسترفد يد الأسد

ومن جيد ما قيل في ذي الوجهين :

تعاشرني ضحكاً كأنك ناصح
لسانك لي شهيد وقلبك علقم
أراك إذا لم أهو شيئاً هويته
عدوك يخشى صولتي إن لقيته
وكم موطن لولاي طحت كما هوى
كأنك إن قيل ابن عمك غانم
بدا منك غش طالما قد كتمته
وقريب من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو
ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجل الكوفة فقل بال
عطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنية عالية فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدور حتى كأنها
فليسوا بفتيان السباحة والندى
فقد أصبحت أضيف آل عطارد
جبال وما شدى بخير شعابها
واكن فتيانا تسوى ثيابها
خاصاً مطاياها خفافاً عابها

ومن ذلك قول الشاعر :

لعمري لقد أعطيت برداً وحلة
فما يك من خير فما تستطيعه
وعراك من ثوب السباحة سالبه
وما يك من شر فإنك صاحبه

وقال يزيد المهلبی :

فاذا غنيت فكلهم لي خاتل
وما أكثر أحد في ذم الزمان
واذا افتقرت فكلهم لي جاني
كثار إبراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كَمْ أَخْ كَانَ مِنِّي فَلَمَّا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ جَفَانِي جَفَانِي
مُسْتَعْدًّا لِي . بِسَهْمٍ فَلَمَّا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ رَمَانِي رَمَانِي
وَقَالَ غَيْرُهُ : إِحْذَرْ مُودَّةَ مَا ذِيقِ شَابَ الْمَرَارَةِ بِالْحَلَاوَةِ
يُحْصَى الْعُيُوبَ عَلَيْكَ أَيَّامَ الصَّدَاقَةِ لِلْعِبَادَةِ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

بَلَوْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَ الزَّمَانِ وَكُلُّهُ بُلُومٌ وَذَمٌّ حَقِيقٌ
فَأَوْحَشَنِي مِنْ صَدِيقِي الزَّمَانِ وَأَنْسَى بِالْعَدُوِّ الصَّدِيقَ
وَقَوْلُهُ : أَخْ كُنْتُ آوَى مِنْهُ عِنْدَ أَذْكَارِهِ إِلَى ظِلِّ آبَاءٍ مِنَ الْعِزِّ بِأَذْخِ
سَعَتْ نَوْبُ الْأَيَّامِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَقْلَمَنْ مَنَا عَنْ ظُلُومٍ وَصَارَخَ
وَإِنِّي وَإِعْدَادِي لِدَهْرِي مُحَمَّدًا كَلَّمَسَ إِطْفَاءَ نَارٍ بِنَافِخِ

وَقَالَ بَعْضُ الْجَعْفَرِيِّينَ :

إِنَّ الْجَدِيدِينَ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسِدَانِ وَلَكِنْ أَفْسَدَ النَّاسُ
فَلَا يَفْرَنْكَ أَضْغَانٌ مُزْمَلَةٌ قَدْ يُرَكَّبُ الدَّيْرُ الدَّامِي بِأَحْلَاسِ

قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ :

وَقَدْ يَنْبِتُ الْمَرْعَى عَلَى دَمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ
قَالُوا يَعْنِي الرَّجُلُ يَظْهَرُ لَكَ الْوَدَّ وَيَضْمُرُ خِلَافَهُ كَالنَّبَاتِ الْحَسَنِ يَنْبِتُ عَلَى
الْقَدْرِ فَيَصِيرُ زَائِقُ الظَّاهِرِ خَيْثُ الْبَاطِنِ ، وَقَالَ آخَرُونَ : الدَّمْنَةُ حَيْثُ تُنْزَلُ
الْأَبْلُ فَتَدْمُنُ بِالْأَبْوَالِ وَالْأَبْعَارِ فَلَا تَنْبِتُ شَيْئًا فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ الْعَهْدُ وَسَفَتْهُ الرِّيحُ
وَأَصَابَتْهُ السَّمَاءُ نَبَتَ بَعْدَ حِينٍ ، فَيَقُولُ قَدْ يَنْبِتُ ذَاكَ وَهُوَ مِمَّا لَا يَنْبِتُ وَيَتَغَيَّرُ
بِالنَّبَاتِ وَتَبْقَى حَزَازَاتُ الْقُلُوبِ لَا تَتَغَيَّرُ ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ هُوَ الصَّحِيحُ لِأَنَّ أَلْفَاظَ
الْبَيْتِ تَقْتَضِيهِ وَالْأَوَّلُ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَقْتَضَاهَا .

وَقَالَ أَبُو فَرَّاسٍ بْنُ حُدَّادٍ فِي ذَمِّ الْإِخْوَانِ فَأَجَادَ :

تَنَاسَانِي الْأَصْحَابُ إِلَّا عُصْبِيَّةً سَتَلْحَقُ بِالْأُخْرَى غَدًا وَتَحُولُ

فمن قبلُ كان الغدرُ في الناس سبةً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ^(١)
ومن ذا الذي يبقى ^(٢) على الدهر إياهم
وصرنا نرى أن الميثاقَ محسنٌ
أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحبٍ
وقلت : إلى كم تستمرُّ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثلَ فعلى
ألا إني لا أعرفُ كلَّ شيءٍ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً
فإن ترجع إلى الحسنى وإلا
وإن كان التقاربُ ليس يُجدي
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لشكك البصري لنفسه بدم الزمان :

يا زماناً ألبسَ الاحمرارَ ذلاً ومهانةً

لست عندى بزمان إنما أنت زمانة

وقلت : زمانٌ كثوب الغول فيه تلونٌ
وقال آخر في خلاف ذلك :

أرى حلالاً نصاناً على رجالٍ وأعراضاً تمهان فلا نصان

يقولون الزمان به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزمان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد :

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكب : الأعالى بارتفاع الأسافل

وقال أبو السمر موسى بن سحيم :

متى ما تفكر في الزمان وأهله تقل لاعبٌ هذا وليس بلاعب

(١) في ديوان أبي فراس « خليله » . (٢) في الديوان « وإن الذي يبقى » .

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبدلَ هذا الدهرُ فيارَ جَوتهِ على انه فيما أحاذره نَدب
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :
لا تمجيبك عمامتي فالفقرُ من تحتِ العمامة
والفقرُ في زمنِ اللثا لم لكلِّ ذى كرم علامه

وقلت في قريب منه :

وليسَ ينفكُ كشخانٌ يجاذبنا علامةُ الحرِّ أن يبلى بكشخان
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :
ربُّ قد ضاقت النفوسُ منْ وقد قلَّت الحيلُ
فلكَّ لا يدورُ إلا بما تشهى السفلى

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها عجائبٌ حتى ليسَ فيها عجائبُ
ومن حادثةِ الأيامِ أنْ صُروفها إذا سرَّ منها جانبٌ ساء جانبُ

وقال قابوس بن وشمكير :

قلْ للذي بصروفِ الدهرِ عيرنا هل مائدَ الدهرُ إلا من له خطرُ
فإنْ تكنْ نشبتْ أبدى الزمانِ بنا ومسنًا من تمادى بُوسه ضرُ
ففي السماءِ نجومٌ غير ذى عدد^(١) وليسَ يكسِفُ إلا الشمسُ والقمرُ
أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيبُ وتستقرُّ بأقصى قعره الدرُ

وقريبٌ من هذا ماقلته :

إن كنتَ تسلم من شغبِ الزمانِ ولا أعطى السلامة منه كلما شغباً
فالعاصفاتُ إذا مرَّتْ على شجرٍ حطمنه وتركَن البقلَ والعشبا
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

(١) وفي رواية « لاعداد لها » .

يقولون زُرنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتْ حالي حقوقهمُ غنى
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتُ لهم مني
وأنشدنا أبو علي بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للمطوي ^(١) :

ليَ خمسونَ صديقاً بين قاضٍ وأمير
لبسوا الوفرَ فلم أخلع بهمُ ثوبَ الفقير
كلهمُ كالَ لي الحر مانٍ بالصاع الكبير
ومن ههنا أخذ ابن الرومي قوله :

سألتُ قفيزينِ من حنطة فجئتَ بكُـرٍّ من المنع وافي
وقد تقدم . وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً مالك يدٌ من مداراته
أصبحت في دار إساآته أعداد أنفاسي وساعاته
وأنشدني عم أبي لآبي الأسد الدينوري ^(٢) :

ليتك أدبتي بواحدة تقنعني منك آخرَ الأبدِ
تحلفُ لي لا تبرئني ^(٣) أبداً فإنَّ فيها برداً على كبدِي
أشف فؤادي مني فإنَّ به على قرحاً ^(٤) نكاته يدي
ان كانَ رزقي اليك فارم به في ناظري حبة على رصدي
فكيفَ أخطأت لأصبت ولا تهضت من عشرة الى سدد

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً في الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق اليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بني شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النواذر . (٣) في الأغاني « تحلف أن لا تبرئني » .
(٤) في الأغاني (مني جرحاً نكاته) .

لو كنت حراً كما زعمت وقد
 لكنني عدت ثم عدت فان
 قد صرت من سوء ما بليت به
 وقلت: العين تذرف والنفود يذوب
 ولقلة الكرماء أنت مضيع
 تالله لم تخطئك أسباب الغنى
 فاصبر فقد عزاك عن درك الغنى
 طابوا قطوبى ان تعذر مطلبي
 وشحوب جسمي من مواصلة السرى
 ولقد يدل على كمال كرامتى
 ولقد جلا حزنى وفرج كربى
 لا تلعبن فمن ورائك طالب
 وقال أبو تمام :

هب من له شيء يريد حجاباً
 مازال وسواسى لقلبي خادماً
 ما ان سمعت ولا أرانى سامعاً
 ما كنت أدري لأدريت بأنه
 ما بال لاشيء عليه حجاب
 حتى رجا مطراً وليس سحاب
 يوماً بصحراء عليها باب
 يجري بأفنية البيوت سراب

(فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز)

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال
 حدثنا محمد بن عبيد الله العتيبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك
 فى حاجة لرجل فقال عده عنى قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود
 القدرة؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة إذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به تبحرها لم تتجاذب الأنفس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعم والانبجاز طعام . وليس من فاجأ طعام كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تحتم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالانبجاز فإني سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الإخوان وإن كان المعطي لا يعد لارتفعت مفاخر انبجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان جلسائه إني أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لا أخرج بالانبجاز من جملة الخلفين وأدخل في عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكر . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أخبرني عون بن محمد قال ذكر العتابي المأمون فقال إنه ألقح معروفه عندي بالوعد وتتجه بالنجح وأرضعه بالزيادة وشيبه بالتعهد وهرمه باستتمامه من جهاته وهناه بترك الامتنان به . ومن عجيب ما جاء في الحث على الانبجاز ما حدثني به أبو أحمد عن الصولي عن يموث بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المنذر قال شكا رجلٌ جعفر بن يحيى إلى أبيه بأنه وعده ومطله به ، فوقع : يا بني أنتم معاقل الأحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواء في الأقوال والأفعال فإن الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فإن أخفق أمله كان سبباً لذهمه وإتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأنبذ الوعد وإلا فقصر القول فإنه أعذر والسلام . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهى بالوعد أن يشمر بالفعل . ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبي تمام :

نؤمُّ أبا الحسين وكان قدما فتى أعمارُ موعده قصار
 تحنُّ عداته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتج العشار
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون فى الحسين
 ابن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل فى الأُمين :
 فلا فرحَ المأمون بالملك بعده ولا زال فى الدنيا طريداً مشرداً
 فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى قانى قد ظمئتُ الى الوعدِ متى تنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
 أعيذك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجد
 فما لى شفيعٌ عندَ حسنك غيره ولا سببٌ إلا التمسك بالودِّ
 أيبخلُ فرد الحسن فرد صفاته على وقد أفردته بهوى فرد
 فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى الله عبد الله خير عباده فما لكُ والله أعلم بالعبد
 قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال يأمر المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك
 فأمر بردَّ أرزاقه عليه وكانت فى كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمونُ لولا أنى
 نويت العفو عنه وجعلت ذلك وعداً له من قبل ما فعلته ، وإنما ذكر العهد فى
 تشبيهه فذكر نية . وما أحسن ما قاله بعضُ ملوك المعجم : البخل بعد وعد يُضعف
 قبحة على البخل قبله فما قولك فى أمر البخل أحسن منه وأجمل :

﴿ ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال ﴾

أول من أتى بذلك زهير فى قوله :
 تراه إذا ما جئته مُبتهِلاً كأنك مُعطيه الذى أنت سائله
 ولو قال مكان « إذا ما جئته » « إذا ما سألته » لكان أجود .
 ومن الجيد فى ذلك قول أبى نواس :

بشرهم قبل النوال اللاحق كالبرق يبدو قبل جود دافق
والغيث يخفى وقعه المرامق إن لم يجده بدليل البارق
وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزِلُ الأمل البعيد بيشره بُشرى الخيلة بالغيث ^(١) المغدق
وكذا السحائب قلمًا تدعو إلى معروفها الرُّؤاد مالم تبرق
وتبعه البحتري فقال :

كانت بشاشتكَ الأولى التي بدأت بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كالزينة استؤنفت أولى مخيلتها ثم استهلّت بغزر تابع الديما
وقال أبو عبد الله القطريلي قلت للبحتري وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى
فقال لعمرى ولكن سأرضيك فيه فقال في أبي الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد ^(٢) قد كنّ أمس مواعدا
سوم السحائب مابدأن بوارقا في عارضٍ إلا ثنين رواعدا
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكانه قال إلا ثنين مواطرًا ثم رده فقال :
إنما البشر روضةٌ فاذا أعقب بذلاً فروضةٌ وغديرٌ
وقال البحتري :

ملكٌ عندهُ على كلِّ حال كرمٌ زائدٌ على التقدير
وكأنا من وعده ونداه أبدأ بين روضة وغدير
وقال : ضحكات في إثرهنّ العطايا وبروق السحاب قبل رُعوده
وله أيضاً :

متهلِّلٌ طلقٌ إذا وعدَ الغنى بالبشر أتبع بشره بالنائل
كالزمن إن سطعت لوامعُ برقه أجلت لنا عن ديمة أو وابل
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولي لنفسه :

(١) في ديوان أبي تمام (بالربيع). (٢) في ديوان البحتري (بعوائد) .

لست تلاقى سائلاً بردٌ تعيد بشر سوّدد وتبـدى
كالبرق يأتيك أمّام الرّعد بشرى الغيوث بحباب رعد
يلقى بك الطالبُ نجم السعد بلغت في الاعمار أقصى المد

(فصل في تسمية الأشعار)

عمى عبد كان للاحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غلط فيه ورسمه :

نظيف خفيف نظيف فايق نظيف مقيل بعلب - نظيف
طريف مدل فايق نظيف فايق مقبل نظيف فايق
رشيق بدر مقلب لمن نظيف مذهب معشوق نظيف

مذهب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا دماءٌ وحقها مدامعُ حُفْلُ
وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخصُ الذي كان نزهة يحصّنه سترٌ من الله مسبلُ
لماذا هتكتَ السرّ عنك تعمداً ولست بحمدِ الله ممن يُجهلُ
رأيتك قد عميت بيتاً ورسمته بكلّ خطأ فهو مثلك أحولُ
وكان لمتبول الفؤادِ معذبُ أخى حسرة بالهجر والصدّ يُقتلُ
فقال وقد رام السلو فلم يجد وبات كئيباً بالياً يتملّلُ
إذا قلتُ أسلودامت العينُ بالبكا دماءٌ وحقها مدامعُ حُفْلُ

وعى حمزة الأصفهاني على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيري بنفسج جاحم شاهسفرم اقحوان نسرین
نسرین اقحوان نسرین مرزنجوش ورد ياصمين نسرین
زعفران تمام سُوسن أفرنجمشك آس منشور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياصمين مرزنجوش نسرین تمام منشور

خيرى منشور افحوان زعفران سيسنبر خزامي بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت:

كفى حزناً أن الجواد مُقْتَرٌ عليه ولا معروف عند بخيل

فكان الجواب الصادر :

فذاك أبا يعلى أخ لك لم يزل بعدك ذخراً عند كل جليل

إلى أن قال :

فقال وقد جاب البلاد فلم يجد أبا ثروة يسخى له بفيل

كفى حزناً أن الجواد مُقْتَرٌ عليه ولا معروف عند بخيل

ومن أحسن ما قيل في هذا قول أبي سعيد الأصفهاني وقد عمى عليه زياد بن

جعفر الهمداني بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا وأنزل غيثاً أفاث البلادا

وأسرجَ فيه وميضُ البروقِ مصاييحَ تزهَرُ منه اتقادا

وثج^(١) فما شكَّ ذو ناظر رأى سبيله أن فيه مرادا

فعمَّ بشربوبه سادتي وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا

زياد بن جعفر المستجار لصرف الزمان إذا ما مئادى

فداؤك نفسى وإن سميتى غناءً طويلاً حماني الرقادا

أتنتى الطيورُ فساترنى بيت تعمقت فيه عنادا

إلى أن تمكنت من صيدها وقد صدتها إذ عرفت المصادا

وقلت لها غردي بالذى كتمت فأسر عن نحوى انقيادا

وأنشدت بيتاً معاد الفصول ولست ترى فيه معنى مُعادا

ومن ذلَّ قلَّ ومن قلَّ ذلَّ ومن ساد جاد ومن جاد سادا

أردت سقاطى فما نلتها فنلتُ المنى وبلغتُ المرادا

وأبقاك ربى بقاء النعيم عليك وملاك منه وزادا

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم السكرخي جواباً عن معنى :

دمعى على الخلد سكبُ ونارُ شوقى تشبُ
وليس يبقى على ما يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالى إذ مورد العيش عذب
واذ شبابي لدنٌ وغصنٌ قدى شطب
يا جعفر القوم يامن يدعى اذا جلّ خطب
فداك عبدٌ مشوقٌ الى لقاءك صب
أبعدنى وسواءٌ بعدٌ لدى وقرب
أخلط طيب أتتى منها يبيس ورطب
قربتها نار طبع يدوم والنار تنجو
عودٌ ومسكٌ ذكيٌ وعنبرٌ مستحبٌ
أوردتها نار فكرى ففاح شرقٌ وغرب
وهبٌ للفهم منها روائحٌ لا تهبُ
فنت بالشيم مالم ينله عجمٌ وعرب
بيتا كما اهتز روضٌ أو أكل الوشى عصب
شيبٌ وسنٌ وجهل هذا لعمرك صعب
بجعفرٍ وأخيه نال الورى ما أحبوا
نفسى فداكم وما قد أهلٌ بالحج ركب
ذنبى انقطاعى اليكم ان عُدَّ للناس ذنب
فذاك للخلق كهفٌ وذاك للمجد قطب
ليثٌ إذا عضٌ دهرٌ غيثٌ إذا اشتدَّ جذب
لى منهما اليوم رأى يُرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ما تقدم فاذا

مضت الكلمة تدير دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعنى أن تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر الأكثر طلب بعده اللام فإنها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ما طال في البيت من الكلمات فإذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل والبيت وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فإن رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم ، فإذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فإذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذي قبلها أنه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا تكرر لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فتنظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فتظن أنها أبداً ان فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والغاء والتاء والميم لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين . ولا ينفع ما مثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة الفريجة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظهروا الحسن المروخي أنه عُمِّي له قول الشاعر :

وكن ذا كراً بيت النوبيغ إنه سيحار على سماع اللبيب ويمذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر
صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر.
قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت
بعدها اللام لأنها واقعتان في قوله (النويبع) وفي قوله (الليبي) فلما أصبحت الألف
واللام رأيت اللام قد تكررت فعلمت أنها لا تتكرر إلا في مثل الليبي واللطيف
وكان أقربها في ظني الليبي ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء
والباء فيهما وبقي الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لي بيت وبيد وبيش
وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة
السابعة فرأيت فيها اللام والباء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
(على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال
ما آخره عين فجاءني جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة
الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الباء والعين والباء فعمدت إلى الباء والعين
فوضعتهم مع سائر الحروف فخرج لي : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويمطب وما
شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع
ادخال الليبي بينهما فصح لي أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلمت أن زيدا
في أول الكلمة الأخيرة وأولها صح (على سمع الليبي) لم أشك أن الكلمة السادسة
(سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
سائر الحروف لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط
البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن إلى أن بعدها هاء وان الكلمة
(إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن
أول كلمة في البيت (وكن) بغير شك وإن الثانية « ذا كراً » لأن الذال ظهرت في
يعذب والألف معروفة والكاف قد بان من الكلمة الأولى والألف الثانية

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يحىء غير الراء ثم قصدت الى
الكلمة الرابعة فلم أجدها فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفتة إلا اللغين فقط فلم أدر ما هو
فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النوبخ)
لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعنى بغا مض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافى يديه ملتصاً وكنتُ أشكو اليه ضيق يدي
أحصت ألوفاً يسراهُ أربعة منقوصة سبعة من العدد
وفى هذا المعنى شيء كثيرٌ هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت في ضرب من المعنى :
وأصفرٌ تحمرُّ أطرافه يا أحسنه من مطرف مُعلم
صدره الانسان في بيته وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره وهو سليم الدين لم يَأثم
وهو على ما كان من ذلةٌ سُمى باسم الملك الأعظم
أعنى حصيراً والملك يُسمى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيام
وقات : وميت لا يكاد المرء يدفنه إلا إذا طادَ حياً بعدما ماتا
وميت غيبوا في الأرض جثته عمد الكى يجعلوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثاني الفخ . ومن مליح المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا
ابنُ عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني
أبو عثمان المازني قال هجا أبو عينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر مُورى
فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمنْ فما لؤلؤةٌ منك قد ثقبناها
وكرمةٍ من أهلك منبتها حتى اذا أينعت قطفناها
تخبرنا ماها وما سبيلٌ تشببت منك قد سلكناها

لم نمش فيها ريثاً ولا عجلًا ولم نطأها وقد وطئناها
 فان تصبها فانت ذو فطن وحاجتي أن تصيب معناها
 فقال أيها الأمير انه كلام رديء أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال
 أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أبيك فلاأخت وأما السبيل التي تشعبت
 فلاأتم لم نطأها بالأقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخر يذكر دعوة يدعو بها على رجل:
 وسارية لم تسر في الأرض تبغى محلاً ولم يقطع بها البید قاطع
 سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
 تسكر وراء الليل والليل مظلم إذا قرع الأبواب منهن قارع
 اذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامع
 واني لأرجو الله حتى كأني أرى بجميل الظن ما الله صانع
 ﴿أحسن ما قيل في تقبيل اليد﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خلاد
 الباهلي عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى عن
 عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقانا العدو
 فخاص الناس حيصة^(١) فكنت فيمن خاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف
 ننظر في وجوه القوم وقد بؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم
 نخرج فلا يرانا أحد فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ
 فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يا رسول الله نحن الفرارون. قال «بل أنتم الكرارون»
 فقبلنا يده قال ثم قلنا يا رسول الله إنا همنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ
 (إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِقَائِهِ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ).
 وبإسناد لنا أن ابن أبي ليلى قبل يد أبي مسلم فقال له رجل أتقبل يد أبي مسلم؟
 قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر؟ قال أو تجعلني

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار.

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتيبي قال قبل رجل^ه يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفى العفو اسمعيلى الصدوق شعبي الرفق فمن أرادك بريدة خوف أو سوء فجمله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .
ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي لأبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان :

لفضل بن سهل يد^ه تقاصر عنها المثل

فبسطتها للغنى وسطوتها للأجل

وباطنها للندى وظاهرها للقبل

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل والمرء بينهما يموت هزيلة

فامدد إلى يد^ه تعود بطنها بذل النوال وظهرها التقبيل

وقال أيضاً * له راحة فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرها للناس ركن^ه مقبل^ه وباطنها عين^ه من الجود عيلم

هو البحر لا عين^ه من الجود عيلم عفاء على عين من الجود عيلم

يجل^ه عن تقبيل ظاهر كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن

العتبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال أنها لمن العربي ذلة

ومن المعجب خدعة فلا حاجة لي في أن تذلي أو تخدع فاعتنى من ذلك .

(الحض على السلام)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن إبراهيم بن عبد الله النمرى عن الضحالك بن

مخالد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلم فإن قام والقومُ جلوس فليسلم فإن الأولى ليست بأحقَّ من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن إبراهيم بن فهد عن عبد الله بن رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً مرَّ برسول الله ﷺ وهو يهرق الماء فلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملني على الرد عليك إلا أني خشيتُ أن تقولَ سلمتُ عليه فلم يردَّ عليَّ فإذا رأيتني هكذا فلا تسلم عليَّ فإنك إن تفعل لا أردُّ عليك السلام» وعنه عليه السلام «تمامُ التحية أخذٌ باليد» وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بسكار عن المفضل الضبي عن جدته عن مكعب الأسدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسمِ

سلام الآله وريحانهُ وروح المصلين والصائم

فقال رسول الله ﷺ «عليك السلامُ تحيةُ الموتى» قال المصنف تقول

العرب للميت «عليك السلام» قال الشاعر :

عليك أبا بشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كلنا لك حامد

فلا يُبعدنك الله ميتاً فانما حياةُ الفتي سيراً الى الموتِ قاصدٌ

وقال عبدة بن الطيب :

عليك سلامُ الله قيس بن حاصم ورحمتهُ ماشاء أن يترجما

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن

الكناني على عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ^(١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فهر لدى المحضر

فأنت المهدبُ من هاشمٍ وخير قريشٍ إذا تذكر

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه

وهما مسكتان للراية فقال الرسول ﷺ «إن الله تعالى قد أبدله بهما جناحين

يُطيرُ بهما في الجنة حيثُ شاء» كما في جني الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر مما تستعمل هذه الاموات وقد
 أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أبا جعفر * ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ
 ووصفتني بصفته ، قل فاستمع البيت الذي سقت له ماسقت قال هاته فقال :
 فهذه ثيابي قد أخلقت وقد عضني ز من منكر
 فقال عبد الله هذي ثيابي لك بها ، ودعا بغيرها ودفعها اليه .

﴿ السلام على الكفار ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي
 قال سلم نصراني على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له
 رجل سببحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله
 يعيش قال بلا قال فما وجه الانكار على طافك الله تعالى وإيانا برحمته .

﴿ رد السلام بالاشارة ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الاسفاطي عن ثابت عن
 عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ
 إلى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصار تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف
 كان يرد عليهم قال كان يشير إليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن
 أبي هفان عن أبي محلم لا أبي طراد أسعد بن البكا البكري :

مررنا فقلناها السلام عليكم فبلغها ضيق المحل غيور
 وما كنت أدري أن في الخير رية ولا أن رجماً بالسلام يضير

﴿ ما جاء في المصافحة ﴾

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حميد عن اسحق
 ابن ابراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن ابراهيم بن عبيد بن رفاهة عن ابن
 (٢٨ - ثانی المعانی)

أبي ليلى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لقيَ المؤمنُ المؤمنَ فصافحَ
أحدهُهما صاحِبَه تناثرتِ الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ »

وقال الحسن : المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال
دخل سوار العنبري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين على ما أحدث الناسُ اليوم أم
على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصافحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت ابراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن
وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قَبْلَ يده إلا اسحق بن اسرائيل فإنه قال يا أمير
المؤمنين ما ينقصك أن أقبل يدك - ولم يقبل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل
ابن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال المصافحة تزيد في المودة وسوى بها
المؤمنين فبسط المتوكل يده فصافحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :
تصافحت الأَكْفُ وكان أشهى إلينا لو تصافحت الخدودُ
نموت إذا التقى كَفٌّ وكَفٌّ فكيفَ إذا التقى جيدٌ وجيدٌ
وقال آخر :

فصافحت من لا قيتُ في البيت غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لم أصافح
وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرَّت بنا ممسوحة كوراً على بغل
قد نطقت في كفها نقطة مخافة العين من السكحل
لقيته يوماً فصافحته فقال دع كفى وخذ رجلى

﴿ حياك الله ويياك ﴾

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل
ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي يياك

أضحكك ، وقال على الأحرى أرادوا بؤاك منزلاً فقال بياك للاتباع كما قالوا
 الغدايا والعشايا ، وقال ابن الأعرابي معناه قصدك بالتحية ويديت الشيء قصده
 واعتمده . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن إبراهيم بن بشار الرمادي
 عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أتانا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال
 مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلي قال نزل الطماح العقيلي
 بقوم من بني تميم فأحسنوا إليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حيّاكم الله ، فاني مُنقلبٌ بشكرٍ إحسانكم كذا يجبُ
 وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند رغبٍ وان رهبُ
 لا يرعوى لمبغض ولا مُحِبُّ أكثر ما يأتي على فيه الكذب
 وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حيّا الآله خيالها من دانٍ لو كانَ زارَ زيارةَ اليقظان
 لو كانَ عَرَجَ أو تَعَلَّلَ ساعةً حتى نَسألهُ عن الأوطان
 كفانٍ شيدتا بناءَ محامدٍ لمهذبٍ هَشٍّ أخى إخوان
 تلقى له دعة الكحولِ وحلمهم وتقاهمُ وحلاوةَ الفتيان
 وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حيّاك من لم تكن ترجو تحيتهُ لولا الدراهمُ ما حياك إنسانُ

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان
 المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني فأنشده :

هرون يا ابن الأكرمينَ حسبا لما ترحلتَ وكنتَ كُثبا
 من أرضِ بغدادَ تؤمُّ المغربا طابتَ لنارِيحُ الجنوبِ والصبا

ونزل الغيث لنا حتى ربا ما كان من نشر وما تصوبا
فرحبا ومرحبا ومرحبا

فقال الرشيد وبك مرحبا وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عميد
الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابت ذى الجود طاهر بن الحسين
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابت ذى الغررتين فى الدولتين
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابت ذى المختدين فى المصرين
مرحبا مرحبا بمن كفه البحر إذا فاض مزيد العبرين
فوصله وقدمه . وقد يما ما استعملوا مرحبا فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى^(١) :
وبالسهل ميمون النقية قوله للتمس المعروف أهل ومرحب

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن
الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا
وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً
فقال فيه الاعرابى :

وما مرحباً إلا كريح تنسنت إذا أنت لم تخط نوالاً بمرحب
ومثل هذا قول جعظة البرمكى :

قائل إن شدوت أحسنت زدنى وبأحسنت لا يباع دقيق
وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقبل له من أنت
قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بمشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً
بمن توسل إلينا بنا وشكر إحساننا إلينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلى من الفحول ، وهو أوصف العرب
للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد جرى برأس
إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل

بجملة تغنى عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل

ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنية ، قال وأنشدني ثعلب :

فإلك نعمة سلفت إلينا وكيف وأنت تبخل بالسلام

سوى أن قلت لي أهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رام

وقلت : تضن بتسليم وزورة ساعة فكيف يرجسى جودك بك بالوفر .

وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بني هاشم قال أنشدني عبد السلام

ابن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبي وإن قلت له بأبي من ليس يعرف غيره أربي

قرطست عشرآ في مودته لبلوغ ما أملت من طلي

ولقد أراني لومددت يدي شهرين أرمي الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلت يوماً لها وحركت العود بمضراها فغنت وغنى

ليتني كنت ظهر عودك يوماً فإذا مأخذته صرت بطنا

فبكت ثم أعرضت ثم قالت من بهذا أنباك في النوم عنا

قلت لما رأيت ذلك منها بأبي ما عليك أن آتمنى

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي

فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لي .

فوصله ووقع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندي عن عبيد الله بن

عمر قال قيل لرجل من قریش كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يهلك ببقائه

ويسقم بصحته ويؤتى من مأمته . ومثله :

ما حال من آفته بقاؤه نغصَ عيشي كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألت به كيف حاله
يا قريباً مزاره وبعيداً نواله
حاضراً لي صدوده حين يرجى وصاله
مسعدٌ لي مقاله فأتك لي مطاله
محسنٌ في كلامه ومسيءٌ فعاله

﴿ ما جاء في أطلال الله بقاءك ﴾

أول من قاله عمر رضى الله عنه - روى عن رفاعه بن رافع قال شهدت نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن كرون المؤودة فاختلوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال علي عليه السلام إنها لا تكون مؤودة حتى يأتي عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطلال الله بقاءك .

قال ابن لهيعة المعنى لا تكون مؤودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فحينئذ إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلى بعض إخواني من البصرة إلى المدينة : أطلال الله بقاءك كما أطلال جفائك وجعلني فداك إن كان في فداؤك - شعر :
كتبت ولو قدرت هوى وشوقاً اليك لكنت سطرّاً في الكتاب
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيت لأبي تمام .

﴿ جعلت فداك ﴾

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليل فقال ما يعمدك جعلني الله فداك فقال

النبى ﷺ « يازُبيرُ أَمَا تَرَ كَتَّ أَعْرَاسَتَكَ بَعْدُ » وحدثنا عنه عن يحيى بن على عن
أبى أيوب المدنى عن إسحق قال حجبتنى خادمٌ لجعفر بن يحيى يُقال له نافذ
فانقطعت عنه فسأل عنى فعرفه سبب انقطاعى فقال قل له إن حجبتك إنسانٌ فافعل
به - لا يكفى - قال فجئت فحجبتنى فكتبت اليه ارتجالاً في الحال :

جُعلت فداءك من كلِّ سوءٍ الى حُسنٍ رأيك أشكو أُناساً
يحولون بينى وبين الدُّخولِ فما ان أسلم إلا اختلاسا
وأنفذتُ أمرَك فى نافذٍ فما زاده ذاك إلا شماسا
فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلنى وقال أفعلات يا أبا إسحق فقلت بهض ذلك، وتقدم
الى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت .

(دعاء المكاتبه)

حدثنا عنه عن أبى ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول
الكتاب : وقد منى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كاسر فى أخيه صقر :
أخى أنت فى دينٍ ودُنْيا كلاهما أَسْرُهُ بأن تبقى سليماً وأفخرُ
إذا ما أتى يومٌ يفرِّقُ بيننا بموتٍ فكن أنت الذى يتأخر
ف قيل له هذا يُروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير
قائله . فأما قولهم (وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ) فهو من قول عدى بن الرقاع :
صَلَّى إِلَآهَ عَلَى أَمْرِيءٍ وَدَفَنَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
قالوا وأول من قال « وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ » إسحق بن سليمان بن على .
وأنشد للسرى فى ضدِّ قولهم مُتَّ قبلك وإن الحظَّ عنده أن يكون هو ومن
يجبُ يموتان فى وقت واحد :

لَأُمْتُ قَبْلَكَ يَا أَخِي لَا بَاخِلَا بالنفسِ عَنْكَ وَلَا نَمْتُ قَبْلِي
وَبَقِيَتْ لِي وَبَقِيَتْ فَيْكَ مُمْتَمَّعًا بِالرَّغْوِ وَالنِّعْمَاءِ وَالْفَضْلِ

حتى إذا قصد الحمام لنا
 متنا جميعاً لا يؤخر واحد
 وكفاك من نفسي شهيداً ناطقاً
 وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفق أن أؤخرها بعدى وأكره أن أقدمها

وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذ حان وقت حمامها
 فخل بنا المقدار في ساعة معاً
 وقريب منه قول الآخر :

لامت من قبلي ولامت من
 حتى نوا في الموت في ساعة
 قبلك بل عشنا إلى الحشر
 لأنت تدرى بي ولا أدرى

﴿ كيف أصبحت ﴾

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير
 ابن حازم يقول : العرب تقول كيف أصبحت من نصف الليل إلى نصف النهار ،
 وكيف أمسيت من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقول في يومك
 كان الليلة كذا إلى الزوال فإذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروف عندهم ،
 وحدثنا عنه عن الفضل بن الحباب عن التنوخى قال العرب تقول صبحتك الأنة
 بطيبات الأظعمة . وحدثنا عنه عن البلعي عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قيل
 لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحت كما قال الربيع بن ضبع الفزارى :
 أصبحت لأحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفراً
 والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى الرياح والمطرا
 وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنت عند الكسائي

فقال له رجلٌ كيف أصبحت ؟ فقال أصبحتُ كما قال الصمة بن عبد الله بن طائيل القشيري (١) :

أصبحتُ مالى من عزِّ ألوذ بهِ إلا التمرُّز بعد السيف والبدن
بمرضةٍ جانب الأذنون جانبها والأهل بالشام والخوان باليمن
وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى
عن أبي زيد :

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يُثبتُ الودُّ في فؤادِ الكريم
وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسن بن
ابن الضحاك الخليلي قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس
وعليه جبة خز جديد فقلت له من أين لك هذه يا أبا علي ؟ فلم يخبرني فتوهمت أنه
أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقامت فأجد موسى وقد
لبسُ جبة أخرى فقلت :

كيف أصبحت يا أبا عمران يا كريمَ الأخاء والخوانِ
فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلت :

إنَّ لي حاجةً فرأيتُ فيها إننا في قضائها سيان

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت :

جبة من جبابك الخزُّ حتى لا يرانى الشتاء حيثُ يرانى
قال خذها ، ومد كفه فذرعتها وجئت فقال أبو نواس من أين لك هذه ؟ قلت من
حيثُ كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن
عتبة اللهبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد الخزومي أعوده فقلت له
كيف أصبحت فقال كما قال الشاعر :

(١) شاعر إسلامي بدوي مقلِّ ، من شعراء الدولة الأموية . ولجده قرة بن

هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الليالي أسرعُ في تقضى أخذنَ بعضى وتركنَ بعضى

أقعدنى من بعد طول نهضى

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتترُ أرقعُ من ثوبى ما كنتُ أفرجُ

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي

بكر بن عبد الله المزني أبا تيمية الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تيمية ؟ فقال أصبحت

بين ذنوب قد سترها الله على ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنب وبين محبة

قد ألقاها الله في قلوب الناس استلها بأهل وقد خفت أن أهلك بين هذين

وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الدبيرة كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخير على أن النوى مطمئنةٌ بليلي وإن العينَ يجري مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحسب على الله بالحسنة ولا

أحتسب على نفسي بالسيئة . وقال رجل لأبي العيناء وقد كبر وضعف : كيف

أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يمتناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن

تولب كيف أصبحت يا أباريعة ؟ فقال ارتجالاً على البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضى بعضاً أشكو العروقَ الناييات نبضا

كما تشكى الأرجى الغرضا كأنما كان شبابه قرضا

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال

قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرقُ وما بى من سقم وما بى تعشقُ

ولكن أرانى ما أزال بجادث أغادى بمالم يمس عندى وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجب

لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ والله في مضيق هل من دليلٍ على الطريق
أفّ لَدُنِيَا تَلَعِبْتُ بِي تَلَاعَبَ الموج بالغريق
أصبتُ فيها دُرِيَهْمَاتٍ فَبَغَضْتَنِي إِلَى الصديق

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ مسمى الخال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سررتُ بما صرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً لهمؤلاء ، قال سفيان إن كان في الناس أحدٌ طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلب قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذا غربة أدفعُ من همٍّ إلى كربه
أطلبُ عُتْبِي من حبيب نأى وليس لي عُتْبِي ولا عُتْبِيه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجار لأبي العالية كيف أصبحت ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حراثة وهو من بني ربيعة بن حنظلة لي زيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حراثة قال لو كنت كذا كنت قائماً مثلي وكنت أنا قاعداً في مقعدك وكان قميص ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا أني في ضيق أنتظر سعة وأنت في سعة أنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبي العتاهية عن العتيبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعر بالبعرة وأقيد بالشجرة وأفزع من النعرة . وحدثنا عنه
عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدي قال كان هرم بن سنان المزني قد آلى على
نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك
وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر
عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إني لأصرف نفسي وهو سادية^١ عن مصعب ولقد بان لي الطريق
رعوى عليه كما أروع على هرم قبل زهير^٢ وفيما ذلك الخلق
مدح الكرام وسعى في مدحهم ثم الغنى وبد الممدوح منطلق^٣
ومثله قول حازم الأزدى^(١) :

وإني لأستبقي إذا العسر مسني بشاشة وجهي حين تبلى الطبائع^٤
فأعنى ترى قومي ولو شئت نولوا إذا ماتشكى الملهف المتضارع^٥
مخافة أن ألقى إذا جئت زائراً وترجعني نحو الرجال المطامع^٦
ومن مليح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهي أقل^٧ بذل صلى حسن المقال بحسن فعل^٨
أرني منك في أمرى نهوضاً يبين أن شغلك بي كشغلي

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندي أحمد بن أبي
طاهر والناشي ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعهما رقيقة لم ير الناس
أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا لردوا التواظر عن ناظريك
ترددين أعيننا عن سواك وهل تنظر العين إلا إليك
ألا يقرأ ويحهم ما يرون من وحى حسنك في وجنتيك
وقد جعلوك رقيقاً علينا فمن ذا يكون رقيقاً عليك

(١) هو حازم بن عوف ، شاعر جاهلي مقل ، مشهور بالمدح .

قال فشغفنا بالآيات فقال ابن أبي طاهر أحسنت والله واجملت قد والله حسدتك هذه الآيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه .

﴿ ما جاء في الدعاء للخارج إلى السفر ﴾

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ودع رسول الله ﷺ رجلاً أراد سفرًا قال « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وحدثناه عنه عن أبي علي العتابي قال رأيت أبا شراقة القيسي آخذاً بسفينة ابراهيم بن المدبر وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراقة ^(١) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجذبوا فأغيثوا بك من طول ^(٢) المعجف
نزل الرّحّب ^(٣) من الله بهم وحرمناك لذنّب قد سلف
أما أنت ربيع باكر حيثما صرّفه الله انصرف
يا أبا اسحق سرّ في دعة حيثما شئت ^(٤) فامنك خلف
وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفرًا
فأنشده عند وداعه :

خلف الله الذي خلفته ووقاك الله وعشاء السفر
إنني أشكر ما أوليتني لم يضع حسن بلاء من شكر
ردك الله إلينا سالمًا بعد غم واغتيال وظفر

(١) هو أحمد بن محمد بن شراقة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية

جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الزسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغانى « أى أرض أجذبت فأغيثت بك من جهد المعجف » .

(٣) في الأغانى « الرحيم » . (٤) في الأغانى « وامض مصحوباً » :

﴿الدعاء للقادم من السفر﴾

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخطل :

أقدم قدمت قدوم عارضٍ مُزَنَّةٍ بهتز بين أهابها الفضفاض
من كل مشعبة الرياح ثقيلة تمشي به مشى الوجى المنهاض
مُسودة مُبيضة فكأنها دهم مولوعة الشوى يبياض

وقال ابن الرومي :

قدومٌ . سعادةٍ وقفولٌ يمن هي السراء تمحق كل حزن
أظلتك السلامة ما تغنت مطوقة على فنٍ تغنى
قوله (أظلتك السلامة) في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿الدعاء للهزوم﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال لما انهزم أسلم بن زُرعة السكبي من مرداس بن أذينة بآسك^(١) وكان في ألفي رجل ، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

أألفا مؤمن^(٢) منكم زعتم ويهزمكم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذلك كما زعتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم^(٣) على الفئة الكثيرة ينصروننا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأة من قومه والله لأن تعيش حميداً خيراً من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلف لك من أن تنقطع بماتك ،

(١) آسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أركان .

(٢) في معجم البلدان (أألفا مؤمن فيما زعتم ويقتلكم) .

(٣) في معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شك)

قال ودخل على ابن زياد فنسفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلي وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد على ولائن يذمنى الأمير حياً خيراً من أن يمدحني ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قل لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهمم المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يدعى للمهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرضت للشهادة جهداً وطلبتها طاقتك ووسعت فعمل الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختر لنا عليك يبقائك ولم يخترك علينا باستشهادك فالحمد لله الذي زين بك مصرنا وآنس ببقائك وحشنا وجلا بسلامتك غمنا . فعلم الناس كيف يدعى للمهزوم فسلخوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مسيك العطيفي وأجاد :

فان نهزم فهزّامون^(١) قدماً وان نهزم فغير مهزميننا
وما ان طبنّا جين^٢ ولكن منا يانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخريين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

(الدعاء للمعزول)

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحت مجتمع الشمل وراعي المعالي والمحامي عن المجد
وانك صنت الأمر فيما وليته وفرقت ما بين الغراية والرشد
فلا يحسب الأعداء عزلك مغنا فان إلى الاضداد ما غاية الورد
وما كنت إلا السيف جرد للوغي وأخذ فيه ثم رد إلى الغمد

وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحاق قال عزل هشام بن اسمعيل

(١) في الأغاني (فان تغلب فغلابون قدماً) .

الخزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :
 فان تكن الأمانة عنك زالت فانك للغيرة والوليد
 وقد مر الذي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد
 وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله
 ابن الحسين القطريلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله أبو عبادة البحتري :
 شهد الخرج إذ توليته أنسك في جمع الأمين الأعف
 حيث لا عند مجتبي منه إظا^(١) ولا في سياق جايه عنف
 سيرة القصد لا الخشونة عنف^(٢) لتعدى المدى^(٣) ولا اللين ضعف
 وعلى حالتك يستصلح النا^(٣) س^(٣) أباء من جانبك وعطف
 لن يولى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخر الدهر خلف
 إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صرف
 فقديمًا تداول العسر واليسر وكل قذى على الريح يطفو
 يفسد الأمر ثم يصلح عن قر^(٣) ب^(٣) والماء كدرة ثم يصفو
 ولما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفي :
 أبا إسحق إن تكن الليالي عطفن عليك بالعزل اللئيم
 فلم أر صرف هذا الدهر يجري بمكروه على غير الكريم

وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدري :

لا يهنا الأعداء عزل ابن هاشم فكل مولى قصره الصرف والعزل
 لقد كان ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل
 يروم رجال خطه وهو سابق أبي الله إلا أن يطول وأن يعلو

(دعاء الأعياد)

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

(١) أي إلحاق . (٢) في الأصل « الندى » (٣) في ديوان البحتري « الأرض » .

ابن موسى يوم أضحي : قبل الله منك الغرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة
وقرن بالاقبال يومك .

(ما قيل في القيام للجلال)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الله كبر قال حضر
بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فلتقاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ ما في ذاك عندي غضاضةٌ عليَّ وإني للشريف مُذللٌ
علي أنه مني لغيرك ذلةٌ ولكنه يذني وبينك يجمُلُ

ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى .

فلما بصرنا به مائلاً حللنا الحبي وأبدرنا القياما

فلا تنكرن قيامي له فان الكريم يجلُّ الكراما

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن يحيى البحتري لأبيه في عبيد الله بن

عبد الله من قصيدة طويلة :

وُمبجل وسط الرجال خفوفهم لقيامه وقيامهم لقعوده

فالله يكلؤه لنا ويحوطه ويعزه ويزيد في تأييده

وقال غيره :

أعجب أن أقوم إذا بدالى لأكرمه وأعظمه هشام

فلا تعجب لاسراعى إليه فان مثله خلق القيام

وقال البحتري :

يقومون من بعد إذا بصروا به لأبلغ موفور الكرامة^(١) أروع

ويبتدر الراؤون منه إذا بدا سنى قمر من سدة الملك مطلع

إذا سار كف اللحظ عن كل منظر سواه وغض السمع^(٢) عن كل مسمع

(١) في نسخة « الجلالة » . (٢) في ديوان البحتري « الصوت » .

فلست ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبعٍ

﴿ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال﴾

فمنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذي أنا صائمه
وطارت رقاغٌ بالمواعيدِ بيننا لكى يلتقى مظلومٌ قوم وظالمه
فان شال شوالٌ تشل في أكفنا كؤوسٌ تعادى العقل حين تسالنه
ومعاني هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الرياشي عن أبيه :

وقفنا فلولا اننا راضنا الهوى لم تكننا عند الرقيب نجيبُ
ومن دون ما نلقاه من لوعة الهوى تشقُ جيوب بل تشقُ قلوبُ
على ان شوالاً أشال بوصلنا ومرتعهُ للماشقين خصيب
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقى لشهرِ الصوم من شهرٍ عندي له ماشاء من شكرٍ
كم من عزيزٍ فيه فزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكرِ
ومن إمامٍ كان لي وصلهُ إلى كحيل العينِ بالسحرِ
لو كان يدري بالذى خلفهُ أعجلهُ ذاك عن الوترِ
وخلةٌ زارتك مشتاقة في ليلةٍ القدرِ على قدرِ
فانصرفَ الناسُ بما أملاوا وبؤت بالآتام والوزرِ
وأنشد المبرد للحارثي :

شهرُ الصيام وإن عظمت حرمةُ شهرٍ طویل بطيء السيرِ والحركة
يمشي الهوينا إذا ما رامَ فرقنا كأنهُ بطةٌ تنجرُ في شبكه
لا يستقرُّ فأما حين يطلبنا فلا سليكٌ بدانيه ولا سلكه^(١)

كَأَنَّهُ طَالِبٌ نَارًا عَلَى فَرَسٍ أَجَدُّ فِي إِثْرِ مَطْلُوبٍ عَلَى رَمَكِهِ (١)
يَاصِدُقُ مَنْ قَالَ أَيَّامٌ مَبَارَكَةٌ إِنْ كَانَ يَكْتَنِي عَنْ اسْمِ الطَّوْلِ بِالْبَرَكَةِ
وَقَالَ آخَرُ :

مَضَى رَمَضَانُ مَحْمُودًا وَأَوْفَى عَلَيْنَا الْفَطْرُ يُقَدِّمُهُ الشُّرُورُ
وَفِي مَرٍّ الشُّهُورِ لَنَا فَنَاءٌ وَنَحْنُ نَحِبُ أَنْ تَفْنَى الشُّهُورُ
وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ كَتَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ
وَهَبٍ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ يَوْمَ شَكَ وَقَدْ أَفْطَرَ الْوَائِقُ :

هَزَزْتُكَ لِلصُّبُوحِ وَقَدْ نَهَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصِّيَامِ
وَعِنْدِي مِنْ قَنَانِ الْمَصْرِ عَشْرٌ تَطِيبُ بَيْنَ دَائِرَةِ الْمَدَامِ
فَكُنْ أَنْتَ الْجَوَابَ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَذْفِ الْكَلَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَقُولُ لِصَاحِبِيَّ وَقَدْ بَدَأَ لِي هَلَالُ الْفَطْرِ مِنْ تَحْتِ الْغَمَامِ
سَنَسْكُرُ سَكْرَةً شَنْعَاءَ جَهْرًا وَنَتَعَرُّ فِي قَفَا شَهْرِ الصِّيَامِ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَعْفَرِيُّ :

هَلْ لَكَ فِي صَهْبَاءٍ مَشْمُولَةٍ لَيْسَتْ مِنَ الدَّبَسِ الَّذِي يَنْبِذُ
فَإِنَّ شَعْبَانَ عَلَى طَيْبِهِ دَرْبٌ إِذَا فَكَّرْتَ لَا يَنْفِذُ
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ :

أَلَا سَقْيَانِي مِنْ مَعْتَقَةِ الْخَمْرِ فَلَا عُذْرَ لِي فِي الصَّبْرِ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرِ
وَإِنْ كُنْتُمَا لَمْ تَعْمَلَا فَعَمَلَا بَأَنَّ زَمَانَ الصُّومِ لَيْسَ مِنَ الْعَمْرِ
وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَوْجِ الرَّازِيُّ
وَقَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ إِلَى أَبِي دَلْفٍ يَسْتَسْقِيهِ نَبِيذًا فِي يَوْمِ عِيدِ الْفَطْرِ
فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمَا كَفَاهُ وَبِمَائَتِي دِينَارٍ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ :

وأبيض عجل^ك رأيت غمامة^ك وأسيفه^ك تقضى على الحدّثان
 مَدَدْتُ اليه ذمّي فأجارها وأغنى يدي عن غيره ولساني
 شربت^ك ورويت^ك النديم^ك بماله وأدركت^ك ثار^ك الراح من رمضان
 وكان^ك لشوّال^ك على ضمانة^ك فكانت عطايا جوده^ك بضمّان
 وحدثنا عن الصولي قال حدثنا أبو ذكران القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزي
 عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابي في أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاء وعطش
 فقال الاعرابي يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعه^ك سوى شهر الصيام

﴿فصل في معان مختلفة﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني
 أسد ابنة عم له وراها فدخل إليها يوماً وهي متغضبة فقال ماشأنك ؟ قالت إنك
 لا تشبب بي كما يشبب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :

تمت^ك عبيدة^ك إلا في ملاحظتها والحسن^ك منها بحيث الشمس والقمر^ك
 ما خالف^ك الظبي منها حين تبصرها إلا سوالفه^ك والجيد^ك والنظر^ك
 قل^ك للذي طابها من حاسد^ك خنق^ك أقصر فرأس^ك الذي قد عبت^ك والحجر^ك

وأنشدنا للعديل بن الفرّج العجلي^(١) :

هل تقضين^ك لستهام^ك حاجة^ك نيطت^ك إليك بها حبال^ك رجائه^ك
 أفنى^ك تجلده^ك بقاء^ك دموعه^ك وأدام^ك عبرته^ك فناء^ك عزائه^ك

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس
 ابن ثوابة فناظره رجل^ك عن ضيعة^ك له فاستقصى^ك الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

(١) شاعر مقل من شعراء الدولة لامية وكان له ثمانية أخوة وأمه جميعاً

إمراة من بني شيبان .

يامابون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاء يا جميل إن بدت ونجم الثريا والمزارع بعيد
فتحدث الناس بها مدة . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيلاء قال
خاصم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :
بُيِّنَةٌ قالت يا جميل أربتنى فقلت كلانا يابئين مُريب
فبلغ هذا ابن عائشة التيمي فقال : جيلان في التمثيل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من
جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه يهجو بعض النحويين :

عَظِير	إنا	اختلفنا	في الفعلِ من فاعلين
فقال	قومٌ	يثنى	لجمعنا . الهمزتين
وقال	قومٌ	يعدى	بملتقى الساكنين
وأنتَ	أعلم	منا	بذا وذاك وذين
لأنَّ	نك	الدهرَ	فعلٌ يعتلُّ من جهتين

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صحبتم دهرًا طويلًا لعسرتي أرجى نجاحًا والظنونُ فنون
فما نلتُ منكم طائلًا غيرَ اني تعلمتُ ذلَّ العيش كيف يكون
وأنشدني أيضًا في مسجون :

لئن حجبك الحجبُ عنا فربما رأينا جلايبَ السحاب على الشمس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مالٍ موزونهُ لذوى الحمد كما خيرُ حمدٍ موزونهُ
وأصحُّ^(١) آراءٍ ما ظنُّ ذوالأفـنـ بنى الرأيِ انه مأفونهُ

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بآني فاضلٌ

(١) في الأصل «وأظن» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصح» .

والحلُّ الخلاءُ من كلِّ ضيفٍ ومضيفٍ مُعطلٌ مسكُونُهُ
وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهمُ مُسلمَ العرضِ سالماً ماعُونُهُ
أنفقَ المالَ قبلَ انفاقك العسرَ في الدهرِ رِيْبُهُ ومنُونُهُ
لا تظننَّ أنَّ مالكَ شيءٌ كدمِ الجوفِ خيرهُ محقُونُهُ
قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً علفتُ في الثرى المهيلَ رهونُهُ
كلُّ وأطعممُ فربما راع ريباً^(١) زاكياً من نعله ونمونُهُ
وإذا ما ظننتَ شراً فخفه رُبُّ شرٍّ يقينهُ مظنونُهُ
كم ركونٍ جنى عليك حذاراً من أطلالِ الرُّكونِ قلُّ ركونُهُ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأثير عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحْيِي العلمُ ذكْرَهُمْ وَيُلْحِقُ الْجَهْلُ أَحْيَاءَ بَأَمْوَاتِ
ونحوه قول دعبيل :

سَأَقْضِي بَيْتَ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ حَامِلُهُ
يموت ردىءُ الشعرِ من قبلِ رَبِّهِ وَجِيْدُهُ يَبْقَى وَابْنُ مَاتَ قَائِلُهُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن
خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري فقال له :
أنشدني بعض شعرك فأنشده قوله :

وشيبني أن لا أزال مُناهِضاً بغيرِ غنى أعمو به وأبوعُ
وان رجالَ المالِ أضحوا ومالهم لهم عندَ أبوابِ الملوكِ شفيح
أُمخترمي ريبُ المنونِ ولم أنلُ من المالِ ما أعصى به وأطيع
فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

(١) في الأصل «فكل ماراع ريباً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعض الأمر أصلحه بعض فإنَّ الغثَّ يحمله السمين
تري بين الرجال العين فضلًا وفيما أضمرُوا الفضل المبين
كلون الماء مشتبهاً وليست تخير عن مذاقته العيون

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :

الناس أن وافقتهم عذبوا أولا فإنَّ جناهم مر
كم من رياض لا نظير لها تركت لأنَّ طريقها وعر
وقلت : لما أدلَّ أملنى فسلوته من ذا يدلُّ فلا يملُّ محبه
تالله ما أتبع النبي محمد لو كان فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :

إني كثرت عليه في زيارته فلَّ والشئ مملولٌ إذا كثرا
قد رابني منه أنى لا أزال أرى في عينه قصرًا عني إذا نظرا
وقال الكعبيت : * ولولم تغب شمس النهار لمَّلت * فأخذه أبو تمام فقال :
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد
ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك باقلال ^(١) الزيارة إنها تكون متى دامت ^(٢) إلى الهجر مسلکا
فاني رأيت القطر ^(٣) يسأم دائباً ^(٤) ويطلب بالأيدى ^(٥) إذا هو أمسكا

(١) وفي رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) في
رواية (الغيث) . (٤) في الأصل (دائماً) ، (٥) وفي رواية (ويسأل بالأيدي) .

وقال آخر : وأغبيتُ الزيارةَ لاملالاً ولكن من محاذرةِ المللِ
وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا » (١) .

وقلت : مازلتَ تلقاهُ فضايقَ صدره وحاد من بعد الوصالِ هجره
من أكثر الغشيانَ خسَّ قدره لو كثرتِ الباقوتُ هانَ أمره
ولم يعزَّ حمره وُصفره ولا علا بين الأنامِ ذكره

﴿ في ذم العجائز قول الشاعر ﴾

رأيتُ البيضَ قد أعرضَ عني فمن لي أن تساعدني عجوزُ
كانَّ مجامعَ اللحين منها إذا حسرت عن اللحين كوز
ومن المشهور قول الحرمازي :

لا تفكحنَّ عجوزاً إن دعيتَ لها واخلع ثيابك عنها ممعناً هرباً
فان أتوك وقالوا إنها نصف فان أطيب نصفها الذي ذهباً
وقال آخر : وما غرنى (٢) إلا خضابٌ بكفها وكلٌ بعينها وأثوابها الصفرُ
وجاءوا بها قبلَ المحاقِ بلبلةٍ فسكان محاقاً كله ذلك الشهرُ

﴿ ما ورد في فضل الحمام ﴾

قال السري بن عبد الله الرفاء :

أسعيدُ هل لك في زيارة منزل تشي عليه جوارحُ الزُّوارِ
رحب تَرى الجُدران فيه يَنابعا (٣) وترى السماءَ كثيرةَ الأقمارِ (٤)
ينضو حيُّ الوجهِ ثوب حياؤه فيه فيخطرُ كالحسامِ العاري
وترى على غدرانهِ (٥) بهم الوغى يخطرُن ما بين القنا الخطارِ

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن حبان في صحيحه (٢) في نسخة (وما راغني) . (٣) في ديوان السري المخطوط . « رحب تلاقى الجدر منه ينابيع » . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان « على جدرانهِ » .

سُئِلْتُ سَيْوْفُهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجُرْتُ مُخَيُولُهُمْ بِغَيْرِ غُبَارٍ
مع أبيات آخر غير مختارة الرصف. وقلت :

قُمْ بِنَا نَنْزِلْ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزِلٌ تَخْلَعُ دِينُكَ فِيهِ حِينَ تَأْتِيهِ خَلِيعُ الْإِزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ نَهَارًا وَتَرَى الْإِقْمَارِ نَصْفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حَيْطَانِهِ أَسَدٌ حَرْبٍ فَوْقَ أَمْهَارٍ وَفَوْقَ بَهَارِ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زُورٍ وَسَيْوْفِ نَائِبَاتِ الشَّفَارِ
وَتَرَى الْإِبْدَانَ حِينَ آتَتْهُ تَكْتَسِي الصَّحَّةَ وَهِيَ عَوَارِي
بَيْنَايِعَ كَقَضْبَانٍ دُرٍّ تَتَكَافَأُ مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ
وقال عبد الله بن المعتز في ذم حمام :

وَحَامُنَا كَالْعَجُوزِ يَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَبَيْتٌ لَهُ مُنْتَنٌ وَبَيْتٌ لَهُ بَارِدُ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وَحَامُنَا هَذِهِ كَالْعَجُوزِ تَلْذُّ وَيَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَبَيْتٌ لَهَا مُنْتَنٌ ضَيْقٌ وَبَيْتٌ لَهَا وَاسِعٌ بَارِدُ

ومن أجود ما قيل في صفة الثَّوْرَةِ قول الآخر :

وَمَجْرَدٌ كَالسَّيْفِ أَسْلَمَ نَفْسُهُ لِمَجْرَدٍ يَكْسُوهُ مَا لَا يُنْسَجُ
ثَوْبًا تَمَزَّقُهُ الْأَنْمَالُ رَقَّةً وَيَذِيْبُهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ فِيهِجُ
وَكَأَنَّهُ لَمَّا التَّقَى فِي خَصْرِهِ نَصْفَانِ ذَاعَاجٌ وَذَا فَيَرْوِجُ

(الشطرنج - قلت فيه)

إِذَا أُعْفِيتِ الصَّهْبَا مِنْ قَدَحٍ وَمِنْ شَبَجٍ
وَكَانَ الْكَأْسُ لَا يُجْدَى وَمَرْجِي الرَّاحَ لَا يَرْجَى

وألقى الله من يلقى
 لأيام أخاضتنا
 فمنها الجسم في نقص
 فما أنفك في حر
 وما من شرها ناج
 تمتعنا بمسوع
 وتلو ذكر من نهوى
 كأننا منه في هرج
 تمشى الزنج للروم
 فما أحسنها بيضا
 أقننا بيننا حربا
 شهدناها بلا طبل
 وجئناها بلا سيف
 ترى أفراسنا تعدو
 مشى الفرزان معوجا
 ورخ ينتحى نهجا
 وفيل ليس يحدوه
 وعند الشاة منصوب
 وحولى أوجه غري
 إذا مادون الحسن
 وأرجى الشرب من يرجى
 من الأحزان في لج
 ومنها القلب في وهج
 وإن أصبحت في ثلج
 وما من كيدها منجى
 مليح النظم والنسج
 على نرد وشرنج
 ولنا منه في هرج
 وقام الروم للزنج
 تمشين إلى دعج
 بلا عجب ولا نج
 ولا بوق ولا صنج
 ولا رُمح ولا زج
 بلا لجم ولا سرج
 لأمر غير معوج
 فلا يعدو عن النهج
 يدا شلح ولا علج
 لواء النصر والفلج
 عليها سيمة السرج
 تراهم أول الدرج

(ماورد في النرد)

وقال السرى بن عبد الله الرقاء :

ومحكمان على النفوس وربما لم يحكما فيهن محكما مادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالماً ويراها المحرومُ سعداً آفلاً
فاذا هما اصطحبا على كف الفقى ضراء أو تنفعا نفعا عاجلاً

﴿ وأما القدح ﴾

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

مُخرجٌ من العمى إذا صكَّ صكةً بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ
غدا وهو مجدولٌ وراح كأنه من المسِّ والتقليبِ بالكف أو طحُ
إذا امتحنته من معدٍّ عصابةً غدا وبه قبل المفيضين مقدحُ

﴿ انتظار الفرج ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن ابن ذريرد :

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما به الصدرُ الرَّحيبُ
وأوطنت المكارهُ وأطمانت أتاك على قنوط منك غوثُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهت فمقرونٌ بها الفرجُ القريبُ
وقلت : لـكلِّ مُلمةٍ فرجٌ قريبٌ كمثلِ الليلِ يتلوهُ الصِّباحُ
وإنَّ لـكلِّ صالحةٍ فساداً كذاك لـكلِّ فاسدةٍ صلاحُ
وللأيامِ أيدي باسطاتٌ وأفنيةٌ موسعةٌ فساحُ
وقد تآنى وأوجهها صِباحٌ كما تآنى وأوجهها قِباحُ
وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ وللدُّنيا انفلاقٌ وانفتاحُ
فلا تجزعْ لها واصبرْ عليها فإنَّ الصبرَ عُقباهُ النِّجاحُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهت فمقرونٌ بها الفرجُ المتاحُ

﴿ معنى آخر ﴾

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إِنَّ الْفُصُونَ إِذَا قُوَّ مَتَهَا عَدَلَتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قُوَّ مَتَهُ الْخَشْبُ
وَأَجُودَ مَا قِيلَ فِي أَرْذَحَامِ الْمُتَجَمِّينَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُفْضِلِينَ الْبَيْتَ الْمَشْهُورَ :
مَنْ أَكْثَرَ الْإِحْسَانَ مِنْ فِعْلِهِ وَعَمَّ بِالْفَضْلِ جَمِيعَ الْأَنْامِ
يَزْدَحِمُ النَّاسَ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ
وَقَالَ أَبُو الْهَوْلِ :

إِذَا السَّمَاءُ أَبَتْ إِلَّا مُحَاذَرَةً سَحَّتْ يَدُ الْفَضْلِ يَاقُوتًا وَعَقِيَانَا
تَرَى الرَّفَاقَ إِلَى أَبْوَابِهِ زَمْرًا وَرَدَ الْقَطَا أَقْبَلَتْ مِثْنِي وَوَحْدَانَا

(مَعْنَى آخِرُ)

لَيْسَ جُودٌ أُعْطِيَتْهُ بِسُؤَالٍ قَدْ يَهْزُ السُّؤَالُ غَيْرَ جَوَادٍ
إِنَّمَا الْجُودُ مَا أَتَاكَ ابْتِدَاءً لَمْ تَذُقْ فِيهِ ذِلَّةَ التَّرْدَادِ

(وَمِنْ أَجُودِ التَّشْبِيهَاتِ فِي الْمَحْجَمَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ)

وَخَضِرَاءُ لَا مِنْ بَنَاتِ الْهَذِيلِ يُلْفَفُ بِالسَّيْرِ مِنْقَارُهَا
كَأَنَّ مَشَقَّ عَيُونِ الْقَطَا إِذَا هُنَّ تَوَمَّنَ آثَارُهَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْحِجَامَةِ :

أَمَّا وَأَيُّكَ لَا أَنْسَاهُ تَدْمِي مُضَارِبُ سَيْفِهِ الْبَطْلَ الْكَمِيَا
وَبَرَقًا فِي أَنْامِلِهِ إِذَا مَا تَأَلَّقَ فَتَّحَ الْوَرْدَ الْجَنِيَا
إِذَا ظَهَمْتُ فَرَاخُ أَيُّكَ يَوْمًا سَقَاها مِنْ رِقَابِ النَّاسِ رِيَا
وَإِنْ جَرَحَ الْأَخَادِعَ مَطْمَئِنًّا كَسَا الْوَجَنَاتِ دِيَابِجًا بَهِيَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ يَأْتِي عُقُوقًا وَيَدْعُوهُ الْوَرَى بِرَّآ تَقِيَا
وَقَالَ آخِرُ : أَبُوكَ أَوْهَى النَّجَادُ طَاتِقِهِ كَمْ مِنْ كَبَى أَدْمَى وَمِنْ بَطْلٍ
يَأْخُذْنَ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يَمْسَ مِنْ ثَارِهِ عَلَى وَجَلٍ

﴿ ومما قيل في خطل الرأي قول الآخر ﴾

عُذْرُكَ عِنْدِي بِكَ مَبْخُوطٌ وَالْعُتْبُ عَنْ مِثْلِكَ مَحْطُوطٌ
لَيْسَ بِمَسْخُوطٍ فَعَالَ أَمْرِي كُلُّ الَّذِي يَأْتِيهِ مَسْخُوطٌ
وَقَالَ آخَرُ :

يَأْمَنُ يَقْلُقُهُ طَنِينُ ذَبَابٍ وَيَقْلُقُهُ عَزْمَتُهُ صَرِيرُ الْبَابِ
ضَرَبَ السَّرَادِقَ فِي رُواقِي بَابِهِ وَالذَّارُ تَعْجِزُ عَنْ مَقِيلِ ذَبَابِ
وَأَقَامَ لِلْبُوابِ حَاجِبَ حَاجِبٍ أَرَأَيْتَ حَاجِبَ حَاجِبِ الْبُوابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

أَلْبَانُ إِبْلِ تَمَلَّةَ بْنِ مُسَاوِرٍ مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ
وَطَعَامُ عَمْرٍو ابْنِ أَوْفَى مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامُ
أَنَّ الَّذِينَ يَسُوعُ فِي أَحْلَاقِهِمْ زَادَتْ يَمْنُ عَلَيْهِمُ لِلثَّامِ
لَمَنْ الْإِلَهِ تَمَلَّةَ بْنِ مُسَاوِرٍ لَعْنًا يَشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ
﴿ مَنْ يَعِيبُ غَيْرَهُ وَهُوَ مَعِيبٌ ﴾

من المشهور في ذلك قول الشاعر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنْ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ تَخْفِ عَلَيْهِ عِيُوبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي لِأَخِيهِ
وَلَا بُدَّ دَلَامَةٍ ^(١) فِي مَعْنَاهُ :

إِذَا النَّاسُ غَطَوْني تَغَطَيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ يَحْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحٌ

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد - بالياء - وهو زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ في أيام بني العباس وانشق إلى أبي عباس والمنصور والمهدي فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئري حفرت بشارهم ليعلم قوم ما تضمن النبأث^(١)

(معنى آخر)

صديقك حين تستغنى كثير^١ ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد إذا ما طوى عنك الزيادة عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة :

تكاد لو لم تك إنسية^٢ تجري من الانسان مجرى الدم
لا نعصم الحسناء من كيدها ولو ثوت في منزل الأعصم
وقول الآخر في ذلك :

تسهل كل ممتنع عسير^٣ وتأتي بالمراد على اقتصاد
فلو كلفها تحصيل طيف السخيل ضحى لزار بلا رقاد
وقريب من ذلك قول الآخر :

من ذم إدريس في قيادته^٤ فأنى شاكر^٥ لادريس
من يستصعب فجاء به^٦ أطوع من آدم لابلis
وكان في سرعة المجيء به^٧ آصف في حمل عرش بلقيس

(معنى آخر)

ما زددت في أدبي حرفاً أسره^٨ به إلا تزيت حرفاً تحته شوم
انّ المقدم في حذق بصنعة^٩ أنى توجه منها فهو محروم
وقريب منه : ولربما رزق الفتى بسكوته^{١٠}
ومن الجيد في ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت في امرئين صناعة^{١١} وأحببت أن تدري الذي هو أحذق
فحيث يكون النقص فالمال واسع^{١٢} وحيث يكون الحذق فالرزق ضيق

(١) في نسخة « النوابث » وفي الأغاني « ليعلم يوماً كيف تلك النبأث » .

﴿ معنى آخر ﴾

إذا قلَّ مال المرءٍ لانت قناته وهان على الأدنى فكيف الأبعد
ومثله قول الآخر : المرء بكرم للغنى ويهان للمعدم العديم
وقال آخر : غضبان يعلم أن المال ساق له مالم يسقه له عِلْمٌ ولا أدب
فمن يكن عن كرام الناس يسألني فأكرم الناس من كانت له نسب
وقال آخر : كفي حزناً أني أروح وأغتدى ومالي من مال أصون به عرضي
وأكثر ما ألقى صديقي بمرحباً وذلك لا يغني الصديق ولا يرضي
وقال آخر في معناه :

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غنى في القلوب جليل
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى عشية يقرى أو غداة ينيل

﴿ ماورد في حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالب اللبيب بغير حظ بأغنى في الميمنة من فتيل
رأيت الحظ يستر كل عيب وهيئات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسمع بجحد أودع . وقال الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا لالنوك ممن عاش كدًا

وقلت : لكل حر مبتلى يعيش في حال نكد

والنحس في طالعه أثبت من وصل وتد

فكن رقيقاً ساقطاً تصدّر بحظ وترد

وكن رقيقاً ماجداً واصبر على مالم ترد

هيئات أن يحظى الفتى بجحد سعيد دون جد

وقال آخر : الجد أنهض بالغنى من عقله فانهمض بجدي في الحوادث أوذر

وإذا تعسرت الأمور فارجها واستأنف الأمر الذي لم يعسر

ما أقرب الأشياء حين يسوقها قدراً وأبعدها إذا لم يُقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجاهل أن يتهمضوا أخوا الحلم ما لم يستعن بجهول

وقال الأحنف بن قيس :

وذى ضغن أمت القول منه يحلم واستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفينة يلاقي المضلات من الرجال

وقال غيره: لا بُدَّ للسيد من أرماع ومن عديد يتقى بالراح

ومن سفينة دائم النباح

﴿ معنى آخر ﴾

وما الجود من فقر الرجال ولا الفنى ولكنه خيم النفوس وخيرها

فمنفسك أكرم عن أمور كثيرة فمالك نفس بعدها تستعيرها

وقد تخدع الدنيا فيمسي غنيها فقيراً ويغني بعد بُؤس فقيرها

وكم طامع في حاجة لا ينالها وكم آيس منها أتاه بشيرها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجود ما قيل فيه قول رسول الله ﷺ « المرء على دين خليله »^(١)

ومن أقدم ما قيل فيه قول عدي بن زيد العبادي :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فان القرين بالمقارن مقتدى

(١) في الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث « فلينظر أحدكم من يخال »

رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي وغيرهم ، قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

فان كان ذا شر فجنبه سرعة وان كان ذا خير فقارنه تهدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وليس وصفه بالجيد . وقال غيره :

ولا يسئل الانسان إلا قرينه^١ وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

﴿ المأخوذ بذنب غيره ﴾

قال الشاعر في ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به^٢ إن القى بـابن عم السوء مأخوذ

ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة :

أحملتني ذنباً امرئ وتركت^٣ كذى المرء يكوى غيره وهو رافع

وقال غيره : إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

﴿ في النهي عن الظلم قول الاول : ﴾

البنى يصرع^٤ أهله والظلم مرتع^٥ وخيم

وقال النبي ﷺ « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) . وقال بعضهم :

ظلمك من خلقك مستخرج^٦ والظلم مشتق^٧ من الظلمة

وقلت في عاملٍ صودر :

لو أنصفَ الظالم من نفسه لأنصفَ الظالم في نفسه

إن كان لا يرحم في يومه لكان لا يرحم في أمسه

﴿ ماورد في الجبن ﴾

وأفلتنا هجين بنى سليم^٨ يُفدَى^٩ المهر من حب^{١٠} الاياب

فلولا الله والمهر المفسد^{١١} لا بت وأنت غربال^{١٢} الاهاب

وقال آخر :

باتت^{١٣} تُشجني هند^{١٤} وقد علمت أن الشجاعة مَقْرُون^{١٥} بها العطب^{١٦}

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر

بلفظ « إَتَقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

يا هندُ لا والذي حبجُ الحبيجُ له ما يشتهي الموتُ عندي من له أدبُ

وقال آخر في المعنى :

نجوتُ نجاءً لم يرَ الناسُ مثله كأنني عُقابٌ عندَ ثيمنٍ كاسرُ

وقال آخر :

يقولُ ليَ الأميرُ بغيرِ شكٍّ تقدّمَ حينَ جدّ بنا المِرّاسُ

ومالي إن أطعتك من حياةٍ ومالي بعدَ هذا الرّأسِ راسُ

﴿ ومن المضحكات قول الآخر ﴾

ألم ترني وعمرًا حينَ تغدو إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ

أسايرُهُ على يُعْنَى يديه وفيما بيننا رُجلُ ضيرُ

ومن المضحكات قول القاساني في الجبن والتطفل :

أرى في النومِ رُحماً أوسناناً فأسلحُ في الفراشِ على مكاني

ولكني المُبارزُ حينَ أدعى إلى أكلِ العصيدةِ والفراشي

وما عمروُ هناك أشدَّ مني ولا العبسيُّ عنترَةُ الطمان

ولا زيدُ الفوارسِ حينَ أدنو فألقِ بالكلاكلِ والجراتِ

تراني عندها ليثاً نفيراً إذا ما اصطبك مني الماضغان

أشدُّ على الخبيصةِ لأبالي بأيّ جنوبها وقعتُ بنائي

وكم طبقِ رَدَدَتُ وليس فيه من البقلِ المحصلِ حبتان

﴿ الخلق من الثياب ﴾

قال الحمدوني :

طالَ ترَدَادُهُ إلى الرّفوحِ حتى لو بعثناه وَحْدَهُ تهدي

وقال آخرُ : قال غسّالي لما جئته قولاً صحيحاً

يا عزيزي أنا لا أغسّلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهر قول الآخر :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ملّ من صُحبة الزّمان وصدّاً
إن تنحنحت فيه ينحز عيراً أو تحركت فيه ينقدّ قدّاً

﴿ من أحب لبناته الموت ﴾

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وقال عبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلُّ أبى بنتٍ بُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا مُطلبَ الصهرُ
فبعلٌ بُراعيها وخدرٌ يكنها وقبرٌ يوارىها وخيرُهما القبرُ
جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فإنه نعم الصهر في السر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوافي
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فان المبتلىك هو المأماني
وأصدق ما أثبتك ان قلبي بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبي البخل :

باح ضميرى بمضمرة الأمر وذاك أننى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد الماتِ حادثةٌ وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ
وقال آخرُ : يا ناظراً فى الدين ما الأمرُ لا قدرٌ صحَّ ولا جبرُ
ما صح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبرُ

قبحهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والآثم فى
الآخرة . وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سويت بيني وبينه
فكيف وقد أعليتهُ وخفضتني
لما كان عدلاً أن نكون سواءً
فكنتُ له أرضاً وكان سماءً

(فصل آخر)

كتب أبو الشيص إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :
يا صديقي وأخي في كل ما يروى وشده
ليت شعري هل زرعتم بذراً كثر المخدّة
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال
إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زماناً فردّه وكتب إليه :

وأهديته زماناً قانياً فلا للركوب ولا للثمن
حملت على زمن شاعراً فسوف يكافى بشعر زمن
أيا الفضل ذمّاً وغرمّاً فما كنت ترجو بهذا الغبن

ووعده رجل دعبلاً بعلاب يهديها إليه عند قدومه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :
وعدت النعل ثم صدفت عنها كأنك تشتهي شتاً وقدفا
فإن لم تهدي لي نعلاً فكنها إذا أعجمت بعد النون حرفاً
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو علي
البصير يستهديني بخوراً كنت أهديت منه إلى بعض إخواني ، والآيات :

يا شقيقي ويا خليلي إياها
أنت من أطيب الأنام بخوراً
المرجى لكل خير ومير
وهو جم لك فابعث بدرج
غير أني شمته عند غيري
فكتبت إليه :

قد بعثنا إليك منه بدرج وأزرناك منه أطيب زور

بين ندى وبين عودٍ مطراً
 أنت منه أزكى وأطيب عرفاً
 ماله مشبه بنجدٍ وغورٍ
 وهو أزكى من كل طيبٍ ونورٍ
 ما تعديت فيه طورك عندي
 فتبخر منه بأيمن طيرٍ
 وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال
 كتب العتابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقراءة
 بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من
 عم نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم
 بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك ، ولذلك أقول :
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الأسباب
 فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الانساب

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمنه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

الصفحة	
٣	الباب السابع : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم .
٣	الفصل الأول : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه ---
١٢	الفصل الثاني : في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك .
٤٦	الفصل الثالث : في ذكر النسيم .
٤٩	الباب الثامن : في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجري مع ذلك .
٧٤	الباب التاسع : في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة ، وما يجري مع ذلك .
٧٤	الفصل الأول : في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك .
٨٧	الفصل الثاني : في ذكر البلاغة .
٩٢	من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء .
٩٤	محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب .
٩٧	أمثلة في البلاغة الكتابية .
٩٩	ومن جيد الأدعية .
١٠١	المديح عند الكتاب نثراً .
١٠٣	الذم والتهجين نثراً ، كلمات في الشكر مأثورة عن البلغاء .
١٠٦	الباب العاشر : في صفات الخيل والابل والسير والفلوات وذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجري مع ذلك .
١٠٦	الفصل الأول : في صفات الخيل .
١١٨	الفصل الثاني : في ذكر الابل وسيرها ، وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها .
١٢٨	الفصل الثالث : في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك .

- ١٣١ الفصل الرابع: في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك .
- ١٣٥ الفصل الخامس : في ذكر الطيور .
- ١٤٣ الفصل السادس : في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الباب الحادي عشر : في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمراثي والزهد ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الفصل الاول : في الشباب والشيب والخضاب ، وما يتصل بها .
- ١٦٥ الفصل الثاني : في ذكر العلل والأمراض والمراثي والتعازي والزهد .
- ١٨٦ الباب الثاني عشر : في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المعاني .
- ١٨٦ القول في الحنين إلى الأوطان .
- ١٩٤ فصل في مدح الاخوان .
- ١٩٨ في ذم الاخوان والرفقاء . وما يجرى مع ذلك .
- ٢٠٤ فصل فيما قيل في فضل الوعد ومدح الانجاز .
- ٢٠٦ ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال .
- ٢٠٨ فصل في تعمية الأشعار .
- ٢١٤ أحسن ما قيل في تقبيل اليد .
- ٢١٥ الحظ على السلام .
- ٢١٧ السلام على الكنمار ، رد السلام على الكنمار ، ماجاء في المصافحة .
- ٢١٨ قولهم : حياك الله وبياك .
- ٢١٩ قولهم مرحباً .
- ٢٢٢ ماجاء في : أطال الله بقاءك - جعلت فداك .
- ٢٢٣ دعاء المكاتب .
- ٢٢٤ قولهم : كيف أصبحت :
- ٢٢٩ ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر .

- ٢٣٠ الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للمزوم .
 ٢٣١ الدعاء للمعزول .
 ٢٣٢ دعاء الأعياد .
 ٢٣٣ ما قيل في القيام للاجلاء .
 ٢٣٤ ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال .
 ٢٣٦ فصل في معان مختلفة : نسيب ، هجو ، مدح . .
 ٢٣٩ التفاضل بين الاخوان . الحث على موافقة الناس . اغياب الزيارة .
 ٢٤٠ في ذم العجائز . ماورد في فضل الحمام .
 ٢٤١ الشطرنج وما قيل فيه .
 ٢٤٢ ما ورد في الرد .
 ٢٤٣ القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
 ٢٤٤ العطاء بلا سؤال . ما قيل في المحجمة والحجام .
 ٢٤٥ ما قيل في خطل الرأي . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب .
 ٢٤٦ فرار الأصدقاء عند الضيق . حرفة الأدب .
 ٢٤٧ اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
 ٢٤٨ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
 ٢٤٩ المأخوذ بذنب غيره . النهي عن الظلم . ماورد في الجبن .
 ٢٥٠ ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
 ٢٥١ من أحب لبناته الموت .
 ٢٥٢ أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبل الخزاعي . استهداء بخور .
 ٢٥٣ المودة أقرب الانساب . منتهى الديوان .

(اختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)

وأكثرها من استدركات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
١٠٩ ٢٠ زفته	٤٣ ١٢ في القدر	٤ ١ عن نسختي
١٠٩ ٢٢ ضرار الغطافي	٤٩ ١١ المفضل النكري	٤ ٢٣ آتي بمطر
١١٠ ١٥ كالفدن	٥١ ١ سعد بن	٦ ٥ بمدامع لم
١١١ ٢ علي سواد	٥٣ ٤٣ عمرو بن	٦ ١٠ دوايح ضمنت
١١١ ٤ عارضت	٥٥ ٧ الجرور	٦ ١١ حفل اللقاح
١١٢ ١٩ تعلق بزي	٦٤ ١٨ السواء عدونا	٦ ١٢ سجع.. فواجم
١١٤ ٧ تهاوش عنده	٦٤ ١٩ المؤقف	٧ ٨ لدماء
١١٤ ١٨ نوادي.. تدقق	٦٤ ٢٠ شهاب	١٢ ٢٢ بعميم التبت
١١٥ ١ بقارح	٦٤ ٢١ كالسيور	١٣ ٢٢٤٩ وحوذان
١١٦ ١٧ دكدك	٦٥ ١ أحمر عاتر	١٥ ٤ بن المعذل
١١٨ ٦ مناذر	٦٦ ١ تنحري	١٥ ٦ مغان
١١٩ ١ رهوأ	٦٦ ٦ جذل	١٥ ١٢ وشث
١٢١ ٦ مضر حيات	٦٨ ١٠ بن شهاب	١٦ ٢٢ الحمان
١٢١ ١٢ بخت مخيسة	٦٨ ١١ وميض البيض	١٧ ١٣ وجني رباها
١٢٢ ١٧ حسان	٧٠ ٣ العضروط	١٨ ١٤ تزحف
١٢٣ ١١ البيت جون	٧١ ٨ أخذ من	١٩ ١ لعسجد
١٢٤ ١٨ أودي السفار	٧٢ ٨ الدم	٢٠ ٦ جاسد
١٢٥ ٩ السباب	٧٣ ٨ ومشلسلة: مفرقة	٢٠ ٩ لؤلؤ كالا قحوان
١٢٥ ١١ بهاشرق	٧٧ ٢ كأطباء	٢٠ ١٢ مجتاز
١٢٧ ٢١ جفار	١٠٨ ٥ عبدة بن الطيب	٢٣ ١ المعذل
١٢٨ ٢٢ وفد الريح	١٠٨ ٢٢ الأسعر	٢٣ ٨ تباري.. مغدا
١٣٢ ٢٠ أظلافه نسق	١٠٩ ١٣ تارز	٣٢ ٢ وده تنبوي
١٢٤ ٢٠٤١٦ قعساء	١٠٩ ١٨ ثار عجاج	٣٣ ٨ على كرات
١٣٥ ٤ مثل الشراع	١٠٩ ١٩ تنفش	٣٧ ٢٢ قرط

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
يداشلج ١٧ ٢٤٢	معز الدولة ٢٢ ١٧٩	فيه شنج ١٣ ١٤٠
وعند الشاه ١٨ ٢٤٢	تمر وأغفل ١٨ ١٨٣	يتقيد ١٣ ١٤٢
من الغمي ٥ ٢٤٣	يفعل ١٩ ١٨٣	شنج ١٤ ١٤٢
بالكف أفتح ٦ ٢٤٣	رام ٢٠ ١٨٣	كتحوط ٤ ١٤٤
أبه .. يقده ٧ ٢٤٣	بسر بنارطة ٤ ١٨٥	لهازمه ... فطح ٩ ١٤٥
الهديل ١٢ ٢٤٤	أرضافيا ٦ ١٨٧	بالعظاءة. التنضبة ١٧ ١٤٦
دسم ٢٣ ١٦	يحي بن طالب ١٦ ١٨٧	فجرة ١٠ ١٤٧
يتا كغل ٥ ٥٧	راح ركب ١٣ ١٩٣	على الجذل ١١ ١٤٧
ونواقده ٩ ٨٥	بأخلاق ٩ ١٩٤	تقاوت ١ ١٥٠
الهزار ٦ ٩٢	عياها ١٧ ١٩٩	الشدق ١٩ ١٥١
ومواد ١٦ ٩٦	أبو الشعر ٢١ ٢٠١	بعد شبيبة ٤ ١٥٢
وعدوننا ١٧ ٩٦	أفر نجمشك ٢١ ٢٠٨	سواد اللة ٣ ١٥٥
ولباته ١٢ ١٣٧	بشؤبويه ١٣ ٢٠٩	بخطمة ٦ ١٥٥
أدب ١٠ ١٦٤	مروان الجعدى ١٨ ٢١٥	بان الامروبان ١٠ ١٧٢
جذيمة ١٢ ١٧٦	مكعت ٩٤٨ ٢١٦	ابن مناذر ٣ ١٧٥
	الزرقى ١١ ٢٢٠	الخرمى ٧ ١٧٥
	الارحى ١٧ ٢٢٦	عن شباة ١٥ ١٧٥
	معشق ٢٠ ٢٢٦	وزدت بمازودتنى ١٨ ١٧٥
	قذراً وأسلم ماسواه البرجد ٢٣ ٢٤١	مجتاب شملة برجد بسرته

(فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف)

باعتبار الشهرة في الأثر

(١)

ابراهيم بن اسماعيل النسائي ١٨٢
 ابراهيم بن العباس ٦٦، ٩٠، ١٧٨، ١٨٣،
 ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٥١، ٣٥٣، ج ٢ :
 ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٥
 ابن أبي أمية ج ٢ : ٣٤
 ابن الأعرابي ٣٥٩
 ابن أمية الكاتب ٥٩
 ابن الأنباري ١٤٨، ج ٢ : ١٧٩، ٢٣٨
 أبو الأسد الدينوري ٣٠، ٦٣، ج ٢ : ٢٠٣
 أحمد بن ابراهيم ٢٣٢، ج ٢ : ٢١٩
 أحمد بن أبي طاهر ٤٨، ٩٤، ج ٢ : ١١٨، ٢٥٢
 أحمد بن اسحق الطالقاني ج ٢ : ١٦٦
 أحمد بن اسحق الموصلي ج ٢ : ١٨٩
 أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
 أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥، ٧٩،
 ٨٣
 أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧
 أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩
 أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥
 أحمد بن يوسف ٩٥
 أحمد المادرائي ٣١٦
 الأحمر ج ٢ : ١٣٤
 الأخطل ٢١، ٢٧، ٥٨، ٦٢، ٨٣،
 ١٧٥، ٣١٣، ٣١٤

الأخنس بن شهاب ٦٨
 الأخطل ج ٢ : ٢٥، ١٧١، ٢٣٠
 ادريس بن أبي حفصة ٦٣
 إسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧
 اسحق الموصلي ٣٤٧
 الأسدي ٣٥
 أسعد بن البكاء البكري ج ٢ : ٢١٧
 الأسعرا الجعفي ج ٢ : ١٠٨، ١٠٦، ٥٠
 الأسود بن يعفر ٢٥٤
 أشجع ١٧، ٦٣، ٩٢، ٩٤، ١٤٥،
 ج ٢ : ١٨٥
 الأعشي ٢٤، ٤٤، ٧٩، ١٠٩، ١٤٣،
 ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ٢٤٣، ٢٤٤،
 ٢٥٠، ٢٥٨، ٣١٩، ٣٢٨، ج ٢ :
 ١٢، ٢٢٦
 الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣
 الأفوه الأودي ج ٢ : ٩٠
 الأقييل القيني ٨٨
 أمامة بنت الجلاح ٦١
 أمروء القيس ٨١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٦١،
 ٣٢٢، ٣٣٤، ٣٤٥، ج ٢ : ٣٠٧،
 ٦٢، ١٠٩، ١١٤، ١٤٢، ١٥٩، ١٩٣
 أمية بن أبي الصلت ٢٦، ٤٦، ١١٠
 أوس بن حجر ١٢٤، ١٣٩، ١٧٦،
 ج ٢ : ٤، ٧، ٥٧، ٥٩، ٦٨، ١٧٣
 أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤

(ب)

البحري ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥،
 ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٣،
 ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٩٩، ١٠٦،
 ١٠٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٢٨،
 ١٤٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ٢٠٠،
 ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٦،
 ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٢،
 ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٤،
 ٣٤٨، ج ٢: ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٣٤،
 ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥،
 ٧٠، ٧١، ٧٨، ٩٩، ١١٥، ١١٩،
 ١٢٦، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٧، ١٩١،
 ١٩٤، ٢٠٧، ٢٣٢، ٢٣٣،
 ابن بسام ٣١٦، ٣٤٨، ج ٢: ٢٣، ٢٣٤،
 بشار ٣٣، ٤٢، ٥٩، ١٣٦، ١٤٣،
 ١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٤١،
 ٢٥٧، ٢٧٩، ٣١١، ٣٤٩، ٣٥٠،
 ج ٢: ٤٧، ٥٥، ٦٧، ١٦٩،
 ١٩٢، ١٩٦،

بشامة بن الغدير ج ٢: ١٣١،
 بشر بن أبي خازم ١٣٩، ٢٣٨، ج ٢:

١٢، ١٣، ٧٢،

البصير ١٢١

البعيث ٢٧٧

بكر بن خازجة ٢٤٣

بلعاء بن قيس ١١٤

(ت)

تأبط شراً ١١٢، ج ٢: ١٢٩،
 أبو تمام ١٧، ١٧٤، ٢١، ٢٩، ٣١،
 ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٥٦،
 ٥٧، ٦٥، ٦٨، ٧٢، ٨٠، ٨٣،
 ٨٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٥، ١١٧،
 ١٣٠، ١٤٠، ١٤٤، ١٦١، ١٦٤،
 ١٦٨، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥،
 ١٨٧، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٣،
 ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٧٧،
 ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٤٣،
 ٣٥٣، ج ٢: ١٩، ٥٦، ٦٦، ٧٧،
 ٧٨، ٩١، ٩٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٠،
 ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٥٦، ١٥٧،
 ١٦٠، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨،
 ١٨٠، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٢،
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٩،
 التنوخي ٣٢، ٧٠، ٢٤٤، ٣٤٧،
 ٣٥٨، ج ٢: ١٦، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٥٤،
 التوزي ١٢٢

(ث)

ثابت قطنة ١٣٨

الثقفي ج ٢: ١٨٥

(ج)

جيباء الاشجعي ج ٢: ١٢٧

الجحاف ٨١

جحظة البرمكي ٣١، ١٦٣، ٢٠٦،

الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
 الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ج ٢ :
 ٢٠٦ ، ٢٢٥
 الحسين بن مطير الاسدي ٤١ ، ج ٢ :
 ١٧٦ ، ١٧٥ ، ٦
 أبو الحسين بن أبي البغل ج ٢ :
 ٩٢ ، ٨٠
 حصين بن حمام ١١٥
 الخطيئة ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠ ،
 ٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
 ج ٢ : ١٩١
 الحلبي ج ٢ : ٤٥
 حلحلة بن قيس ١٣٣
 حماد الراوية ١٨١ ، ج ٢ : ١٩٨
 حماس بن ثامل ٤٤
 الحمانى ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ، ج ٢ :
 ١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤
 الحمدوني ٢٧٨ ، ج ٢ : ٢٥٠
 حمزة بن بيض ١٠
 حميد بن ثور ٣٢٦
 الحويدرة ج ٢ : ١٨٨
 أبو حية ج ٢ : ١٢٢

(خ)

خارجة بن ملبح المكي ٦٢ ، ٦٣
 خالد بن زهير ١٥٨

٣٠٠ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢
 جذل الطعان ج ٢ : ٦٦
 جران العود ٣٣٨
 جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
 ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥٧ ، ١٨١
 جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
 جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
 ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
 جندل بن الراعي ج ٢ : ١٢٧
 أبو جندب ٨٢ ، ٨٣

(ح)

حاجز الازدي ج ٢ : ٢٢٨
 الحارث بن ظالم ١٧٠ ، ج ٢ : ١٨٧
 الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
 الحارثي ج ٢ : ٢٣٤
 أبو حازم الباهلي ج ٢ : ١٥٢
 ابن حرثان ١٧٤
 أبو علي الحرمازي ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠
 حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ٨٩ ، ١٨٢ ،
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ، ج ٢ :
 ٥١ ، ٦٩
 الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ج ٢ :
 ٨٣ ، ٢٣٥
 الحسن بن الكناني ج ٢ : ٢١٦

محالد الكاتب ٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣٥٠

الخالدي ٢٠٨ ، ج ٢ : ٧٨

الخباز البلدي ج ٢ : ٤٢

خداش بن زهير ج ٢ : ٧٣

أبو خراش ١٣١ ، ج ٢ : ٧٢

خریم بن فاتك ٢٦

الخریمی ٧٤ ، ٢٧٩ ، ج ٢ : ١٧٥ ، ١٩٧

ابن خلاد ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ج ٢ : ٣٦

خلف بن خليفة ٧٥ ، ١٠٤ ، ج ٢ :

١٤٥ ، ١٦٢

خلف الأحمر ج ٢ : ٧٣

الخليل بن أحمد ١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ،

ج ٢ : ٣٠

الخنساج ٤١ ، ١٣٨

الخوارزمي - متأخر ج ٢ : ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥ ، ١٢٢ ، ١٤١ ،

ج ٢ : ٥٨

ابن دريد ٢٧ ، ٣٢٠ ، ج ٢ :

١١٠ ، ١١٩ ، ٢٣٧

دعبل الخزاعي ١٢٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،

٢٠٧ ، ج ٢ : ١٥٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ،

٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧

أبو دغفل الكلابي ج ٢ : ٧٠

أبو دلالة ج ٢ : ٢٤٥

أبو دلف العجلي ٩١ ، ٢٧١

ابن الدمينه ٣٤٦

أبو دهل الجعي ١٣٩

أبودواد ١٤٢ ، ج ٢ : ١٠٦ ، ١١٢ ،

١٢٨ ، ١٤٦

ديك الجن ٥٦ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ،

١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،

٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،

٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٣٧ ،

١٨١ ، ٢٢١

الديلي ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٥٧ - ١٥٩ ،

٣٦١ ، ج ٢ : ٤

(ر)

راشد بن شهاب الشكري ج ٢ : ٦٤

الراعي ج ٢ : ١٢٣ ، ١٣٢

رؤبة بن العجاج ج ٢ : ١٢٣ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٥٥

الربيع بن أبي الحقيق ج ٢ : ٣٩

الربيع بن ضبع الفزاري ج ٢ : ٢٢٤

رزين العروضي ١٩٩

الرقاشي ج ٢ : ١٧٩

الرماح الأسدي ج ٢ : ١٥٠

ذوالرمة ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ،

٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،

٣٥٥ ، ج ٢ : ٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

زياد الأعجم ١٧٠، ١٧٧، ١٨٠،

زيد الخيل ج ٢: ٤٩، ٦٨،

زينب بنت الطثرية ٥٧

(س)

سالم بن وابصة ٣٥٧

أبوسرح ج ٢: ١٨٦

السري الرفاء ٧٢، ١٩٩، ٢٢٥،

٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٠، ٢٩٤،

٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٧،

٣٤١، ٣٤٥، ٣٦١، ج ٢: ١١، ١٧،

٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧،

١٣٧، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٢،

سعد بن ناشب ج ٢: ٥١

سعيد بن أبان بن عينة ١٣٣

سعيد بن حميد ٩٥، ٢١٦، ٢٦٧، ج ٢:

٢٢٢، ٢٨٤، ٣٤٩

سعيد بن العاص ١٩٦

سعيد بن الوليد البطين ج ٢: ٢٢٠

أبو سعيد الأصفهاني ج ٢: ٢٠٩

أبو سعيد الخزومي ١٨١

ابن السكن ٢٠٨

سلامة بن جندل ج ٢: ٦٥

أبو السمح الطائي ٢٩

السموأل ٣٧، ٨٣

سهل بن هرون ٢٨٢

سيف بن ذي يزن ج ٢: ٦٢

١٢٩، ١٣٣، ١٤٧

ابن الرومي ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٤٢،

٤٣، ٤٥، ٥٤، ٦٨، ٧١، ٧٤، ٧٥،

١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢-١٤٤،

١٥٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩،

١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧-١٩٠،

١٩٤-١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤-٢١٠،

٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٧،

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩-٢٤٤،

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٩،

٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٢-

٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،

٣١٠، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٥،

٣٦٠، ٣٦١، ج ٢: ٣٢، ١٧، ١٨،

٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٧،

٤٥-٤٧، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١،

٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨١، ١٠٤،

١٣٥، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠-١٦٢،

١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣-١٨٤،

١٨٩، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٧،

الرياشي ج ٢: ٢٣٤

(ز)

أبو زيد ج ٢: ٥٨

زفر بن الحارث ج ٢: ٢٠٠

ابن الزمكدم ١٩٥

زهير ٢٩، ٣١، ٤٦، ٥٢، ١٠٥،

١١٤، ٢٣٠، ج ٢: ٢٠٦

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٢ : ١٩٦
 أبو شراة ج ٢ : ٢٢٩
 الشماخ بن ضرار ١١٥ ، ٢٣٠ ، ج ٢ : ٥٩ ،
 ١٢٥ ، ١٠٩
 الشمر دل بن شريك ٣٥٨
 أبو الشمق ١٩٨
 أبو الشيص ٢٥٥ ، ج ٢ : ١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٥٢

(ص)

أبو إسحق الصابي ج ٢ : ١٦٣
 صاحب بن عباد ١٦٧
 أبو صفوان الثقفي ج ٢ : ٢٣٢
 صفة الباهلية ١٧
 أبو الصلت ٩٢ ، ٣٠١
 الصلتان ١١٩
 الصمة بن عبد الله القشيري ج ٢ : ٢٢٥
 الصموت الكلابي ٦٨
 الصنوبري ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٩٢ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ج ٢ : ١٢ ، ٣٠ ، ٣٢
 الصولي ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،
 ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٦٥ ، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

ابن طارق ج ٢ : ١٤٤
 أبو طالب عم النبي ﷺ ٣٧

طاهر بن علي بن سليمان ٣٤٧
 ابن طباطبا ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ،
 ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠ ،
 ج ٢ : ١١٠ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ٢١٣ ،
 طرفة ج ٢ : ٧
 الطرماح ٣٤٦ ، ج ٢ : ١٣١ ، ١٤١ ،
 ١٧٥ ، ٢٣٨
 طريح بن اسماعيل الثقفي ٢٤ ، ٥٢ ، ١٢٦
 طفيل الغنوي ج ٢ : ٢٢٠
 الطماح العقيلي ج ٢ : ٢١٩
 أبو الطمخان ٢٢ ، ٢٣ ، ج ٢ : ١٦١

(ع)

عائشة بنت أبي وقاص ٩
 العباس بن الأحنف ١٦١ ، ٢٢٥ ،
 ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤٩ ، ج ٢ : ١٦٥
 العباس بن جرير ١٢٣
 العباس بن مرداس ١١٠ ، ١١٤ ،
 ج ٢ : ١١٠
 عبد الصمد بن المعذل ١٢١ ، ١٢٥ ،
 ١٧٨ ، ج ٢ : ١٥ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٧
 عبد العزيز بن زرار ٨٨
 عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ٣٣٨
 عبد الله بن أيوب التيمي ٦٠
 عبد الله بن الحسن ٢٦٢

عبد الله بن عبد الله بن عتبة ٣١٤
 عبد الله بن محمد الفقعي ج ٢ : ١٩٣
 أبو عبد الله الاسباطي ج ٢ : ١٥٦
 ابن عبد الأسد ١١
 عبد الملك بن مروان ٢٦٢
 عبد مناف بن ربيعي ج ٢ : ٥٥
 عبد بن الحسحاس ٢٦٠ ج ٢ : ١٦٦
 عبدة بن الطبيب ج ٢ : ١٠٨ ، ١٤٤ ، ١٧٥ ، ٢١٦
 عبيد بن الأبرص ١١٨ ج ٢ : ١٥٥
 عبيد بن أيوب ١١٣
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨ ، ٢٥٠ ، ج ٢ : ٢٥١ ، ٢٦٠
 عتاب بن ورقاء ج ٢ : ٦٠
 العتابي ج ٢ : ٩
 أبو العتاهية ٢٠ ، ٧١ ، ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ج ٢ : ١٥٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢
 ابن أبي العتاهية ١٩٨
 العجاج ، ج ٢ : ٧٢
 عجير السلولى ٣١٥
 عدى بن الرقاع ج ٢ : ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣
 عدى بن زيد ج ٢ : ١٣٧ ، ٢٤٨
 العدلى بن الفرغ العجلي ج ٢ : ٢٣٦
 عرفة بن شريك ج ٢ : ١٨٥
 العرجي ١٠
 عروة بن أذينة ج ٢ : ٢٣٢

عروة بن حزام العذري ٢٨١
 عروة بن الورد ١٠٧ ، ١٩٥
 أبو عروة المدني ١١
 العطوي ج ٢ : ٢٠٣
 عتبة بن كعب بن زهير ج ٢ : ٢٢٨
 علقمة بن عبدة ١٠٤ ، ٢٥٠
 العلوي الأصفهاني ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧
 علي بن جبلة العكوك ٢١ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٥١
 ١٠٦ ج ٢ : ٦٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٣٥
 علي بن الجهم ٨٠ ، ١٠٤ ، ٢٥٣ ، ج ٢ : ٢٣ ، ٢٢١
 علي بن الخليل ٣٤٨
 علي بن عاصم ٢٨٤
 علي بن العباس النوبختي ج ٢ : ١٦٧
 علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٢ : ١٦٨
 علي بن محمد بن الأفوه ٤٩
 علي بن محمد البصري ١٠٨
 علي بن محمد الكوفي ج ٢ : ١٥٨
 عمارة بن عقيل ٧٧ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ، ج ٢ : ٢١٩ ، ١٠٩
 العماني ج ٢ : ١٣٧
 عمران بن حطان ٣١٥
 عمران بن عصام ٣٣
 عمر بن أبي ربيعة ١٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
 عمرو بن الاطناية ١١٤
 عمرو بن شاس الأسدي ٢٢٤ ، ج ٢ : ٧٢ ، ٧٣
 عمرو بن قيسة ٢٧٦
 (٣٤ - ثاني المعاني)

عبد الله بن عبد الله بن عتبة ٣١٤
 عبد الله بن محمد الفقعي ج ٢ : ١٩٣
 أبو عبد الله الاسباطي ج ٢ : ١٥٦
 ابن عبد الأسد ١١
 عبد الملك بن مروان ٢٦٢
 عبد مناف بن ربيعي ج ٢ : ٥٥
 عبد بن الحسحاس ٢٦٠ ج ٢ : ١٦٦
 عبدة بن الطبيب ج ٢ : ١٠٨ ، ١٤٤ ، ١٧٥ ، ٢١٦
 عبيد بن الأبرص ١١٨ ج ٢ : ١٥٥
 عبيد بن أيوب ١١٣
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨ ، ٢٥٠ ، ج ٢ : ٢٥١ ، ٢٦٠
 عتاب بن ورقاء ج ٢ : ٦٠
 العتابي ج ٢ : ٩
 أبو العتاهية ٢٠ ، ٧١ ، ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ج ٢ : ١٥٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢
 ابن أبي العتاهية ١٩٨
 العجاج ، ج ٢ : ٧٢
 عجير السلولى ٣١٥
 عدى بن الرقاع ج ٢ : ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣
 عدى بن زيد ج ٢ : ١٣٧ ، ٢٤٨
 العدلى بن الفرغ العجلي ج ٢ : ٢٣٦
 عرفة بن شريك ج ٢ : ١٨٥
 العرجي ١٠
 عروة بن أذينة ج ٢ : ٢٣٢

عمرو بن كلثوم ٩٠ ج ٢ : ٥٠
 عمرو بن محمد الثقفي ٢٩
 عمرو بن معد يكرب ١١١ ج ٢ : ٥٣، ٢٣
 أبو العميثل ٥٣، ١٦٣، ٢٧٣
 عنصرة العبسي ١١٠، ٣١٧ ج ٢ :
 ١٤٨، ١٢١، ٦٤
 عوف بن قطن ١١٧
 عوف بن محم ٢٦٢
 عون بن محمد الموصلی ٣٥٢
 عيسى بن أوسن ٢٤
 ابن أبي عينة ١٩٠، ١٩١ ج ٢ :
 ١٣٨، ١٣٧
 أبو عينة ج ٢ : ٣١، ٢١٣

(ف)

أبو فراس ج ٢ : ١٢، ٤٩، ٥٠
 ٦١، ١٩٧، ٢٠٠
 الفرزدق ٢١، ٤٩، ٧٨، ٤٣، ١٤٥
 ١٧١، ١٧٤، ١٨٣ ج ٢ : ٨٧، ١١٩
 ١٥٦، ١٦٣، ١٧٧، ٢٣٤، ٢٨١
 فروة بن مسيك القطيني ج ٢ : ٢٣١
 أبو الفضل بن العميد ٣٠١
 أبو فضلة ٣٣٥
 القند الزماني ج ٢ : ٦٠
 ابن أبي فتن ٢٨٤، ٣١٥، ٣٤٥

(ق)

قابوس بن وشمكير ج ٢ : ٢٠٢
 القاساني ج ٢ : ٢٥٠

القاسم بن حنبل ٤٣
 القصار ج ٢ : ٧٩
 القصاني ٣٥٣
 القطامي ١٢٤، ٢٤٢، ٢٥٩، ٣٢٩
 ج ٢ : ١١٨، ١٢١، ١٢٧
 قيس بن الأسلت ٢٤٣
 قيس بن الخطيم ١٧٠، ٢٢٩، ٢٧٦
 ج ٢ : ٥٠، ٥١، ٥٧، ٧٠، ١١٩
 قيس بن ذريح ٢٧٠
 قيس بن عاصم ١٣٥، ١٥١
 (ك)

أبو كبير ٣٨
 كثير ٥٨، ٦٣، ٢٣٠
 كشاجم ٦٨، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٢٤
 ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٠ ج ٢ :
 ٢٩، ٣٠، ٨٣، ٨٤، ١١٠، ١٥٨
 ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٤
 ٣٢٦ - ٣٢٨
 كعب بن الأشرف ج ٢ : ٣٩
 كعب بن زهير ١٩٩ ج ٢ : ٦٢
 كعب بن سعد ج ٢ : ١٧٨
 كعب بن مالك ١١٥
 كعب الغنوي ٣٣٧
 كلثوم بن عمرو ١٥٤
 السكيت ج ٢ : ١١٤

(ل)

لبيد ١١٨، ٣١١ ج ٢ : ١٢، ١٩٨

محمد بن أبي الموج ٢٣٦
 محمد بن يعقوب بن داود ج ٢ : ٢٠٢
 محمود الوراق ج ٢ : ١٥٣ ، ١٦٤
 المخبل ج ٢ : ٦٣
 مخلد الموصلی ٣٣٥
 المرار الفقعسي ١٢٤
 مروان بن أبي حفصة ٤٧ ، ٥٢ ، ١٣٥ ، ١٠٥
 مزاحم العقيلي ج ٢ : ١١٠ ، ١٥٥
 مزرد بن ضرار ج ٢ : ٥٨
 مسعود أخو ذی الرمة ج ٢ : ١٢٨
 مسكين الدارمي ٧٩ ، ٢٩٧ ، ج ٢ : ٥٨
 مسلم بن الوليد ٢٠ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦
 ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣١١ ، ٣٤٣ ، ج ٢ : ٥١ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩
 ١٥٨ ، ٢٣٩
 مصعب بن عمير الليثي ٢٠٢ ، ٢٠٣
 المصيصي ٢١٥
 مضر بن زبني ٣٤٣
 أبو مطاع ٢٦٨
 مطيع بن إلياس ج ٢ : ١٨٤
 أبو المعافى ج ٢ : ١٩١ ، ٢٢٩
 ابن المعتز ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٤٤
 ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
 ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٥٢ ، ٢٥٧
 ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ -

ابن لجأ ج ٢ : ١٢٧
 لقيط بن زرارۃ ٨١
 لقيط بن يعمر الأيادي ٥٥
 ابن لنكك ١٨٩ ، ج ٢ : ٢٠١ ، ١٨٠
 ليلى الأخيلية ٤٤

(م)

المؤمل ٢٢٦ ، ٢٥١
 مالك بن أسماء ج ٢ : ١٦٢
 مالك بن حريم الهمداني ج ٢ : ١٠٧
 مالك بن نويرة ج ٢ : ٥٥
 مان الموسوس ٢٥٢ ، ٢٨٣
 المبرد ١٤٥
 مبشر بن هذيل الشنخي ٨٩
 المتليس ١٣٥
 مسم بن نويرة ج ٢ : ١٧٤ ، ١٧٦
 المتنبى ١٠٨ ، ١٩٦ ، ج ٢ : ٦١
 ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩
 ١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢
 المجنون ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩
 محمد بن أيوب ج ٢ : ٢٠٩
 محمد بن بشر الأزدی ٣٤
 محمد بن جعفر بن محمد ج ٢ : ٦٦
 محمد بن ذؤيب العماني ج ٢ : ٢١٩
 محمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٦٧
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
 محمد بن عبد الله الجعفری ج ٢ : ٢٣٥
 محمد بن محمد الزيدی ج ٢ : ١٧١
 محمد بن مسلمة البشري ج ٢ : ٦٧

٣٤٦ ج ٢ : ٣٩٠ ٦٧٠ ٦٨٠

٧٠ ١٤٥ ١٩٦ ٢٤٩

الناجم ٢١١ ٢١٢ ٢١٥ ٢٨٠ ٣١٩

٣٢١ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٨ ج ٢ : ١٦٥

الناشيء ٢٣٥ ٢٥٤ ٣١٢ ٣٣٤

ج ٢ : ٢٢٨

التجاشي ١٧٦ ١٧٧

أبو النجم ١١٣ ٢٧٩

أبو نخيلة ج ٢ : ١١٦

أبو النشاش ٨٨

نصر بن أحمد ٢٤٦ ٢٧٢ ٢٩٧

ج ٢ : ٣٧

نصيب ١٧ ٣٣ ١٢٩ ٢٦٢

النظار الفقهسي ٢٨٢ ج ٢ : ٧

المرين تولب ١٢ ٨٠ ٢٢٩ ٢٥٥

٢٦٥ ج ٢ : ١٣ ٣٩ ٥١ ١٨٣

٢٢٦

النميري ٢٢٠

نهيئل بن حري ٦٥

نهيك بن أساف ج ٢ : ١٩٨

أبونواس ٣٦ ٣٧ ٥٨ ٧١ ١٢٧

١٤٤ ١٤٥ ١٥١ ١٧٩ ١٨٦

١٨٧ ١٩٤ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٢٣

٢٣٠ ٢٣٢ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٥٠

٢٥٤ ٢٦٣ ٢٦٥ ٣٠٥ ٣٠٦

٣٠٨ ٣١١ ٣١٣ ٣٢٠ ٣٢١

٣٤٣ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٦٠ ج ٢ :

٢٠ ٧٠ ٩٩ ١٠٣ ١٠٩ ١٢٠

٢٨٩ ٣٠٧ - ٣١٠ ٣١٢ ٣١٥

٣١٧ ٣٢١ ٣٢٩ ٣٣٣ ٣٣٥

٣٤٠ ٣٤٢ ٣٤٤ ٣٤٨ ٣٥٣

٣٥٥ - ٣٦٠ ج ٢ : ١٠ ١٦ ٢٤

٢٦ ٣١ ٣٨ ٤٠ ٤١ ٤٦

٤٧ ٥١ ٥٤ ٥٧ - ٥٩ ٦١ ٦٥

٦٧ ٧٥ ٨١ ١٠٧ ١٠٨ ١١٢

١١٤ ١١٦ ١٢١ - ١٢٣ ١٢٦

١٢٩ ١٣٠ ١٣٢ ١٣٦ ١٣٧

١٤٠ ١٤١ ١٤٥ ١٤٧ ١٤٨

١٥٠ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٧ ١٧٩

١٨٢ ٢٢١ ٢٤١

المعذل بن غيلان ٢٨٠

معن بن أوس المزني ١١٣ ١٥٣

المفضل النكري ج ٢ : ٤٩

ابن مقبل ج ٢ : ١٦١ ٢٤٣

المقنع الكندي ج ٢ : ١٥٦

أبو مكنت الأسدي ج ٢ : ٢١٦

ابن مناذر ج ٢ : ١١٨ ١٧٥

منصور النمري ٢٨ ٣٥ ٥٨ ٥٩

٢٥٣ ج ٢ : ٥٦ ٦٧ ١٥٣ ١٥٦

مهمل ١٧٣ ج ٢ : ١٧٦

موسي بن سحيم ج ٢ : ٢٠١

ابن ميادة ١٢٣

(ن)

النايفة الجعدي ٣٤ ٣٦ ج ٢ : ٦٦

النايفة الديباني ١٥ - ١٧ ١٩ ٢٠

٢٧ ٢١٧ ٢١٨ ٢٣٨ ٢٨٠

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ - ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨
 - ٢٩٢ ، ٢٩٠ - ٢٨٨ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨
 ، ٣٠٤ ، ٣٠٢ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥
 - ٣١٧ ، ٣١٣ - ٣١٠ ، ٣٠٨ - ٣٠٦
 ، ٣٣١ ، ٣٢٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣١٩
 - ٣٤٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٥ - ٣٣٥ ، ٣٣٣
 ، ٣٥٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥١
 ، ٣٦٠ ، ج ٢ : ٩ - ١١ ، ١٥ - ٣٣
 ، ٣٥ - ٣٨ ، ٤١ - ٤٨ ، ٥٨ ، ٥٩
 - ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠
 - ٩٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٠
 - ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٦
 ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠
 ، ١٥١ ، ١٥٤ - ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤
 ، ١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧١ ، ١٨٠ - ١٨٢
 ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ - ٢٠٤
 ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ - ٢٤١

٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩

أبو الهندي ٣١١

أبو الهول ج ٢ : ٢٤٤

أبو الهيثام ١٧٧

(ي)

ابن يامين ج ٢ : ٥٢

يحيى بن زياد الحارثي ١٢٦ ، ٣١٨

يحيى بن طالب الحنفي ج ٢ : ١٨٧

يزيد بن الطرية ٢٥٩ ، ٣٣٤ ، ج ٢ : ١٦٢

يزيد بن معاوية ٣٠٨

يزيد الملهي ج ٢ : ١٩٩

يعقوب بن الربيع ج ٢ : ٢٢٤

١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٢ - ١٣٤
 ١٣٨ - ١٤٠ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٠٦

(و)

الواثق بالله ج ٢ : ١٦٥

أبو وجزة السعدي ٥٩

وضاح اليمن ٢٢٥ ، ٢٢٦

وهب بن عمرو ١٥٧

ابن وهب ٢٨

(هـ)

هرون بن علي ٩٣ ، ٣٢٧

هرون بن محمد الآملي ١٩٦

ابن هرمة ٣٣ ، ١١٩ ، ٢٨٩ ، ٣٥٨ ، ج ٢ : ٦٥

أبو هفان ٦٥ ، ٨٠

أبو هلال العسكري مؤلف الديوان ٢ -

٥ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧

٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٣ - ٥٩ ، ٥٥

٦٠ ، ٦٤ ، ٦٩ - ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٠

٨٨ - ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧

١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤

١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠

١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦١

١٦٧ ، ١٧٨ - ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٦

١٨٨ ، ١٩١ - ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١

٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠

٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٥

٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١

٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٢٥١

٢٥٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١

- ٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجزرى (الورق الخشن ٢)
- ١٢٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى (وهو فى الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
- ٢٠٠ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد . وهو أجمع كتاب مطبوع فى التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء ، والورق الأصفر ١٦٠)
- ٣٠ كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى
- ١٢ الحاوى للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو...) للسيوطى
- ٢٠ ديوان المعانى (فى الشعر والنثر ونقدهما) لآبى هلال العسكري .
- ٢ الطب الروحانى لابن الجوزى ، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
- ١٥ شرح أدب الكاتب للجوائقى (الورق الخشن ١٠) .
- ١٥ تجريد التمهيد لمسا فى الموطأ من المعانى والآسانيد المسمى بالتقصي لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر .
- ٤ الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣) .
- ٤ المبهج فى تفسير شعراء الحماسة لابن جنى ، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .
- ٦ الانتقاء فى فضائل الفقهاء : مالك والشافعى وآبى حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر .
- ٦ القصد والامم فى التعريف بأناساب العرب والعجم ، والانباء على قبائل الرواه
- ٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون .
- ٦ الاعلان بالتويخ لمن ذم التاريخ للسخاوى (وهو كتاريخ للتاريخ الاسلامى) .
- ١٠ الكشف عن مساوى المتنبي للصاحب بن عباد ، وذم الخطأ فى الشعر لابن فارس .
- ٢٠ تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الأشعرى المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الاسمر ١٦) .
- ٣ شروط الائمة الخمسة البخارى ومسلم وآبى داود والترمذى والنسائى .
- ٤ انتقاد (المغنى عن الحفظ والكتاب) للقدسنى .
- ٨ جنى الجنين فى تمييز نوعى المثنيين للبحى (وهو كعجم للشنيات العربية) .
- ٤ أخبار الظراف والمتهاجين (من الرجال والنساء) لابن الجوزى .
- ٧ رسائل تاريخية لابن طولون : الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون ، والشمعة المضية فى أخبار القلعة الدمشقية ، والمعزة فى تاريخ المزة ، والنكت التاريخية .
- ١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعى التوكل بترك العمل للخلال .
- ٢٥ ذبول تذكرة الحفاظ للحسينى وابن فهد والسيوطى والطهطاوى (الاسمر ٢٠)
- ١ بيان زغل العلم والطلب للذهبي ، ٣ الدرة المضية فى الرد على ابن تيمية للسبكى .
- ٢ إتحاف الفاضل بالفعل المبنى لغير الفاعل لابن علان ، ورسالة فى النحو للصناديقى
- ١ المتوكلى فيما وافق من العربية اللغات العجمية ، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطى
- ٥ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادى .

 Bibliotheca Alexandrina



0581135